جامع السعادات

تأليف
العلامة النراقي

جلد ١

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

جامع السعادات

کاتب:

ملا محمد مهدی نراقی

نشرت فی الطباعة:

اعلمی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

جامع السعادات المجلد ۱

اشاره

سرشناسه : نراقی، مهدی بن ابی ذر، ق ۱۲۰۹ – ۱۱۲۸

عنوان و نام پدیدآور : جامع السعادات/ محمدمهدی النراقی؛ قدم محمدرضا المظفر؛ علق علیه محمدکلانتر

مشخصات نشر : بیروت.

مشخصات ظاهری : ج ۲

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه

شماره کتابشناسی ملی : ۱۲۶۰۳۰

ص :۱

[مقدمه محمد رضا المظفر]

اشاره

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

حياه المؤلف ۱۱۲۸-۱۲۰۹

اشاره

هو الشيخ الجليل المولى(محمد مهدى بن أبى ذر النراقى)أحد أعلام المجتهدين فى القرنين الثانى عشر و الثالث عشر من الهجره،و من أصحاب التأليفات القيمه.و يكاد أن يعد فى الدرجه الثانيه أو الثالثه من مشاهير علماء القرنين.

و هو عصامى لا يعرف عن والده(أبى ذر)إلا أنه كان موظفا فى الدوله الإيرانيه بوظيفه صغيره فى قريه(نراق)،و لولا ابنه هذا لذهب ذكره فى طيات التاريخ كملايين البشر من أمثاله،و لا يعلم ما إذا كان لشيخنا النراقى أخوه،و لكن له ولد نابه الذكر،هو المولى أحمد النراقى المتوفى ۱۲۴۴،صاحب(مستند الشيعه)المشهور فى الفقه،و صاحب التأليفات الثمينه،أحد أقطاب العلماء فى القرن الثالث عشر.و كفاه فخرا أنه أحد أساتذه الشيخ العظيم المولى مرتضى الأنصارى المتوفى ۱۲۸۱.

و لعل النراقى الصغير هذا هو من أهم أسباب شهره والده و ذيوع صيته،لما وطئ عقبه و ناف عليه بدقه النظر و جوده التأليف.كما حذا حذوه فى تأليفاته.فان الأب المكرم ألف فى الفقه(معتمد الشيعه).

و الابن الجليل ألف مستندها.و ذاك ألف فى الأخلاق(جامع السعادات) -هذا الكتاب الذى نقدمه-و هذا ألف(معراج السعاده)فى الفارسيه.

و ذاك ألف(مشكلات العلوم)و هذا ألف(الخزائن)...و هكذا نسج على منواله و أحكم النسج.

مولده و وفاته

ولد الشيخ المترجم له-رحمه اللّه تعالى-فى(نراق)كعراق (۱)، و هى قريه من قرى كاشان بإيران،تبعد عنها عشره فراسخ.و كذا كانت مسقط رأس ولده المتقدم الذكر.و لم يذكر التأريخ سنه ولادته،و على التقريب يمكن استخراجها من بعض المقارنات التأريخيه،فإنه تلمذ-فى أول نشأته على ما يظهر-على الشيخ المحقق الحكيم المولى إسماعيل الخاجوئى ثلاثين سنه،مع العلم أن أستاذه هذا توفى عام ۱۱۷۳،فتكون أول تلمذته عليه عام ۱۱۴۳ على أقل تقدير،إذا فرضنا أنه لازمه إلى حين وفاته.

و لنفرض على أقرب تقدير أنه قد حضر عليه و هو فى سن ۱۵ عاما، و عليه فتكون ولادته عام ۱۱۲۸،أو قبل ذلك.

أما وفاته فقد كانت عام ۱۲۰۹ فى النجف الأشرف،و دفن فيها، فيكون قد بقى بعد وفاه أستاذه الوحيد البهبهانى سنه واحده،و يكون عمره ۸۱ عاما على الأقل.

و فى(رياض الجنه)المخطوط،تأليف السيد حسن الزنوزى المعاصر للمترجم له-حسب نقل الأستاذ حسن النراقى-:أن عمره كان ۶۳ سنه، فتكون ولادته سنه ۱۱۴۶ ه.و هذا لا يتفق أبدا مع ما هو معروف فى

۱- ۱) و فى أعيان الشيعه-ج ۱۰ ص ۲۵۰-:انها بفتح النون.

تأريخه:أنه تلمذ على المولى إسماعيل الخاجوئی ثلاثين سنه،لأنه يكون عمره على حسب هذا التأريخ حين وفاه أستاذه ۲۷ سنه فقط.

نشأته العلميه و أساتذته

عاش شيخنا كما يعيش عشرات الآلاف من أمثاله من طلاب العلم:

خامل الذكر،فقير الحال منزويا فی مدرسته،لا يعرف من حاله إلا أنه طالب مهاجر،و لا يتصل به إلا أقرانه فی دروسه،الذين لا يهمهم من شأنه إلا أنه طالب كسائر الطلاب،يتردد فی حياه رتيبه بين غرفته و مجالس دروسه،ثم بعد ذلك لا ينكشف لهم من حاله إلا بزته الرثه التی ألفوا منظرها فی آلاف طلاب العلم،فلا تثير اهتمامهم و لا اهتمام الناس.

و بطبيعه الحال لا يسجل له التأريخ شيئا فی هذه النشأه،و كذلك كل طالب علم لا يسجل حتى اسمه ما لم يبلغ درجه يرجع إليه الطلاب فی التدريس،أو الناس فی تقليد،أو تكون له مؤلفات تشتهر.و من هنا تبتدئ معرفه حياه الرجل العالم،و تظهر آثاره و يلمع اسمه.

و مع ذلك،فإنا نعرف عن شيخنا:أن أسبق أساتذته و أكثرهم حضورا عنده هو المولى إسماعيل الخاجوئی المتقدم الذكر.و هذا الأستاذ كان مقره فی أصفهان،و فيها توفی و دفن،و الظاهر أنه لم ينتقل عنها حتى فی الكارثه التأريخيه المفجعه التی أصابتها من الأفغانيين الذين انتهكوها بما لم يحدّث التأريخ عن مثلها،و ذلك سنه ۱۱۳۴.فتكون نشأه شيخنا المترجم له العلميه فی مبدأ تحصيله فی أصفهان على هذا الشيخ الجليل.و الظاهر أنه عليه قرأ الفلسفه،لأن هذا الشيخ من أساتذه الفلسفه المعروفين الذين تنتهی تلمذتهم فی ذلك العصر إلى المولى صدر الدين الشيرازی صاحب الأسفار.

و كفى أن من تلاميذه المولى محراب،الإلهی المعروف،الذی طورد لقوله

بوحده الوجود،و لما جاء إلى إحدى العتبات المقدسه متخفيا.وجد فى الحرم شيخا ناسكا يسبح بلعن ملا صدرا و ملا محراب،و لما سأله عن السبب فى لعنهما قال:لأنهما يقولان(بوحده واجب الوجود)،فقال له ساخرا:

إنهما حقا يستحقان منك اللعن! و درس أيضا شيخنا المترجم له-و الظاهر أن ذلك فى أصفهان أيضا- على العالمين الكبيرين:الشيخ محمد بن الحكيم العالم الحاج محمد زمان، و الشيخ محمد مهدى الهرندى.و هما من أساتذه الفلسفه على ما يظهر.

و لا شك أنه انتقل إلى كربلاء و النجف،فدرس على الأعلام و الثلاثه:

الوحيد البهبهانى الآتى ذكره-و هو آخر أساتذته و أعظمهم،و تخريجه كان على يديه-و الفقيه العالم صاحب الحدائق الشيخ يوسف البحرانى المتوفى ۱۱۸۶،و المحقق الجليل الشيخ مهدى الفتونى المتوفى ۱۱۸۳.

فجمله أساتذته سبعه،سماهم ولده فى بعض إجازاته على ما نقل عنه ب(الكواكب السبعه).و هم خيره علماء ذلك العصر،و على رأسهم الآفاه الوحيد أستاذ الأساتذه.

و لما فرغ هذا الشيخ من التحصيل فى كربلاء،رجع إلى بلاده و استقام فى كاشان.و هناك أسس له مركزا علميا تشد إليه الرحال،بعد أن كانت كاشان مقفره من العلم و العلماء،و استمرت بعده على ذلك مركزا من مراكز العلم فى إيران،و ليس لدينا ما يشير إلى تأريخ انتقاله إلى كاشان.

و رجع إلى العراق،و توفى فى النجف الأشرف و دفن فيها.و الظاهر أن مجيئه هذا كان-و كان معه ولده-بعد أستاذه الوحيد،جاء لزياره المشاهد المقدسه فتوفى،أما ولده فقد بقى بعده ليدرس العلم على أعلامه يومئذ،كبحر العلوم،و كاشف الغطاء.

ص :۶

عصره

یمضـی القرن الثانی عشـر للهجره علی العتبات المقدسه فی العراق،بل علی أکثر المدن الشـیعیه فی إیران التی فیها مرکز الدراسه الـدینیه العـالیه -کإصـفهان و شـیراز و خراسـان-و تطغی فیه ظاهرتـان غریبتان علی السـلوک الـدینی:الأولی:النزعه الصوفیه التی جرّت إلی مغالاه فرقه الکشفیه.

و الثانیه:النزعه الأخباریه.

و هذه الأخیره خاصه ظهرت فی ذلک القرن قویه مسـیطره علی التفکیر الدراسـی،و تدعو إلی نفسـها بصراحه لا هواده فیها،حتی أن الطالب الدینی فی مدینه کربلا خاصه أصبح یجاهر بتطرفه و یغالی،فلا یحمل مؤلفات العلماء الأصولیین إلا بمندیل،خشیه أن تنجس یده من ملامسه حتی جلدها الجاف،و کربلا یومئذ أکبر مرکز علمی للبلاد الشیعیه.

و فی الحقیقه أن هذا القرن یمر و الروح العلمیه فاتره إلی حد بعید،حتی أنه بعد الشـیخ المجلسی صاحب البحار المتوفی فی أول هـذا القرن عام ۱۱۱۰، لم تجـد واحـدا من الفقهـاء الأـصولیین من یلمع اسـمه و یسـتحق أن یجعل فی الطبقه الأولی،أو تکون له الرئـاسه العامه،إلا من ظهر فی أواخر القرن کالشـیخ الفتونی الجلیل فی النجف المتوفی ۱۱۸۳،ثم الشیخ آقا الوحید البهبهانی فی کربلا المتوفی ۱۲۰۸،الذی تم علی یدیه تحول العلم إلی ناحیه جدیده من التحقیق.

و هـذا الفتور العلمی،و طغیان نزعه التصوف من جهه،و نزعه الأخباریه من جهه أخری فی هـذا القرن بالخصوص،مما یـدعو إلی التفکیر و العجب،و لیس بأیدینا من المصادر ما یکفی للجزم بأسـباب ذلک.و أغلب الظن أن أهم الأسـباب التی نسـتطیع الوثوق بها هو الوضع السیاسی و الاجتماعی

ص :۷

اللذان آلت إليهما البلاد الإسلاميه فى ذلك القرن،من نحو التفكك و اختلال الأمن فى جميع أطراف البلاد،و الحروب الطاحنه بين الأمراء و الدول، لا سيما بين الحكومتين الإيرانيه و العثمانيه،و بين الإيرانيه و الأفغانيه،تلك الحروب التى اصطبغت على الأكثر بصبغه مذهبيه.و هذا كله مما يسبب البلبله فى الأفكار و الاتجاهات،و ضعف الروح العامه المعنويه.

فأوجب ذلك من جهه ضعف ارتباط رجال الدين بالحياه الواقعيه، و السلطان الزمنيه.و يدعو ذلك عاده إلى الزهد المغالى فى جميع شئون الحياه،و اليأس من الإصلاح.فتنشأ هنا نزعه التصوف،و تتخذ يومئذ صرحا علميا على انقاض الفلسفه الإشراقيه الإسلاميه المطارده المكبوته، التى سبق أن دعا لها أنصار أقوياء،كالمولى صدر الدين الشيرازى المتوفى عام ١٠٥٠،و أضرابه و أتباعه،مع المغالاه فى أفكارها.و ساند طريقه التصوف مبدئيا أن السلطه الزمنيه فى إيران-و هى(سلطه الصفويين)- قامت على أساس الدعوه إلى التصوف.و ظلت تؤيدها و تمدها سرا.

و من جهه أخرى يحدث رد فعل لهذا الغلو،فينكر على الناس أن يركنوا إلى العقل و تفكيره،و يلتجأ إلى تفسير التعبد بما جاء به الشارع المقدس بمعنى الاقتصار على الأخبار الوارده فى الكتب الموثوق بها فى كل شىء و الجمود على ظواهرها.ثم يدعو الغلو بهؤلاء إلى ادعاء أن كل تلك الأخبار مقطوعه الصدور على ما فيها من اختلاف.ثم يشتد بهم الغلو.

فيقولون بعدم جواز الأخذ بظواهر القرآن وحده،من دون الرجوع إلى الأخبار الوارده.ثم ضربوا بعد ذلك علم الأصول عرض الجدار،بادعاء أن مبانيه كلها عقليه لا تستند إلى الأخبار،و العقل أبدا لا يجوز الركون اليه فى كل شىء،ثم ينكرون الاجتهاد و جواز التقليد.و هكذا تنشأ فكره الأخباريه الحديثه التى أول من دعا إليها أو غالى فى الدعوه إليها المولى

أمين الـدين الأسترابـادی المتوفی ۱۰۳۳.ثـم يظهر آخر شـخص لهـذه النزعـه له مكـانته العلميه المحـترمه فی الفقه هـو صـاحب الحدائق المتقدم ذكره.و هذا الثانی-و إن كان أكثر اعتدالا من الأول و أضـرابه-كاد أن يتم علی يديه تحول الاتجاه الفكری بين طلاب العلم فی كربلا إلی اعتناق فكره الأخباريه هذه.

و عنـد مـا وصـلت هـذه الفكره الأخبـاريه إلی أوجهـا،ظهر فی كربلاـء علم الأعلام الشـيخ الوحيـد الآقا البهبهانی،الـذی قيل عنه بحق:مجـدد المذهب علی رأس المائه الثالثه عشـره.فإن هذا العالم الجليل كان لبقا مفوها و مجاهدا خبيرا،فقد شن علی الأخباريه هجومـا عنيفـا بمؤلفـاته،و بمحاججـاته الشـفويه الحـاده مع علمائها-و قـد نقل فی بعض فوائـده الحائريه و رسائله نماذج منها- و بدروسه القيمه التی يلقيها علی تلامذته الكثيرين الذين التفوا حوله،و علی يديه كان ابتداء تطور علم الأصول الحديث،و خروجه عن جموده الذی ألفه عده قرون،و اتجه التفكير العلمی إلی ناحيه جديده غير مألوفه.

فانكمشت فی عصـره النزعه الأخباريه علی نفسها،و لم تستطع أن تثبت أمام قوه حجته.و تخرّج علی يديه جماعه كبيره من أعلام الأمه، كبحر العلوم،و كاشف الغطاء،و المحقق القمی،و الشيخ النراقی-المترجم له- و أشباههم.

فيبرز شـيخنا المترجم له فی عنفوان المعركه الأخبـاريه و الأـصوليه، و ساحتها كربلا،و فی عنفوان معركه الـدعوه إلی التصوف،و ساحتها أصـفهان علی الأكثر،فيكون أحـد أبطال هاتين المعركتين،بل أحـد القواد الـذين رفعوا رايه الجهاد بمؤلفاته و تدريسه،و ساعده علی ذلک أنه-رحمه اللّه- كان متفننا فی دراسه العلوم،و لم يقتصر علی الفقه و الأصول و مقدماتهما، فقد شارک العلوم الرياضيه،كالهندسه و الحساب و الهيئه،و له مؤلفات فيها

سيأتى ذكرها.كما درس الفلسفه،و يظهر أثر تضلعه فى الفلسفه فى كتابه هذا(جامع السعادات)،لا سيما فى الباب الأول،و فى تقسيمه لأبواب الكتاب و فصوله على أساس علمى متقن برّز فيه على كتاب الأخلاق السابقه عليه من هذه الناحيه.و سيأتى بيان ذلك.

كما أن تأليف لهذا الكتاب بشعرنا بأمرين:

(الأول)طغيان التصوف من جهه،و طغيان التفكك الأخلاقى عند العامه من جهه أخرى،و أنهما هما اللذان ألجآه إلى أن يرشد الناس إلى الاعتدال فى السلوك الأخلاقى المستقى من منابعه الشرعيه،فإنه فى الوقت الذى يبنى كتابه على مبادئ الفلسفه الإشراقيه،حارب فيه من طرف خفى نزعه التصوف،و جعل آراءه و دعوته إلى الأخلاق على أساس الذوق الإسلامى الذى يتمثل فى الأحاديث النبويه و ما جاء عن آل البيت-عليهم السلام- فهو فى وقت واحد هادم و بان،و بهذا يختلف كتابه عن مثل(إحياء العلوم) الذى يعتمد بالدرجه الأولى على الروح الصوفيه،و هى غايته المثلى.

و(الثانى)من الأمرين حسن اختيار صاحب الترجمه،فإنه لم يسبقه أحد من علماء الإماميه-بعد خريت هذه الصناعه ابن مسكويه المتوفى ۴۲۱، و الشيخ المولى محسن الفيض المتوفى ۱۰۹۱-الى تأليف كتاب كامل فى الأخلاق مبنى على أساس علمى فلسفى موجود بين أيدينا.

شخصيه المترجم له و أخلاقه

إن أعاظم الناس و نوابغهم لا تأتيهم العظمه و النبوغ عفوا و مصادفه، من دون قوه كامنه فى شخصيتهم أو ملكه راسخه فى نفوسهم،هى سر عظمتهم و تفوقهم على سائر الناس.و ما كلمه الحظ فى هذا الباب إلا تعبير مبهم عن تلك القوه التى أودعها اللّه تعالى فى شخص النابغه.و قد تكون

تلك القوه مجهوله حتى لشخص صاحبها الذى يتحلى بها،بل على الأكثر هى كذلك،فيندفع العبقرى إلى تلك القمه التى خلقت له أو خلق لها بدافع تلك القوه الكامنه اندفاعا لا شعوريا،و إن أعماله الجزئيه التى يقوم بها هى شعريه بمحض اختياره.

و تلاحظ قوه شخصيه شيخنا المترجم له فى صبره و قوه إرادته و تفانيه فى طلب العلم،ثم عزه نفسه،و إن كانت هذه الفاظا عامه قد يعبر بها عن كثير من الناس،و يصح التعبير بها بلا كذب و لا خداع،إلا أن للدرجه الخاصه من الصبر و الإراده و الحب و العزه و نحوها التى بها يمتاز الشخص النابغ تضيق اللغه عن التعبير عنها بخصوصها إلا بهذه الألفاظ العامه الدارجه و تظهر الدرجه الخاصه التى يختص بها صاحبنا من هذه الأمور فى ثلاث حوادث منقوله عنه:

(الأولى)-فيما ينقل أنه كان فى أيام التحصيل فى غايه الفقر و الفاقه -و الفقر دائما شيمه العلماء،بل هو من أول شروط النبوغ فى العلم، و هو الذى يصقل النفس فيظهر جوهرا الحقيقى-فكان صاحبنا قد تشتد به الفاقه فيعجز عن تدبير ثمن السراج الذى لا يتجاوز فى عصره عن أن يكون من زيت أو شمع،فيدعوه حرصه على العلم إلى الدخول فى بيوت فى مراحيض المدرسه،ليطالع على سراجها،و لكنه تأبى عزته أن يدع غيره يشعر بما هو فيه،فيوهم الداخلين-بالتنحنح-أنه جالس للحاجه الخاصه.و تتجلى فى هذه الحادثه الصغيره عزه نفسه و قوه إرادته و صبره على طلب العلم بدرجه غير اعتياديه إلا للنوابغ الأفذاذ.

(الحادثه الثانيه)-أن أحد الكسبه الذى كان حانوته فى طريق المدرسه بكاشان التى كان يسكنها هذا الطالب النراقى،أن هذا الكاسب المؤمن لاحظ على هذا الطالب انه رث الثياب.و كان معجبا به،إذ كان

یشتری منه بعض الحاجیات کسائر الطلاب،فرأی أن یکسبه تقربا إلی اللّه فهیأ له ملبوسا یلیق بشأنه،و قدمه له عند ما اجتاز علیه،فقبله بإلحاح.

و لکن هذا الطالب الأبی فی الیوم الثانی رجع إلی رفیقه الکاسب و ارجع له هذا الملبوس قائلا:إنی لما لبسته لاحظت علی نفسی ضعه لا أطیقها، لا سیما حینما اجتاز علیک،فلم أحد نفسی تتحمل هذا الشعور المؤلم،و ألقاه علیه و مضی معتزا بکرامته.

(الحادثه الثالثه)-فیما ینقل عنه أیضا-و هی أهم من الأولی و الثانیه-أنه کان لا یفض الکتب الوارده إلیه،بل یطرحها تحت فراشه مختومه،لئلا یقرأ فیها ما یشغل باله عن طلب العلم.و الصبر علی هذا الأمر یتطلب قوه إراده عظیمه لیست اعتیادیه لسائر البشر.و یتفق أن یقتل والده(أبو ذر)المقیم فی نراق وطنه الأصلی،و هو یومئذ فی أصفهان، یحضر علی أستاذه الجلیل المولی إسماعیل الخاجوئی،فکتبوا إلیه من هناک بالنبإ لیحضر إلی نراق،لتصفیه الترکه و قسمه المواریث و شئون أخری، و لکنه علی عادته لم یفض هذا الکتاب،و لم یعلم بکل ما جری.و لما طالت المده علی من فی نراق،کتبوا له مره أخری،و لکن لم یجبهم أیضا.و لما یئسوا منه کتبوا بالواقعه إلی أستاذه المذکور لیخبره بالنبإ و یحمله علی المجیء.و الأستاذ فی دوره-علی عاده الناس-خشی أن یفاجئه بالنبإ،و عند ما حضر مجلس درسه أظهر له-تمهیدا لإخباره-الحزن و الکآبه،ثم ذکر له:أن والده مجروح،و رجح له الذهاب إلی بلاده و لکن هذا الولد الصلب القوی الشکیمه لم تلن قناته،و لم یزد أن دعا بالعافیه،طالبا من أستاذه أن یعفیه من الذهاب.و عندئذ اضطر الأستاذ إلی أن یصرح له بالواقع،و لکن الولد أیضا لم یعبأ بالأمر،و أصر علی البقاء لتحصیل العلم.إلا أن الأستاذ هذه المره لم یجد بدا من أن یفرض

علیه السفر،فسافر امتثالا لأمره المطاع،و لم یمکث فی نراق أکثر من ثلاثه أیام،علی بعد الشقه و زیاده المشقه،ثم رجع إلی دار هجرته.و هذه الحادثه لها مغزاها العمیق فی فهم نفسیه هذا العالم الإلهی،و تدل علی استهانته بالمال و جمیع شئون الحیاه فی سبیل طلب العلم.

مؤلفاته

اشاره

لشیخنا المترجم له عده مؤلفات نافعه،تدلّ علی قابلیه فی التألیف و صبر علی البحث و التتبع،و علی علم غزیر.و نحن نعدّ منها ما وصل بحثنا إلیه،و أکثر اعتمادنا فی تعدادها و بعض أوصافها علی کتاب(ریاض الجنه)المذکور فی مصادر هذه الطبعه:

(فی الفقه):

۱-(لوامع الأحکام فی فقه شریعه الإسلام):و هو کتاب استدلالی مبسوط،و قد خرج منه کتاب الطهاره فی مجلدین یقرب من (۳۰)ألف بیت.

۲-(معتمد الشیعه فی أحکام الشریعه):هو أتم استدلالا و اخصر تعبیرا من کتاب اللوامع السالف الذکر،خرج منه کتاب الطهاره و نبذ من الصلاه و الحج و التجاره و القضاء.قال فی الروضات عن الکتابین:

«ینقل عنهما ولده المحقق فی المستند و العوائد کثیرا».

۳-(التحفه الرضویه فی المسائل الدینیه):فی الطهاره و الصلاه، فارسی،یقرب من(۱۰)آلاف بیت.

۴-(أنیس التجار):فی المعاملات،فارسی،یقرب من(۸) آلاف بیت.

۵-(أنیس الحجاج):فی مسائل الحج و الزیارات،فارسی،یقرب

من(۴)آلاف بیت.

۶-(المناسک المکیه):فی مسائل الحج أیضا،یقرب من ألف بیت.

۷-(رساله صلاه الجمعه):ذکرها و ما قبلها حفیده(الأستاذ حسن النراقی)فی رسالته لنا.

(فی أصول الفقه):

۸-(تجرید الأصول):مشتمل علی جمیع مسائل الأصول مع اختصاره،یقرب من(۳)آلاف بیت.قال عنه فی الروضات:«شرحه ولده فی مجلدات غفیره جمه»، ۹-(أنس المجتهدین):توجد منه نسخه مخطوطه فی مکتبه الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام العامه بالنجف الأشرف(برقم ۴۰۸-سجل المخطوطات)،تقع فی ۴۱۱ صفحه،بخط محمد حسین بن علی نقی البزاز فرغ منها بتأریخ ۳ صفر من سنه ۱۱۸۱.و فی تقدیر ریاض الجنه یقرب من(۱۰)آلاف بیت.

۱۰-(جامعه الأصول):یقرب من(۵)آلاف بیت.

۱۱-(رساله فی الإجماع):یقرب من(۳)آلاف بیت.

(فی الحکمه و الکلام):

۱۲-(جامع الأفکار):فی الإلهیات،یقرب من(۳۰)الف بیت قد فرغ من تألیفه سنه ۱۱۹۳،و علیه فلیس هو من أوائل مؤلفاته،کما قال عنه صاحب(ریاض الجنه)،و ستجد راموزا للصفحتین الأولی و الأخیره منه بخط المؤلف،منقولتین عن النسخه التی هی بحرزه أحد أحفاده (الأستاذ حسن النراقی).و الذی یجلب الانتباه فی الصفحه الأخیره ما ذکره من الحوادث المروعه فی الوباء و غیره التی وقعت فی تلک الفتره.

۱۳-(قره العیون):فی أحکام و الوجود و الماهیه،یقرب من

(۵)آلاف بیت، ۱۴-(اللمعات العرشیه):فی حکمه الإشراق،یقرب من(۲۵) الف بیت.

۱۵-(اللمعه):و هو مختصر اللمعات،یقرب من الفی بیت.

۱۶-(الکلمات الوجیزه):و هو مختصر اللمعه،یقرب من ثمانمائه بیت.

۱۷-(أنیس الحکماء):فی المعقول،و هو من أواخر تألیفاته، لم یتم.احتوی علی نبذ من الأمور العامه و الطبیعیات،یقرب من(۴) آلاف بیت.

۱۸-(أنیس الموحدین):فی أصول الدین،فارسی،یقرب من (۴)آلاف بیت.

۱۹-(شرح الشفا):فی الإلهیات،النسخه الأصلیه بخط المؤلف موجوده عند أحد أحفاده(الأستاذ حسن النراقی).

۲۰-(الشهاب الثاقب):فی الإمامه،فی رد رساله الفاضل البخاری،یقرب من(۵)آلاف بیت.

(فی الریاضیات):

۲۱-(المستقصی):فی علوم الهیئه،خرج منه مجلدان إلی مبحث اسناد الحرکات.یقرب من(۴۰)ألف بیت،قال عنه فی ریاض الجنه:

«لم یعمل أبسط و أدق منه فی علم الهیئه،و لقد طبق فیه أکثر البراهین الهندسیه بالدلائل العقلیه،لم یتم».

۲۲-(المحصل):کتاب مختصر فی علم الهیئه،یقرب من(۵) آلاف بیت.

۲۳-(توضیح الإشکال):فی شرح تحریر أقلیدس الصوری

فی الهندسه،و قد شرحه إلی المقاله السابعه،فارسی،یقرب من(۱۶) ألف بیت.

۲۴-(شرح تحریر اکرثاذوسنیوس):یقرب من(۳)آلاف بیت.

۲۵-(رساله فی علم عقود الأناقل):فارسیه،تقرب من ألف بیت.

۲۶-(رساله فی الحساب):ذکرها فی روضات الجنات.

(فی الأخلاق و المواعظ):

۲۷-(جامع السعادات):هذا المطبوع بثلاثه أجزاء-حسب تقسیمنا له-قال عنه فی ریاض الجنه:«یقرب من(۲۵)ألف بیت».

و قد طبع فی إیران علی الحجر سنه ۱۳۱۲ بجزءین،و سیأتی وصفه،و قد تقدم شیء من وصفه.و هذه الطبعه الثلاثه له علی الحروف بالنجف الأشرف ۲۸-(جامع المواعظ):فی الوعظ،یقرب من(۴۰)الف بیت لم یتم.

(فی المتفرقات):

۲۹-(محرق القلوب):فی مصائب آل البیت،فارسی،یقرب من(۱۸)ألف بیت،قال عنه فی روضات الجنات:«طریف الأسلوب» ۳۰-(مشکلات العلوم):فی المسائل المشکله من علوم شتی، مطبوع علی الحجر بإیران،یشبه بعض الشیء کشکول البهائی.و قد نسج علی منواله ولده المحقق فی کتابه(الخزائن)المطبوع علی الحجر بإیران.

۳۱-(رساله نخبه البیان):ذکرها حفیده(الأستاذ حسن النراقی) ۳۲-(معراج السماء):ذکره أیضا حفیده المذکور.

جامع السعادات و علم الأخلاق

اشاره

لا شک أن القدره على التأليف موهبه من اللّه تعالى فوق موهبه العلم و الفهم،و ليس كل من كان عالما استطاع التأليف.

و التأليف فى حد ذاته من أبرز الخدمات التى يؤديها العالم للناس فى حياته،و من أعظم الحظوظ للإنسانيه،و بسببه استطاعت أن تتقدم على مرور الأجيال.و مع ذلک ليس كل تأليف يعد خدمه للناس و حظا للإنسانيه.

و إذا أردنا أن نضع المؤلفات فى رفوف حسب قيمتها،فانما فى فترات منقطعه تظهر مؤلفات من النوابغ يصح أن نضعها فى الرف الأعلى و يصدق عليها بحق أنها مما ينفع الناس،فتمكث فى الأرض،و تفرض نفسها للخلود و البقاء إذا سلمت من عوادى الدهر الغاشمه.و من سوء الحظ أن الفراغ لا يزال كثيرا فى هذا الرف الأعلى.

و من بين الفترات لا بد أن تبرز فى كل علم من المؤلفات هى من حقها أن توضع فى الرف الثانى أو ما دونه.و حظها أن تنسج على منوال غيرها لتحييها و تهىء انتهاء الفتره لظهور الأثر الخالد مما يوضع فى الرف الأعلى.

و هذه غير العثاء الذى يذهب جفاء،و من حقه أن يلقى فى سله المهملات و ما أكثر هذا النوع الرخيص،لا سيما فى عصرنا الحاضر الذى سهلت له الطباعه الاسفاف.

و يجب ألا نغالى فى مؤلفات شيخنا النراقى فنضعها فى الرف الأعلى، و لكن(جامع السعادات)الذى نقدمه،هو بالخصوص من الآثار الخالده، و إن لم يكن موضعه هذا الرف الأعلى كسائر الكتب الأخلاقيه فى الدوره الإسلاميه.و لا ندرى السر فى ذلک،لأن الفتره بعد لم تنته لعلم الأخلاق بخصوصه كيما يظهر الأثر الخالد المنتظر الذى سيكون فى الرف الأعلى،

أم لأن هذا العلم ليس له تلك الفترات،بل كله فى فتره مستديمه ليأس العلماء الأخلاقيين من التأثير على الناس بمجرد التأليف؟! و هذا الثانى هو الأقرب إلى الواقع.و الحق مع الأخلاقيين فى يأسهم فإن الأخلاق لا تكتسب بالعلم و قراءه الكتب،و إنما هى صفات و ملكات لا تحصل للإنسان إلا بالتمرينات القاسيه و التربيه الطويله،لا سيما فى أيام الطفوله و فى السن المبكره قبل أن يفرض فى الإنسان أن يكون أهلا للقراءه،و لو كانت قراءه الكتب وحدها كافيه لخلق الفضيله فى النفس أو تنميتها لكانت كتب الأخلاق من أثمن ما خلق اللّه و لأغنى البشريه كتاب واحد يفى بذكر الأخلاق الفاضله،بل لاكتفينا بالقرآن الكريم وحده،أو ينهج البلاغه بعده الذى تريد خطبه و مواعظه أن تصهر الناس فى بوتقتها الملتهبه لتخرجهم إبريزا صافيا كصاحبها،و لكن البشريه الظالمه لنفسها بدل أن تنصهر بهذا اللهب تخبو جذوتها و تزيد جمودا على مساوئها.

و ليس هذا الرأى عن الكتب الأخلاقيه فيه شىء من المغالاه على ما اعتقد،إلا أنى مع ذلك لا أظلم بعض زمره صالحه من أهل الفتوه و أرباب القلوب الحيه،إذ نجدهم يتأثرون بالكلمه الأخلاقيه الموجهه إليهم ممن يعول على قوله،و يتتبعون بإخلاص مجهودات المؤلفين فى الأخلاق، ليترسموا خطاهم فيهذبوا أنفسهم.

و من هنا نجد السبيل إلى انصاف الأخلاقيين و إعطاء مؤلفاتهم حقها من التقدير،لنعتقد أنهم لم يعملوا عملا باطلا لا نفع فيه،بل الحق أن له قيمته العظيمه،و كفى أن يتأثر بدعوتهم بعض فتيان كرام برره.و هذا التأثر على قلته له قيمه معنويه لا توازن بشىء فى الدنيا،بل سير الحياه و تقدمها يتوقف مبدئيا على هذا التأثر،و إن كان محدودا.و ما التقدم الاجتماعى الذى يحصل فى أمه فى بعض الفترات من الزمن إلا نتيجه من

نتائج هذا التأثر المحدود.

و مع ذلک،فإن تأثير الدعوه الأخلاقيه هذا التأثير المحدود لا يأتی من مجرد شحن الکتاب بالنظريات الأخلاقيه المجرده.بل لروحيه المؤلف أعظم الأثر فی اجتذاب قلوب الفتيان الکرام إلی الخير.و من هنا اشترطوا فی الواعظ أن يکون متعظا.

و علی هذا الأساس ينبغی أن توضع کتب الأخلاق فی رفوفها،فليس للنظريات الفلسفيه و رصانه التأليف و ترکيزه علی المبادئ العلميه-فی نظر أرباب القلوب-تلک الأهميه الأخلاقيه التی تعلق عليها.و لا تقاس بالأثر الأخلاقی الذی يحصل من روحيه المؤلف و مقدار تأثره هو بأقواله، و ما کانت شهره(مجموعه ورام)،و ما کانت أهميتها إلا لأنها ناشئه من قلب صادق،ذلک قلب الأمير الزاهد الإلهی(الشيخ ورام ابن أبی فراس المالکی الأشتری)،و ليس فيها صفه علميه أو فنيه تقضی بهذا الاهتمام.

و من العجيب أن قلب الرجل الأخلاقی يبرز ظاهرا علی قلمه فی مؤلفاته، فتلمسه فی ثنايا کلماته.و بالعکس ذلک الذی لا قلب له،فإنک لا تقرأ منه إلا کلاما جافا لا روح فيه،مهما بلغت قيمته فی حساب النظريات الفلسفيه.

و فی نظری أن قيمه(جامع السعادات)فی الروح المؤمنه التی تقرأها فی ثناياه أکثر بکثير من قيمته العلميه.و إنی لأتحدی قارئ هذا الکتاب إذا کان مستعدا للخير أن يخرج منه غير متأثر بدعوته،و هذا هو السر فی إقبال الناس عليه و فی شهرته،علی أنه لا يزيد من ناحيه علميه علی بعض الکتب المتداوله التی لا نجد فيها هذا الذوق و الروحانيه.و الکتاب نفسه يکشف لنا عن نفسيه المؤلف،و ما کان عليه من خلق عال و إيمان صادق.

و إنی لأؤمن إيمانا لا يقبل الشک:أن انتشار هذا الکتاب بين الناس

فی هـذا العصـر سـیکون له أثره المحسوس فی توجیه أمتنا نحو الخیر،بعـد أن نفـدت طبعته الأولی و عزت نسـخته،و لا سـیما أن خطبـاء المنـابر-فیمـا اعتقـد- سـتکون لهم الحصه الوافره فی التـأثر به و نقـل تأثرهـم إلی سواد الأمه الـذین هم المعول علیهم فی نهضتنا الأخلاقیه المقبله.

و هذا ما دفعنی-و اللّه هو الشاهد علی-إلی السهر علی تصحیح الکتاب و تدقیقه،لیخرج بهذه الحلقه،و إن کانت ظروفی الخاصه کـادت أن تحول دون التفرغ له،لو لاـ أنی توکلت علی اللّه و وطنت نفسـی علی تجاهلهـا و إهمـال کـثیر ممـا یجب العنـایه به،و الحمد للّه علی توفیقه.

النواحی الفنیه فی الکتاب

مـن أهم مـا یؤاخـذ به کتابنـا هـذا،اعتمـاده علی المراسـیل فی الأحـادیث، و تسـجیل کـل مـا یری أمـامه من المنقولاـت:غثهـا و سمینهـا،من دون إشـاره إلی التمییز و لاـ إلی المصـادر،حتی نقـل کثیرا عن إحیـاء العلوم.و تعمـد النقـل عن مثل جامع الأخبار و مصـباح الشـریعه،اللذین یشـهد أسلوبهما علی وضع أکثر ما فیهما.و قد وجدنا صعوبه کبیره فی العثور علی جمله من مصادر هذه المنقولات لتصـحیحها،و قـد یسـتغرق البحث للعثور علی مصـدر خبر واحد أیاما،کما قد یذهب البحث سدی.و ما کان یهمنا من الرجوع إلی المصادر إلا تصـحیح المنقولات لا إثبات مصادرها،فلـذلک لا نشـیر فی الحاشـیه إلی المصدر إلا إذا وجدنا اختلافا فی نصه فی النسخ،فنقول:

صححناه علی کذا مصدر.و بهذه المناسـبه لا بد من الاعتراف بالجمیل، فنذکر الأسـتاذ الفاضل السـید عبد الرزاق المقرم بالشکر لما أعاننا علیه من الفحص عن بعض الروایات.

و الذی یهون الخطب فی هذه المؤاخذه-علی أن لها قیمتها الفنیه-

أنها لا تختص بهذا الكتاب وحده من بين كتب الأخلاق الإسلاميه،بل هذا ديدنها،و كأن همّ أصحابها من الاستشهاد بالمنقولات نفس أداء الفكره فإذا كانت بحسب نظرهم صحيحه مقبوله فی نفسها فلا يجب عندهم أن يكون الحديث الذى يتضمنها صحيحا مقبولا-فی عرف أهل الحديث،فإذا قال المحدث:«قال النبی و الإمام كذا»،يعنی بذلك أن هذا القول ثابت بالنقل الصحيح الموثوق به،و إلا فيقول«روی عنه كذا» أو ما يشبه ذلك أما الأخلاق فلا يعنی بذلك القول إلا أنه مروی عنه بأی طريق كان.

و لعل لهذا التسامح عذرا مقبولا فی مذهبهم على ما قدمنا،لو لم تكن فيه إساءه إلى أمانه النقل فی أهم تراث إسلامی دينی،فی حين كان من الممكن تحشيها بقليل من التحقيق و البحث،على أن فی الثابت الصحيح عن آل البيت-عليهم السلام-ما فيه الكفايه للإمام بنواحی الأخلاق المطلوبه،و ما فی(الكافی)كاف وحده فی هذا الباب.و كنا نتمنى -أثناء التصحيح-على صاحب كتابنا هذا ألا يتبع هذه العاده عند الأخلاقيين،فيزيد على فائدته الأخلاقيه فائده أخرى فی تحقيق الأحاديث الصحيحه.

اما أسلوب الكتاب الأدبی،فهو يمثل إلى حد ما عصره الذى ضعفت فيه اللغه إلى حد كبير،بالرغم على أن الفلاسفه الإشراقيين اشتهروا فی تلك العصور بحسن البيان و قوه الأسلوب،لا-سيما فی العصر السابق على عصر المؤلف،كالسيد الداماد العظيم المتوفی ١٠٤١،و تلميذه النابغه الجليل المولى صدر المتقدم ذكره،حتى كان يسمى الأول:أمير البيان،و لعل الثانی أحق بهذا اللقب.غير أن صاحبنا لا-يحسب فی عداد الفلاسفه و إن ارتشف من منهلهم.على أنه كان يقتبس كثيرا نص عبارات غيره استراحه إليها.

و هذه سنه مستساغه عند المؤلفين الأخلاقيين،و كأن كتبهم يجدونها مشاعه

بين الجميع،أو لأن همهم أداء الفكره كما كان عذرهم فى مراسيل الأحاديث.

و بهـذه المناسـبه نقـول:إنـا وجـدنا أثنـاء تصـحيح الكتـاب كـثيرا مـن الألفـاظ و العبـارات ممـا لـم نجـد لـه مسوغـا مـن اللغه العربيه،ككلمه(القـادسه) و(الهلاـكه،ففضـلنا أن نبقيهـا على مـا وجـدناها،حرصـا على أمـانه النقـل، و أهملنـا التنـبيه عليهـا،و مثل كلمه(سيما)فضلنا أن نصححها و نضع كلمه (لا)بين قوسين إشاره إلى زيادتها منا.

و إذا كانت أمانه النقل هى العذر لنا فى ذلك،فهى التى تقضـى علينا أن نصـرح أن عناوين الكتاب على الأكثر هى من وضعنا لا من وضع المؤلف.

و أمـا أسـلوبه العلمى،فقـد بنـاه مؤلفه من أوله إلى آخره على نظريه الوسـط و الأـطراف فى الأخلاـق،تلك النظريه الموروثه من الفلسـفه اليونـانيه و قـد بحث عنهـا المؤلـف فى(الجزء الأـول ص ۵۹).و ليس من حقنـا أن نناقشـها،و لاـ يمتـاز بهـا هـذا الكتاب وحده،فإن شأنه فى الاعتماد على هذه النظريه الأساسيه شأن ساير كتب الأخلاق الإسلاميه العلميه.

و لكن الذى امتاز به كتابنا-بعد أن بحث مؤلفه بحثا فلسفيا متوسطا عن النفس و قواها،و الخير و السعاده،و الفضائل و الرذائل،فى البابين الأول و الثانى،كما صـنع أسـلافه-أن جعل أساس تقسـيمه للكتاب على القوى الثلاث:العاقله و الشـهويه و الغضبيه،و معللا ذلـك بأن«جميع الفضائل و الرذائل لا تخرج عن التعلق بالقوى الثلاث»(۱-۶۶).و ذكر لكل قوه ما يتعلق بها من أجناس الفضائل و الرذائـل منفرده و منضـمه إلى الأـخرى ثـم ذكر أنواعهـا،و استقصـى ذكر الأـنواع،مطبقـا على كـل نـوع نظريـه الوسـط و الأـطراف،فجـاء فى اسـتقصائه و إلحـاقه كل فضـيله و رذيله بالقوه التى تتعلق بها،بما لم يجىء به غيره و لم بسـبقه إليه أحـد فيما نعلم،و هو نفسه ادعى

ذلک فقال:«ان احصاء الفضائل و الرذائل و ضبطهما،و إدخال البعض فی البعض،و الإشاره إلی القوه الموجبه لها علی ما فصلناه،مما لم یتعرض له علماء الأخلاق»(۱-۷۱).

و هذه أهم ناحیه فنیه فی الکتاب،و فتح جدید فی تحقیق منشأ حدوث خلق الفضیله و الرذیله،لو اتفق لغیره أن یترسم خطاه،و یتم ما فتحه من هذا الباب من التحقیق،لتقدم علی یدیه علم الأخلاق کبیرا.و علی أساس تحقیقه هذا أسقط فضیله العداله من حسابه،فلم یجعلها جنسا مقابلا-لأجناس الفضائل الثلاث الأخری،و هی الحکمه و العفه و الشجاعه،باعتبار أن العداله جامعه لجمیع الکمالات بأسرها،لا أنها فی مقابلها،و قد فصل هذا الرأی فی الباب الثانی،و لا أظن أحدا یقره علیه،و لا یثبت أمام النقد.و لکن هذه المقدمه تضیق عن مثل هذه الأبحاث الدقیقه،کما تضیق عن مقارنه هذا التألیف بالمؤلفات الأخلاقیه الأخری.و قصدنا أن هذا التقسیم من المؤلف،و إرجاع الفضائل و الرذائل إلی أسبابها،و جعل مواضیع الأبحاث تلک القوی،و إحصاء أنواع الأخلاق بنوعیها و لوازمها،کل ذلک مستجد و هی طریقه علمیه امتاز بها الکتاب.

تصحیح الکتاب و مراجعه

وعدت الأخ الفاضل الألمعی السید محمد کلانتر،ناشر الکتاب و ملتزمه تصحیحا و تعلیقا-جزاه اللّه خیر ما یجزی العاملون-:علی الاشتراک معه و إعانته علی تدقیق و تحقیق هذا السفر الجلیل و تصحیحه أیضا عند الطبع،إذا توفق لتهیئه ما یلزم لطبعه،و ذلک قبل سنتین.و شاء التوفیق أن یحقق هذه الأمنیه،فلم أجد للتخلی عن الوفاء بالوعد سبیلا مهما کلفنی الأمر.

و یعجبنی من هذا الرجل صبره و جلده علی المشاق فی سبیل نشره، باعتباره أحد الکتب التی یجب إحیاؤها فی هذا العصر،و هذا منه أحد شواهدی علی تأثر الفتیان الکرام الأبرار بهذا السفر الأخلاقی.و قد شاهدت صبره لأول مره فی إیران فی صیف العام الماضی،لما اشترک هو و العلامه الأخ بالروح الشیخ محمد شیخ الشریعه،فی تصحیح قسم من الکتاب علی النسخه المخطوطه الآتی ذکرها فی المراجع رقم ۲ إلی حد ص ۱۷۶ من الجزء الأول من هذا المطبوع،فأودعا فی التعلیقه آراءهما القیمه فی تحقیقه و تصحیحه.و لئن عدنا فی التصحیح من أوله لما استقبلت المطبعه النسخه للطبع،فإنا اعتمدنا کثیرا علی تلک التحقیقات القیمه الماضیه.

و لا ننسی أن نذکر أن للنسخه المطبوعه فی إیران علی الحجر،فیها من التحریف و التصحیف ما یذهب بالاطمئنان إلیها،و یشوه المقصود و المعنی.و من الغریب أن نجد التحریف حتی فی الآیات القرآنیه و الأحادیث الشریفه.أما تذکیر المؤنث و تأنیث المذکر،و تشویه الإملاء و التبویب، فهذه أمور حدّث عنها و لا حرج.و یکفی أن تقارن صفحه واحده منها بمطبوعنا،لتعرف أی مجهود بذل للتصحیح و الإخراج،و تجد العنایه علی کل سطر منه،بل کل کلمه.

و من سوء الحظ،أن النسخه المخطوطه المرجع رقم(۲)لم تکن أکثر حظا فی الصحه من أختها المطبوعه.و هذا ما دعانا إلی أن نرجع إلی کتب أخری تمتّ بالموضوع بصله لتحقیق الکتاب،کالکتب الأخلاقیه و کتب الحدیث.و أکثر ما کان یعنینا تصحیح الأحادیث الشریفه بالرجوع إلی مصادرها الذی جشمنا بحثا مضنیا کان یستغرق أکثر أوقاتنا،و قد نذکر أحیانا فی التعلیقه المصدر المرجوع إلیه،و علی الأکثر لا نذکر المرجع إلا عند ما یکون مخالفا لنسخ الکتاب.و یحسن الآن أن نذکر أهم المراجع

التی اعتمدنا علیها لتصحیح الکتاب،و هی:

١-النسخه من الکتاب-المشار إلیها آنفا-المطبوعه علی الحجر بإیران سنه ١٣١٢.

٢-النسخه المخطوطه منه التی تفضل بها شیخنا الحجه الشیخ محمد محسن الشهیر ب(آغا بزرگ)مؤلف الذریعه،و قد نسخت سنه ١٢٠٨.و نعبر عنها فی التعلیقه ب(نسختنا الخطیه). ٣-النسخه المخطوطه منه فی مکتبه سپه سالار بطهران.و لا یحضرنا الآن تأریخ نسخها و رقمها فی المکتبه.و قد قوبلت النسخه إلی حد صفحه ١٧۶ من الجزء الأول.

۴-النسخه المطبوعه،التی یملکها الخطیب السید جواد شبر،و فیها بعض التقییدات و التصحیحات.

۵-إحیاء العلوم-للشیخ أبی حامد الغزالی.

۶-إحیاء الإحیاء-المجلد الرابع المطبوع فی إیران علی الحجر سنه ١٣٢۶،للشیخ المولی محسن الفیض الکاشانی.

٧-نسخه أصول الکافی-المخطوطه سنه ١١٠٣،فی مکتبه منتدی النشر برقم(۴۴۶)،و هی نسخه ظاهر علیها التصحیح و دقه المقابله علی نسخ صحیحه.

٨-نسخه أصول الکافی-المخطوطه التی تحت تصرفنا.

٩-فروع الکافی-المطبوع بالحجر سنه ١٣١۵،و هو من المطبوعات الحجریه الصحیحه، ١٠-الوسائل-المطبوعه سنه ١٣٢٣،المعروفه بطبعه عین الدوله.

١١-البحار-المجلد ١۵ بجمیع أجزائه الأربعه،المطبوع علی الحجر.

١٢-کنز العمال-المطبوع بحیدرآباد دکن سنه ١٣١٢.

۱۳-مستدرک الوسائل-للشیخ المحدّث النوری،المطبوع علی الحجر سنه ۱۳۱۹.

۱۴-الوافی-للشیخ المولی محسن الفیض،المطبوع علی الحجر سنه ۱۳۲۵.و هو من المطبوعات الحجریه الصحیحه.

۱۵-سفینه البحار-المطبوع علی الحجر بالنجف الأشرف سنه ۱۳۵۲ للمحدث الثقه الجلیل الشیخ عباس القمی.

۱۶-جامع الأخبار-المطبوع بالهند علی الحجر.

۱۷-مصباح الشریعه-المطبوع بالهند علی الحجر، و هذه غیر المراجع التی رجعنا إلیها نادرا:کمجموعه الشیخ ورام، و الحقائق للفیض،و مجمع البحرین للشیخ فخر الدین الطریحی،و نهایه ابن الأثیر...و نحوها کثیر لا فائده فی إحصائه.و هذه المراجع هی التی روجعت لتصحیح أجزاء الکتاب،و اللّه تعالی هو الموفق للصواب.

و یجب ألا ننسی فی الختام شکر الشیخ عبد الهادی الأسدی علی جهوده التی بذلها فی تصحیح الکتاب عند الطبع،و الاشتراک فی مقابله النسخه الأصلیه و تدقیقها،جزاه اللّه خیر ما یجزی العالمین.

النجف الأشرف محمد رضا المظفر ۲۰ رجب ۱۳۶۸ ه

ص :۲۶

[مقدمه المصحح]

اشاره

مراجع البحث فی الترجمه:

۱-(روضات الجنات):للسید محمد باقر الخوانساری،المطبوع بإیران علی الحجر سنه ۱۳۱۶، ۲-(الروضه البهیه):للسید محمد شفیع الحسینی،المطبوع بإیران علی الحجر.

۳-(أعیان الشیعه):للسید محسن الأمین-الطبعه الأولی-فی ترجمه الشیخین:أحمد النراقی و إسماعیل الخاجوئی.

۴-(مستدرک الوسائل):-الجزء الثالث-للمحدث میرزا حسین النوری.

۵-(الذریعه):للشیخ محمد محسن الشهیر بآغا بزرگ الطهرانی.

۶-(الاسناد المصفی):له أیضا.المطبوع بالنجف الأشرف سنه ۱۳۵۶.

۷-(ریاض الجنه):المخطوط،للسید حسن الزنوزی المعاصر للمؤلف،و من تلامذه الوحید البهبهانی،نسخه منه محفوظه بخزانه الحاج حسین آغا ملک العامه بطهران تحت رقم(۴۳۸۰).و قد اعتمدنا علیها فی تجدید النظر فی الترجمه سنه ۱۳۸۳،علی ما نقله لنا عنها مکاتبه أحد أحفاد المترجم له(الأستاذ حسن النراقی).و أکثر ما اعتمدنا علی هذا المصدر فی تعداد مؤلفات المترجم له.

۸-(قصص العلماء):للمیرزا محمد بن سلیمان التنکابنی،المطبوع علی الحجر بطهران.

ملاحظه:

فی سفرتی الأخیره إلی إیران فی العام الماضی-لأمور تخص:

(جامعه النجف الدینیه) -التقیت مع الأخ الأستاذ(حسن النراقی)-دام ظله-من أحفاد المؤلف-قدس سره-،جری الحدیث معه حول شیخنا المؤلف و عظمته.

فأرانی الأخ النراقی نموذجا من خطوط المؤلف الرّاقیه،فجذبنی حسن الخط و روعته،و لا سیما تلکم الصفحات من کتاب.

(جامع الأفکار و ناقد الأنظار) ففکرت فی طبع نموذج الصفحه الأولی و الأخیره من الکتاب المذکور تثبیتا لعظمه ناحیه أخری من نواحی حیاه المؤلف الملیئه بجلائل الفنون الروائع.و قد أبدی الأستاذ النراقی موافقته علی ذلک فی اطار من التبجیل الصادق و الأدب...مما یخص نفسیته الواسعه.

فشکرا له و تقدیرا.

السیّد محمد کلانتر

ص:٢٨

نموذج الصحفه الأولی من کتاب(جامع الأفکار و ناقد الأنظار)بخط المؤلف(قده)

ص :٢٩

(جامع الافکار و ناقد الأنظار)

بسم اللّه الرحمن الرحیم

الحمد للّه الذی دل علی ذاته بذاته و تجلی لخلقه ببدایع مصنوعاته،أظهر من عجائب قدرته ما حیر ثواقب العقول و الأفهام،و أبرز من غرائب عظمته ما بهر نوافذ المدارک و الأوهام خرق علمه باطن غیب السترات و أحاط بغموض عقائد السریرات،و الصلاه علی مهابط المعارف و الأسرار و وسائط الفیوضات و الأنوار،من الأنبیاء المکرمین الأخیار و خلفائهم الراشدین الأطهار.

و بعد فیقول أضعف المحتاجین:مهدی بن أبی ذر النراقی-نور اللّه قلبه بنور الیقین و جعله من الصادقین المقربین-:هذا یا إخوانی ما أردتم من أصول المعارف الحقیقیه و جوامع العقائد الیقینیه:من العلم باللّه و صفات کماله و معرفه أسمائه و نعوت جلاله،و ما یتلوهما من المباحث الإلهیه العالیه و المطالب الحقه المتعالیه مما یرتقی به إلی منازل الأخیار و یعرج به إلی عوالم العقول و الأنوار،و یتوجه به إلی شطر کعبه الملکوت و یسلک به إلی صقع عالم الجبروت.و قد بعث اللّه السفراء لأجله،و انعقد إجماع الأمه علی وجوب أخذه،فیلزم علی الکل حمله و لا یسع لأحد جهله،و أسأل اللّه أن یجعله خالصا لوجهه و یحرسه عن غیر أهله،و لاشتماله علی جمع الأفکار الإلهیه و نقدها،سیما ما تعلق بالشرح الجدید للتحریک من الحواشی،و سمیته ب(جامع الأفکار و ناقد الأنظار)و رتبته علی مقدمات و مقالات.

المقدمه الأولی-فی إبطال ترجح المساوی و المرجوح و ترجیحهما.

بیان الأول:أن معنی المساوات کون شیئین فی مرتبه واحده بالنظر إلی ثالث،و معنی المرجوحیه کون الشیئین أحدهما أبعد من الآخر، و الراجحیه کونه أقرب منه،فلو ترجح المساوی أو المرجوح لزم التناقض.

نموذج الصفحه الأخيره من كتاب(جامع الأفكار و ناقد الأنظار)بخط المؤلف(قده)

ص :٣١

و بعد ما ثبت أن الواجب-سبحانه-صرف الوجود و محض الوجود و ليس فيه نقص و لا ممازجه،و أنه ليس جسما و جسمانيا،ثبت معه نفى التحيز و الجهه و الحلول و الاتحاد و الألم و اللذه المزاجيه عنه سبحانه، و بذلك تم مباحث الصفات السلبيه،و هو آخر ما أردنا إيراده فى هذا الكتاب و الحمد للّه على تأييده على الإتمام،و الصلاه على سيد الأنام و على عترته امناء الإسلام و وقع إتمامه فى أول يوم من شهر ربيع الأول من سنه ۱۱۹۳ -ثلاث و تسعين و مائه بعد الألف من الهجره المباركه النبويه-و قد كان ذلك عند تراكم الهموم و الأحزان و تفاقم الغموم و الأشجان،و فرط الملال و ضيق البال،من هجوم المصائب و المحن و تواتر النوائب و الفتن،من ابتلائنا أولا فى بلده كاشان-حماها اللّه عن طوارق الحدثان-بالزلازل الهائله المفزعه و الرجفات المزعزعه المزعجه،و انهدام جميع الأبنيه و المساكن و جلّ البيوت و المواطن،و هلاك كثير من الأصدقاء و الأحباب و ذهاب غير واحد من الأحبه و الأصحاب،ثم ابتلائنا بالأمراض الشديده الغريبه و الأسقام الوبائيه العجيبه،بعد ارتحالنا لعدم السكنى و غيره من اختلال الأمور إلى بعض القرى،و احتراق فؤادى بذهاب بعض أولادى الذى تقر به عينى فى ظلمات الأحزان و الهموم و يسكن اللّه قلبى عند اضطرابه من هجوم الأشجان و الغموم ثم وقوعنا فى الداهيه العظمى و الفتنه الكبرى:أعنى موت السلطان و وقوع الاضطراب و الوحشه بين أهل إيران.فأحمد اللّه على السراء و الضراء و الشده و الرخاء و العافيه و البلاء،و نسأله أن يكون ذلك آخر الرزايا و المصائب و خاتمه البلايا و النوائب،و أن يصلح جميع أمور المسلمين بمحمد و آله سادات الخلق أجمعين.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمه المؤلف

الحمد للّه الذى خلق الإنسان،و جعله أفضل أنواع الأكوان،و صيره نسخه لما أوجده من عوالم الإمكان،أظهر فيه عجائب قدرته القاهره، و أبرز فيه غرائب عظمته الباهره،ربط به الناسوت باللاهوت،و أودع فيه حقائق الملك و الملكوت،خمّر طينته من الظلمات و النور،و ركب فيه دواعى الخير و الشرور،عجنه من المواد المتخالفه،و جمع فيه القوى و الأوصاف المتناقضه،ثم ندبه إلى تهذيبها بالتقويم و التعديل،و حثه على تحسينها بعد ما سهل له السبيل،و الصلاه على نبينا الذى أوتى جوامع الحكم،و بعث لتتميم محاسن الأخلاق و الشيم،و على آله مصابيح الظلم،و مفاتيح أبواب السعاده و الكرم صلى اللّه عليه و عليهم و سلم.

أما بعد فيقول طالب السعاده الحقيقيه(مهدى بن أبى ذر النراقى) بصّره اللّه بعيوب نفسه،و جعل يومه خيرا من أمسه: إنه لا ريب فى أن الغايه من وضع النواميس و الأديان،و بعثه المصطفين من عظماء الإنسان، هو سوق الناس من مراتع البهائم و الشياطين،و إيصالهم إلى روضات العليين،

و ردعهم عن مشاركه أسراء ذل الناسوت،و مصاحبه قرناء جب الطاغوت إلى مجاوره سكان صقع الملكوت،و مرافقه قطان قدس الجبروت،و لا يتيسر ذلک إلا بالتخلی عن ذمائم الأخلاق و رذائلها،و التحلی بشرائف الصفات و فضائلها،فیجب على كل عاقل أن يأخذ أهبته،و يبذل همته فی تطهير قلبه عن أوساخ الطبيعه و أرجاسها،و تغسيل نفسه عن أقذار الجسميه و أنجاسها قبل أن يتيه فی بيداء الشقاق،و يهوی فی مهاوی الضلاله و الهلاكه، و يصرف جده و يجتهد جهده فی استخلاص نفسه عن لصوص القوى الأماره ما دام الاختيار بيده،إذ لا تنفعه الندامه و الحسره فی غده.

ثم لا ريب فی أن التزكيه موقوفه على معرفه مهلكات الصفات و منجياتها،و العلم بأسبابها و معالجاتها،و هذا هو الحكمه الحقه التی مدح اللّه أهلها،و لم يرخص لأحد جهلها،و هی الموجبه للحياه الحقيقه، و السعاده السرمديه،و التارک لها على شفا جرف الهلكات،و ربما أحرقته نيران الشهوات.

و قد كان السلف من الحكماء يبالغون فی نشرها و تدوينها.و جمعها و تبيينها،على ما أدت إليه قوه أنظارهم،و أدركوه بقرائحهم و أفكارهم.

و لما جاءت الشريعه النبويه«على صادعها ألف صلاه و تحيه»حثت على تحسين الأخلاق و تهذيبها،و بينت دقائقها و تفصيلها بحيث اضمحل فی جنبها ما قرره أساطين الحكمه و العرفان،و غيرهم من أهل الملل و الأديان،إلا أنه لما كان ما ورد منها منتشرا فی موارد مختلفه،و متفرقا فی مواضع متعدده،تعسّر أن يحيط به الجل فلا بد من ضبطه فی موضع واحد ليسهل تناوله للكل، فجمعت فی هذا الكتاب خلاصه ما ورد من الشريعه الحقه مع زبده ما أورده أهل العرفان و الحكمه على نهج تقرّ به أعين الطالبين، و تسر به أفئده الراغبين.

و نذكر أولا بعض المقدمات النافعه فى المطلوب ثم نشير إلى أقسام الأخلاق،و مبادئها من القوى و نضبطها بأجناسها و أنواعها و نتائجها و ثمراتها ثم إلى المعالجه الكليه لذمائم الأخلاق و الجزئيه لكل خلق مذموم،مما له اسم مشهور،و ما ينشأ عنه من الأفعال المذمومه،و فى تلوه نذكر ضده المحمود،و ما يدل على فضله عقلا و نقلا،لأن العلم بفضيله كل خلق و المداومه على آثاره أقوى علاج لإزاله ضده،و لا نتابع القوم من تقديم الرذائل بأسرها على الفضائل،بل نذكر أولا ما يتعلق بالقوه العقليه من الفضائل و الرذائل على النحو المذكور،ثم ما يتعلق بالغضبيه،ثم ما يتعلق بالشهويه،ثم ما يتعلق باثنتين منها أو ثلاث،لأن ذلك أدخل فى ضبط الأخلاق،و معرفه أضدادها،و العلم بمبادئها و أجناسها،و هو من أهم الأمور لطالبى هذا الفن.

و ما تعرضت لتدبير المنزل و سياسه المدن،لأن غرضنا فى هذا الكتاب إنما هو مجرّد إصلاح النفس و تهذيب الأخلاق،و سميته«بجامع السعادات» و رتبته على ثلاثه أبواب.

الباب الأول فی المقدمات

اشاره

انقسام حقیقه الإنسان و حالاته بالاعتبار-تجرد النفس و بقاؤها- التذاذ النفس و تألمها-فضائل الأخلاق و رذائلها-الأخلاق الذمیمه تحجب عن المعارف-حصول الملکات بتضاعف الأعمال-العمل نفس الجزاء- القول یتجسد الأعمال و الملکات- المضاده بین الدنیا و الآخره-للجبله و المزاج دخل فی جوده الملکات و رداءتها-حقیقه الخلق و ماهیه الملائکه- الأقوال فی تبدل الأخلاق و الملکات-شرف علم الأخلاق-تعریف النفس و أسامیها باختلاف الاعتبارات-فی الإشاره إلی اعتبار مدافعه القوی الأربع-انقهار النفس بتسخیر القوه العالیه-اختلاف الصفات یوجب اختلاف النفوس-ائتلاف حقیقه الإنسان من الجهات المتقابله- حقیقه الخیر و السعاده-و الجمع بین الأقوال المختلفه فیها-شرائط حصول السعاده-غایه ما یمکن الوصول إلیه من السعاده-تقسیم اللذات و الآلام- اللذه فی الحقیقه هی العقلیه دون الحسیه-إیقاظ فیه موعظه و نصیحه- التنبیه علی أن الفائت لا یتدارک.

ص: ۳۶

فصل (انقسام حقیقه الإنسان و حالاته بالاعتبار)

اعلم أن الإنسان منقسم إلی سر و علن،و روح و بدن و لکل منهما منافیات و ملائمات،و آلام و لذات،و مهلکات و منجبات.

و منافیات البدن و آلامه هی الأمراض الجسمانیه.و ملائماته هی الصحه و اللذات الجسمانیه.و المتکفل لبیان تفاصیل هذه الأمراض و معالجاتها هو علم الطب.و منافیات الروح و آلامه هی رذائل الأخلاق التی تهلکه و تشقیه، و صحته رجوعه إلی فضائلها التی تسعده و تنجیه و توصله إلی مجاوره أهل اللّه و مقربیه.و المتکفل لبیان هذه الرذائل و معالجاتها هو(علم الأخلاق).

ثم إن البدن مادی فإن،و الروح مجرد باق،فإن اتصف بشرائف الصفات کان فی البهجه و السعاده أبدا،و إن اتصف برذائلها کان فی العذاب و الشقاوه مخلدا،و لا بد لنا من الإشاره إلی تجرده و بقائه بعد خراب البدن ترغیبا للطالبین علی السعی فی تزکیته و حفظه عن الشقاوه الأبدیه.

فصل (فی تجرد النفس و بقائها)

لا ریب فی تجرد النفس و بقائها بعد مفارقتها عن البدن.أما الأول (و المراد به عدم کونها جسما و جسمانیه)فیدل علیه وجوه:

(منها)أن کل جسم لا یقبل صورا و أشکالا کثیره لزوال کل صوره أو شکل فیه بطریان مثله،و النفس تقبل الصور المتعدده المختلفه من المحسوسات و المعقولات من دون أن تزول الأولی بورود الأخری،بل کلما قبلت صوره

ازدادت قوتها على قبول الأخرى،و لذلک تزید القوه على إدراک الأشیاء بالریاضیات الفکریه و کثره النظر،فثبت عدم کونها جسما.

و(منها)أن حصول الأبعاد الثلاثه للجسم لا یتصور إلا بأن یصیر طویلا عریضا عمیقا و حصول الألوان و الطعوم و الروائح له لا یتصور إلا بأن یصیر ذا لون و طعم و رائحه و هی تحصل للنفس و قوتها الوهمیه بالإدراک من غیر أن تصیر کذلک،و أیضا حصول بعضها للجسم یمنع من حصول مقابله له،و لا یمنع ذلک فی النفس بل تقبلها کلها فی آن واحد على السواء.

و(منها)أن النفس تلتذ بما لا یلائم الجسم من الأمور الإلهیه و المعارف الحقیقیه،و لا تمیل إلى اللذات الجسمیه و الخیالیه و الوهمیه،بل تحن أبدا إلى الابتهاجات العقلیه الصرفه التی لیس فی الجسم و قواه فیها نصیب،و هذا أوضح دلیل على أنها غیرهما،إذ لا ریب فی أن ما یحصل لبعض النفوس الصافیه عن شواتب الطبیعه من البهجه و السرور بإدراک العلوم الحقه الکلیه و الذوات المجرده النوریه القدسیه،و بالمناجاه و العباده و المواظبه على الأذکار فی الخلوات مع صفاء النیات لا مدخلیه للجسم فیها و قواه الخیالیه و الوهمیه و غیرهما،إذ النفس قد تغفل فی تلک الحاله عنها بالکلیه،و ربما استغرقت بحیث لا تشعر بالبدن و لا تدری أن لها بدنا فکأنها منخلعه عنه،فهذا یدل على أنها من عالم آخر غیر عالم الجسم و قواه،إذ التذاذهما منحصر بالملائمات الجزئیه التی تدرکها الحواس الظاهره و الباطنه.

و(منها)أن النفس تدرک الصور الکلیه المجرده فتکون محلا لها، و لا ریب فی أن المادی لا یکون محلا للمجرد إذ کل مادی ذو وضع قابل للإنقسام،و کون المحل ذا وضع قابل للإنقسام یستلزم أن یکون حاله أیضا کذلک کما ثبت فی محله،و المجرد لا یمکن أن یکون کذلک و إلا خرج عن حقیقته، فالنفس لا تکون مادیه و إذا لم تکن مادیه کانت مجرده لعدم الواسطه.

و(منها)أن القوى الجسميه الباطنيه لا تكتسب العلوم إلا من طريق الحواس الظاهره إذ ما لم يدرك الشيء بها لم تتمكن الحواس الباطنه أن تدركه و هذا وجدانى و ضرورى.و النفس قد تدرك ما لا طريق لشيء من الحواس إلى إدراكه كالأمور المجرده و المعانى البسيطه الكليه،و أسباب الاتفاقات و الاختلافات التى بين المحسوسات،و الضروره العقليه قاضيه بأنه لا مدخليه لشيء من الحواس فى إدراك شيء من ذلك.

و أيضا نحكم بأنه لا واسطه بين النقيضين،و هذا الحكم غير مأخوذ من مبادئ حسيه إذ لو كان مأخوذا منها لم يكن قياسا أوليا،فمثله مأخوذ من المبادئ الشريفه العاليه التى تبنى عليها القياسات الصحيحه.

و أيضا هى حاكمه على الحس فى صدقه و كذبه و قد تخّطئه فى أفعاله و تردّ عليه أحكامه كتخطئته للبصر فيما يراه أصغر مما هو عليه فى الواقع أو بالعكس،و فيما يراه مستديرا و هو مربع،أو مكسورا و هو صحيح،أو معوجا و هو مستقيم،أو منكوسا و هو منتصب،أو مختلفا فى وضعه الواقعى، و فى رؤيته للأشياء المتحركه على الاستداره كالحلقه و الطوق،و كتخطئته للسمع فيما يدركه فى المواضع الصقيله المستديره عند الصدى،و للذوق فى ادراكه الحلو مرا و مثله،كذا الحال فى الشم و اللمس،و لا ريب فى أن تخطئه النفس الحواس فى هذه الإدراكات و حكمها بما هو المطابق للواقع إنما يكون مسبوقا بالعلم الذى لا يكون مأخوذا من الحس،لأن الحاكم على الشيء أعلى رتبه منه فلا يكون علمه الذى هو مناط الحكم مأخوذا عنه.

و مما يؤكد ذلك أنها عالمه بذاتها و بكونها مدركه لمعقولاتها.و معلوم أن هذا العلم مأخوذ من جوهرها دون مبادئ أخر.

و(منها)أنا نشاهد أن البدن و قواه يضعفان فى أفعالهما و آثارهما، و النفس تقوى فى إدراكاتها و صفاتها،كما فى سن الكهوله،أو يكونان

قويين فى الأفعال مع كونها ضعيفه فيها كما فى سن الشباب،فلو كانت جسما أو جسمانيا لكانت تابعه لهما فى الضعف و القوه.

(فإن قلت)الإدراك و سائر الصفات الكماليه للنفس يضعف أو يختل بضعف البدن أو اختلاله كما نشاهد فى المشايخ و المرضى و تجردها ينافى ذلك.

(قلنا)الضعف أو الاختلال إنما يحدث فى الإدراك و الأفعال المتعلقه بالقوى الجسميه،و أما ما يحصل للنفس بجوهرها أو بواسطه القوى الجسميه بعد صيرورته ملكه لها فلا يحصل فيه اختلال و ضعف،بل يصير ظهوره أشد و تأثيره أقوى.

و أما الثانى أعنى بقائها بعد المفارقه عن البدن فالدليل عليه بعد ثبوت تجردها أن المجرد لا يتطرق إليه الفساد لأنه حقيقه و الحقيقه لا تبيد كما صرح به المعلم الأول و غيره،و وجهه ظاهر.

فصل (فى بيان تلذذ النفس و تألمها)

إذا عرفت تجرد النفس و بقاءها أبدا،فاعلم أنها ملتذه متنعمه دائما أو معذبه متألمه كذلك.و التذاذها يتوقف على كمالها الذى يخصها،و لما كانت لها قوتان:النظريه و العمليه،فكمال القوه النظريه الإحاطه بحقائق الموجودات بمراتبها و الاطلاع على الجزئيات غير المتناهيه بإدراك كلياتها.و الترقى منه إلى معرفه المطلوب الحقيقى و غايه الكل حتى يصل إلى مقام التوحيد و يتخلص عن وساوس الشيطان و يطمئن قلبه بنور العرفان.و هذا الكمال هو الحكمه النظريه.

و كمال القوه العمليه التخلى عن الصفات الرديه و التحلى بالأخلاق المرضيه ثم الترقى منه إلى تطهير السر و تخليته عما سوى الله سبحانه.و هذا هو الحكمه

العمليه التی يشتمل هذا الكتاب علی بيانها.

و كمال القوه النظريه بمنزله الصوره و كمال القوه العمليه بمنزله الماده، فلا يتم أحدهما بدون الآخر،و من حصل له الكمالان صار بانفراده عالما صغيرا مشابها للعالم الكبير،و هو الإنسان التام الكامل الذی تلألأ قلبه بأنوار الشهود و به تتم دائره الوجود.

فصل (فی فضائل الأخلاق و رذائلها)

فضائل الأخلاق من المنجيات الموصله إلی السعاده الأبديه،و رذائلها من المهلكات الموجبه للشقاوه السرمديه،فالتخلی عن الثمانيه و التحلی بالأولی من أهم الواجبات.و الوصول إلی الحياه الحقيقيه بدونهما من المحالات،فيجب علی كل عاقل أن يجتهد فی اكتساب فضائل الأخلاق التی هی الأوساط (۱)المثبته من صاحب الشريعه و الاجتناب عن رذائلها التی هی الأطراف، و لو قصّر أدركته الهلاكه الأبديه،إذ كما أن الجنين لو خرج عن طاعه ملك الأرحام المتوسط فی الخلق لم يخرج إلی الدنيا سويا سميعا بصيرا ناطقا كذلك من خرج عن طاعه نبی الأحكام المتوسط فی الخلق لم يخرج إلی عالم الآخره كذلك.

وَ مَنْ كٰانَ فِی هٰذِهِ أَعْمیٰ فَهُوَ فِی الْآخِرَهِ أَعْمیٰ

۱- ۱) إشاره إلی أن الفضيله وسط بين رذيلتين و قد دعی الشارع إلی تحصيل الوسط بقوله صلی اللّه عليه و آله و سلم:«خير الأمور أواسطها».و سيأتی شرح المعنی من الوسط و الطرفين.

وَ أَضَلُّ سَبِيلًا

(۱)

.

ثم ما لم تحصل التخليه لم تحصل التحليه و لم تستعد النفس للفيوضات القدسيه،كما أن المرآه ما لم تذهب الكدورات عنها لم تستعد لارتسام الصور فيها،و البدن ما لم تزل عنه العله لم تتصور له إفاضه الصحه،و الثوب ما لم ينقّ عن الأوساخ لم يقبل لونا من الألوان،فالمواظبه على الطاعات الظاهره لا تنفع ما لم تتطهر النفس من الصفات المذمومه كالكبر و الحسد و الرياء، و طلب الرياسه و العلى و إراده السوء للأقران و الشركاء،و طلب الشهره فى البلاد و فى العباد،و أى فائده فى تزيين الظواهر مع إهمال البواطن، و مثل من يواظب على الطاعات الظاهره و يترك تفقد قلبه كبئر الحش (۲)ظاهرها جص و باطنها نتن،و كقبور الموتى ظاهرها مزينه و باطنها جيفه،أو كبيت مظلم وضع السراج على ظاهره فاستنار ظاهره و باطنه مظلم،أو كرجل زرع زرعا فنبت و نبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقيه الزرع عن الحشيش بقلعه عن أصله فأخذ يجز رأسه و يقطعه فلا يزال يقوى أصله و ينبت،فإن الأخلاق المذمومه فى القلب هى مغارس المعاصى فمن لم يطهر قلبه منها لم تتم له الطاعات الظاهره،أو كمريض به جرب و قد أمر بالطلاء ليزيل ما على ظهره و يشرب الدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء و ترك الدواء متناولا ما يزيد فى الماده فلا يزال يطلى الظاهر و الجرب

۱- ۱) الإسراء الآيه ۷۲.

۲ - ۲) الحش بالفتح أو الضم ثم التشديد و الفتح أكثر من الضم:المخرج و موضع الحاجه و أصله من الحش بمعنى البستان،لأنهم كانوا يتغوطون فى البساتين،فلما اتخذوا الكنيف اطلقوا عليها الاسم مجازا،فالمراد هنا من بئر الحش خزانه الكنيف.

يتفجر من الماده التى فى الباطن.

ثم إذا تخلت عن مساوئ الأخلاق و تحلت بمعاليها على الترتيب العلمى استعدت لقبول الفيض من رب الأرباب،و لم يبق لشده القرب بينهما حجاب،فترتسم فيها صور الموجودات على ما هى عليها،على سبيل الكليه أى بحدودها و لوازمها الذاتيه لامتناع إحاطتها بالجزئيات من حيث الجزئيه،لعدم تناهيها،و إن علمت فى ضمن الكليات لعدم خروجها عنها،و حينئذ يصير (۱)موجودا تاما أبدى الوجود سرمدى البقاء،فائزا بالرتبه العليا، و السعاده القصوى،قابلا للخلافه الإلهيه و الرئاسه المعنويه،فيصل إلى اللذات الحقيقيه،و الابتهاجات العقليه التى ما رأتها عيون الأعيان،و لم تتصورها عوالى الأذهان.

فصل (الأخلاق الذميمه تحجب عن المعارف)

الأخلاق المذمومه هى الحجب المانعه عن المعارف الإلهيه،و النفحات القدسيه إذ هى بمنزله الغطاء للنفوس فما لم يرتفع عنها لم تتضح لها جليه الحال اتضاحا،كيف و القلوب كالأوانى فإذا كانت مملوءه بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغوله بغير اللّه لا تدخلها معرفه اللّه و حبه و أنسه،و إلى ذلك

أشار النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بقوله: «لو لا أن الشياطين يحرمون إلى قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات و الأرض» فبقدر ما تتطهر القلوب هن هذه الخبائث تتحاذى شطر الحق الأول (۲)و تلألأ فيها حقائقه

۱- ۱) تذكير الضمير باعتبار إراده الإنسان لأنه صاحب النفس بل هو هى.

۲- ۲) المراد من الحق الأول هو اللّه تبارك و تعالى فكما ان الحق صفه له كذلك الأول فهو صفه بعد صفه.

كما أشار إليه صلى اللّه عليه و آله: «ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» فإن التعرض لها إنما هو بتطهير القلوب عن الكدورات الحاصله عن الأخلاق الرديه (۱)فكل إقبال على طاعه و إعراض عن سيئه يوجب جلاء و نورا للقلب يستعد به لإفاضه علم يقينى،و لذا قال سبحانه:

وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا

(۲)

.

و قال النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم: «من عمل بما علم ورثه اللّه علم ما لم يعلم» فالقلب إذا صفى عن الكدورات الطبيعيه بالكليه يظهر له من المزايا الإلهيه و الإفاضات الرحمانيه ما لا يمكن لأعاظم العلماء

كما قال سيد الرسل: «إن لى مع اللّه حالات لا يحتملها ملك مقرب و لا نبى مرسل».

و كل سالك إلى اللّه إنما يعرف من الألطاف الإلهيه و النفحات الغيبيه ما ظهر له على قدر استعداده،و أما ما فوقه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدّق به إيمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوه و خواصها و نصدّق بوجودهما و لا نعرف حقيقتهما كما لا يعرف الجنين حال الطفل و الطفل حال المميز و المميز من العوام حال العلماء و العلماء حال الأنبياء و الأولياء.

فالرحمه الإلهيه بحكم العنايه الأزليه مبذوله على الكل غير مضنون بها على أحد،لكن حصولها موقوف على تصقيل مرآه القلب و تصفيتها عن الخبائث الطبيعيه،و مع تراكم صدأها الحاصل منها لا يمكن أن يتجلى فيها شىء من الحقائق،فلا تحجب الأنوار العلميه و الأسرار الربوبيه عن قلب من القلوب لبخل من جهه المنعم تعالى شأنه عن ذلك،بل الاحتجاب

۱- ۱) المراد من النفحات هى الإفاضات المعنويه لا النسمات كما وردت بالمعنى الثانى فى بعض الأخبار.

۲- ۲) العنكبوت الآيه:۶۹.

إنما هو من جهه القلب لكدورته و خبثه و اشتغاله بما يضاد ذلك.

ث م مـا يظهر للقلب من العلـوم لطهـارته و صـفاء جوهره هو العلم الحقيقى النورانى الـذى لاـ يقبـل الشـك و له غـايه الظهور و الانجلاء لاستفادته من الأنوار الإلهيه و الإلهامات الحقه الربانيه،و هو المراد

بقوله عليه السلام: «إنما هو نور يقذفه اللّه فى قلب من يشاء

» و إليه أشـار مولانـا أمير المـؤمنين عليه السـلام بقـوله: «ان من أحب عبـاد اللّه إليه عبـدا أعـانه اللّه على نفسه فاستشـعر الحزن و تجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى فى قلبه»(الى أن قال):

«قـد خلع سـرابيل الشـهوات،و تخلى من الهموم إلا هما واحدا انفرد به، فخرج من صـفه العمى و مشاركه أهل الهوى،و صار من مفاتيـح أبواب الهـدى و مغـاليق أبواب الردى،قـد أبصـر طريقه و سـلك سبيله و عرف منـاره،و قطع غماره (١)،و استمسك من العرى بأوثقها و من الحبال بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس»

و فى كلام آخر له عليه السـلام «قـد أحيى قلبه و أمات نفسه حتى دقّ جليله (٢)و لطف غليظه،و برق له لامع كثير البرق،فأبان له الطريق و سـلك به السبيل،و تـدافعته الأبواب إلى باب السـلامه و دار الإقامه،و ثبتت رجلاه لطمأنينه بدنه فى قرار الأمن و الراحه بما استعمل قلبه و أرضى ربه».

و قـال عليـه السـلام فى وصـف الراسـخين مـن العلمـاء:«هجـم بهم العلم على حقيقه البصـيره و باشـروا روح اليقين و اسـتلانوا ما استوعره المترفون و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقه بالمحل الأعلى».

۱- ۱) غمره الشيء شدته و مزدحمه جمعه غمرات و غمار و غمر و منه غمرات الموت أى مكارهه و شدائده.
۲- ۲) الجليل:الكبير فى الحجم.

و بالجمله ما لم يحصل للقلب التزكيه لم يحصل له هذا القسم من المعرفه إذ العلم الحقيقى عباده القلب و قربه السر،و كما لا تصح الصلاه التى هى عباده الظاهر إلا بعد تطهيره من النجاسه الظاهره فكذلك لا تصح عباده الباطن إلا بعد تطهيره من النجاسه الباطنيه التى هى رذائل الأخلاق و خبائث الصفات،كيف و فيضان أنوار العلوم على القلوب إنما هو بواسطه الملائكه

و قد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم: «لا تدخل الملائكه بيتا فيه كلب» فإذا كان بيت القلب مشحونا بالصفات الخبيثه التى هى كلاب نابحه لم تدخل فيه الملائكه القادسه و الحكم بثبوت النجاسه الظاهره للمشرك، مع كونه مغسول الثوب نظيف البدن،إنما هو لسرايه نجاسه الباطنيه

فقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «بنى الدين على النظافه» يتناول زوال النجاستين،

و ما ورد من «أن الطهور نصف الإيمان» المراد به طهاره الباطن عن خبائث الأخلاق،و كان النصف الآخر تحليته بشرائف الصفات و عمارته بوظائف الطاعات.

و بما ذكر ظهر أن العلم الذى يحصل من طريق المجادلات الكلاميه و الاستدلالات الفكريه،من دون تصقيل لجوهر النفس،لا يخلو عن الكدره و الظلمه،و لا يستحق اسم اليقين الحقيقى الذى يحصل للنفوس الصافيه فما يظنه كثير من أهل التعلق بقاذورات الدنيا انهم على حقيقيه اليقين فى معرفه اللّه سبحانه خلاف الواقع،لأن اليقين الحقيقى يلزمه«روح» (1)و نور و بهجه و سرور،و عدم الالتفات إلى ما سوى اللّه،و الاستغراق فى أبحر عظمه اللّه،و ليس شىء من ذلك حاصلا لهم،فما ظنوه يقينا إما تصديق مشوب بالشبهه،أو اعتقاد جازم لم تحصل له نورانيه و جلاء و ظهور

۱- ۱) هذه الكلمه غير موجوده فى نسختنا الخطيه لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى.

و ضیاء،لکدره قلوبهم الحاصله من خبائث الصفات.

و السر فی ذلک أن منشأ العلم و مناطه هو التجرد کما بین فی مقامه، فکلما تزداد النفس تجردا تزداد إیمانا و یقینا،و لا ریب فی أنه ما لم ترتفع عنها أستار السیئات و حجب الخطیئات لم یحصل لها التجرد الذی هو مناط حقیقه الیقین فلا بد من المجاهده العظیمه فی التزکیه و التحلیه حتی تنفتح أبواب الهدایه و تتضح سبل المعرفه کما قال سبحانه:

وَ الَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا

(۱)

.

فصل (أن العمل نفس الجزاء)

کل نفس فی بدء الخلقه خالیه عن الملکات بأسرها،و إنما تتحقق کل ملکه بتکرر الأفاعیل و الآثار الخاصه به (۲)بیان ذلک أن کل قول أو فعل ما دام وجوده فی الأکوان الحسیه لا حظ له من الثبات لأن الدنیا دار التجدد و الزوال،و لکنه یحصل منه أثر فی النفس فإذا تکرر استحکم الأثر فصار ملکه راسخه،مثاله الحراره التی تحدث فی الفحم فانها ضعیفه أولا و إذا اشتدت تجمرت ثم استضاءت،ثم صارت صوره ناریه محرقه لما قارنها مضیئه لما قابلها، و کذلک الأحوال النفسانیه إذا تضاعفت قوتها صارت ملکات راسخه و صورا باطنه تکون مبادئ للآثار المختصه بها،

۱- ۱) العنکبوت الآیه؟۶۹.

۲- ۲) هکذا وجدت فی النسخه المطبوعه و نسختنا الخطیه و الأصح«بها» و إن کانت الکلمه غیر موجوده فی نسخه خطیه أخری.

فالنفوس الإنسانيه فى أوائل الفطره كصحائف خاليه من النقوش و الصور تقبل كل خلق بسهوله،و إذا استحكمت فيها الأخلاق تعسر قبولها لأضدادها،و لذلك سهل تعليم الأطفال و تأديبهم و تنقيش نفسهم بكل صوره و صفه و يتعسر أو يتعذر تعليم الرجال البالغين و ردهم عن الصفات الحاصله لهم لاستحكامها و رسوخها.

ثم لا- خلاف فى أن هذه الملكات و أفعالها اللازمه لها إن كانت فاضله كانت موجبه للالتذاذ و البهجه و مرافقه الملائكه و الأخيار،و إن كانت رديه كانت مقتضيه للألم و العذاب و مصاحبه الشياطين و الأشرار،و إنما الخلاف فى كيفيه إيجابها للثواب أو العذاب،فمن قال إن الجزاء مغاير للعمل قال إن كل ملكه و فعل يصير منشأ لترتب ثواب أو عقاب مغاير له بفعل اللّه سبحانه على التفصيل الوارد فى الشريعه.

و من قال إن العمل نفس الجزاء قال:إن الهيئات النفسانيه اشتدت و صارت ملكه تصير متمثله و متصوره فى عالم البياض و الملكوت بصوره يناسبها،إذ كل شىء يظهر فى كل عالم بصوره خاصه،فان العلم فى عالم اليقظه أمر عرضى يدرك بالعقل أو الوهم و فى عالم النوم يظهر بصوره اللبن فالظاهر فى العالمين شىء واحد و هو العلم لكنه تجلى فى كل عالم بصوره، و السرور يظهر فى عالم النوم بصوره البكاء،و منه يظهر أنه قد يسرك فى عالم ما يسوءك فى عالم آخر،فاللذات الجسمانيه التى تسرك فى هذا العالم تظهر فى دار الجزاء بصوره تسوؤك و تؤذيك،و تركها و تحمل مشاق العبادات و الطاعات و الصبر على المصائب و البليات يسرك فى عالم الآخره مع كونها مؤذيه فى هذا العالم.

ثم القائل بهذا المذهب قد يطلق على هذه الصوره اسم الملك إن كانت من فضائل الأخلاق أو فواضل الأعمال.و اسم الشيطان إن كانت من أضدادها

و قـد یطلق علی الأولی اسم الغلمان و الحور و أمثالهما،و علی الثانیه اسم الحیّات و العقارب و أشباههما،و لا فرق بین الإطلاقین فی المعنی،و إنما الاختلاف فی الاسم.

و هـذا المـذهب یرجع إلی القـول بتجسـد الأعمـال بصـوره مـأنوسه مفرّحه أو صـوره موحشه معـذبه، و قـد ورد بـذلک أخبـار کثیره:منها:

ما روی أصحابنا عن قیس بن عاصم عن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم أنه قال:

یا قیس«إن مع العز ذلا،و مع الحیاه موتا،و مع الـدنیا آخره،و إن لکل شـیء رقیبا و علی کل شـیء حسـیبا،و إن لکل أجل کتابا،و انه لاـ بـد لـک من قرین یـدفن معک و هو حی و تـدفن معه و أنت میت،فإن کان کریما أکرمک،و إن کان لئیما ألأمک،ثم لا یحشر إلا معک و لا تحشر إلا معه و لا تسأل إلا عنه،فلا تجعله إلا صالحا،فإنه إن صلح أنست به و إن فسد لا تستوحش إلا منه و هو فعلک». و منها:ما استفاض من

قولهم علیهم السلام: «إن من فعل کذا خلق اللّه تعالی ملکا یستغفر له إلی یوم القیامه». و منها:

ما ورد «ان الجنه قیعان و غراسها سبحان اللّه».

و منها:

ما روی «ان الکافر خلق من ذنب المؤمن» . و منها

قولهم «المرء مرهون بعمله». و منها

قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم: «الذی یشرب فی آنیه الذهب و الفضه إنما یجری فی بطنه نار جهنم». و یدل علیه قوله سبحانه.

وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَهٌ بِالْکافِرِینَ (۱).

و ربما کان فی قوله تعالی:

۱- ۱) التوبه الآیه:۴۹.

وَ لاٰ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(۱)

و قوله تعالی:

إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(۲)

.

إشاره إلیه حیث قال عز و جل: «مٰا كُنْتُمْ» و لم یقل بما کنتم.

و قال فیثاغورس الحکیم:«ستعارض لک فی أفعالک و أقوالک و أفکارک (۳)و سیظهر لک من کل حرکه فکریه أو قولیه أو عملیه صوره روحانیه،فان کانت الحرکه غضبیه أو شهویه صارت ماده لشیطان یؤذیک فی حیاتک و یحجبک عن ملاقاه النور بعد وفاتک،و إن کانت الحرکه عقلیه صارت ملکا تلتذ بمنادمته فی دنیاک و تهتدی به فی أخراک إلی جواز اللّه و کرامته»انتهی.

و هذه الکلمات صریحه فی أن مواد الأشخاص الأخرویه هی التصورات الباطنیه و النیات القلبیه و الملکات النفسیه المتصوره بصوره روحانیه وجودها وجود إدراکی،و الإنسان إذا انقطع تعلقه عن هذه الدار و حان وقت مسافرته إلی دار القرار و خلص عن شواغل الدنیا الدنیه و کشف عن بصره غشاوه الطبیعه.فوقع بصره علی وجه ذاته و التفت إلی صفحه باطنه و صحیفه نفسه و لوح قلبه و هو المراد بقوله سبحانه:

وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

(۴)

.و قوله تعالی: فَكَشَفْنٰا

۱- ۱) یس الآیه:۵۴.

۲- ۲) الطور الآیه:۱۶.

۳- ۳) هکذا وجدنا العباره فی النسخه الخطیه و المطبوعه و لا یخفی ما فیها من الإجمال.

۴- ۴) التکویر الآیه:۱۰.

عَنْکَ غِطٰاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ

(۱)

.صار إدراکه فعلا و علمه عینا و سره عیانا، فیشاهد ثمرات أفکاره و أعماله،و یری نتائج انظاره و أفعاله و یطلع علی جزاء حسناته و سیئاته،و یحضر عنده جمیع حرکاته و سکناته،و یدرک حقیقه قوله سبحانه:

وَ کُلَّ إِنسٰانٍ أَلْزَمْنٰاهُ طٰائِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ کِتٰاباً یَلْقٰاهُ مَنْشُوراً. اِقْرَأْ کِتٰابَکَ کَفیٰ بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیباً

(۲)

.

فمن کان فی غفله عن أحوال نفسه و مضیعا لساعات یومه و أمسه یقول:

مٰا لِهٰذَا الْکِتٰابِ لاٰ یُغٰادِرُ صَغِیرَهً وَ لاٰ کَبِیرَهً إِلاّٰ أَحْصٰاهٰا وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً وَ لاٰ یَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً

(۳)

.

یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَهٰا وَ بَیْنَهُ أَمَداً بَعِیداً

(۴)

.

۱- ۱) ق الآیه:۲۲.

۲- ۲) الإسراء الآیه ۱۳-۱۴.

۳- ۳) الکهف الآیه ۴۹.

۴- ۴) آل عمران الآیه:۳۰.

و قـد أيد هذا المذهب أعنى صـيروره الملكات صورا روحانيه باقيه أبد الدهر موجبه للبهجه و الالتذاذ و التوحش و التألم،بأنه لو لم تكن تلك الملكات و النيات باقيه أبدا لم يكن للخلود فى الجنه أو النار وجه صـحيح، إذ لو كان المقتضى للثواب أو للعذاب نفس العمل و القول،و هما زائلان لزم بقاء المسـبب مع زوال السبب و هو باطل،و كيف يجوز للحكيم أن يعذب عباده أبد الدهر لأجل المعصيه فى زمان قصير،فإذا منشأ الخلود هو الثبات فى النيات و الرسوخ فى الملكات.و مع ذلك فمن يعمل مثقال ذره من الخير أو الشر يرى أثره فى صحيفه نفسه أو فى صحيفه أعلى و أرفع من ذاته أبدا كما قال سبحانه:

فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَهٍ مَرْفُوعَهٍ مُطَهَّرَهٍ بِأَيْدِي سَفَرَهٍ

(۱)

.

و السـر فيه أن الأمر الذى يبقى مع النفس إلى حين مفارقتها من الدنيا و لم يرتفع عنها فى دار التكليف يبقى معها أبدا و لا يرتفع عنها أصلا لعدم تجدد ما يوجب إزالته بعد مفارقته عن عالم التكليف.

ثم الظـاهر أن هـذا المـذهب-عنـد من قال به من أهل الشـرائع- بيان لكيفيه الثواب و العقاب الروحانيين مع إذعانه بالجنه و النار الجسـمانيين» إذ لو كـان مراده قصـر اللـذه و الثواب و الأـلم و العقـاب و الجنات و القصور و الغلمان و الحور و النار و الحجيم و الزقوم و الضـريع و سـاير مـا ورد فى الشـريعه القـادسه من أمور القيـامه على ما ذكر فهو مخالف لضـروره الـدين، (تنبيه)الـدنيا و الآـخره متضادتـان،و كل ما يقرب العبـد إلى أحـداهما يبعـد عن الأخرى و بالعكس،كما دلت عليه البراهين الحكميه و الشواهد الذوقيه و الأدله السمعيه،فكل ملكه أو حركه أو قول أو فعل يقرب العبد

۱- ۱) عبس الآیه:۱۳-۱۵.

إلی دار الطبیعه و الغرور یبعده عن عالم البهجه و السرور،و بالعکس، فأسوأ الناس حالا من لم یعرف حقیقه الدنیا و الآخره و تضادهما و لم یخف سوء العاقبه و أفنی عمره فی طلب الدنیا و إصلاح أمر المعاش و قصر سعیه علی جر المنفعه لبدنه من نیل شهوه أو بلوغ لذه أو اکتساب ترفع،و رئاسه أو جمع المال من غیر تصور لما یصل إلیه من فائدته،کما هو عاده أکثر أبناء الدنیا،و لم یعرف غیر هذه الأمور من المعارف الحقیقیه و الفضائل الخلقیه و الأعمال الصالحه المقربه إلی عالم البقاء فکأنه یعلم خلوده فی الدنیا، و لا یرجو بعد الموت ثواب عمل،و لا جزاء فعل،و لا یعتقد بما یرجوه المؤمنون و یؤمله المتقون من الخیر الدائم،و اللذات المخالفه لهذه اللذات الفانیه التی یشارک فیها السباع و البهائم،فإذا أدرکه الموت مات علی حسره و ندامه آیسا من رحمه اللّه قائلا:

یا حَسْرَتی عَلی ما فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اللّهِ

(۱)

.

أعاذنا اللّه تعالی من سوء الخاتمه و وفقنا لتحصیل السعاده الدائمه

فصل (تأثیر المزاج علی الأخلاق)

للمزاج مدخلیه تامه فی الصفات:فبعض الأمزجه فی أصل الخلقه مستعد لبعض الأخلاق،و بعضها مقتض لخلافه،فإنا نقطع بأن بعض الأشخاص بحسب جبلته،و لو خلی عن الأسباب الخارجیه،بحیث یغضب و یخاف و یحزن بأدنی سبب،و یضحک بأدنی تعجب،و بعضهم بخلاف ذلک.

۱- ۱) الزمر الآیه:۵۶.

و قد یکون اعتدال القوی فطریا بحیث یبلغ الإنسان کامل العقل،فاضل الأخلاق غالبه قوته العاقله علی قوتی الغضب و الشهوه،کما فی الأنبیاء و الأئمه علیهم السلام.و قد یکون مجاوزتها عن الوسط کذلک بحیث یبلغ ناقص العقل ردی الصفات مغلوبه عاقلته تحت سلطان الغضب و الشهوه،کما فی بعض الناس.

إلا أن الحق-کما یأتی-إمکان زوالها بالمعالجات المقرره فی علم الأخلاق،فیجب السعی فی إزاله نقائضها و تحصیل فضائلها.و عجبا لأقوام یبالغون فی إعاده الصحه الجسمانیه الفانیه،و لا یجتهدون فی تحصیل الصحه الروحانیه الباقیه،یطیعون قول الطبیب المجوسی فی شرب الأشیاء الکریهه و مزاوله الأعمال القبیحه،لأجل صحه زائله،و لا یطیعون أمر الطبیب الإلهی لتحصیل السعاده الدائمه.

و بقاء النفس علی النقصان إما لعدم صرفها إلی طلب المقصود لملابسه العوائق و الموانع،أو مزاوله النقیض لتمکن موجبه،أو لکثره اشتغالها بالشواغل المحسوسه،أو لضعف القوه العاقله،فإن لم تدرکها العنایه الإلهیه فلا یزال یتزاید النقصان و یبعد عن الکمال الذی خلق لأجله،إلی أن تدرکها الهلاکه الأبدیه و الشقاوه السرمدیه،نعوذ باللّه من ذلک و إن أدرکته الرحمه الأزلیه،فیصرف همه فی إزاله النقائص،و اکتساب الفضائل، فلا یزال یتصاعد من مرتبه من الکمال إلی فوقها،حتی یصیر من أهل مشاهده الجلال و الجمال،و یتشرف بجواز الرب المتعال و یصل إلی السرور الحقیقی،الذی لا عین رأت،و لا أذن سمعت،و لا خطر علی قلب بشر و إلی قره الأعین التی یشیر إلیها فی قوله سبحانه:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ

(۱)

.

۱- ۱) السجده الآیه:۱۷،

فصل (تأثير التربيه على الأخلاق)

الخلق عباره عن«ملكه للنفس مقضيه لصدور الأفعال بسهوله من دون احتياج إلى فكر و رويه» (۱).و الملكه:كيفيه نفسانيه بطيئه الزوال.

و بالقيد الأخير خرج الحال لأنها كيفيه نفسانيه سريعه الزوال،و سبب وجود الخلق إما المزاج كما مر،أو العاده بأن يفعل فعلا بالرويه،أو التكلف و يصبر عليه إلى أن يصير ملكه له و يصدر عنه بسهوله و إن كان مخالفا لمقتضى المزاج.

و اختلف الأوائل فى إمكان إزاله الأخلاق و عدمه،و ثالث الأقوال أن بعضها طبيعى يمتنع زواله و بعضها غير طبيعى حاصل من أسباب خارجه يمكن زواله.و رجح المتأخرون الأول و قالوا:ليس شىء من الأخلاق طبيعيا و لا مخالفا للطبيعه.بل النفس بالنظر إلى ذاتها قابله للاتصاف بكل من طرفى التضاد،إما بسهوله إن كان موافقا للمزاج،أو بعسر إن كان مخالفا له،فاختلاف الناس فى الأخلاق لاختلافهم فى الاختيار و المزاوله لأسباب خارجه.

(حجه القول الأول)أن كل خلق قابل للتغيير و كل قابل للتغيير ليس طبيعيا فينتج لا شىء من الخلق بطبيعى و الكبرى بديهيه،و الصغرى وجدانيه،فإنه نجد أن الشرير يصير بمصاحبته الخيّر خيرا،و الخيّر بمجالسه

۱- ۱) ما بين القوسين فى الموضع غير موجود فى نسختنا الخطيه لكنه موجود فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

الشریر شریرا.و نری أن التأدیب«فی السیاسات (۱)»فیه أثر عظیم فی زوال الأخلاق،و لولاه لم یکن لقوه الرویه فائده و بطلت التأدیبات و السیاسات و لغت الشرایع و الدیانات،و لما قال اللّه سبحانه: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّاها» (۲).

و لما قال النبی صلی اللّه علیه و آله: «حسنوا أخلاقکم»

و لما قال: «بعثت لأتمم مکارم الأخلاق»، و ردّ:بمنع کلیه الصغری فإنا نشاهد أن بعض الأخلاق فی بعض الأشخاص غیر قابل للتبدیل(لا)سیما ما یتعلق بالقوه النظریه،کالحدس و التحفظ،و جوده الذهن،و حسن التعقل،و مقابلاتها کما هو معلوم من حال بعض الطلبه،فإنه لا ینجح سعیهم فی التبدیل مع مبالغتهم فی المجاهده.

و ما قیل:من لزوم تعطل القوه الممیزه و بطلان التأدیب و السیاسات مردود:بأن هذا اللزوم إذا لم یکن شیء من الأخلاق قابلا للتغییر،و أما مع قبول بعضها أو أکثرها له فلا یلزم شیء مما ذکر،و لو کان عدم قبول بعض الأخلاق التغییر موجبا لبطلان علم الشرائع و الأخلاق لکان عدم قبول بعض الأمراض للصحه مقتضیا لبطلان علم الطب،مع أنا نعلم بدیهه أن بعض الأمراض لا یقبل العلاج.

(و حجه القول الثانی)أن الأخلاق بأسرها تابعه للمزاج،و المزاج لا یتبدل،و اختلاف مزاج شخص واحد فی مراتب سنه لا ینافی ذلک، لجواز تابعیتها لجمیع مراتب عرض المزاج،و أیّد ذلک

بقوله صلی اللّه علیه و آله:

(الناس معادن کمعادن الذهب و الفضه خیارهم فی الجاهلیه خیارهم

۱- ۱) ما بین القوسین فی الموضعین غیر موجود فی نسختنا الخطیه لکنه موجود فی نسخه خطیه أخری و فی المطبوعه.
۲- ۲) الشمس الآیه:۹.

الإسلام)

و بقوله صلى اللّه عليه و آله: «اذا سمعتم أن جبلا زال عن مكانه فصدقوه،و إذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوه،فإنه سيعود إلى ما جبل عليه».

و(الجواب)أن توابع المزاج من المقتضيات التى يمكن زوالها،لا من اللوازم التى يمتنع انفكاكها،لما ثبت فى الحكمه من أن النفوس الإنسانيه متفقه فى الحقيقه،و فى بدو فطرتها خاليه عن جميع الأخلاق و الأحوال كما هو شأن العقل الهيولائى.ثم ما بحصل لها منهما أما من مقتضيات الاختيار و العاده أو استعدادات الأبدان و الأمزجه و المقتضى ما يمكن زواله كالبروده للماء،لا ما يمتنع انفكاكه كالزوجيه للأربعه و الخبر الأول لا يفيد المطلوب بوجه.و الثانى مع عدم ثبوته عندنا يدل على خلاف مطلوبهم،لأن قوله:

«سيعود إلى ما جبل عليه»يفيد إمكان إزاله الخلق بالأسباب الخارجيه من التأديب و النصائح و غيرهما،و بعد إزالته بها يعود بارتفاعها كبروده الماء التى تزول ببعض الأسباب و تعود بعد زوال السبب،فلو دام على حفظ الأسباب و إبقائها لم يحصل العود أصلا.

و إذا ثبت بطلان القولين الأولين فالحق القول بالتفصيل،يعنى قبول بعض الأخلاق بل أكثرها بالنسبه إلى الأكثر التبديل للحس و العيان،و لبطلان السياسات و الشرائع لولاه و لإمكان تغير خلق البهائم،إذ ينتقل الصيد من التوحش إلى الأنس و الفرس من الجماح إلى الانقياد و الكلب من الهراشه إلى التأدب،فكيف لا يمكن فى حق الإنسان،و عدم قبول بعضها بالنسبه إلى البعض له،للمشاهده و التجربه،و هذا البعض مما لا يكون التعلق التكليف كالأخلاق المتعلقه بالقوه العقليه من الذكاء و الحفظ و حسن التعقل و غيرها.

و التصفح يعطى اختلاف الأشخاص و الأخلاق فى الإزاله و الاتصاف بالضد بالإمكان و التعذر و السهوله و التعسر و بالتقليل و الرفع بالمره،و لذا لو تصفحت

أشخاص العالم لم تجد شخصين متشابهين فی جميع الأخلاق،كما لا تجد اثنين متماثلين فی الصوره.و يشير إلی ذلک

قوله صلی اللّه عليه و آله:

«اعملوا فکل ميسر لما خلق له».

و قال أرسطاطاليس:«يمکن صيروره الأشرار أخيارا بالتأديب إلا أن هذا ليس کليا.فإنه ربما أثر فی بعضهم بالزوال و فی بعضهم بالتقليل و ربما لم يؤثر أصلا».

ثم المراد من التغيير ليس رفع الغضب و الشهوه مثلا-و إماطتهما بالکليه فإن ذلک محال لأنهما مخلوقتان لفائده ضروريه فی الجبله،إذ لو انقطع الغضب عن الإنسان بالکليه لم يدفع عن نفسه ما يهلکه و يؤذيه و امتنع جهاد الکفار،و لو انعدم عنه شهوه الطعام لم تبق حياته،و لو بطل عنه شهوه الوقاع بالمره لضاع النسل،بل المراد ردهما من الإفراط و التفريط إلی الوسط فالمطلوب فی صفه الغضب خلو النفس عن الجبن و التهور و الاتصاف بحس الحميه،و هو أن يحصل إذا استحسن حصوله شرعا و عقلا،و لا يحصل إذا استحسن عدمه کذلک.و کذا الحال فی صفه الشهوه.

و لا ريب فی أن رد بعض الموجودات الناقصه من القوی و غيرها إذا وجدت فيه قوه الکمال إلی کماله ممکن إذا کان له شرط يرتبط باختيار العبد فکما أن النواه يمکن أن تصير نخلا بالتربيه،لوجود قوه النخليه فيه، و توقف فعليتها علی شرط التربيه التی بيد العبد،فکذلک يمکن تعديل قوتی الغضب و الشهوه بالرياضه و المجاهده،لوجود قوه التعديل فيهما،و توقف فعليتهما علی شرط ارتبط باختيار العبد أعنی الرياضه و المجاهده،و إن لم يمکن لنا قلعهما بالکليه،کما لا يمکن لنا إعدام شیء من الموجودات و لا إيجاد شیء من المعدومات.

ثم شرائط الرد تختلف بالنسبه إلی الأشخاص و الأخلاق،و لذا نری

أن التبديل يختلف باختلاف مراتب السياسات و التأديب،فيمكن أن لا يرتفع مذموم خلق بمرتبه من التأديب،و يرتفع بمرتبه منه فوقها،و الأسهل قبولا-لكل خلق الأطفال لخلو نفوسهم عن الأضداد المانعه من القبول،فيجب على الآباء تأديبهم بالآداب الجميله،و صونهم عن ارتكاب الأعمال القبيحه حتى تعتاد نفوسهم بترك الرذائل،و ارتكاب الفضائل،و المؤدب الأول هو الناموس الإلهى،و الثانى أولو الأذهان القويمه من أهل المعارف الحقه، فيجب تقييد من يراد تأديبه بالنواميس الربانيه أولا،و تنبيهه بالحكم و المواعظ ثانيا.

فصل (شرف علم الأخلاق بشرف موضوعه و غايته)

لما عرفت أن الحياه الحقيقيه للإنسان تتوقف على تهذيب الأخلاق الممكن بالمعالجات المقرره فى هذه الصناعه،تعرف أنها أشرف العلوم و أنفعها لأن شرف كل علم إنما بشرف موضوعه أو غايته،فشرف صناعه الطب على صناعه الدباغه بقدر شرف بدن الإنسان و إصلاحه على جلود البهائم،و موضوع هذا العلم هو النفس الناطقه التى هى حقيقه الإنسان و لبّه،و هو أشرف الأنواع الكونيه كما برهن عليه فى العلوم العقليه، و غايته إكمال و إيصاله من أول أفق الإنسان إلى آخره،و لكونه ذا عرض عريض متصلا،أوله بأفق البهائم،و آخره بأفق الملائكه لا يكاد أن يوجد التفاوت الذى بين أشخاص هذا النوع فى أفراد سائر الأنواع،فإن فيه أخس الموجودات و منه أشرف الكائنات كما قيل:

و لم أر أمثال الرجال تفاوتت.لدى المجد حتى عدّ ألف بواحد

ص :۵۹

و بالفارسيه:

أى نقد أصل و فرع ندانم چه گوهرى

كز آسمان بلندتر و از خاک كمترى

و إلى ذلک التفاوت يشير

قول سيد الرسل صلى اللّه عليه و آله و سلم:

«إنى وزنت بأمتى فرجحت بهم» ،و لا ريب فى أن هذا التفاوت لأجل الاختلاف فى الأخلاق و الصفات،لاشتراک الكل فى الجسميه و لواحقها.

و هذا العلم هو الباعث للوصول إلى أعلى مراتبهما،و به تتم الإنسانيه و يعرج من حضيض البهيميه إلى ذرى الرتب الملكيه،و أى صناعه أشرف مما يوصل أخس الموجودات إلى أشرفها،و لذلک كان السلف من الحكماء لا يطلقون العلم حقيقه إلا عليه،و يسمونه بالإكسير الأعظم،و كان أول تعاليمهم،و يبالغون فى تدوينه و تعليمه،و البحث عن إجماله و تفصيله، و يعتقدون أن المتعلم ما لم يهذب أخلاقه لا تنفعه سائر العلوم.

و كما أن البدن الذى ليس بالنقى كلما غذوته فقد زدته شرا،فكذلک النفس التى ليست نقيه عن ذمائم الأخلاق لا يزيده تعلم العلوم إلا فسادا.

و لذا ترى أكثر المتشبهين بزى العلماء أسوأ حالا من العوام مائلين عن وظائف الإيمان و الإسلام،إما لشده حرصهم على جمع المال،غافلين عن حقيقه المآل،أو لغلبه حبهم الجاه و المنصب،ظنا منهم أنه ترويج للدين و المذهب،أو لوقوعهم فى الضلاله و الحيره لكثره الشک و الشبهه،أو لشوقهم إلى المراء و الجدال فى أنديه الرجال،إظهارا لتفوقهم على الأقران و الأمثال أو لإطلاق ألسنتهم على الآباء المعنويه من أكابر العلماء و أعاظم الحكماء، و لعدم تعبدهم برسوم الشرع و المله،ظنا منهم أنه مقتضى قواعد الحكمه، و لم يعلموا أن الحكمه الحقيقه ما أعطته النواميس الإلهيه و الشرائع الثبويه، فكأنهم لم يعلموا أن العلم بدون العمل ضلال،و لم يتفطنوا

قول نبيهم صلى اللّه عليه و آله و سلم: «قصم ظهرى رجلان،عالم متهتک،و جاهل

متنسک» و لم یتذکروا

قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم: «البلاهه أدنی إلی الإخلاص من فطانه بتراء» ،و کل ذلک لیس إلا لعدم سعیهم فی تهذیب الأخلاق و تحسینها و عدم الامتثال لقوله سبحانه:

وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوٰابِهٰا

(۱)

.

فصل (النفس و أسماؤها و قواها الأربع)

اشاره

ما عرفت من تجرد النفس إنما هو التجرد فی الذات دون الفعل لافتقارها فعلا إلی الجسم و الآله،فحدّها:أنها جوهر ملکوتی یستخدم البدن فی حاجاته،و هو حقیقه الإنسان و ذاته و الأعضاء و القوی آلاته التی یتوقف فعله علیها،و له أسماء مختلفه بحسب اختلاف الاعتبارات،فیسمی (روحا)لتوقف حیاه البدن علیه و(عقلا)لإدراکه المعقولات و(قلبا) لتقلبه فی الخواطر،و قد تستعمل هذه الألفاظ فی معان أخری تعرف بالقرائن.

و له قوی أربع:قوه عقلیه ملکیه،و قوه غضبیه سبعیه،و قوه شهویه بهیمیه،و قوه وهمیه شیطانیه.و(الأولی)شأنها إدراک حقائق الأمور، و التمییز بین الخیرات و الشرور،و الأمر بالأفعال الجمیله،و النهی عن الصفات الذمیمه.و(الثانیه)موجبه لصدور أفعال السباع من الغضب و البغضاء و التوثب علی الناس بأنواع الأذی.و(الثالثه)لا یصدر عنها إلا أفعال البهائم من عبودیه الفرج و البطن،و الحرص علی الجماع و الأکل.

۱- ۱) البقره الآیه:۱۲۹.

و(الرابعه)شأنها استنباط وجوه المكر و الحيل،و التوصل إلى الأغراض بالتلبيس و الخدع، و الفائده فى وجود القوه الشهويه بقاء البدن الذى هو آله تحصيل كمال النفس،و فى وجود الغضبيه أن يكسر سوره الشهويه و الشيطانيه،و يقهرهما عند انغمارهما فى الخداع و الشهوات،و اصرارهما عليهما،لأنهما لتمردهما لا تطيعان العاقله بسهوله،بخلاف الغضبيه فإنهما تطيعانها و تتأدبان بتأديبها بسهوله.

و لذا قال أ فلاطون فى صفه السبعيه و البهيميه:«أما هذه أى السبعيه فهى بمنزله الذهب فى اللين و الانعطاف،و أما تلك أى البهيميه فهى بمنزله الحديد فى الكثافه و الامتناع» و قال أيضا:«ما أصعب أن يصير الخائض فى الشهوات فاضلا،فمن لا تطيعه الواهمه و الشهويه فى إيثار الوسط فليستعن بالقوه الغضبيه المهيجه للغيره،و الحميه حتى يقهرهما»فلو لم يمتثلا مع الاستعانه فإن لم تحصل له ندامه بعد ارتكاب مقتضاهما دل على غلبتهما على العاقله و مقهوريتها عنهما،و حينئذ لا يرجى صلاحه،و إلا فالإصلاح ممكن فليجتهد فيه و لا ييأس من روح اللّه،فإن سبل الخيرات مفتوحه، و أبواب الرحمه الإلهيه غير مسدوده.

وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا

(۱)

.

و الفائده فى القوه الوهميه إدراك المعانى الجزئيه،و استنباط الحيل و الدقائق التى يتوصل بها إلى المقاصد الصحيحه.

و بيان ذلک أن الواهمه و الخيال و المتخيله ثلاث قوى متباينه،و مباينه للقوى للثلاث الأول،و شأن الأولى إدراک المعانى الجزئيه،و شأن الثانيه إدراک الصور،و شأن الثالثه التركيب و التفصيل بينهما.و كل من مدركاتها

۱- ۱) العنكبوت الآيه:۶۹.

إما مطابق للواقع،أو مخترع من عند أنفسها من غير تحقق له فی نفس الأمر أیضا،و إما من مقتضیات العقل و الشریعه،و من الوسائل إلی المقاصد الصحیحه،أو من دواعی الشیطان و ما یقتضیه الغضب و الشهوه، و علی الأول یکون وجودها خیرا و کمالا،و إن کان وجودها علی الثانی شرا و فسادا.و الحال فی جمیع القوی کذلک.

هذا و قیل:ما ورد فی القرآن من النفس المطمئنه و اللوامه و الأماره بالسوء،إشاره إلی القوی الثلاث أعنی العاقله و السبعیه و البهیمیه، و الحق أنها أوصاف ثلاثه للنفس بحسب اختلاف أحوالها،فإذا غلبت قوتها العاقله علی الثلاث الأخر،و صارت منقاده لها مقهوره منها،و زال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سمیت«مطمئنه»،لسکونها حینئذ تحت الأوامر و النواهی،و میلها إلی ملائماتها التی تقتضی جبلتها،و إذا لم تتم غلبتها و کان بینها تنازع و تدافع،و کلما صارت مغلوبه عنها بارتکاب المعاصی حصلت للنفس لوم و ندامه سمیت«لوامه».و إذا صارت مغلوبه منها مذعنه لها من دون دفاع سمیت«أماره بالسوء»لأنه لما اضمحلت قوتها العاقله و أذعنت للقوی الشیطانیه من دون مدافعه،فکأنما هی الآمره بالسوء.

ثم مثل اجتماع هذه القوی فی الإنسان کمثل اجتماع ملک،أو حکیم و کلب و خنزیر و شیطان فی مربط واحد،و کان بینها منازعه،و أیها صار غالبا کان الحکم له،و لم یظهر من الأفعال و الصفات إلا ما تقتضیه جبلته فکان إهاب الإنسان وعاء اجتمع فیه هذه الأربع، فالملک أو الحکیم هو القوه العاقله،و الکلب هو القوه الغضبیه،فإن الکلب لیس کلبا و مذموما للونه و صورته بل لروح معنی الکلبیه و السبعیه أعنی الضراوه و التکلب علی الناس بالعقر و الجرح،و القوه الغضبیه موجبه لذلک،فمن غلب فیه هذه

القوه هو الكلب حقيقه،و إن أطلق عليه اسم الإنسان مجازا،و الخنزير هو القوه الشهويه،و الشيطان هو القوه الوهميه،و التقريب فيهما كما ذكر، و النفس لا تزال محل تنازع هذه القوى و تدافعها إلى أن يغلب إحداها، فالغضبيه تدعوه إلى الظلم و الإيذاء،و العداوه و البغضاء،و البهيميه تدعوه إلى المنكر و الفواحش،و الحرص على المآكل و المناكح،و الشيطانيه تهيّج غضب السبعيه و شهوه البهيميه،و تزيد (۱)فعلهما،و تغرى إحداهما بالأخرى و العقل شأنه أن يدفع غيظ السبعيه بتسليط الشهويه عليها،و يكسر سوره الشهويه بتسليط السبعيه عليها،و يرد كيد الشيطان و مكره بالكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذه،و نورانيته الباهره،فإن غلب على الكل يجعلها مقهوره تحت سياسته غير مقدمه على فعل إلا بإشارته جرى الكل على المنهج الوسط،و ظهر العدل فى مملكه البدن،و إن لم يغلب عليها و عجز عن قهرها قهروه و استخدموه فلا يزال الكلب فى العقر و الإيذاء،و الخنزير فى المنكر و الفحشاء،و الشيطان فى استنباط الحيل،و تدقيق الفكر فى وجوه المكر و الخدع،ليرضى الكلب و يشبع الخنزير،فلا يزال فى عباده كلب عقور أو خنزير هلوع أو شيطان عنود،فتدركه الهلاكه الأبديه،و الشقاوه السرمديه،إن لم تغثه العنايه الإلهيه،و الرحمه الأزليه.

و قد يمثل اجتماع هذه القوى فى الإنسان براكب بهيمه طالب للصيد يكون معه كلب و عين من قطاع الطريق،فالراكب هو العقل،و البهيمه هى الشهوه،و الكلب هو الغضب،و العين هو القوه الوهميه التى هى من جواسيس الشيطان،فإن كان الكل تحت سياسه الراكب فعل ما يصلح للكل و نال ما بصدده،و إن كانت الغلبه و الحكم للبهيمه أو الكلب لهلك الراكب بذهابه معهما فيما لا يصلح له من التلال و الوهاد،و اقتحامه فى موارد

۱- ۱) و فى نسختنا الخطيه هكذا«تزين».

الهلكات،و إن كان الكل تحت نهى العين و أمره،و افتتنوا بخدعه و مكره لأضلهم بتلبيسه عن سواء السبيل حتى يوصلهم إلى أيدى السارقين.

و كذلك لو كانت القوى بأسرها تحت إشاره العقل و قهرها و غلب عليها وقعت لانقيادها له المسالمه و الممازجه بين الكل،و صار الجميع كالواحد لأن المؤثر و المدبر حينئذ ليس إلا قوه واحده تستعمل كلا منها فى المواضع اللائقه و الأوقات المناسبه،فيصدر عن كل منها ما خلق لأجله،على ما ينبغى من القدر و الوقت و الكيفيه،فتصلح النفس و قواها.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها

(۱)

.

و لو لم يغلب العقل حصل التدافع و التجاذب بينه و بين سائر القوى، و يتزايد ذلك إلى أن يؤدى إلى انحلال الآله و القوه لو يصير العقل مغلوبا فتهلك النفس و قواها، وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها (۲).

(تتميم)لما تبين أن للنفس اربع قوى متخالفه،و لها قوى أخر أيضا كما تبين فى العلم الطبيعى.فيحسب غلبه بعض هذه القوى على بعض يحصل فى النفس اختلاف عظيم،و الاختلاف فى النفوس إنما هو باختلاف صفاتها الحاصله من غلبه بعض قواها المتخالفه.إذ هى فى بدو فطرتها خاليه عن جميع الأخلاق و الملكات،و ليس لها فعليه،بل هى محض القوه،و لذا ليس لها قوام بذاتها و إنما تتقوم بالبدن،ثم بتوسط قواها تكتسب العلوم و الأخلاق،و ترتسم بالصور و الأعمال إلى أن تتقوم بها،و تصل إلى

۱- ۱) الشمس الآيه:۹.

۲- ۲) الشمس الآيه:۱۰.

ما خلقت لأجله.

و لما كانت قواها متخالفه متنازعه فما لم يغلب إحداها لم تدخل النفس فى عالمه (۱)الذى يخصه فلا تزال من تنازعها معركه للآثار المختلفه و الأحكام المتباينه إلى أن يغلب إحداها فتظهر فى النفس آثاره و يدخل فى عالمه الخاص.

و لما كانت القوه العاقله من سنخ الملائكه،و الواهمه من حزب الأبالسه و الغضبيه من أفق السباع،و الشهويه من عالم البهائم،فبحسب غلبه واحده منها تكون النفس إما ملكا أو شيطانا أو كلبا أو خنزيرا،فلو كانت الغلبه و السلطنه لقهرمان العقل ظهر فى مملكه النفس أحكامه و آثاره،و انتظمت أحوالها،و لو كانت لغيره من القوى ظهر فيها آثاره فتهلك النفس و يحتل معاشها و معادها.

ثم المنشأ للتنازع و التجاذب و البقاء فى نفس الإنسانيه إنما هو قوتها العقليه لأن التدافع إنما بينها و بين سائر القوى،فليس فى نفوس سائر الحيوانات لفقدانها العاقله تنازع و تجاذب و إن اختلفت فى غلبه ما فيها من القوى،فإن الغلبه فى الشياطين للواهمه،و فى السباع للغضب،و فى البهائم للشهوه،و أما الملائكه فتنحصر قوتها بالعاقله فليس فيها سائر القوى فلا يتحقق فيها تدافع و تنازع.فالجامع لعوالم الكل هو الإنسان و هو المخصوص من بين المخلوقات بالصفات المتقابله،و لذلك صار مظهرا للأسماء المتقابله الإلهيه،و قابلا للخلافه الربانيه،و قائما بعماره عالمى الصوره و المعنى.

و الملائكه و إن كانوا مخصوصين بالجنه الروحانيه و لوازمها من الإشراقات العلميه،و توابعها من اللذات العقليه،إلا أنه ليس لهم جهه جسمانيه و لوازمها.و الأجسام الفلكيه و ان كانت لها نفوس ناطقه على قواعد الحكمه إلا أنها خاليه عن الطبائع المختلفه،و الكيفيات المتباينه،و ليس لها

۱- ۱) فى نسختنا الخطيه هكذا«فى علله التى تخصها».

فى المـدارج المتخـالفه،و المراتـب المتفـاوته،و لاـ تقلّب فى أطـوار النقص و الكمـال،و لاـ تحـول فى جميع التقـاليب و الأـحوال،بخلاـف الإنسـان فـإنه محيـط بجميع المراتب المختلفه،و سـائر فى الأـطوار المتباينه من الجماديه و النباتيه و الحيوانيه و الملكيه،و له الترقى عن جميع تلك المراتب بأن تتحقق له مرتبه مشاهـده الوحـده الصـرفه فيتجاوز عن أفق الملائكه،فهو النسـخه الجامعه لحقائق الملك و الملكوت،و المعجون المركب من عالمى الأمر و الخلق

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن اللّه خص الملك بالعقل دون الشهوه و الغضب،و خص الحيوانات بهما دونه و شرّف الإنسان بإعطاء الجميع فإن انقادت شـهوته و غضـبه لعقله صار أفضل من الملائكه لوصوله إلى هذه المرتبه مع وجود المنازع و الملائكه ليس لهم مزاحم».

وصل

قد ظهر بما ذكر أن الإنسان ذو جنبه روحانيه يناسب بها الأرواح الطيبه و الملائكه القادسه،و ذو جنبه جسمانيه يشابه بها السباع و الأنعام، فبالجزء الجسـمانى أقيم فى هذه العالم الحسـى مده قصيره،و بالجزء الروحانى ينتقل إلى العالم العلوى،و يقيم فيه أبدا فى مصـاحبه الأرواح القدسـيه، بشـرط أن يتحرك بقواه نحو كمالاتها الخاصه،حتى يغلب الجزء الروحانى على الجسـمانى،و ينفض عن نفسه كدورات الطبيعه،و تظهر فيه آثار الروحانيات من العلم بحقائق الأشياء و الأنس باللّه تعالى و الحب له و التحلى بفضائل الصـفات. و حينئذ يقوم بغلبه روحانيته بين الملأ الأعلى يسـتمد منهم لطائف الحكمه،و يستنير بالنور الإلهى و يزيد ذلک بحسب رفع العلائق الجسـميه،حتى إذا ارتفعت عنه حجب الغواسق الطبيعيه بأسـرها،و أزيلت عنه اسـتار العوائق الهيولانيه برمتها،خلى عن جميع الآلام و الحسرات،

و کـان أبـدا مسـرورا بـذاته،مغتبطـا بحاله،مبتهجا بما یرد علیه من فیوضات النور الأول،و لا یسرّ إلا بتلک اللـذات،و لا یغتبط إلا بهـا،و لاـ یهش إلاـ بإظهار الحکمه الحقه بین أهلها،و لا یرتاح إلا بمن ناسـبه و أحب الاقتباس منه،و لا یبالی بمفارقه الـدنیا و ما فیهـا،و یری جسـمه و ماله و جمیع خیرات الـدنیا وبالا و کلا علیه إلا ما هو ضـروری یحتاج إلیه بـدنه الـذی الـذی یفتقر إلیه فی تحصـیل کماله،و یحن أبـدا إلی مصاحبه الـذوات النوریه، و لا یفعل إلا ما أراد اللّه تعالی منه،و لا یتعرض إلا لما یقربه إلیه،و لا یخـالفه فی متـابعه الشـهوات الردیه،و لاـ ینخـدع بخـدائع الطـبیعه،و لاـ یلتفت إلی شـیء یعوقه عن سـعادته،و لاـ یحزن علی فقد محبوب،و لا فوت مطلوب و إذا صفی من الأمور الطبیعیه بالکلیه زالت عنه العوارض النفسانیه، و الخواطر الشیطانیه بأسرها،و فنی عنه إرادته المتعلقه بالأمور.و حینئذ یمتلی من المعارف الإلهیه،و الشوق الإلهی و البهجه الإلهیه،و الشعار الإلهی، و تتقرر الحقائق فی عقله کتقرر القضایا الأولیه فیه،بل یکون علمه بها أشـد إشـراقا و ظهورا من علمه بها.و إذا بلغ هذه الغایه فقد اسـتعد للوصول إلی المرتبه القصوی،و مجـاوره الملأـ الأـعلی،فیصـل إلی مـا لا عین رأت، و لا أذن سـمعت،و لا خطر علی قلب بشـر،و یفوز بما أشیر إلیه فی الکتاب الإلهی بقوله:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ

(۱)

.

ص :۶۸

۱- ۱) السجده الآیه:۱۷.

فصل (الأقوال فى الخير و السعاده و التوفيق بينها)

اعلم أن الغايه فى تهذيب النفس عن الرذائل و تكميلها بالفضائل هو الوصول إلى الخير و السعاده.و السلف من الحكماء قالوا:إن(الخير)على قسمين مطلق و مضاف،و المطلق هو المقصود من إيجاد الكل،إذ الكل يتشوقه و هو غايه الغايات،و المضاف ما يتوصل به إلى المطلق.و(السعاده) هو وصول كل شخص بحركته الإراديه النفسانيه إلى كماله الكامن فى جبلته و على هذا فالفرق بين الخير و السعاده أن الخير لا يختلف بالنسبه إلى الأشخاص،و السعاده تختلف بالقياس إليهم.

ثم الظاهر من كلام أرسطاطاليس أن الخير المطلق هو الكمالات النفسيه و المضاف ما يكون معدا لتحصيلها كالتعلم و الصحه،أو نافعا فيه كالمكنه و الثروه.

و أما السعاده فعند الأقدمين من الحكماء راجعه إلى النفوس فقط، و قالوا ليس للبدن فيها حظ،فحصروها فى الأخلاق الفاضله،و احتجوا على ذلك بأن حقيقه الإنسان هى النفس الناطقه و البدن آله لها،فلا يكون ما يعد كمالا له سعاده للإنسان. و عند المتأخريين منهم كأرسطو و من تابعه راجعه إلى الشخص حيث التركيب،سواء تعلقت بنفسه أو بدنه،لأن كل ما يلائم جزءا من شخص معين فهو سعاده جزئيه بالنسبه إليه، مع أنه يتعسر صدور الأفعال الجميله بدون اليسار،و كثره الأعوان و الأنصار،و البخت المسعود،و غير ذلك مما لا يرجع إلى النفس،و لذا قسموا السعاده إلى ما يتعلق بالبدن من حيث هو كالصحه و اعتدال المزاج

و إلى مـا يتوصـل به إلى إفشـاء العوارف و مثله ممـا يوجب اسـتحقاق المـدح كالمـال و كـثره الأـعوان،و إلى مـا يوجب حسـن الحـديث و شـيوع المحمـده، و إلى مـا يتعلق بإنجـاح المقاصـد و الأـغراض على مقتضـى الأمـل،و إلى مـا يرجع إلى النفس من الحكمه و الأخلاق المرضـيه.و قالوا كمال السـعاده لا يحصل بـدون هـذه الخمسه،و بقـدر النقصان فيها تنقص.قالوا و فوق ذلک سعاده محضه لا تدانيها سعاده،و هو ما يفيض اللّه سبحانه على بعض عباده من المواهب،و الإشراقات العلميه،و الابتهاجات العقليه بدون سبب ظاهر.

ثم الأقـدمون لـذهابهم إلى نفى السـعاده للبـدن صـرحوا بـأن السـعاده العظمى لاـ تحصل للنفس ما دامت متعلقه بالبـدن،و ملوثه بالكدورات الطبيعيه، و الشواغل الماديه،بل حصولها موقوف عنها،لأن السـعاده الطلقه لا تحصل لها ما لم تصر مشرقه بالإشراقات العقليه،و مضيئه بالأنوار الإلهيه،بحيث يطلق عليها اسم التام،و ذلک موقوف على تخليصها التام عن الظلمه الهيولانيه،و القصورات الماديه.

و أما المعلم الأول و اتباعه فقالوا إن السعاده العظمى تحصل للنفس مع تعلقها بالبدن أيضا،لبداهه حصولها لمن استجمع الفضائل بأسـرها،و اشتغل بتكميل غيره.و ما أقبح أن يقال مثله ناقص و إذا مات يصير تاما، فالسعاده لها مراتب،و يحصل للنفس الترقى فى مـدارجها بالمجاهـده إلى أن تصـل إلى أقصاهـا و حينئـذ يحصـل تمامهـا و إن كـان قبل المفارقه،و تكون باقيه بعـدها أيضا، ثم المتأخرون عن الطائفتين من حكماء الإسـلام قالوا إن السـعاده فى الأحياء لا تتم إلا باجتماع ما يتعلق بالروح و البـدن،و أدناها أن تغلب السـعاده البـدنيه على النفسـيه بالفعـل،إلاـ أن الشوق إلى الثـانيه،و الحرص على اكتسابهـا يكون أغلب،و أقصاهـا أن تكون الفعليه و الشوق كلاهما فى

الثانیه أكثر،إلا أنه قد یقع الالتفات إلی هذا العالم و تنظیم أموره بالعرض.

و أما فی الأموات فیختص بما یتعلق بالنفس فقط لاستغنائهم عن الأمور البدنیه،فتختص السعاده فیهم بالملكات الفاضله،و العلوم الحقه الیقینیه،و الوصول إلی مشاهده جمال الأبد،و معاینه جلال السرمد.و قالوا إن الأولی لشوبها بالزخارف الحسیه،و الكدورات الطبیعیه ناقصه كدره، و أما الثانیه فلخلوها عنها تامه صافیه،لأن المتصف بها یكون أبدا مستنیرا بالأنوار الإلهیه،مستضیئا بالأضواء العقلیه،مستهترا (۱)بذكر اللّه و أنسه مستغرقا فی بحر عظمته و قدسه،و لیس له التفات إلی ما سوی ذلك، و لا یتصور له تحسر علی فقد لذه أو محبوب،و لا شوق إلی طلب شیء مرغوب،و لا رغبه إلی أمر من الأمور،و لا رهبه من وقوع محذور، بل یكون منصرفا بجزئه العقلی مقصورا همه علی الأمور الإلهیه من دون التفات إلی غیرها.

و هذا القول ترجیح لطریقه المعلم الأول من حیث إثبات سعاده للبدن و لطریقه الأقدمین من حیث نفی حصول السعاده العظمی للنفس ما دامت متعلقه بالبدن.و هو(الحق المختار)عندنا،إذ لا ریب فی كون ما هو وصله إلی السعاده المطلقه سعاده إضافیه.و معلوم أن غرض القائل بكون متعلقات الأبدان كالصحه و المال و الأعوان سعاده أنها سعاده إذا جعلت آله لتحصیل السعاده الحقیقیه لا- مطلقا،إذ لا یقول عاقل إن الصحه الجسمیه و الحطام الدنیوی سعاده،و لو جعلت وسیله إلی اكتساب سخط اللّه و عقابه و حاجبه عن الوصول إلی دار كرامته و ثوابه.و كذا لا ریب فی أن النفس ما دامت متعلقه بالبدن مقیده فی سجن الطبیعه لا یحصل لها العقل الفعلی، و لا تنكشف لها الحقائق كما هی علیه انكشافا تاما،و لا تصل إلی حقیقه

۱- ۱) مستهترا به علی بناء اسم المفعول أی مولع به.

ما يترتب على العلم و العمل من الابتهاجات العقليه و اللذات الحقيقيه.و لو حصلت لبعض المتجردين عن جلباب البدن يكون فى آن واحد و يمرّ كالبرق الخاطف.

هـذا و قـد ظهر من كلمـات الجميـع أن حقيقه الخير و السـعاده ليست إلاـ المعـارف الحقه،و الأخلاـق الطيبه،و الأـمر و إن كـان كذلك من حيث إن حقيقتهما ما يكون مطلوبا لذاته،و باقيا مع النفس أبدا و هما كذلك،إلا أنه لا ريب فى أن ما يترتب عليهما من حب اللّه و أنسه،و الابتهاجـات العقلاـئيه،و اللـذات الروحـانيه مغـاير لهمـا من حيث الاعتبار،و إن لم ينفك عنهما و مطلوبيته لـذاته أشـد و أقوى،فهو باسم الخير و السـعاده أولى و أخرى و إن كان الجميع خيرا و سـعاده.و بـذلك يحصل الجمع بين أقوال أرباب النظر و الاسـتدلال،و أصـحاب الكشف و الحال،و اخوان الظاهر من أهل المقال،حيث ذهبت(الفرقه الأولى)إلى أن حقيقه السعاده هو العقل و العلم،و(الثانيه)إلى أنها العشق،و(الثالثه)إلى أنها الزهد، و ترك الدنيا.

فصل (لا تحصل السعاده إلا بإصلاح جميع الصفات و القوى دائما)

اشاره

لاـ تحصـل السـعاده إلا بإصـلاح جميع الصـفات و القوى دائما،فلا تحصل بإصـلاحها بعضا دون بعض،و وقتا دون وقت،كما أن الصـحه الجسـميه، و تـدبير المنزل،و سـياسه المـدن لاـ تحصـل إلاـ بإصـلاح جميـع الأعضـاء و الأشـخاص و الطوائف فى جميع الأوقات، فالسعيد المطلق من أصلح جميع صفاته و أفعاله على وجه الثبوت و الدوام بحيث لا يغيره تغير الأحوال

ص: ٧٢

و الأزمان،فلا يزول صبره بحدوث المصائب و الفتن،و لا شكره بورود النوائب و المحن،و لا يقينه بكثره الشبهات،و لا رضاه بأعظم النكبات، و لا إحسانه بالإساءه،و لا صداقته بالعداوه.و بالجمله لا يحصل التفاوت فى حاله،و لو ورد عليه ما ورد على أيوب النبى عليه السلام أو على برناس الحكيم،لشهامه ذاته،و رسوخ أخلاقه و صفاته.و عدم مبالاته بعوارض الطبيعه،و ابتهاجه بنورانيته و ملكاته الشريفه،بل السعيد الواقعى لتجرده و تعاليه عن الجسمانيات خارج عن تصرف الطبائع الفلكيه،متعال عن تأثير الكواكب و الأجرام الأثيريه فلا يتأثر عن سعدها و نحسها،و لا ينفعل عن قمرها و شمسها.أهل التسبيح و التقديس لا يبالون بالتثليث و التسديس، و ربما بلغ تجردهم و قوه نفوسهم مرتبه تحصل لهم ملكه الاقتدار على التصرف فى موارد الكائنات،و لو فى الأفلاك و ما فيها،كما حصل لفخر الأنبياء و سيد الأوصياء صلوات اللّه عليهما و آلهما من شق القمر و ردّ الشمس.

و قد ظهر مما ذكر أن من يجزع بورود المصائب الدنيويه،و يضطرب من الكدورات الطبيعيه،و يدخل نفسه فى معرض شماته الأعداء و ترحم الأحباء،خارج عن زمره السعداء،لضعف غريزته و غلبه الجبن على طبيعته،و عدم نيله بعد إلى الابتهاجات التى تدفع عن النفس أمثال ذلك.

و مثله لو تكلف الصبر و الرضا و تشبه ظاهرا بالسعداء لكان فى الباطن متألما مضطربا،و هذا ليس سعاده لأن السعاده الواقعيه إنما هو صيروره الأخلاق الفاضله ملكات راسخه بحيث لا تغيرها المغيرات ظاهرا و باطنا.

بلغنا اللّه و جميع الطالبين إلى هذا المقام الشريف.

ص:۷۳

وصل (غایه السعاده التشبه بالمبدإ)

صرح الحکماء بأن غایه المراتب للسعاده أن یتشبه الإنسان فی صفاته بالمبدإ:بأن یصدر عنه الجمیل لکونه جمیلا،لا لغرض آخر من جلب منفعه،أو دفع مضره،و إنما یتحقق ذلک إذا صارت حقیقته المعبر عنها بالعقل الإلهی و النفس الناطقه خیرا محضا،بأن یتطهر عن جمیع الخبائث الجسمانیه،و الأقذار الحیوانیه.و لا یحوم حوله شیء من العوارض الطبیعیه و الخواطر النفسانیه،و یمتلئ من الأنوار الإلهیه،و المعارف الحقیقیه،و یتیقن بالحقائق الحقه الواقعیه،و یصیر عقلا محضا بحیث یصیر جمیع معقولاته کالقضایا الأولیه،بل یصیر ظهورها أشد،و انکشافها أتم،و حینئذ یکون له أسوه حسنه باللّه سبحانه،فی صدور الأفعال و تصیر إلهیه أی شبیه بأفعال اللّه سبحانه فی أنه لصرافه حسنه یقتضی الحسن،و لمحوضه جماله یصدر عنه الجمیل من دون داع خارجی،فتکون ذاته غایه فعله،و فعله غرضه بعینه،و کلما یصدر عنه بالذات و بالقصد الأول فإنما یصدر لأجل ذاته و ذات الفعل و إن ترشحت منه الفوائد الکثیره علی الغیر بالقصد الثانی و بالعرض.قالوا و إذا بلغ الإنسان هذه المرتبه فقد فاز بالبهجه الإلهیه، و اللذه الحقیقیه الذاتیه،فیشمئز طبعه من اللذات الحسیه الحیوانیه،لأن من أدرک اللذه الحقیقیه علم أنها لذّه ذاتیه،و الحسیه لیست لذه بالحقیقه لتصرمها و دثورها و کونها دفع ألم.

و أنت خبیر بأن هذا التصریح محل تأمل المخالفته ظواهر الشرع فتأمل.

ص:۷۴

فصل (بإزاء كل واحده من القوى الأربع لذه و ألم)

اشاره

لمّا عرفت أن القوى فى الإنسان أربع:قوه نظريه عقليه،و قوه وهميه خياليه،و قوه سبعيه غضبيه،و قوه بهيميه شهويه-فاعلم أنه بإزاء كل واحده منها لذه و ألم،لأن اللذه إدراك الملائم،و الألم إدراك غير الملائم،فلكل من الغرائز المدركه لذه هو نيله مقتضى طبعه الذى خلق لأجله،و ألم هو إدراكه خلاف مقتضى طبعه:

(فغريزه العقل)لمّا خلقت لمعرفه حقائق الأمور،فلذتها فى المعرفه و العلم،و ألمها فى الجهل،و(غريزه الغضب)لمّا خلقت للتشفى و الانتقام فلذتها فى الغلبه التى يقتضيها طبعها و ألمها فى عدمها،و(غريزه الشهوه) لمّا خلقت لتحصيل الغذاء الذى به قوام البدن،فلذتها فى نيل الغذاء، و ألمها فى عدم نيله،و هكذا فى غيرها،فاللذات و الآلام أيضا على أربعه أقسام:العقليه و الخاليه و الغضبيه و البهيميه.

فاللذه العقليه كالانبساط (۱)الحاصل من معرفه الأشياء الكليه و إدراك الذوات المجرده النوريه،و الألم العقلى كالانقباض الحاصل من الجهل، و اللذه الخياليه كالفرح الحاصل من إدراك الصور و المعانى الجزئيه الملائمه، و الألم الخيالى كإدراك غير الملائمه منها.و اللذه المتعلقه بالقوه الغضبيه كالانبساط الحاصل من الغلبه و نيل المناصب و الرياسات،و الألم المتعلق بها كالانقباض الحاصل من المغلوبيه و العزل و المرءوسيه.و اللذه البهيميه هى المدركه من الأكل و الجماع و أمثالهما،و الألم البهيمى ما يدرك من الجوع و العطش و الحر

۱- ۱) و فى النسخه المخطوطه عندنا«الابتهاج».

و البرد و أشباهها.و هذه اللذات و الآلام تصل إلى النفس و هى الملتذه و المتألمه حقيقه إلا أن كلا منها يصل إليها بواسطه القوه التى تتعلق بها.و الفرق بين الكل ظاهر.

و ربما يشتبه بين ما يتعلق بالوهم و الخيال و ما يتعلق بالقوه الغضبيه من حيث اشتراكهما فى الترتب على التخيل.

و يـدفع الاشـتباه بأن ما يتعلق بالغضبيه و إن توقف على التخيل إلا أن المتأثر بالالتذاذ و التألم بعد التخيل هو الغضبيه و بواسـطتها تتأثر النفس،ففى هذا النوع من اللذه و الألم تتأثر الغضبيه ثم تتاثر النفس.

و أمـا مـا يتعلق بـالوهم و الخيـال فالمتـأثر بالالتـذاذ و التـألم هاتـان القوتـان و يصل التأثر منهما إلى النفس من دون توسط القوه الغضبيه.

و ممـا يوضـح الفرق أن الالتـذاذ و التـألم الخياليين لا يتوقفان على وجود غلبه و مغلوبيه مثلا فى الخارج،و أما الغضبيان فيتوقفان عليهما.

ثم أقوى اللـذات هى العقليه لكونهـا فعليه ذاتيه غير زائله باختلاـف الأـحوال،و غيرها من اللـذات الحسـيه انفعاليه عرضـيه منفعله زائله،و هى فى مبـدإ الحال مرغوبه عنـد الطبيعه،و تتزايـد بتزايـد القوه الحيوانيه،و تتضـعف بضـعفها إلى أن تنتفى بالمره،و يظهر قبحها عنـد العقل،و أما العقليه فهى فى البدايه منتفيه،لأن إدراكها لا يحصل إلا للنفوس الزكيه المتحليه بالأخلاق المرضـيه،و بعد حصولها يظهر حسنها و شرفها،و تتزايد بتزايد القوه العقليه إلى أن ينتهى إلى أقصى المراتب،و لا يكون نقص و لا زوال.

و العجب ممن ظن انحصار اللذه فى الحسـيه و جعلها غايه كمال الإنسان و سـعادته القصوى. و المتشـرعون منهم قصّـروا اللذات الآـخره على الجنه و الحور و الغلمان و أمثالها،و آلامها على النار و العقارب و الحيات و أشباهها، و جعلوا الوصول إلى الأولى و الخلاص عن الثانيه غايه فى زهدهم و عبادتهم

و كأنهم لم يعلموا أن هـذه عباده الأجراء و العبيـد تركوا قليل المشـتهيات ليصـلوا إلى كثيرها.و ليت شـعرى أن ذلك كيف يدل على الكمال الحقيقى و القرب من اللّه سـبحانه!و لا أدرى أن الباكى خوفا من النار و شوقا إلى اللـذات الجسـميه المطلوبه للنفس البهيميه كيـف يعـدّ من أهـل التقرب إلى اللّه سبحانه و يسـتحق التعظيم و يوصـف بعلو الرتبه!و كـأنهم لم يـدركوا الابتهاجـات الروحانيه،و لا لذه المعرفه باللّه و حبّه و أنسه و لم يسمعوا

قول سيد الموحدين (۱)صلى اللّه عليه و آله

«إلهى ما عبدتك خوفا من نارك و لا طمعا فى جنتك و لكن وجدتك أهلا للعباده فعبدتك» .

و بالجمله لا ريب فى أن الإنسان فى اللـذه الجسـميه يشارك الخنافس و الديـدان و الهمج من الحيوان،و إنما يشابه الملائكه فى البصيره الباطنه و الأخلاق الفاضله،و كيف يرتضى العاقل أن يجعل النفس الناطقه الشريفه خادمه للنفس البهيميه الحسيسه.

و العجب من هؤلاء الجماعه (۲)مع هذا الاعتقاد يعظمون من يتنزه عن الشهوات الحيوانيه و يستهين باللذات الحسيه و يتخضعون لـه و يعـدون أنفسـهم أشـقياء بالنسبه إليـه،و يـذعنون أنـه أقرب النـاس إلى اللّه سـبحانه و أعلى رتبه منهم بتنزهه عن الشـهوات الطبيعيه،و قد اتفق كلهم على تنزه مبدع الكل و تعاليه عنها مستدلين بلزوم النقص فيه لولاه،و كل ذلك يناقض رأيهم الأول.

و السر فيه أنهم و إن ذهبوا إلى هذا الرأى الفاسد إلا أنه لما كانت غريزه العقل فيهم بعد موجوده،و إن كانت ضعيفه،فيرى ما هو كمال حقيقى لجوهرها كمالا،و يحكم بنورانيتها الذاتيه،على كون ما هو فضيله

۱- ۱) المعنى به هو أمير المؤمنين على عليه الصلاه و السلام.

۲- ۲) المرادهم الذين حصروا اللذات فى الحسيه و الكلام كله فى هذا الرأى.

فی الواقع فضیله،و ما هو رذیله فی نفس الأمر رذیله،فیضطرهم إلی إکرام أهل التنزه عن الشهوات،و الاستهانه بالمکبین علیها.

و مما یدل علی قبح اللذات الحیوانیه أن أهلها یکتمونها و یخفون ارتکابها و یستحیون عن إظهارها،و إذا وصفوا بذلک تتغیر وجوههم،کما هو ظاهر من وصف الرجل بکثره الأکل و الجماع،مع أن الجمیل علی الإطلاق یحسن إذاعته،و صاحبه یجب أن یظهره و یوصف به،هذا مع أن البدیهه حاکمه بأن هذه اللذات لیست لذات حقیقیه،بل هی دفع آلام حادثه للبدن (۱)فإن ما یتخیل لذه عند الأکل و الجماع إنما هو راحه من ألم الجوع و لذع المنی و لذا لا یلتذ الشبعان من الأکل،و معلوم أن الراحه من الألم لیس کمالا و خیرا،إذ الکمال الحقیقی و الخیر المطلق ما یکون کمالا و خیرا أبدا.

إیقاظ (فیه موعظه و نصیحه)

لمّا عرفت أن الإنسان فی اللذه العقلیه یشارک الملائکه،و فی غیرها من الحسیه المتعلقه بالقوی الثلاث،أعنی السبعیه و البهیمیه و الشیطانیه، یشارک السباع و البهائم و الشیاطین-فاعلم أن من غلبت علیه إحدی اللذات

۱- ۱) الحق أن کل لذه بدنیه و نفسیه إنما هی إشباع شهوه أو غریزه تتطلب الإشباع،حتی طلب المعارف و العلم إنما هو لإشباع غریزه حب الاستطلاع، إلا أن طلب العلم لا یصل إلی حد الإشباع أبدا،و لذا قال صلی اللّه علیه و آله و سلم: «منهومان لا یشبعان طالب علم،و طالب مال»و لیست کذلک الغریزه الجنسیه و غریزه حب الأکل و أمثالهما فإنها تصل إلی حد الإشباع فتکتفی.

الأربع كانت مشاركته لما ينسب إليه أكثر حتى إذا صارت الغلبه تامه لكان هو هو.

فانظر يا حبيبى أين تضع نفسك،فإن الغلبه لو كانت لقوتك الشهويه حتى يكون أكثر همك إلى الشهوات الحيوانيه كالأكل و الشرب و الجماع و سائر النزوات البهيميه،كنت واحدا من البهائم.و إن كانت لقوتك الغضبيه حتى يكون جلّ ميلك إلى المناصب و الرياسات الرديه،و إيذاء الناس بالضرب و الشتم،و باقى الحركات السبعيه،نزلت منزله السباع،و إن كانت لقوتك الشيطانيه حتى يكون غالب سعيك فى استنباط وجوه المكر و الحيل للوصول إلى مقتضيات قوتى الشهوه و الغضب بأنواع الخداع و التلبيسات الوهميه دخلت فى حزب الأبالسه.و إن كانت لقوتك العقليه حتى يكون جدك مقصورا على«أخذ» (۱)المعارف الإلهيه و اقتفاء (۲)الفضائل الحلقيه عرجت إلى أفق الملائكه القادسه، فمن كان عاقلا غير عدو لنفسه وجب عليه أن يصرف جلّ همه فى تحصيل السعاده العلميه و العمليه،و إزاله النقائص الكامنه فى نفسه،و ليقتصر على الأمور الشهوانيه،و اللذات الجسمانيه بقدر الضروره،بأن يكتفى من الغذاء بما يحفظ اعتدال مزاجه و قوام حياته و لا يكون قصده منه الالتذاذ،بل سدّ الضروره و دفع الألم،و لا يضيع وقته فى تحصيل أزيد من ذلك،فإن تجاوز عنه فبقدر ما يحفظ رتبته، و لا يوجب مهانته و ذلته،و من اللباس بقدر ما يستر العوره،و يدفع الحر و البرد،فإن تجاوز عن ذلك فبقدر ما لا يؤدى إلى حقارته،و لا يوجب السقوط بين أقرانه و أهل طبقته،و من الجماع بقدر ما يحفظ نوعه«و يبقى

۱- ۱) لم توجد فى نسختنا الخطيه و لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

۲- ۲) فى نسختنا الخطيه هكذا«و اقتناء».

نسله،و إن تعدی فبقدر ما لا یخرجه عن السنه،و لیحذر عن الانهماک فی مقتضیات قوتی الشهوه و الغضب،لأنه یوجب الشقاوه الدائمه و الهلاکه السرمدیه. فاللّه اللّه فی نفوسکم معاشر الإخوان أدرکوها قبل أن تغرقوا فی بحار المهالک،و تنبهوا عن نوم الغفله قبل أن تنسد علیکم السبل و المهالک و بادروا إلی تحصیل السعادات قبل أن تستحکم فیکم الملکات المهلکه، و العادات المفسده،فإن إزاله الرذائل بعد استحکامها فی غایه الصعوبه و المجاهده مع أحزاب الشیاطین بعد الکبر قلما یفید الأثر،و الغلبه علی النفس الأماره بعد ضعف الهرم فی غایه الإشکال،إلا أنه فی أی حال لا ینبغی أن تیأسوا من روح اللّه،فاجتهدوا بقدر القوه و الاستطاعه،فإنه خیر من التمادی فی الباطل،فلعل اللّه یدرککم بعظیم رحمته.

و لقد قال الشیخ (۱)الفاضل أحمد بن محمد بن یعقوب بن مسکویه،

۱- ۱) هو الحکیم الأعظم و الفیلسوف الأکبر«أبو علی أحمد بن محمد»بن یعقوب ابن مسکویه الخازن«الرازی»الأصل و الأصفهانی المسکن و الخاتمه کان من أعیان العلماء و أرکان الحکماء معاصرا للشیخ أبی علی بن سینا،صحب الوزیر المهلبی فی أیام شبابه و کان من خاصته إلی أن أتصل بصحبه«عضد الدوله«البویهی فصار من کبار ندمائه و رسله إلی نظرائه ثم اختص بالوزیر«ابن العمید»«و ابنه«أبی الفتح»له مؤلفات کثیره بعضها فی الحکمه و منه کتاب«الفوز الأکبر»و کتاب «الفوز الأصغر»«و جاویدان خرد»بالفارسیه فی الحکمه و هو یقرب من خمسه آلاف بیت و بعضها فی التاریخ و منه«تجارب الأمم»و بعضها فی الأخلاق و منه کتاب«الطهاره»المشهور و هو الذی قصده«المصنف ره»هنا لأنه أول کتاب صنف فی علم الأخلاق،و قد مدحه أستاذ البشر و أعلم أهل البدو و الحضر الحجه الأعظم الفیلسوف المحقق الخواجه«نصیر الدین الطوسی»قدس سره بأبیات. و کان(ره)من علمائنا الإمامیه قدس اللّه أسرارهم و قبره(بأصفهان)علی باب-

و هو الأستاذ فی علم الأخلاق،و أقدم الإسلامیین فی تدوینه،«إنی تنبهت عن نوم الغفله بعد الکبر و استحکام العاده،فتوجهت إلی فطام نفسی عن رذائل الملکات،و جاهدت جهادا عظیما حتی وفقنی اللّه لاستخلاصها عما یهلکها،فلا ییأس أحد من رحمه اللّه،فإن النجاه لکل طالب مرجوه، و أبواب الإفاضه أبدا مفتوحه»فبادروا إخوانی إلی تهذیب نفوسکم قبل أن یصیر الرئیس مرؤسا،و العقل مقهورا،فیفسد جوهرکم،و تمسخ حقیقتکم،و یدرککم الانتکاس فی الخلق الذی هو خروج عن أفق الإنسان و دخول فی زمره البهائم و السباع و الشیاطین،نعوذ باللّه من ذلک،و نسأله العصمه من الخسران الذی لا نهایه له.و قد شبه الحکماء من أهمل سیاسه نفسه الغافله بمن له یاقوته شریفه حمراء،فرماها فی نار مضطرمه فیحرقها حتی تصیر کلسا (۱)لا منفعه فیها.

[تتمیم]و لا تظنن أن ما یفوت عن النفس من الصفاء و البهجه لأجل ما یعتریها من الکدره الحاصله معصیه من المعاصی یمکن تدارکه،فإن ذلک محال،إذ غایه الأمر أن تتبع تلک المعصیه بحسنه تمحی آثارها،و تعید النفس إلی ما کانت علیه قبل تلک المعصیه،فلا تزداد بتلک الحسنه إشراقا و سعاده،و لو جاء بها من دون سیئه لزاد بها نور القلب و بهجته،و حصلت له درجه فی الجنه،و لما تقدمت السیئه سقطت هذه الفائده و انحصرت

۱)

(درب جناد)و قد اشتهر أن السید(الداماد)الذی کان من أعاظم علمائنا و أکابر حکمائنا کان کلما اجتاز یقف علی قبره و یقرأ الفاتحه (الترجمه عن الکنی و الألقاب للمحدث الشهیر الحاج شیخ(عباس القمی) قدس سره مع تصرف یسیر منا).

۱- ۱) الکلس ما یقوم به الحجر و الرخام و نحوهما و یتخذ منها باحراقها.

فائـدتها فی مجرد عود القلب إلی مـا کان علیه قبلها،و هـذا نقصان لا حیله لجبره و مثال ذلک أن المرآه التی تـدنست بالخبث و الصدأ إذا مسحت بالمصقله و إن زال به هذا الخبث،إلا أنه لا تزید به جلاء و صفاء،بخلاف ما إذا لم تتدنس أصلا،فإن التصقیل یزیدها صفاء و جلاء، و إلی ما ذکر

أشار النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم بقوله: «من قارف ذنبا فارقه عقل لم یعد إلیه أبدا».

الباب الثانی فی بیان أقسام الأخلاقی و تفصیل القول فیها

اشاره

«و فیه فصول» أجناس الفضائل الأربعه و الأقوال فی حقیقه العداله-حقیقه العداله انقیاد العقل العملی للعقل النظری و لوازم الأقوال فی العداله-العقل النظری هو المدرک للفضائل و الرذائل-دفع إشکال فی تقسیم الحکمه- تحقیق الوسط و الأطراف- أجناس الرذائل و أنواعها-الفرق بین الفضیله و الرذیله-العداله أشرف الفضائل-إصلاح النفس قبل إصلاح الغیر و أشرف وجوه العداله عداله السلطان-لا حاجه إلی العداله مع رابطه المحبه- التکمیل الصناعی لاکتساب الفضائل علی طبق ترتیب الکمال الطبیعی.

ص :۸۳

فصل (أجناس الفضائل الأربع و الأقوال فی حقیقه العداله)

اشاره

قد تبین فی العلم الطبیعی أن للنفس الناطقه قوتین:«أولاهما»:قوه الإدراک و«ثانیتهما»:قوه التحریک،و لکل منهما شعبتان: (الشعبه الأولی) للأولی العقل النظری،و هو مبدأ التأثر عن المبادئ العالیه بقبول الصور العلمیه،و (الشعبه الثانیه)لها العقل العملی،و هو مبدأ تحریک البدن فی الأعمال الجزئیه بالرویه (۱)و هذه الشعبه من حیث تعلقها بقوتی الشهوه و الغضب مبدأ«لحدوث» (۲)بعض الکیفیات الموجبه لفعل أو انفعال، کالخجل و الضحک و البکاء و غیر ذلک،و من حیث استعمالها الوهم و المتخیله مبدأ لاستنباط الآراء و الصنائع الجزئیه.و من حیث نسبتها بالعقل و حصول الازدواج بینهما سبب لحصول الآراء الکلیه المتعلقه بالأعمال کحسن الصدق و قبح الکذب،و نظائرهما. (الشعبه الأولی)للثانیه قوه الغضب و هی مبدأ دفع غیر الملائم علی وجه الغلبه،و(الشعبه الثانیه)لها قوه الشهوه و هی مبدأ جلب الملائم.

ثم إذا کانت القوه الأولی غالبه علی سائر القوی و لم تنفعل عنها،بل کانت هی مقهوره عنها مطیعه لها فیما تأمرها به و تنهاها عنه،کان تصرف کل منها علی وجه الاعتدال،و انتظمت أمور النشأه الإنسانیه،و حصل تسالم

۱- ۱) إذا کان العقل العملی مبدأ لتحریک البدن فهو قوه تحریک لا قوه إدراک و فی الحقیقه أن غرضهم من العقل العملی هو إدراک ما ینبغی أن یعمل.

۲- ۲) و فی النسخه المخطوطه عندنا«الحصول».

القوی الأربع و تمازجها،فتهذب کل واحد منها،و یحصل له ما یخصه من الفضیله،فیحصل،من تهذیب العاقله العلم و تتبعه الحکمه،و من تهذیب العامله العداله،و من تهذیب الغضبیه الحلم و تتبعه الشجاعه،و من تهذیب الشهویه العفه و تتبعه السخاوه.و علی هذا تکون العداله کمالا للقوه العملیه.

(بطریق آخر)

قیل:إن النفس لما کانت ذات قوی أربع العاقله و العامله و الشهویه و الغضبیه،فإن کانت حرکاتها علی وجه الاعتدال،و کانت الثلاث الأخیره مطیعه للأولی،و اقتصرت من الأفعال علی ما تعین لها،حصلت أولا-فضائل ثلاث هی الحکمه و العفه و الشجاعه،ثم یحصل من حصولها المترتب علی تسالم القوی الأربع،و انقهار الثلاث تحت الأولی حاله متشابهه هی کمال القوی الأربع و تمامها،و هی العداله.و علی هذا لا تکون العداله کمالا للقوه العملیه فقط،بل تکون کمالا للقوی بأسرها:

و علی الطریقین تکون أجناس الفضائل أربعا:«الحکمه»و هی معرفه حقائق الموجودات علی ما هی علیه،و الموجودات إن لم یکن وجودها بقدرتنا و اختیارنا فالعلم المتعلق بها هو الحکمه النظریه،و إن کان وجودها بقدرتنا و اختیارنا فالعلم المتعلق بها هو الحکمه العملیه.«و العفه»هی انقیاد القوه الشهویه للعاقله فیما تأمرها به و تنهاها عنه حتی تکتسب الحریه،و تتخلص عن أسر عبودیه الهوی.« و الشجاعه»و هی إطاعه القوه الغضبیه للعاقله فی الأقدام علی الأمور الهائله،و عدم اضطرابها بالخوض فیما یقتضیه رأیها حتی یکون فعلها ممدوحا،و صبرها محمودا.و تفسیر هذه الفضائل الثلاث

لا يتفاوت بالنظر إلى الطريقين.

و أما«العداله»فتفسيرها على الطريق الأول هو انقياد العقل العملى للقوه العاقله و تبعيته لها فى جميع تصرفاته،أو ضبطه الغضب و الشهوه تحت إشاره العقل و الشرع الذى يحكم العقل أيضا بوجوب اطاعته،أو سياسه قوتى الغضب و الشهوه،و حملها على مقتضى الحكمه،و ضبطهما فى الاسترسال و الانقباض على حسب مقتضاه.و إلى هذا يرجع تعريف الغزالى«إنها حاله للنفس و قوه بها يسوس الغضب و الشهوه،و يحملهما على مقتضى الحكمه، و يضبطهما فى الاسترسال و الانقباض على حسب مقتضاها»إذ المراد من الحاله و القوه هنا قوه الاستعلاء التى للعقل العملى لا نفس القوه العمليه.

و تفسيرها على الطريق الثانى هو ائتلاف جميع القوى،و اتفاقها على امتثالها للعاقله،بحيث يرتفع التخالف و التجاذب،و تحصل لكل منها فضيلته المختصه به.و لا ريب فى أن اتفاق جميع القوى و ائتلافها هو كمال لجميعها لا للقوه العمليه فقط.

اللهم إلا أن يقال إن الائتلاف إنما يتحقق باستعمال كل من القوى على الوجه اللائق،و استعمال كل قوه و لو كانت قوه نظريه إنما يكون من القوه العمليه،لأن شأنها تصريف القوى فى المحال اللائقه على وجه الاعتدال،و بدونها لا يتحقق صدور فعل عن قوه.

ثم العداله على الطريق الأول تكون أمرا بسيطا مستلزمه للملكات الثلاث أعنى الحكمه و العفه و الشجاعه،و على الثانى تحتمل البساطه و التركيب على الظاهر،و إن كانت البساطه أقرب نظرا إلى أن الاعتدال الخلقى بمنزله الاعتدال المزاجى الحاصل من ازدواج العناصر المتخالفه،و قد برهن فى

ص :٨۶

أصول الحكمه أن المزاج كيفيه بسيطه.

و تفصيل الكلام فى المقام أنه إذا حصلت الملكات الثلاث حصل للعقل العملى قوه الاستعلاء و التدبير على جميع القوى،بحيث كانت الجميع منقاده له،و استعمل كلا منها على ما يقتضيه رأيه،فإن جعلت العداله عباره عن نفس هذه القوه،أو نفس تدبير التصرف فى البدن و أمور المنزل و البلد، دون الملكات الثلاث كانت العداله بسيطه و كانت كمالا للعقل العملى فقط، و إن جعلت نفس الملكات كانت مركبه،و حينئذ لا يناسب جعلها فضيله على حده معدوده فى إعداد الفضائل،لأن جميع الأقسام لا يكون قسما منها، و ليس الائتلاف و الامتزاج هيئه وحدانيه عارضه للملكات الثلاث حتى تكون شيئا على حده و نوعا مركبا.

ثم على الطريقين يتحقق التلازم بين العداله و الملكات الثلاث إلا أنه على الطريق الأول تكون العداله عله،و الملكات الثلاث معلوله،و على الطريق الثانى ينعكس ذلك لتوقف حصول العداله على وجود تلك الملكات و امتزاجها فهى أجزاء للعداله او بمنزلتها.

تكمله (العداله انقياد العقل العملى للعقل النظرى)

الحق أن حقيقه العداله هو التفسير الأول المذكور فى الطريق الأول، أعنى انقياد العقل العملى للقوه العاقله،و سائر التفاسير المذكوره فى الطريقين لازمه له،إذا الانقياد المذكور يلزمه اتفاق القوى و قوه الاستعلاء و السياسه للعقل العملى على قوتى الغضب و الشهوه،أو نفس سياسته إياهما و ضبطهما تحت إشاره العقل النظرى،و أمثال ذلك،و على هذه التفاسير اللازمه

للأول يلزم أن تكون العداله جامعه لجميع الفضائل،و يتحقق معناها فی کل فضيله حتی تکون فردا لها.

و تحقيق المقام أن انقياد العقل العملی للعاقله يستلزم ضبط قوتی الغضب و الشهوه تحت إشاره العقل،و سياسته إياهما،و استعلائه عليهما.و هذا يستلزم اتفاق جميع القوی و امتزاجها.فجميع الفضائل الصادره عن قوتی الغضب و الشهوه،بل عن العاقله أيضا إنما تکون بتوسط العقل العملی و ضبطه إياها،إلا أن ذلک لا يوجب کونها کمالا له حتی يعد من فضائله، و وجهه ظاهر،و لا کون الضبط المذکور عداله.

فالحق أن حقيقه العداله هو مجرد انقياد العامله للعاقله،و مثل الضبط و الاستعلاء و السياسه من لوازمه،و الفضائل الصادره عن القوی الأخری بتوسط العقل العملی إنما تندرج تحت لازم العداله،لا عينها،فمن أدرج جميع الفضائل تحت العداله نظره إلی اعتبار ما يلزمها،و من لم يدرجه تحتها نظره إلی عدم اعتباره.و علی هذا لا بأس بأن يقال إن للعداله إطلاقين (أحدهما)العداله بالمعنی الأخص(و ثانيهما)العداله بالمعنی الأعم.

ثم إن القوم ذکروا لکل واحد من الفضائل الأربع أنواعا،فکما أدرجوا تحت کل من الحکمه و العفه و الشجاعه أنواعا،فکذا أدرجوا تحت العداله أيضا أنواعا کالوفاء و الصداقه و العباده و غيرها.

و أنت-بعد ما علمت أن العداله بالتفسير الأول هو انقياد العامله للعاقله فی استعمال نفس العاقله و قوتی الغضب و الشهوه-تعلم أن الفضائل بأسرها إنما تحصل باستعمال العامله القوی الثلاث،فکل فضيله إنما تتعلق حقيقتها بإحدی الثلاث،و إن کان حصولها بتوسط العامله و ضبطها الثلاث،إذ کون الاستعمال و الضبط منها لا يقتضی استناد ما يحصل من

الفضائل باستعمالها إليها مع صدورها حقيقه عن سائر القوى.و كذا لا يقتضى استناد ما يحصل من الرذائل لعدم انقيادها للعاقله إليها.و معلوم أنه لا يترتب على مجرد انقيادها أو عدمه لها فضائل و رذائل لم يكن لها تعلق بالثلاث أصلا،إذ كل فضيله و رذيله إما متعلق بالقوه العقليه،أو بقوتى الغضب و الشهوه بتوسط العامله،و ليس لها فى نفسها فضيله و رذيله على حده كما لا يخفى.مع أنه لو كان الاستعمال و الضبط منشأ لاستناد ما يحصل من الفضائل إليها لزم أن تستند إليها جميع الفضائل،فكان اللازم إدخال جميع الفضائل تحت العداله.و كذا الحال على تفسير العداله بالطريق الثانى كما ظهر.

و على هذا فيلزم من عدهم بعض الفضائل من أنواع العداله دون بعض آخر تخصيص بلا مخصص،فالفضائل التى جعلوها أنواعا مندرجه تحت العداله بعضها من أنواع الشجاعه أو لوازمها،و بعضها من أنواع العفه أو آثارها،و إن كان للعامله من حيث التوسط مدخليه فى حصول الجميع.

فنحن لا نتابع القوم،و نجرى على مقتضى النظر من جعل أنواع الفضائل و الرذائل و أصنافها و نتائجها متعلقه بالقوى الثلاث دون العقل العملى، و إدخال جميعها تحت أجناسها على ما ينبغى من دون إدخال شىء منها تحت العداله و ضدها.

ثم إن الرذائل و الفضائل مع مدخليه القوه العمليه فيها بالاستعمال، إما متعلقه بمجرد إحدى القوى الثلاث،أو باثنتين منها،أو بالثلاث.

و مثال المتعلق بإحداها ظاهر كالجهل و العلم المتعلقين بالعاقله،و الغضب و الحلم المتعلقين بالقوه الغضبيه،و الحرص و القناعه المتعلقين بالقوه الشهويه و أما ما يتعلق باثنتين منها أو الثلاث فإما أن يكون له أصناف يتعلق بعضها

ببعض و بعضها ببعض آخر،كحب الجاه أعنى طلب المنزله فى القلوب:فإنه إن كان المقصود منه الاستيلاء على الخلق و التفوق عليهم،كان من رذائل قوه الغضب.و إن كان المقصود منه طلب المال ليتوسل به إلى شهوه البطن و الفرج،كان من رذائل قوه الشهوه،و كذا الحسد أعنى تمنى زوال النعمه عن الغير:إن كان باعثه العداوه كان من رذائل القوه الغضبيه.و إن كان باعثه مجرد وصول النعمه إليه كان من رذائل القوه الشهويه.أو يكون للثلاث أو الاثنتين مدخليه بالاشتراك فى نوع الفضيله و الرذيله أو بعض أصنافه،كالحسد الذى باعثه العداوه و توقع وصول النعمه إليه معا، و كالغرور و هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى،و تمييل النفس إليه بخدعه من الشيطان، فإن النفس إن كانت مائله بالطبع إلى شىء من مقتضيات الشهوه،و اعتقدت جهلا كونه خيرا لها كان ذلك من رذائل قوتى العاقله و الشهوه،و كان كانت مائله إلى شىء من مقتضيات قوه الغضب.و اعتقدت جهلا كونه خيرا لها كان ذلك من رذائل قوتى العاقله و الغضب،و إن كانت مائله إلى شىء من مقتضياتهما معا مع اعتقادها كونه خيرا لها كان من رذائل الثلاث معا.

ثم مرادنا من تعلق صفه بالقوى المتعدده و كونها معدوده من رذائلها أو فضائلها أن يكون لكل منها تأثير فى حدوثها و إيجادها،أى يكون من جمله عللها الفاعله الموجده،بحيث لو قطع النظر عن فعل واحده منها لم تتحقق هذه الصفه،فإن الغرور يتحقق بالميل و الاعتقاد،بمعنى أن كلا منهما مؤثر فى إيجاده و إحداثه،و لو لم يكن الاعتقاد المتعلق بالعاقله و الميل المتعلق بالشهوه و الغضب لم يوجد غرور.فلو كانت مدخليه قوه فى صفه بمجرد

الباعثیه،أی کانت باعثه لقوه أخری علی إیجاد هذه الصفه و إحداثها، بحیث أمکن تحقق هذه الصفه مع قطع النظر عن هذه القوه بباعث آخر لم یکن متعلقه بها،و لم نعدها من رذائلها أو فضائلها،بل کانت متعلقه بالقوه الأخری التی هی مباشره لإحداثها و إیجادها،مثل الغضب الحاصل من فقد شیء من مقتضیات شهوه البطن و الفرج،و إن کان باعثه قوه الشهوه إلا أنه لیس لقوه الشهوه و فعلها شرکه فی إحداثه و إیجاده،بل الإحداث إنما هو من القوه الغضبیه،و مدخلیه الشهویه إنما هو بتحریکها و تهییجها الغضبیه للإحداث و الإیجاد،و لا ریب فی أن للعاقله هذه الباعثیه فی صدور أکثر الصفات مع عدم عدها من رذائلها«أو فضائلها» (۱) و إذا عرفت ذلک فاعلم أنا نذکر أولا ما یتعلق بالعاقله من الرذائل و الفضائل،ثم ما یتعلق بالقوه الغضبیه منهما،ثم ما یتعلق بالشهویه منهما ثم ما یتعلق بهما أو الثلاث.

وصل العقل النظری هو المدرک للفضائل و الرذائل

اعلم أن کل واحد من العقل العملی و العقل النظری رئیس مطلق من وجه،أما«الأول»فمن حیث إن استعمال جمیع القوی حتی العاقله علی النحو الأصلح موکول إلیه،و أما«الثانی»فمن حیث إن السعاده القصوی و غایه الغایات أعنی التحلی بحقائق الموجودات مستنده إلیه،و أیضا إدراک ما هو الخیر و الصلاح من شأنه فهو المرشد و الدلیل للعقل العملی فی تصرفاته

۱- ۱) لم توجد فی نسختنا الخطیه لکنها موجوده فی نسخه خطیه أخری و فی المطبوعه.

و قيل:إن إدراک فضائل الأعمال و رذائلها من شأن العقل العملی،کما صرح به الشيخ فی الشفاء بقوله:«إن کمال العقل العملی استنباط الآراء الکليه فی الفضائل و الرذائل من الأعمال علی وجه الابتناء علی المشهورات المطابقه فی الواقع للبرهان،و تحقيق ذلک البرهان متعلق بکمال القوه النظريه».

و الحق أن مطلق الإدراک و الإرشاد إنما هو من العقل النظری فهو بمنزله المشير الناصح،و العقل العملی بمنزله المنفذ الممضی لإشاراته و ما ينفذ فيه الإشاره فهو قوه الغضب و الشهوه.

ص :۹۲

دفع الإشكال فی تقسیم الحکمه

إن قیل:إن القوم قسموا الحکمه أولا إلی النظریه و العملیه،ثم قسموا العملیه إلی ثلاثه أقسام:واحد منها علم الأخلاق المشتمل علی الفضائل الأربع التی إحداها الحکمه،فیلزم أن تکون الحکمه قسما من نفسها.

قلنا:الحکمه التی هی المقسم هو العلم بأعیان الموجودات،سواء کانت الموجودات إلهیه أی واقعه بقدره الباری سبحانه،أو موجودات إنسانیه أی واقعه بقدرتنا و اختیارنا،و لما کان هذا العلم أعنی الحکمه التی هی المقسم قسما من الموجودات بالمعنی الثانی،فلا بأس بالبحث عنه فی علم الأخلاق، فإن غایه ما یلزم أن تکون الحکمه موضوعا لمسأله هی جزؤها بأن یجعل عنوانا فیها و یحمل علیها کونها ملکه محموده،أو طریق اکتسابها کذا.

و بالجمله لا مانع من أن یجعل علم یبحث فیه عن أحوال الموجودات موضوعا لمسأله،و یبحث عنه فیه بإثبات صفه له لأجل أنه أیضا الموجودات کما أنه فی العلم الأعلی الذی یبحث فیه عن الموجودات من حیث وجودها یبحث عن نفس العلم لکونه من الموجودات،و یجعل موضوعا لمسأله من مسائله،و لا یلزم من هذا کون الشیء جزءا لنفسه.و أیضا نقول کما أن الحکمه العملیه قسم من مطلق الحکمه لتعلق العمل بالنظر،فکذا المطلق قسم منها لتعلق النظر بالعمل،و حینئذ کما أن العداله من الحکمه باعتبار فکذا الحکمه من العداله باعتبار آخر،فتختلف الحیثیه و لا یلزم محذور.

و قیل:فی الجواب إن المراد من الحکمه التی هی إحدی الفضائل الأربع

استعمال العقل على الوجه الأصلح،و حينئذ فلا يرد اشكال أصلا لعدم كون الحكمه بهذا المعنى عين المقسم لأنها جزء له.و فيه أن الحكمه بهذا المعنى هى العداله على ما تقرر،مع أن العداله أيضا إحدى الفضائل الأربع (تنبيه)قد صرح علماء الأخلاق بأن صاحب الفضائل الأربع لا يستحق المدح ما لم تتعد فضائلها إلى الغير،و لذا لا يسمى صاحب ملكه السخاء بدون البذل سخيا بل منافقا،و لا صاحب ملكه الشجاعه بدون ظهور آثارها شجاعا بل غيورا،و لا صاحب ملكه الحكمه بدونها حكيما بل مستبصرا.

و الظاهر أن المراد باستحقاق المدح هو حكم العقل بوجوب المدح، فإن من تعدى أثره يرجى نفعه،و يخاف ضره،فيحكم العقل بلزوم مدحه جلبا للنفع،أو دفعا للضرر،و أما من لا يرجى خيره و شره فلا يحكم العقل بوجوب مدحه و ان بلغ فى الكمال ما بلغ.

فصل تحقيق الوسط و الأطراف

لا- ريب فى أنه بإزاء كل فضيله رذيله هى ضدها،و لما عرفت أن أجناس الفضائل أربعه فأجناس الرذائل أيضا فى بادى النظر أربعه:

الجهل،و هو ضد الحكمه،و الجبن،و هو ضد الشجاعه،و الشره و هو ضد العفه،و الجور،و هو ضد العداله. و عند التحقيق يظهر أن لكل فضيله حدا معينا،و التجاوز عنه بالإفراط أو التفريط يؤدى إلى الرذيله،فالفضائل بمنزله الأوساط،و الرذائل بمثابه الأطراف،و الوسط واحد معين لا يقبل

التعـدد،و الأـطراف غير متنـاهيه عددا.فالفضـيله بمثـابه مركز الـدائره، و الرذائـل بمثـابه سـائر النقـاط المفروضـه مـن المركز إلى المحيط،فإن المركز نقطه معينه،مع كونه أبعـد النقاط من المحيط،و سائر النقاط المفروضه من جوانبه غير متناهيه،مع أن كلا منها أقرب منه من طرف إليه.

فعلى هـذا يكون بإزاء كل فضـيله رذائل غير متناهيه،لأن الوسط محدود معين،و الأطراف غير محدوده،و تكون الفضـيله فى غايه البعد عن الرذيله التى هى نهايه الرذائل،و يكون كل منها أقرب منها إلى النهايه (۱)،و مجرد الانحراف عن الفضيله من أى طرف اتفق يوجب الوقوع فى رذيله.

و الثبات على الفضـيله و الاسـتقامه فى سلوک طريقها بمنزله الحركه على الخط المستقيم،و ارتكاب الرذيله كالانحراف عنه،و لا ريب فى أن الخط المسـتقيم هو أقصـر الخطوط الواصله بين النقطتين،و هو لا يكون إلا واحدا،و أما الخطوط المنحنيه بينهما فغير متنـاهيه،فالاسـتقامه فى طريق الفضـيله و ملازمتها على نهـج واحـد،و الانحراف عنه تكون له مناهـج غير متناهيه،و لـذلک غلبت دواعى الشر على بواعث الخير.

و يظهر مما ذكر أن وجدان الوسط الحقيقى صعب،و الثبات عليه بعد الوجدان أصعب،لأن الاستقامه على جاده الاعتدال فى غايه الإشـكال، و هـذا معنى قول الحكماء«إصابه نقطه الهـدف أعسـر من العدول عنها، و لزوم الصوب (۲)بعـد ذلک حتى لا يخطيها أسر»و لذلک لما أمر فخر

۱- ۱) أى أن كلا من الرذائل أقرب من الفضيله إلى النهايه.

۲- ۲) الصواب:يقال فلان مستقيم الصوب إذا لم يزغ عن قصده يمينا و شمالا.

الرسل بالاستقامه فی قوله تعالی:

فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ

(۱)

قال شیبتنی سوره هود علیه السلام، إذ وجد أن الوسط الحقیقی فیما بین الأطراف الغیر المتناهیه المتقابله مشکل،و الثبات علیه بعد الوجدان أشکل.

و قال(المحقق الطوسی)و جماعه:«إن ما ورد فی إشارات النوامیس من أن الصراط المستقیم أدق من الشعر،و أحد من السیف إشاره إلی هذا المعنی»و غیر خفی بأن هذا التأویل جرأه علی الشریعه القویمه،و هتک لأستار السنه الکریمه،و الواجب الإذعان بظاهر ما ورد من أمور الآخره نعم یمکن أن یقال کما مر: إن الأمور الأخرویه التی حصل بها الوعد و الوعید کلها أمور محققه ثابته علی ما أخبر به،إلا أنها صور للأخلاق، و الصفات المکتسبه فی هذه النشأه قد ظهرت بتلک الصور فی دار العقبی بحسب المرتبه،إذ ظهورات الأشیاء مختلفه بحسب اختلاف المراتب و النشآت فمواد ما یؤذی و یریح من الصور فی موطن المعاد انما هو الأخلاق و النیات المکتسبه فی هذه النشأه.و هذا المذهب بما استقر علیه آراء أساطین الحکمه و العرفان،و ذکرنا الظواهر الداله علیه من الآیات و الأخبار،و أشرنا إلی حقیقه الحال فیه.و علی هذا فالصراط المستقیم الممدود کالجسر علی الجحیم صوره لتوسط الأخلاق،و الجحیم صوره لأطرافها،فمن ثبت قدمه علی الوسط هنا لم یزل عن الصراط هناک و وصل إلی الجنه التی وعدها اللّه المتقین،و من مال إلی الأطراف هنا سقط هناک فی جهنم التی أحاطت بالکافرین.

۱- ۱) هود الآیه:۱۱۲.

ثم الوسط إما حقيقى و هو ما تكون نسبته إلى الطرفين على السواء كالأربعه بالنسبه إلى الاثنين و السته،و هذا كالمعتدل الحقيقى الذى أنكر الأطباء وجوده،أو إضافى و هو أقرب ما يمكن تحققه للنوع أو الشخص إلى الحقيقى و يتحقق به كمالهما«اللائق بحالهما» (۱)و إن لم يصل إليه، فالتسميه بالوسط إنما هو بالنسبه إلى الأطراف التى هى أبعد من الحقيقى بالإضافه إليه،و هذا كالاعتدالات النوعيه و الشخصيه التى أثبتها الأطباء، فإن المراد منها الاعتدالات التى يمكن تحققها للأنواع و الأشخاص،و هو القدر الذى يليق بكل نوع أو شخص أن يكون عليه،و إن لم يكن اعتدالا حقيقيا بمعنى تساوى الأجزاء البسيطه العنصريه و تكافؤها فى القوه و الأقربيه إلى الحقيقى بالنسبه إلى سائر الأطراف سمى إضافيا.

ثم الوسط المعتبر هنا هو الإضافى لتعذر وجدان الحقيقى و الثبات عليه، و لذا تختلف الفضيله بالاختلاف الأشخاص و الأحوال و الأزمان،فربما كانت مرتبه من الوسط الإضافى فضيله بالنظر إلى شخص او حال أو وقت،و رذيله بالنسبه إلى غيره.

و توضيح الكلام أنه لا ريب فى أن الوسط الحقيقى فى الأخلاق لكونه فى حكم نقطه غير منقسمه لا يمكن وجدانه و لا الثبات عليه،و لذا ترى من هو متصف بفضيله من الفضائل لا يمكن الحكم بكون تلك الفضيله«هى الوسط الحقيقى،إلا أنه لما كانت تلك الفضيله» (۲)قريبه إليه و لا يمكن

۱- ۱) غير موجوده فى نسختنا الخطيه لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

۲- ۲) هذه العباره بتمامها لم توجد فى نسختنا الخطيه.

وجود الأقرب منها إليه له،يحكم بكونها وسطا إضافيا لأقربيتها إليه بالنسبه إلى سائر المراتب فالاعتدال الإضافى له عرض،وسطه الاعتدال الحقيقى،و طرفاه طرفا الإفراط و التفريط،إلا أنه ما لم يخرج عن هذين الطرفين يكون اعتدالا إضافيا،و كلما كان أقرب إلى الحقيقى كان أكمل و أقوى،و إذا خرج عنهما دخل فى الرذيله.

لا يقال:على هذا ينبغى أن يكون الاعتدال الطبى فى المزاج أيضا كذلك أى له عرض وسطه الاعتدال الحقيقى و طرفاه خارجان عن الاعتدال الطبى حتى أنه كلما قرب إلى الحقيقى صار الطبى أقوى و أكمل مع أنه ليس الأمر كذلك،إذ القياس يقتضى الخروج عن الاعتدال الطبى،أو ضعفه لقربه إلى الحقيقى.

«بيان ذلك»أن الاعتدال الحقيقى فى المزاج أن تكون أجزاء العناصر متكافئه القوه،و الاعتدال الطبى فى نوع الإنسان أو شخص من أشخاصه أن تكون الأجزاء الحاره مثلا-من عشره إلى اثنى عشره،و البارده من ثمانيه إلى تسعه،و اليابسه من سبعه إلى ثمانيه،و الرطبه من سته إلى سبعه،فإذا كانت الأجزاء الحاره سته،و البارده خمسه،و اليابسه أربعه،و الرطبه ثلاثه كانت خارجه عن الاعتدال الطبى،مع صيرورته أقرب إلى الحقيقى، بل إذا فرضت تكافؤ أجزاء العناصر الأربعه حتى حصل نفس الاعتدال الحقيقى خرجت أيضا عنه،فلا يكون الحقيقى وسط الطبى حتى أنه كلما يصير إليه أقرب يكون أقوى و أكمل.

لأنا نقول نحن لا-ندعى:أن الحقيقى وسط الطبى بل هو أمر مغاير له، و الحقيقى فى طرفه الخارج،فإن له طرفين:«أحدهما»أن تصير الأجزاء

أقرب فی التساوی مما كان للطبی إلی أن یبلغ إلی الحقیقی،«و الثانی»أن یصیر أبعد فیه مما كان له إلی غیر النهایه،إلا أن بعض مراتب الطرفین التی منها الاعتدال الحقیقی غیر ممكن الوقوع فتأمل.

فإن قیل:إن الوسط المعتبر هنا إن كان إضافیا،لكان له عرض كعرض المزاج،فلا یناسب وصفه بالحده و الدقه،قلنا.كما فی عرض المزاج مرتبه هی أفضل المراتب و أقربها إلی الاعتدال الحقیقی،كذلك فی عرض الوسط للملكات مرتبه هی أفضل المراتب و أقربها إلی الحقیقی،و هی المطلوبه بالذات و لا ریب فی أن خصوص هذه لیس لها عرض واسعه،فلا بأس بوصفها بالدقه و الحده،و أما سائر المراتب المعدوده من الوسط و إن لم تكن خالیه عن شوائب الإفراط و التفریط،إلا أنه لما كان لها قرب محدود إلی المرتبه المطلوبه بحیث یصدق معه كون النوع أو الشخص باقیا علی كماله اللائق به عدت من الأوساط و الفضائل:كما أن غیر الأقرب إلی الاعتدال الحقیقی من مراتب عرض المزاج یعد من الاعتدال:لكون النوع أو الشخص معه باقیا محفوظا بحیث لا یظهر خلل بین فی أفعاله و إن لم یخل عن الانحراف،و لو وصف هذه المراتب أیضا بالحده و الدقه مع سعتها فوجهه أن وجدانها و الثبات علیها لا یخلو أیضا من صعوبه.

فصل (أجناس الرذائل و أنواعها)

اشاره

قد ظهر مما ذكر أنه بإزاء كل فضیله رذائل غیر متناهیه من طرفی الإفراط و التفریط،و لیس لكل منها اسم معین و لا یمكن عد الجمیع و لیس علی صاحب الصناعه حصر مثلها،لأن وظیفته بیان الأصول و القوانین الكلیه

لا إحصاء الأعداد الجزئيه.

و القانون اللازم بيانه هو أن الانحراف عن الوسط إما إلى طرف الإفراط أو إلى طرف التفريط، فيكون بإزاء كل فضيله جنسان من الرذيله و لما كانت أجناس الفضائل أربعه فتكون أجناس الرذائل ثمانيه(اثنان) بإزاء الحكمه«الجربزه و البله»،و(الأول)فى طرف الإفراط و هو استعمال الفكر فى ما لا ينبغى أو فى الزائد عما ينبغى و(الثانى)فى طرف التفريط و هو تعطيل القوه الفكريه و عدم استعمالها فى ما ينبغى أو فى أقل منه،و الأولى أن يعبر عنهما(بالسفسطه)اى الحكمه المموهه،و(الجهل)اى البسيط منه،لأن حقيقه الحكمه هو العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليه و هو موقوف على اعتدال القوه العاقله،فإذا حصلت له حده خارجه عن الاعتدال يخرج عن الحد اللائق و يستخرج أمورا دقيقه غير مطابقه للواقع،و العلم بهذه الأمور هو ضد الحكمه من طرف الإفراط و إذا حصلت لها بلاده لا ينتقل إلى شىء فلا يحصل لها العلم بالحقائق و هذا هو الجهل و هو ضده من طرف التفريط (و اثنان)بإزاء الشجاعه«التهور و الجبن»:(الأول)فى طرف الإفراط و هو الإقدام على ما ينبغى الحذر عنه،و(الثانى)فى طرف التفريط و هو الحذر عما ينبغى الإقدام عليه. (و اثنان) بإزاء العفه و هما:«الشره و الخمود»و(الأول)فى طرف الإفراط و هو الانهماك فى اللذات الشهويه على ما لا يحسن شرعا و عقلا،(و الثانى)فى طرف سكون النفس عن طلب ما هو ضرورى للبدن و(اثنان)بإزاء العداله و هما:«الظلم و الانظلام»:

و(الأول)فى طرف الإفراط و هو التصرف فى حقوق الناس و أموالهم بدون حق،(الثانى)فى طرف تفريط و هو تمكين الظالم من الظلم عليه و انقياده له فيما يريده من الجبر و التعدى على سبيل المذله،هكذا قيل.

و الحق أن العداله مع ملاحظه ما لا ينفك عنها من لازمها،لها طرف واحد يسمى جورا و ظلما،و هو يشمل جميع ذمائم الصفات،و لا يختص بالتصرف فى حقوق

الناس و أموالهم بدون جهه شرعيه،لأن العداله بهذا المعنى-كما عرفت- عباره عن ضبط العقل العملى جميع القوى تحت إشاره العقل النظرى، فهو جامع للكمالات بأسرها،فالظلم الذى هو مقابله جامع للنقائص بأسرها،إذ حقيقه الظلم وضع الشىء فى غير موضعه،و هو يتناول جميع ذمائم الصفات و الأفعال فتمكين الظالم من ظلمه لما كان صفه ذميمه يكون ظلما،على أن من مكن الظالم من الظلم عليه و انقاد له ذله،فقد ظلم نفسه و الظلم على النفس أيضا من أقسام الظلم.هذا هو بيان الطرفين لكل من الأجناس الأربعه للفضيله.

ثم لكل واحد من أجناس الرذائل و الفضائل أنواع و لوازم من الأخلاق و الأفعال ذكرها علماء الأخلاق فى كتبهم،و قد ذكروا للعداله أيضا أنواعا و قد عرفت فيما تقدم أن تخصيص بعض الصفات بالاندراج تحتها مما لا وجه له،إذ جميع الرذائل و الفضائل لا- يخرج عن التعلق بالقوى الثلاث، أعنى العاقله و الغضبيه و الشهويه،و إن كان للقوه العمليه مدخليه فى الجميع من حيث التوسط،فنحن ندخل الجميع تحت أجناس القوى الثلاث من غير اندراج شىء منها تحت العداله،و قد عرفت أن بعضها متعلق بالعاقله فقط،و بعضها بالقوه الغضبيه فقط،و بعضها بالشهويه فقط،و بعضها بالاثنين منها أو الثلاث معا،فنحن نذكر ذلك فى مقامات أربعه.

و لمزيد الإحاطه نشير هنا إجمالا- إلى أسماء الأجناس و الأنواع و اللوازم التى لكل جنس،و نذكر أولا ما يتعلق بالعاقله،ثم ما يتعلق بالغضبيه،ثم ما يتعلق بالشهويه،ثم ما يتعلق بالثلاث أو الاثنتين منها،و نذكر أولا الرذيله،ثم نشير إلى ضدها من الفضيله إن كان له اسم،ثم فى باب المعالجات نذكر معالجه كل رذيله من الأجناس و الأنواع و النتائج و نذيلها بذكر ضدها

من الفضيله،و نذكر أولا جنسى الرذيله لكل قوه،و نذيلهما بضدهما الذى هو جنس فضيلتها، ثم نذكر الأنواع و النتائج على النحو المذكور،أى نذكر أولا الرذيله بأحكامها«و معالجاتها» (۱)،ثم نشير إلى ضدها،و ما ورد فى مدحه ترغيبا للطالبين على أخذه و الاجتناب عن ضده،و لذلك لم نتابع القوم فى التفريق بين الرذائل و الفضائل و ذكر كل منهما على حده.

ثم بيان الأنواع و اللوازم على ما ذكر أكثره القوم لا يخلو عن الاختلال إما فى التعريف و التفسير،أو فى الفرق و التمييز،أو فى الإدخال تحت ما جعلوه نوعا له،أو غير ذلك من وجوه الاختلال،فنحن لا نتبعهم فى ذلك و نبينها إدخالا و تمييزا و تعريفا ما يقتضيه النظر الصحيح، فنقول:

أما جنسا الرذيله للقوه العقليه،«فأولهما»(الجربزه و السفسطه)و هى من طرف الإفراط،و«ثانيهما»(الجهل البسيط)و هو من طرف التفريط و ضدهما(العلم و الحكمه)،و أما الأنواع و اللوازم المترتبه عليهما،فمنها (الجهل المركب)و هو من باب رداءه الكيفيه.و منها(الحيره و الشك)و هو من طرف الإفراط على ما قيل،و ضد الجهل المركب إدراك ما هو الحق أو زوال العلم بأنه يعلم،و ضد الحيره الجزم بأحد الطرفين.و بذلك يظهر أن اليقين ضد لكل منهما،لأنه اعتقاد جازم مطابق للواقع،فمن حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضدا للحيره،و من حيث اعتبار المطابقه للواقع يكون ضدا للجهل المركب،و منشأ حصول اليقين هو استقامه الذهن و صفاؤه مع مراعاه شرائط الاستدلال،و منشأ الجهل المركب اعوجاج الذهن،أو حصول الخطأ فى الاستدلال،أو وجود مانع من إفاضه الحق كعصبيه،أو تقليد أو أمثال ذلك،و منشأ الحيره هو قصور الذهن و كدرته،أو الالتهاب الموجب للتجاوز

١- ١) هذه الكلمه موجوده فى نسختنا الخطيه فقط.

عن المطلوب،أو عدم الإحاطه بمقدماته،و منها(الشرك)و ضده التوحيد.

و منها«الوساوس»النفسانيه و الخواطر الباطله الشيطانيه،و هذا أيضا من باب رداءه الكيفيه،و كان الظاهر أن يعد ذلك من رذائل قوتى الوهم و المتخيله دون العاقله،إذ الغالب أنها لا تنفك عن الاختلال فيهما،إلا أنك قد عرفت العذر فى ذلك،و ضدها الخواطر المحموده التى من جملتها الفكر فى بدائع صنع اللّه سبحانه و عجائب مخلوقاته أو منها(استنباط المكر و الحيله)للموصول إلى مقتضيات الشهوه و الغضب،و هو من طرف الإفراط.

و أما جنسا الرذائل للقوه الغضبيه،فأولهما(التهور)و ثانيهما(الجبن) و قد عرفت أن ضدهما من الفضيله(الشجاعه). و أما الأنواع و اللوازم و النتائج المترتبه عليها،فمنها(الخوف)و هو هيئه نفسانيه مؤذيه تحدث من توقع مكروه أو زوال مرغوب،و هو مذموم إلا ما كان لأجل المعصيه و الخيانه،أو من اللّه و عظمته،و المذموم من رذائل تلك القوه و من نتائج الجبن و ضده الأمن و الطمأنينه،و الممدوح من فضائلها لكونه مقتضى العقل و ضده الأمن من مكر اللّه،و هو-أى الممدوح من الخوف-يلازم الرجاء و ضده اليأس. و منها(صغر النفس)أى ملكه العجز عن تحمل الواردات و هو من نتائج الجبن،و ضده كبر النفس أى ملكه التحمل لما يرد عليه كائنا ما كان.و من جمله التحمل التحمل على الخوض فى الأهوال،و قوه المقاومه مع الشدائد و الآلام و يسمى(بالثبات)فهو أخص من كبر النفس،و ضده الاضطراب فى الأهوال و الشدائد.و من جمله الثبات الثبات فى الإيمان، و منها (دناءه الهمه)و هو القصور عن طلب معالى الأمور و هو من لوازم ضعف النفس و صغرها،و ضده(علو الهمه)الذى هو من لوازم كبر النفس و شجاعتها،أى السعى فى تحصيل السعاده و الكمال و طلب الأمور العاليه

ص:١٠٣

من دون ملاحظه منافع الـدنيا و مضارها.و من أفراد علو الهمه الشـهامه، و يأتى تفسـيرها. و منها(عدم الغيره و الحميه)أى الإهمال فى محـافظه ما يلزم حفظه،و هو أيضا من نتائـج صـغر النفس و ضـعفها و ضـده ظاهر. و منها (العجله)و هو المعنى الراتب (١)فى القلب الباعث على الإقدام على الأمر بأول خاطر من دون توقف فيه،و هو أيضا من نتائج صغر النفس و ضعفها، و ضدها الإناءه و التـأنى،و(التعسـف)قريـب مـن العجله،و ضـده أعنى (التوقـف)قريب من الإنـاءه،و يـأتى الفرق بينهمـا،(و الوقـار)يتنـاول التـأنى و التوقف،و هو اطمئنان النفس و سـكونها عند الحركات و الأفعال فى الابتداء (و الأثناء)،و هو من لوازم كبر النفس و شـجاعتها. و منهـا(سوء الظن بـاللّه تعـالى و بـالمؤمنين)و هو من لوازم الجبن و ضـعف النفس،و ربما كان من باب رداءه الكيفيه،فضـده أعنى حسـن الظن بهمـا من آثـار الشـجاعه و كـبر النفس.و منهـا (الغضب)و هـو حركه نفسـانيه يـوجب حركه الروح من الـداخل إلى الخارج للغلبه و هو من باب الإفراط،و ضده الحلم. و منها(الانتقام)و هو من نتائج الغضب،و ضده العفو. و منها(العنف)و هو أيضا من نتائج الغضب، و ضده الرفق.و منها(سوء الخلق)بالمعنى الأخص و هو أيضا من نتائجه، و ضده(حسن الخلق)بالمعنى الأخص. و منهـا(الحقـد)و هـو العـداوه الكـامنه أى إراده الشـر و قصـد زوال الخير مـن المسـلم،و هـو أيضـا مـن ثمرات الغضـب و منها(العداوه)الظاهره،و ضدها(النصـيحه)أى إراده الخير و الصـلاح و دفع الشـر و الفساد عن كل مسلم.ثم للغضب و الحقد لوازم هى الضرب و الفحش و اللعن و الطعن. و منها(العجب)و هو استعظام النفس،و ضده

١- ١) الراتب،عيش راتب،أى دائم ثابت.

انکسارها و استحقارها (۱). و منها(الکبر)و هو التعظیم الموجب لرؤیه النفس فوق الغیر،و ضده(التواضع)و هو أن لا یری لنفسه مزیه علی الغیر و منها(الافتخار)و هو المباهاه بما یظنه کما لا و هو من شعب الکبر. و منها (البغی)و هو عدم الانقیاد لمن یجب أن ینقاد و هو أیضا من شعب الکبر و ضده(التسلیم)و الانقیاد لمن یجب الانقیاد إلیه و إطاعته و قد یفسر بمطلق العلو و الاستطاله (۲) و منها(تزکیه النفس)و ضده الاعتراف بنقائصها. و منها(العصبیه)و هی الحمایه عن نفسه و عما ینتسب إلیه بالباطل و الخروج عن الحق. و منها(کتمان الحق)و ضدهما الإنصاف و الاستقامه علی الحق. و منها(القساوه)و هو عدم التأثر عن مشاهده تألم أبناء النوع، و ضدها الرحمه.

و أما جنسا الرذائل المتعلقه بالقوه الشهویه فأحدهما(الشره)و ثانیهما (الخمود)و ضدهما(العفه)،و أما الأنواع و النتائج و اللوازم المتعلقه بها، فمنها(حب الدنیا).و منها(حب المال)و ضدهما الزهد.و منها(الغنی) و ضده الفقر.و منها(الحرص)و ضده القناعه.و منها(الطمع)و ضده الاستغناء عن الناس.و منها(البخل)و ضده السخاء،و تندرج تحته وجوه الإنفاقات بأسرها.و منها(طلب الحرام)و عدم الاجتناب عنه،و ضده الورع و التقوی بالمعنی الخاص.و منها(الغدر و الخیانه)و ضدهما الأمانه.

۱- ۱) من کلمه(منها)إلی قوله و(استحقارها)بتمام العباره لم توجد فی نسختنا الخطیه لکنها موجوده فی نسخه خطیه أخری.

۲- ۲) من کلمه(منها)إلی قوله و(الاستطاله)بتمام العباره لم توجد فی نسختنا الخطیه لکنها موجوده فی نسخه خطیه أخری.

و منها(أنواع الفجور)من الزنا و اللواط و شرب الخمر و الاشتغال بالملاهی و أمثالها.و منها(الخوض فی الباطل).و منها(التکلم بما لا یعنی و بالفضول) و ضدهما الترک و الصمت،أو بالتکلم بما یعنی بقدر الضروره.

و أما الرذائل و الفضائل المتعلقه بالقوی الثلاث،أو باثنتین منها فمنها(الحسد)و ضده النصیحه.و منها(الإیذاء و الإهانه و الاحتقار) و ضدها کف الأذی و الإکرام و التعظیم.و الإیذاء قریب من الظلم بالمعنی الأخص أو أعم منه،و ضد الظلم بالمعنی الأخص العداله بالمعنی الأخص.

و منها(إخافه المسلم و إدخال الکرب فی قلبه)و ضدهما إزاله الخوف و الکرب عنه.و منها(ترک إعانه المسلمین)و ضده قضاء حوائجهم.و منها (المداهنه)فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،و ضده السعی فیهما.و منها (الهجره و التباعد عن الإخوان)و ضده التآلف و التزاور.و منها(قطع الرحم)و ضده الصله.و منها(عقوق الوالدین)و ضده البر إلیهما.و منها (تجسس العیوب)و ضده الستر.و منها(إفشاء السر)و ضد الکتمان.

و منها(الإفساد بین الناس)و ضده الإصلاح بینهم.و منها(الشماته بمسلم) و منها(المراء و الجدال و الخصومه)و ضدهما طیب الکلام.و منها(السخریه و الاستهزاء)و ضدهما المزاح. و منها(الغیبه)و ضدها المدح و دفع الذم و منها(الکذب)و ضده الصدق،و لجمیع آفات اللسان مما له ضد خاص، و مما لیس له ضد بخصوصه ضد عام هو الصمت.و منها(حب الجاه و الشهره) و ضده حب الخمول.و منها(حب المدح و کراهه الذم)و ضده مساواتهما و منها(الریا)و ضده الإخلاص.و منها(النفاق)و ضده استواء السر و العلانیه.و منها(الغرور)و ضده الفطانه و العلم و الزهد.و منها(طول الأمل)و ضده قصره.و منها(مطلق العصیان)و ضده الورع و التقوی بالمعنی

الأـعم.و منها(الوقاحه)و ضـده الحياء.و منها(الإصـرار على المعصـيه)و ضـده التوبه،و أقصـى مراتبها الإنابه و المحاسـبه و المراقبه قريبه من التوبه فى ضـديتها للإصـرار.و منهـا(الغفله)و ضـدها النيه و الإراده.و منها(عـدم الرغبه)و ضـده الشوق.و منها(الكراهه)و ضـده الحب.و منهـا(الجفاء) و ضـده الوفاء و هو من تمام الحب.و منها(البعـد)و ضـده الإنس و من لوازمه حب الخلوه و العزله.و منهـا(السـخط)و ضـده الرضا،و قريب منه التسـليم و يسـمى تفويضا،بل هو فوق الرضا كما يأتى.و منها(الحزن)و ضـده السـرور.و منها(ضعف الوثوق و الأعتماد على اللّه)و ضده التوكل.و منها (الكفران)و ضده الشكر.و منها(الجزع و الهلع)و ضده الصبر.و منها (الفسق)و هو الخروج عن طاعه اللّه و عبادته،و ضده الطاعه و العباده.

و تنـدرج تحتها(العبادات الموظفه فى الشـرع) (1)من الطهـاره،و الصـلاه و الـذكر و تلاـوه القرآن،و الزكاه و الخمس و الصوم و الحج و الزيارات.و نحن نذكر الزكاه و الخمس فى وجوه الإنفاق،و ما سواهما فى العبادات.

(تنـبيه)اعلـم أن إحصـاء الفضائـل و الرذائـل و ضــبطهما،و إدخـال البعض فى البعض،و الإشـاره إلى القـوه المـوجبه لهـا على ما فصلناه،مما لم يتعرض له علماء الأخلاق،بل إنما تعرضوا لبعضها،و يظهر من كلامهم فى بعض المواضع المخالفه فى الإدخال.

و السر فيه أن كثيرا من الصـفات لهـا جهـات مختلفه كل منها يناسب قوه كما أشـرنا إليه،فالاختلاف فى الإدخال لأجل اختلاف الاعتبـار للجهـات «و قـد عرفت أن مـا له جهـات مختلفه يتعلق بـالقوى المتعـدده نحن نجعل مبـدأه الجميع و نعـده من رذائله أو فضائله،و لا نخصه بواحده منها».ثم بعض

١- ١) هذه العباره بتمامها غير موجوده فى نسختنا الخطيه.

الصفات ربما كان ببعض الاعتبارات محمودا معدودا من الفضائل،و ببعض الاعتبارات معدودا من الرذائل،و ذلك كالمحبه و الخوف و الرجاء،فإن الحب إن كان متعلقا بالدنيا و متعلقاتها كان مذموما معدودا من الرذائل، و إن كان متعلقا باللّه و أوليائه كان محمودا معدودا من الفضائل،و الخوف إن كان مما لا يخاف منه عقلا كان من رذائل قوه الغضب،و إن كان من المعاصى أو من عظمه اللّه كان من فضائلها،و الرجاء إن لم يكن فى موضعه كان من الرذائل و إن كان فى موقعه كان من الفضائل.و قس عليها غيرها مما له الاعتبارات المختلفه.

فصل الفرق بين الفضيله و الرذيله

قد دريت إجمالا- أن الفضائل المذكوره ملكات مخصوصه،لها آثار معلومه،و ربما صدر عن بعض الناس أفعال شبيهه بالفضائل،و ليست بها فلا بد من بيان الفرق بينهما لئلا يشتبه على الغافل فيضل و يضل،فنقول:

قد عرفت أن فضيله الحكمه عباره عن العلم بأعيان الموجودات على ما هى عليه،و هو لا- ينفك عن اليقين و الطمأنينه،فمجرد أخذ بعض المسائل و تقريرها على وجه لا-ئق من دون وثوق النفس و اطمئنانها ليست حكمه، و الآخذ بمثله ليس حكيما،إذ حقيقه الحكمه لا- تنفك عن الإذعان القطعى و اليقينى و هما مفقودان فيه،فمثله كمثل الأطفال فى التشبه بالرجال، أو بعض الحيوانات فى محاكاه ما للإنسان من الأقوال و الأفعال.

و أما فضيله العفه،فقد عرفت أنها عباره عن ملكه انقياد القوه الشهويه للعقل،حتى يكون تصرفها مقصورا على أمره و نهيه،فيقدم على ما فيه المصلحه و ينزجر عما يتضمن المفسده بتجويزه،و لا يخالفه فى أوامره و نواهيه،

و ينبغى أن يكون الباعث للاتصاف بتلك الملكه و صدور آثارها مجرد كونها فضيله و كمالا للنفس و حصول السعاده الحقيقيه بها،لا شـيء آخر من دفع ضـر،أو جلب نفع،أو اضـطرار و إلجاء،فالإعراض عن اللذات الدنيويه لتحصـيل الأزيد من جنسـها ليس عفه،كما هو شأن بعض تاركى الـدنيا للـدنيا و كـذا الحال فى تركها لخمود القوه و قصورها و ضـعف الآله و فتورها،أو لحصول النفره من كثره تعاطيها،او للحذر من حدوث الأمراض و الأسقام،أو اطلاع الناس و توبيخهم،أو لعدم دركـ تلك اللذات كما هو شأن بعض أهالى الجبال و البوادى...إلى غير ذلك.

و أمـا فضـيله الشـجاعه،فقـد عرفت أنهـا ملكه انقيـاد القـوه الغضـبيه للعقـل حـتى يكـون تصـرفها بحسب أمره و نهيه،و لا ـ يكون للاتصاف بها و صدور آثارها داع سوى كونها كمالا و فضـيله،فالإقدام على الأمور الهائله،و الخوض فى الحروب العظيمه،و عدم المبالاه من الضـرب و القطع و القتل لتحصـيل الجاه و المال،أو الظفر بامرأه ذات جمال،أو للحذر من السـلطان و مثله، أو للشهوه بين أبنـاء جنسه،ليست صـادره عن ملكه الشـجاعه،بـل منشأهـا إمـا رذيله الشـره أو الجبن،كما هو شأن عساكر الجائرين،و قاطعى الطرق و السـارقين،فمن كـان أكثر خوضا فى الأهوال،و أشـد جرأه على الأبطال للوصول إلى شـيء من تلك الأغراض،فهو أكثر جبنا و حرصا،لا أكثر شـجاعه و نجـده.و قس على ذلك الوقوع فى المهالك و الأهوال،تعصـبا عن الأقارب و الاتباع،و ربما كان باعثه تكرر ذلك منه مع حصول الغلبه، فاغتر بـذلك و لم يبال بالإقدام اتكالا على العاده الجاريه.و مثله مثل رجل ذى سـلاح لم يبال بالمحاربه مع طفل أعزل،فإن عدم الحذر عنه ليس لشجاعته،بل لعجز الطفل.و من هذا القبيل ما يصدر عن بعض الحيوانات

من الصوله و الإقدام،فإنه ليس صادرا من ملكه الشجاعه،بل عن طبيعه القوه و الغلبه.

و بالجمله:الشجاع الواقعى ما كانت أفعاله صادره عن إشاره العقل و لم يكن له باعث سوى كونها جميله حسنه،فربما كان الحذر عن بعض الأهوال من مقتضيات العقل فلا ينافى الشجاعه،و ربما لم يكن الخوض فى بعض الأخطار من موجباته فينافيها،و لذا قيل عدم الفزع مع شده الزلازل و تواتر الصواعق من علائم الجنون دون الشجاعه،و إيقاع النفس فى الهلكات بلا داع عقلى أو شرعى كتعرضه للسباع المؤذيه،أو إلقاء نفسه من المواضع، الشاهقه أو فى البحار و الشطوط الغامره من دون علم بالسباحه من أمارات القحه و الحماقه.

ثم الشجاع الحقيقى من كان حذره من العار و الفضيحه أكثر من خوفه من الموت و الهلاك،فمن لا يبالى بذهاب شرفه،و فضيحه أهله و حرمه، فهو من أهل الجنون و الحماقه،و لا يستحق اسم العقل و الشجاعه،كيف و الموت عند الشجاع مع بقاء الفضيله أحسن من الحياه بدونها،و لذا يختار الموت الجميل على الحياه القبيحه.على أن الشجاعه فى المبادئ ربما كانت موذيه،و إنما تظهر لذتها فى العاقبه(لا)سيما إذا حصلت بها الحمايه عن الدين و المله،و الذب عن العقائد الحقه،فإن الشجاع لحبه الجميل و ثباته على الرأى الصحيح إذا علم أن عمره فى معرض الزوال و الثور،و أثر الفعل الجميل يبقى على مر الدهور،يختار الجميل الباقى على الرذيل الفانى، فيحامى عن دينه و شريعته،و لا يبالى بما يحذر عنه غيره من أبناء طبيعته، لعلمه بأن الجبان المقصر فى حمايه الدين،و مقاومه جنود الشياطين إن بقى أياما معدوده،فمع تكدرها بالذل و الصغار تكون زائله،و لا ترضى نفسه

بالحرمان عن السعاده الباقيه،

و لـذا قال فخر الشـجعان و سـيد ولـد عدنان عليه صـلوات اللّه الملك الرحمن لأصـحابه: «أيها الناس إنكم إن لم تقتلوا تموتوا و الذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربه بالسيف على الرأس أهون من ميته على الفراش».

و بالجمله:كل فعل يصدر عن الشـجاع فى أى وقت يكون مقتضى للعقل مناسبا لهذا الوقت واقعا فى موقعه،و له قوه التحمل على المصائب،و ملكه الصبر على الشدائد و النوائب،و لا يضـطرب من شدائد الأمور،و يسـتخف بما يسـتعظمه الجمهور،و إذا غضـب كان غضبه بمقتضى العقل،و كان انتقامه مقصورا على ما يستحسن عقلا و شرعا،و لا يتعدى إلى ما لا ينبغى.و ليس مطلق الانتقام مذموما،فربما كان فى بعض المواضع مستحسنا عند العقل و الشرع،و قد صرح الحكماء بأن عدم الانتقام ممن يستحقه يحدث فى النفس ذبولا لا يرتفع إلا بالانتقام،و ربما أدى هذا الذبول إلى بعض الرذائل المهلكه.

و أما العـداله فقد عرفت أنها عباره عن انقياد القوه العمليه للعاقله، أو امتزاج القوى و تسالمها و انقهار الجميع تحت العاقله،بحيث يرتفع بينهـا التنـازع و التجـاذب،و لاـ يغلب بعضـها على بعض،و لا يقـدم على شـىء غير ما تسـقط له العاقله.و إنما يتم ذلك إذا حصـلت للإنسان ملكه راسـخه تصـدر لأجلها جميع الأفعال على نهج الاعتدال بسـهوله،و لا يكون له غايه فى ذلك سوى كونها فضيله و كما لا،فمن يتكلف أعمال العدول رياء و سمعه أو لجلب القلوب،أو تحصيل الجاه و المال ليس عادلا.

و قس على ذلـك جميع أنواع الفضائـل المنـدرجه تحت الأجنـاس المـذكوره فـإنه بإزاء كل منها رذيله شبيهه بها،فينبغى لطالب السعاده أن يعرفها

و يجتنب عنها،مثلا السخاء عباره عن ملكه سهوله بذل المال على المستحق مع كون الغايه الباعثه له عليه مجرد كونه فضيله و كمالا،دون الأغراض الأخر،فبذل المال لتحصيل الأزيد،أو لدفع الضرر،أو نيل الجاه، أو للوصول إلى شيء من اللذات الحيوانيه ليس سخاء.و كذا بذله لغير المستحق و الإسراف فى إنفاقه.فإن المبذر جاهل بعظم قدر المال.و الاحتياج إليه فى مواقع لولاه لأدى إلى تضييع الأهل و العيال و العجز عن كسب المعارف و فضائل الأعمال،و له دخل عظيم فى تزويج احكام المله و نشر الفضيله و الحكمه،و لذا ورد فى الصحيفه السليمانيه(أن الحكمه مع الثروه يقظان،و مع الفقر نائم) (۱). و ربما كان منشأ التبذير عدم العلم بصعوبه تحصيل الحلال منه،و هذا يكون فى الأغلب لمن يظفر بمال بغته من ميراث أو غيره مما لا يحتاج إلى كد و عمل،فإن مثله غافل عن صعوبه كسب الحلال منه،إذ المكاسب الطيبه قليله جدا،و ارتكابها للأحرار مشكل،و لذا ترى أفاضل الأحرار ناقصى الحظوظ منه شاكين عن بختهم،و أضدادهم على خلاف ذلك،لعدم مبالاتهم من تحصيله بأى نحو كان.و قد قال بعض الحكماء:«إن تحصيل المال بمنزله نقل الحجر إلى قله الجبل و إنفاقه كإطلاقه».

فصل العداله أشرف الفضائل

اشاره

العداله أشرف الفضائل و أفضلها،إذ قد عرفت أنها كل الفضائل

ص: ۱۱۲

۱- ۱) كذا فى النسخ و لم نعثر على مصدر لهذه الكلمه لتصحيحها.

أو ما يلزمها،كما أن الجور كل الرذائل أو ما يوجبها،لأنها هيئه نفسانيه يقتدر بها على تعديل جميع الصفات و الأفعال،و رد الزائد و الناقص إلى الوسط،و انكسار سوره التخالف بين القوى المتعاديه،بحيث يمتزج الكل و تتحقق بينها مناسبه و اتحاد تحدث فى النفس فضيله واحده تقتضى حصول فعل متوسط بين أفعالها المتخالفه،و ذلک كما تحصل من حصول الامتزاج و الوحده بين الأشياء المتخالفه صوره وحدانيه يصدر عنها فعل متوسط بين أفعالها المتخالفه،فجميع الفضائل مترتبه على العداله،و لذا قال أ فلاطون الإلهى:(العداله إذا حصلت للإنسان أشرق بها كل واحد من أجزاء نفسه و يستضىء بعضها من بعض،فتنتهض النفس حينئذ لفعلها الخاص على أفضل ما يكون،فيحصل لها غايه القرب إلى مبدعها سبحانه).

و من خواص العداله و فضيلتها أنها أقرب الصفات إلى الوحده،و شأنها إخراج الواحد من الكثرات،و التأليف بين المتباينات،و التسويه بين المختلفات،و رد الأشياء من القله و الكثره و النقصان و الزياده إلى التوسط الذى هو الوحده،فتصير المتخالفات فى هذه المرتبه متحده نوع اتحاد، و فى غيرها توجد أطراف متخالفه متكاثره،و لا ريب فى أن الوحده أشرف من الكثره،و كلما كان الشىء أقرب إليها يكون أفضل و أكمل و أبقى و أدوم و من تطرق البطلان و الفساد أبعد، فالمتخالفات إذا حصل بينها مناسبه و اتحاد و حصلت منها هيئه وحدانيه صارت أكمل مما كان،و لذا قيل:كمال كل صفه أن يقارب ضدها،و كمال كل شخص أن يتصف بالصفات المتقابله بجعلها متناسبه متسالمه،و تأثير الأشعار الموزونه و النغمات و الإيقاعات المتناسبه،و جذب الصور الجميله للنفوس،إنما هو لوحده التناسب، و نسبه المساواه فى صناعه الموسيقى أو غيرها أشرف النسب لقربها إلى الوحده

و غيرها من النسب يرجع إليها.

و بالجمله:اختلاف الأشياء فى الكمال و النقص بحسب اختلافها فى الوحده و الكثره،فأشرف الموجودات هو الواحد الحقيقى الذى هو موجد الكل و مبدؤه،و يفيض نور الوحده على كل موجود بقدر استعداده كما يفيض عليه نور الوجود كذلك،فكل وحده من الوحدات جوهريه كانت أو خلقيه أو فعليه أو عدديه أو مزاجيه،فهو ظل من وحدته الحقه،و كلما كان أقرب إليها يكون أشرف وجودا،و لو لا الاعتدال و الوحده العرضيه التى هى ظل الوحده الحقيقيه لم تتم دائره الوجود،لأن تولد المواليد من العناصر الأربعه يتوقف على حصول الاتحاد و الاعتدال،و تعلق النفس الربانيه بالبدن إنما هو لحصول نسبه الاعتدال،و لذا يزول تعلقها به بزوالها بل النفس عاشقه لتلك النسبه الشريفه أين ما وجدت.

و التحقيق أنها معنى وحدانى يختلف باختلاف محالها،فهى فى الأجزاء العنصريه الممتزجه اعتدال مزاجى،و فى الأعضاء حسن ظاهرى،و فى الكلام فصاحه،و فى الملكات النفسيه عداله،و فى الحركات غنج و دلال،و فى المنغمات أبعاد شريفه لذيذه و النفس عاشقه لهذا المعنى فى أى مظهر ظهر،و بأى صوره تجلى،و بأى لباس تلبس.

فانى أحب الحسن حيث وجدته

و للحسن فى وجه الملاح مواقع

و الكثره و القله و النقصان و الزياده تفسد الأشياء إذا لم تكن بينها مناسبه تحفظ عليها الاعتدال و الوحده بوجه ما،و فى هذا المقام تفوح نفحات قدسيه تهتز بها نفوس أهل الجذبه و الشوق،و يتعطر منها مشام أصحاب التأله و الذوق،فتعرض لها إن كنت أهلا لذلك.

و إذا عرفت شرف العداله و إيجابها للعمل بالمساواه،و رد كل ناقص

و زائد إلى الوسط.فاعلم:أنها إما متعلقه بالأخلاق و الأفعال.أو بالكرامات و قسمه الأموال.أو بالمعاملات و المعاوضات.أو بالأحكام و السياسات.

و العادل فى كل واحد من هذه الأمور ما يحدث التساوى فيه برد الإفراط و التفريط إلى الوسط.و لا ريب فى أنه مشروط بالعلم بطبيعه الوسط.حتى يمكن رد الطرفين إليه.و هذا العلم فى غايه الصعوبه.و لا يتيسر إلا بالرجوع إلى ميزان معرف للأوساط فى،جميع الأشياء.و ما هو إلا ميزان الشريعه الإلهيه الصادره عن منبع الوحده الحقه الحقيقيه.فإنها هى المعرفه للأوساط فى جميع الأشياء على ما ينبغى.و المتضمنه لبيان تفاصيل جميع مراتب الحكمه العمليه.فالعادل بالحقيقه يجب أن يكون حكيما عالما بالنواميس الإلهيه الصادره من عند اللّه سبحانه لحفظ المساواه.

و قد ذكر علماء الأخلاق أن العدول ثلاثه:«الأول»العادل الأكبر و هو الشريعه الإلهيه الصادره من عند اللّه سبحانه لحفظ المساواه.«الثانى» العادل الأوسط.و هو الحاكم العادل التابع للنواميس الإلهيه و الشريعه النبويه فإنه خليفه الشريعه فى حفظ المساواه.«الثالث»العادل الصامت و هو الدينار لأنه يحفظ المساواه فى المعاملات و المعاوضات.

بيان ذلک:أن الإنسان مدنى بالطبع فيحتاج بعض أفراده إلى بعض آخر.و لا يتم عيشهم إلا بالتعاون.فيحتاج الزارع إلى عمل التاجر و بالعکس و النجار إلى عمل الصباغ و بالعکس.و هکذا فتقع بينهم معاوضات.فلا بد من حفظ المساواه بينها دفعا للتنازع و التشاجر.و لا يمکن حفظها بالأعمال لاختلافها بالزياده و النقصان و القله و الکثره و غير ذلک.و ربما کان أدنى عمل مساويا لعمل کثير کنظر المهندس.و تدبير صاحب الجيش.فإن نظرهما فى لحظه واحده ربما ساوى عملا کثيرا لمن يعمل و يحارب.فحفظ المساواه

ص :۱۱۵

بینها بالـدینار و الـدرهم بأن تقوم بهما الأعمال و الأشـیاء المختلفه،لیحصل الاعتـدال و الاسـتواء،و یتبین وجه الأخـذ و الإعطاء،و تصح المشارکات و المعاملات علی نهج لا یتضمن إفراطا و لا تفریطا قیل:و قد أشیر إلی العدول الثلاثه فی الکتاب الإلهی بقوله سبحانه:

وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْکِتابَ وَ الْمِیزانَ لِیَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِیدَ فِیهِ بَأْسٌ شَدِیدٌ وَ مَنافِعُ لِلنّاسِ

(۱)

.

فإن الکتاب إشاره إلی الشـریعه،و المیزان إلی آله معرفه النسـبه بین المختلفات و منها الدینار،و الحدید إلی سیف الحاکم العادل المقوم للناس علی الوسط.

هـذا و المقابـل للعـادل-أعنی الجائر المبطل للتساوی أیضا-إما جائر أعظم -و هو الخارج عن حکم الشـریعه-و یسـمی کافرا-أو جـائر أوسـط-و هو من لا یطیع عـدول الحکام فی الأحکام-و یسـمی طاغیا و باغیا-أو جائر أصـغر- و هو من لا یقوم علی حکم الدینار،فیأخذ لنفسه أکثر من حقه و یعطی غیره أقل من حقه-و یسمی سارقا و خائنا-.

ثم العداله علی أقسام ثلاثه:

«أحدها»ما یجری بین العباد و بین خالقهم سـبحانه،فإنها لما کانت عباره عن العمل بالمساواه علی قدر الإمکان،و الواجب سبحانه و أهب الحیـاه و الکمالات و ما یحتاج إلیه کل حی من الأرزاق و الأقوات،و هیأ لنا فی عالم آخر من البهجه و السـرور ما لا عین رأت،و لا أذن سمعت،و ما من یوم إلا

۱- ۱) الحدیث:الآیه:۲۵.

و یصل إلینا من نعمه و عطایاه ما تکل الألسنه عن حصره و عده،فیجب أن یکون له تعالی علینا حق یقابل به تلک النعم التی لا تحصی کثره حتی تحصل عداله فی الجمله،إذ من أعطی خیرا و لم یقابله بضرب من المقابله فهو جائر.

ثم المقابله و المکافأه تختلف باختلاف الأشخاص،فإن ما یؤدی به حق إحسان السلطان غیر ما یؤدی به حق إحسان غیره،فإن مقابله إحسانه إنما تکون بمثل الدعاء و نشر المحاسن،و مقابله إحسان غیره تکون بمثل بذل المال و السعی فی قضاء حوائجه و غیر ذلک.و الواجب سبحانه غنی عن معونتنا و مساعینا.و لا یحتاج إلی شیء من أعمالنا و أفعالنا،و لکن یجب علینا بالنظر إلی شرع العداله حقوق تحصل بها مساواه فی الجمله،کمعرفته و محبته، و تحصیل العقائد الحقه و الأخلاق الفاضله،و الاجتهاد فی امتثال ما جاءت به رسله و سفراؤه من الصوم و الصلاه،و السعی إلی المواقف الشریفه و غیر ذلک،و إن کان التوفیق لإدراک ذلک کله من جمله نعمائه،إلا أن العبد إذا أدی ما له فیه مدخلیه و اختیار من وظائف الطاعات،و ترک ما تقتضی الضروره بتمکنه علی ترکه من المعاصی و السیئات،لخرج عن الجور المطلق و لم یصدق علیه أنه جائر مطلق،و إن کان أصل تمکنه و اختیاره بل أصل وجوده و حیاته کلها من اللّه سبحانه.

«الثانی»ما یجری بین الناس بعضهم لبعض:من أداء الحقوق و تأدیه الأمانات و النصفه فی المعاملات و المعاوضات و تعظیم الأکابر و الرؤساء و إغاثه المظلومین و الضعفاء،فهذا القسم من العداله یقتضی أن یرضی بحقه،و لا یظلم أحدا،و یقیم کل واحد من أبناء نوعه علی حقه بقدر الإمکان،لئلا یجور بعضهم بعضا،و یؤدی حقوق إخوانه المؤمنین بحسب استطاعته.

و قد ورد فی الحدیث النبوی: «إن المؤمن علی أخیه ثلاثین حقا لا براءه له منها إلا بالأداء

أو العفو:يغفر زلته،و يرحم غربته،و يستر عورته،و يقيل عثرته،و يقبل معذرته.و يرد غيبته،و يديم نصيحته،و يحفظ خلته،و يرعى ذمته،و يعود مرضته،و يشهد ميتته،و يجيب دعوته،و يقبل هديته،و يكافئ صلته، و يشكر نعمته،و يحسن نصرته،و يحفظ حليلته،و يقضى حاجته،و يشفع مسألته،و يسمت عطسته،و يرشد ضالته،و يرد سلامه،و يطيب كلامه، و يبر إنعامه،و يصدق أقسامه،و يواليه و لا يعاديه،و ينصره ظالما أو مظلوما فأما نصرته ظالما فيرده عن ظلمه،و أما نصرته مظلوما فيعينه على من ظلمه، و أما نصرته مظلوما فيعينه على أخذ حقه،و لا يسأمه،و لا يخذله،و يجب له من الخير ما يحب لنفسه،و يكره له من الشر ما يكره لنفسه».

«الثالث»ما يجرى بين الأحياء و ذوى حقوقهم من الأموات:من أداء ديونهم و إنفاذ وصاياهم و الترحم عليهم بالصدقه و الدعاء. و قد أشار خاتم الرساله صلى اللّه عليه و آله و سلم إلى أقسام العداله

بقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «التعظيم لأمر اللّه و الشفقه على خلق اللّه»،

و بقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم فى خبر آخر: «الدين النصحيه،قيل لمن؟قال:للّه و لرسوله و لعامه المؤمنين».

ايقاظ

قد ظهر مما ذكر أن الكمال كل الكمال لكل شخص هو العدل و التوسط فى جميع صفاته و أفعاله الباطنه و الظاهره،سواء كانت مختصه بذاته أو متوسطه بينه و بين أبناء نوعه،و لا تحصل النجاه و السعاده إلا بالاستقامه على وسط الأشياء المتخالفه،و التثبت على مركز الأطراف المتباعده،فكن يا حبيبى جامعا للكمالات،متوسطا بين مراتب السعادات،و مركزا لدائره نيل

الإفاضات.فكن أولا متوسطا بين العلم و العمل جامعا بينهما بقدر الإمكان و لا تكتف بأحدهما حتى لا تكون واحدا من الرجلين القاصمين (۱)لظهر فخر الثقلين صلى اللّه عليه و آله و سلم. و كن فى العمل متوسطا بين حفظ الظاهر و الباطن فلا تكن فى باطنك خبيثا و ظاهرك نقيا،حتى تكون كشوهاء ملبسه بزى حوراء مدلسه بأنواع التدليسات،و لا بالعكس لتكون مثل دره ملوثه بأقسام القاذورات،بل ينبغى أن يكون ظاهرك مرآه لباطنك،حتى يظهر من محاسنك بقدر ما اقتضته ملكاتك الفاضله الباطنه.و كن فى جميع ملكاتك الباطنه و أفعالك الظاهره متوسطا بين الإفراط و التفريط على ما يقرع سمعك فى هذا الكتاب. ثم كن فى العلوم متوسطا بين العلوم الباطنه العقليه و العلوم الظاهره الشرعيه،فلا تكن من الذين قصروا أنظارهم على ظواهر الآيات و لم يعرفوا من حقائق البينات،يذمون علماء الحقيقه و ينسبونهم إلى الإلحاد و الزندقه،و لا من الذين صرفوا أعمارهم فى فضول أهل يونان و هجروا ما جاء به حامل الوحى و الفرقان،يذمون علماء الشريعه و يثبتون لهم سوء القريحه،يدعون لأنفسهم الذكاء و الفطانه و ينسبون ورثه الأنبياء إلى الجهل و البطاله.ثم كن فى العقليات متوسطا بين طرق العقلاء من غير جمود على واحده منها بمجرد التقليد أو التعصب،فتوسط بين الحكمه و الكلام و الإشراق و العرفان،و اجمع بين الاستدلال و تصفيه النفس بالعباده و الرياضه،فلا تكن متكلما صرفا لا تعرف سوى الجدل،و لا مشائيا محضا أضاع الدين و أهمل و لا متصوفا استراح بدعوى المشاهده و العيان من دون بينه و برهان. و كن فى العلوم الشرعيه متوسطا بين الأصول و الفروع،فلا تكن أخباريا تاركا

۱- ۱) إشاره إلى قوله صلى اللّه عليه و آله و سلم:(قصم ظهرى رجلان: عالم متهتك و جاهل متنسك).

للقواعـد القطعيه،و لاـ أصوليـا عاملا بقياسات عاميه.و قس على ذلك جميع أمورک الباطنه و الظاهره،و اعمل به حتى يرشـدک إلى طريق السداد،و يوفقك لاكتساب زاد المعاد.

[دفع اشكال]

إن قيل:قد تلخص مما ذكر:أن الفضـيله فى جميع الأخلاق و الصفات إنما هو المساواه من غير زياده و نقصان،مع أنه قد ثبت أن للتفضل محمود و هو زياده فلا يـدخل تحت العداله الراجعه إلى المساواه (قلنا):التفضل احتياط يقع لتحصـيل القطع بعدم الوقوع فى النقصـان،و ليس الوسط فى طرفين من الأخلاق على نهـج واحـد فإن الزياده فى السـخاء إذا لم يؤد إلى الإسـراف أحسن من النقصان عنه،و أشبه بالمحافظه على شـرائطه،فالتفضل إنما يصدر عن فضيله العداله،لأنها مبالغه فيها و لا يخرجها عن حقيقتها،إذ المتفضـل من يعطى المسـتحق أزيـد مما يسـتحقه،و هـذه الزياده ليست مـذمومه،بل هى العـداله مع الاحتياط فيها،و لـذا قيل:«إن المتفضل أفضل من العادل»،و المذموم أن يعطى غير المسـتحق أو يترک المساواه بين المستحقين،لأنه أنفق فيما لا ينبغى أو على ما لا ينبغى،و صاحبه لا يسـمى متفضـلا بل مضيعا،و لكون التفضل احتياطا إنما يحسن من الرجل بالنسبه إلى صاحبه فى المعامله التى بينهما،و لو كان بين جماعه و لم يكن له نصيب فى ما يحكم فيه لم يسعه إلا العدل المحض و لم يجز له التفضيل

تتميم

(إصـلاح النفس قبل إصـلاح الغير و أشـرف وجوه العداله عداله السلطان) قد تلخص أن حقيقه العداله أو لازمها أن يغلب العقل الذى هو خليفه اللّه على جميع القوى حتى يستعمل كلا منها فيما يقتضى رأيه،فلا يفسد نظام

العالم الإنسانی،فإن الواجب سبحانه لما رکب الإنسان بحکمته الحقه و مصلحته التامه من القوی الکثیره المتضاده،فهی إذا تهایجت و تغالبت و لم یقهرها قاهر خیر،حدثت فیه بهیجانها و اضطرابها أنواع الشر،و جذبه کل واحده منها إلی ما یقتضیه و یشتهیه،کما هو الشأن فی کل مرکب.و قد شبه المعلم الأول مثله بمن یجذب من جهتین حتی ینقطع و ینشق بنصفین أو من جهات کثیره فیتقطع بحسبها.فیجب علی کل إنسان أن یجاهد حتی یغلب عقله الذی هو الحکم العدل و الخیر المطلق علی قواه المختلفه،لیرفع اختلافها و تجاذبها و یقیم الجمیع علی الصراط القویم.

ثم کل شخص ما لم یعدل قواه و صفاته لم یتمکن من إجراء أحکام العداله بین شرکائه فی المنزل و البلد،إذ العاجز عن إصلاح نفسه کیف یقدر علی إصلاح غیره،فإن السراج الذی لا یضیء قریبه کیف یضیء بعیده،فمن عدل قواه و صفاته أولا و اجتنب عن الإفراط و التفریط و استقر علی جاده الوسط،کان مستعدا لسلوک هذه الطریقه بین أبناء نوعه،و هو خلیفه اللّه فی أرضه،و إذا کان مثله حاکما بین الناس و کان زمام مصالحهم فی قبضه اقتداره لتنورت البلاد بأهلها،و صلحت أمور العباد بأسرها،و زاد الحرث و النسل و دامت برکات السماء و الأرض.

و غیر خفی أن أشرف وجوه العدالات و أهمها و أفضل صنوف السیاسات و أعمها هو عداله السلطان،إذ غیرها من العدالات مرتبطه بها و لولاه لم یتمکن أحد من رعایه العداله،کیف و تهذیب الأخلاق و تدبیر المنزل یتوقف علی فراغ البال و انتظام الأحوال،و مع جور السلطان أمواج الفتن متلاطمه، و أفواج المحن متراکمه،و عوائق الزمان متزاحمه،و بوائق (1)الحدثان

١- ١) البائقه:الداهیه و الشر.یقال:رفعت عنک بائقه فلان أی غائلته و شره جمعه بوائق.

متصادمه،و طالبوا الكمال كالحيارى فى الصحارى لا يجدون إلى مناله سبيلا و لا إلى جداوله مرشدا و دليلا،و عرصات العلم و العمل دارسه الآثار، و منازلهما مظلمه الأرجاء و الأقطار،فلا يوجد ما هو الملاك فى تحصيل السعادات،أعنى تفرغ الخاطر و الاطمئنان و انتظام أمر المعاش الضرورى لأفراد الإنسان.و لذا لو تصفحت فى أمثال زماننا زوايا المدن و البلاد و اطلعت على بواطن فرق العباد،لم تجد من الألوف واحدا تمكن من إصلاح نفسه و يكون يومه خيرا من أمسه،بل لا تجد دينا إلا و هو باك على فقد الإسلام و أهله،و لا طالبا إلا و هو لعدم المكنه باق على جهله،و لعمرى إن هذا الزمان هو الزمان الذى

أخبر عنه سيد الأنام و عترته الأبرار الكرام عليه و عليهم أفضل الصلاه و السلام من أنه: «لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، و لا من القرآن إلا رسمه».

و بالجمله:المناط كل المناط فى تحصيل الكمالات و إخراج النفوس من الجهالات،هو عداله السلطان،و اعتناؤه بإعلاء الكلمه،و سعيه فى ترويج أحكام الدين و المله،

و لذا ورد فى الآثار: (إن السلطان إذا كان عادلا كان شريكا فى ثواب كل طاعه تصدر عن كل رعيه،و إن كان جائرا كان سهيما فى معاصيهم) .

و قال سيد الرسل صلى اللّه عليه و آله و سلم: «أقرب الناس يوم القيامه إلى اللّه تعالى الملك العادل و أبعدهم عنه الملك الظالم».

و ورد عنه صلى اللّه عليه و آله و سلم: «عدل ساعه خير من عباده سبعين سنه». و السر أن أثر عدل ساعه واحده ربما يصل إلى جميع المدن و الأمصار و يبقى على مر الدهور و الأعصار،و قال بعض الأكابر:لو علمت أنه يستجيب لى دعوه واحده لخصصتها بإصلاح حال السلطان حتى يعم نفعه.

ص:١٢٢

تنویر (لا حاجه إلی العداله مع رابطه المحبه)

لو استحکمت رابطه المحبه و علاقه الموده بین الناس لم یحتاجوا إلی سلسله العداله،فإن أهل الوداد و المحبه فی مقام الإیثار و لو کان بهم خصاصه،فکیف یجور بعضهم علی بعض.و السر أن رابطه المحبه أتم و أقوی من رابطه العداله لأن المحبه وحده طبیعیه جبلیه،و العداله وحده قهریه قسریه.علی أنها لا تنتظم بدون المحبه،لکونها باعثه للإیجاد،کما أشیر إلیه

فی الحدیث القدسی «کنت کنزا مخفیا فاحببت أن أعرف» .فالمحبه هو السلطان المطلق،و العداله نائبها و خلیفتها (۱).

وصل (التکمیل الصناعی لاکتساب الفضائل علی طبق ترتیب الکمال الطبیعی)

لاکتساب الفضائل ترتیب ینبغی أن لا یتعدی عنه.و بیان ذلک:أن مبادئ الحرکات المؤدیه إلی الکمالات:إما طبیعیه کحرکه النطفه فی الأطوار المختلفه إلی بلوغ کمال الحیوانیه،أو صناعیه کحرکه الخشب بتوسط الآلات إلی بلوغ کمال السریریه.ثم الطبیعه و تحریکاتها لاستنادها إلی المبادئ العالیه تکون متقدمه علی الصناعیه المستنده إلی الإنسان،و لما کان کمال الثوانی أن تتشبه بالأوائل،فینبغی أن تقتدی الصناعیه فی تحریکاتها المؤدیه إلی کمالها بالطبیعیه.

۱- ۱) و لذلک أن الشریعه الإسلامیه أول ما دعت فیما دعت إلی الإخوه و التآلف بین الناس،و کثیر من أحکامها مثل الجماعه و الجمعه و الإیثار و الإحسان و تحریم الغیبه و النبز و نحو ذلک تستهدف إیجاد رابطه الحب بین الشعوب و القبائل و الأفراد،لیستغنوا عن الأخذ بقانون العدل الصارم المر.

و إذا ثبت ذلک فاعلم:أن تهذیب الأخلاق لما کان أمرا صناعیا لزم أن یقتضی فی تحصیله من حیث الترتیب بأفعال الطبیعه فی ترتیب حصولها،فنقول:

لا-ریب فی أن أول ما یحصل فی الطفل قوه طلب الغذاء،و إذا زادت تلک القوه یبکی و یرفع صوته لأجل الغذاء،و إذا قویت حواسه و تمکن من حفظ بعض الصور یطلب صوره الأم أو الظئر (۱)،و جمیع ذلک متعلق بالقوه الشهویه.و نهایه هذه القوه و کمالها أن یتم ما یتعلق بالشخص من الأمور الشهویه،و ینبعث منه المیل إلی استبقاء النوع،فیحدث میل النکاح و الوقاح. ثم تظهر فیه آثار القوه الغضبیه حتی یدفع عن نفسه ما یؤذیه و لو بالاستعانه بغیره.و غایه کمال هذه القوه حصول التمکن من حفظ الشخص و الإقدام علی حفظ النوع،فیحدث فیه المیل إلی ما یحصل به التفوق من أصناف الرئاسات و الکرامات.ثم تظهر فیه آثار قوه التمییز و تتزاید إلی أن یتمکن من تعقل الکلیات.

و هنا یتم ما یتعلق بالطبیعه من التدبیر و التکمیل،و یکون ابتداء التکمیل الصناعی،فلو لم یحصل الاستکمال بالکسب و الصناعه بقی علی هذه الحاله و لم یبلغ إلی الکمال الحقیقی الذی خلق الإنسان لأجله،لأنه لم یخلق أحد مجبولا علی الاتصاف بجمیع الفضائل الخلقیه إلا-من أید من عند اللّه بالنفس القدسیه،و إن کان بعض الناس أکثر استعدادا لتحصیل بعض الکمالات من بعض آخر،فلا بد لجل الأنام فی تکمیل نفوسهم من الکسب و الاستعلام.

فظهر مما ذکر:أن الطبیعه تولد أولا قوه الشهوه،ثم قوه الغضب، ثم قوه التمییز،فیجب أن یقتدی به فی التکمیل الصناعی،فیهذب أولا القوه الأولی لیکتسب العفه،ثم الثانیه لیتصف بالشجاعه،ثم الثالثه لیتحلی

۱- ۱) یرید بها المرضعه.

بالحكمه،فمن حصل بعض الفضائل على الترتيب الحكمى كان تحصيل الباقى له فى غايه السهوله،و من حصله لا على الترتيب،فلا يظن أن تحصيل الباقى حينئذ متعذر بل هو ممكن،و إن كان أصعب بالنسبه إلى تحصيله بالترتيب فإن عدم الترتيب يوجب عسر الحصول لا تعذره،كما أن الترتيب يوجب يسره لا مجرد إمكانه.فلا يترك السعى و الجد فى كل حال و لا ييأس من رحمه اللّه الواهب المتعال،و ليشمر ذيل الهمه على منطقه الطلب حتى ييسر اللّه له الوصول إلى ما هو المقصد و المطلب.

ثم الفضيله إن كانت حاصله لزم السعى فى حفظها و إبقائها،و إن لم تكن حاصله بل كان ضدها حاصلا وجب تحصيلها بإزاله الضد،و لذا كان فن الأخلاق على قسمين:(أحدهما)راجع إلى حفظ الفضائل،(و ثانيهما) نافع فى دفع الرذائل، فيكون شبيها بعلم الطب،من حيث انقسامه إلى قسمين:(أحدهما)فى حفظ الصحه،(و ثانيهما)فى دفع المرض، و لذا يسمى طبا روحانيا،كما أن الطب المتعارف يسمى طبا جسمانيا.و من هنا كتب جالينوس إلى روح اللّه عليه السلام:«من طبيب الأبدان إلى طبيب النفوس».فكما أن لكل من حفظ الصحه و دفع المرض فى الطب الجسمانى علاجا خاصا،فكذلك لكل من حفظ الفضائل و إزاله الرذائل فى الطب الروحانى معالجات معينه،كما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

الباب الثالث فی طریق حفظ اعتدال الأخلاق المحموده و استحصالها بإزاله نقائضها المذمومه

اشاره

[المقدمه]

اشاره

الطریق لحفظ اعتدال الفضائل-قانون العلاج فی الطب الروحانی- طریقه معرفه الأمراض النفسیه-المعالجات الکلیه لأمراض النفس- المعالجات الخاصه لأمراض النفس.و له أربعه مقامات:

(الأول)ما یتعلق بالقوه العاقله من الرذائل و الفضائل و کیفیه علاج الرذائل.

(الثانی)ما یتعلق بالقوه الغضبیه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج (الثالث)ما یتعلق بالقوه الشهویه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج.

(الرابع)ما یتعلق بالقوی الثلاث أو باثنتین منها.

ص :۱۲۷

و فیه فصول (۱):

فصل (الطریق لحفظ اعتدال الفضائل)

اشاره

قد تقرر فی الطب الجسمانی أن حفظ الصحه بإیراد المثل و ملائم المزاج فیجب أن یکون حفظ اعتدال الفضائل أیضا بذلک.و إیراد المثل لحفظ اعتدالها یکون بأمور:

(منها)اختیار مصاحبه الأخیار،

و المعاشره مع أولی الفضائل الخلقیه و استماع کیفیه سلوکهم مع الخالق و الخلیقه،و الاجتناب عن مجالسه الأشرار و ذوی الأخلاق السیئه،و الاحتراز عن استماع قصصهم و حکایاتهم و ما صدر عنهم من الأفعال و مزخرفاتهم،فإن المصاحبه مع کل أحد أقوی باعث علی الاتصاف بأوصافه،فإن الطبع یسترق من الطبع کلا من الخیر و الشر.و السر:أن النفس الإنسانیه ذات قوی بعضها یدعو إلی الخیرات و الفضائل و بعضها یقتضی الشرور و الرذائل،و کلما حصل لأحدهما أدنی باعث لما تقتضیه جبلته مال إلیه و غلب علی صاحبه إلی الخیر،و لکون دواعی الشر من القوی أکثر من بواعث الخیر منها،یکون المیل إلی الشر أسرع و أسهل بالنسبه إلی المیل إلی الخیر،و لذا قیل:إن تحصیل الفضائل بمنزله الصعود إلی الأعالی و کسب الرذائل بمثابه النزول منها،و إلی ذلک یشیر

قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم: «حفت الجنه بالمکاره و حفت النار بالشهوات».

(و منها)إعمال القوی فی شرائف الصفات،

و المواضبه علی الأفعال التی هی آثار فضائل الملکات،و حمل النفس علی الأعمال التی یقتضیها

ص :۱۲۸

۱- ۱) هذه الفصول کتمهید للمقامات الأربعه التی تتعلق بالعلاج الخاص لذمائم الأخلاق.

الخلق الـذی یریـد حفظه،فالحافظ لملکه الجود یجب أن یواظب علی إنفاق المال و بذله علی المسـتحقین،و یقهر علی نفسه عند وجـدان میلهـا إلی الإمسـاک، و الحافـظ لملکه الشـجاعه یجب ألاـ یترک الإقـدام فی الأخطـار و الأهوال بشـرط إشاره العقل،و یغضب علی نفسه عنـد وجـدان الجبن منهـا.و هکـذا الحال فی سائر الصـفات.و هـذا بمثابه الریاضه الجسـمانیه فی حفظ الصـحه البدنیه.

(و منها)أن یقدم التروی علی کل ما یفعله،

لئلا تصـدر عنه غفله خلاف ما تقتضیـه الفضـیله.و لو صـدر عنه أحیانا خلاف مقتضاها،فلیؤدب نفسه بارتکاب ما یضاده،و یشـق علیها عقوبه،بعـد تعییرها و توبیخها،کما إذا أکل ما یضـره من المطاعم فلیؤدبها بالصوم،و إذا صـدر عنه غضب مـذموم فی واقعه فلیؤدبهـا بإیقاعهـا فی مثلهـا مع الصبر علیهـا،أو فی معرض إهانه السـفهاء حتی یکسـر جاهه أو یؤدبها بارتکاب ما یشق علیها من النـذر و الصـدقه و غیر ذلـک.و ینبغی ألاـ یترک الجـد و السـعی فی التحصـیل و الحفـظ و إن بلغ الغـایه لأن التعطیل یؤدی إلی الکساله و هی إلی انقطاع فیوضات عالم القدس، فتنسلخ الصوره الإنسانیه و تحصل الهلاکه الأبدیه،و السعی یوجب ازدیاد تجرد النفس و صـفائها و الأـنس بالحق و الألف بالصـدق (۱)،فیتنفر عن الکـذب و الباطـل،و یتصاعـد فی مـدارج الکمالات و مراتب السـعادات،حـتی تنکشـف له الأسـرار الإلـهیه و الغـوامض الربـانیه،و یتشـبه بالروحانیـات القـادسه و ینخرط فی سـلک الملاـئکه المقدسه.و یجب أن یکون سـعیه فی أمور الدنیا بقدر الضـروره،و یحرم علی نفسه تحصـیل الزائد،لأنه لا شـقاوه أشد من صـرف الجوهر الباقی النورانی فی تحصیل الخزف الفانی الظلمانی الذی یفوت عنه و ینتقل إلی أعدائه من الوارث و غیرهم.

۱- ۱) کذا فی النسخ.و الصحیح«للصدق».

(و منها)أن يحترز عما يهيج الشهوه و الغضب رؤيه و سماعا و تخيلا،

و من هيجهما كمن هيج كلبا عقورا أو فرسا شموسا،ثم يضطر إلى تدبير الخلاص عنه.و إذا تحركتا بالطبع فليقتصر فى تسكينهما بما يسد الخله و لا ينافى حفظ الصحه،و هو القدر الذى جوزه العقل و الشريعه.

(و منها)أن يستقصى فى طلب خفايا عيوب نفسه،

و إذا عثر على شىء منها اجتهد فى إزالته.و لما كانت النفس عاشقه لصفاتها و أفعالها،فكثيرا ما يخفى عليها بعض عيوبها،فيلزم على كل طالب للصحه و حافظها أن يختار بعض أصدقائه ليتفحص عن عيوبه و يخبره بما اطلع عليه،و إذا أخبره بشىء منها فليفرح و ليبادر إلى إزالته حتى يثق صديقه بقوله،و يعلم أن إهداء شىء من عيوبه إليه أحسن عنده من كل ما يحبه و يهواه،و ربما كان العدو فى هذا الباب أنفع من الصديق،لأن الصديق ربما يستر العيب و لا يظهره، و العدو مصر على إظهاره،بل ربما يتجاوز إلى البهتان،فإذا أظهر الأعداء عيوبه فليشكر اللّه على ذلك و ليبادر إلى رفعها و قمعها.

و مما ينفع فى المقام أن يجعل صور الناس مرايا لعيوبه و يتفقد عيوبهم، و إذا عثر على عيب منهم تأمل فى قبحه،و يعلم أن هذا العيب إذا صدر عنه يكون قبيحا و يدرك غيره هذا القبح،فليجتهد فى إزالته.و ينبغى أن يحاسب نفسه فى آخر كل يوم و ليله،و يتفحص عن جميع ما صدر من الأفعال فيهما فإن لم يصدر عنه شىء من القبائح و الذمائم فليحمد اللّه على حسن تأييده، و إن صدر عنه شيء من ذلك فليعاتب نفسه و يتوب،و يجتهد فى ألا يصدر عنه بعد ذلك مثله.

قانون العلاج فی الطب الروحانی

اشاره

(تنبیه)قد تبین أن للطب الروحانی أسوه بالطب الجسمانی.و القانون فی معالجه الأمراض الجسمانیه أن یعرف جنس المرض أولا،ثم الأسباب و العلامات،ثم یبین کیفیه العلاج.و العلاج فیه إما کلی یتناول جمیع الأمراض،أو جزئی یختص بمرض دون مرض،فکذلک الحال فی الطب الروحانی.و نحن نشیر إلی ذلک فی فصول:

فصل (طریق معرفه الأمراض النفسانیه)

الأمراض النفسانیه هی انحرافات الأخلاق عن الاعتدال.و طریق معرفتها:أنک قد عرفت أن القوی الإنسانیه محصوره فی أنواع ثلاثه:

(أحدها)قوه التمییز،(و ثانیها)قوه الغضب و یعبر عنها بقوه الدفع، (و ثالثها)قوه الشهوه و یعبر عنها بقوه الجذب.و انحراف کل منها إما فی الکمیه او فی الکیفیه،و الانحراف فی الکمیه إما للزیاده من الاعتدال أو للنقصان عنه،و الانحراف فی الکیفیه إنما یکون برداءتها.فأمراض کل قوه إما بحسب الإفراط أو التفریط،أو بحسب رداءه الکیفیه.

فالإفراط فی قوه التمییز:کالجربزه و الدهاء،و التجاوز عن حد النظر، و المبالغه فی التنقیر (۱)،و التوقف فی غیر موضعه للشبه الواهیه،و الحکم علی المجردات بقوه الوهم،و إعمال الذهن فی إدراک ما لا یمکن درکه، و التفریط فیه کالبلاهه،و قصور النظر عن درک مقدار الواجب،کإجراء أحکام المحسوسات علی المجردات.و الرداءه کالسفسطه فی الاعتقاد،و المیل

۱- ۱) التنقیر:البحث و التتبع.

إلى العلوم الغير اليقينيه-كعلم الجدل و الخلاف-أزيد مما يميل إلى اليقينيات و استعمالهما فى مقام اليقينيات،و الشوق إلى علم الكهانه و الشعبذه و أمثالهما للوصول إلى الشهوات الخسيسه.

و أما الإفراط فى قوه الدفع:كشده الغضب و الغيظ و فرط الانتقام بحيث يتشبه بالسباع.و أما التفريط،كعدم الغيره و الحميه و التشبه بالأطفال و النسوان فى الأخلاق و الصفات.و أما الرداءه فيها:كالغيظ على الجمادات و البهائم أو على الناس لا بسبب موجب للانتقام.

و أما الإفراط فى قوه الجذب:فكالحرص على الأكل و الجماع أزيد من قدر الضروره.و التفريط فيه:فكالفتور عن تحصيل الأقوات الضروريه و تضييع العيال و الخمود عن الشهوه حتى ينقطع عنه النسل.أما الرداده فيها:كشهوه الطين و الميل إلى مقاربه الذكور.

ثم إنك قد عرفت أن أجناس الفضائل أربعه،فأجناس الرذائل بحسب الكميه ثمانيه،لكل فضيله ضدان كل منهما ضد للآخر،و بحسب الكيفيه أربعه،و يحصل من تركيبها و امتزاجها أنواع و أصناف لا يعد كثره،كما عرفت أكثرها.

فصل (أسباب الأمراض النفسانيه)

اعلم أن أسباب الانحراف فى الأخلاق،إما نفسيه حاصله فى النفس فى بدو فطرتها،أو حادثه من مزاولتها للأعمال الرديه،أو جسميه-و هى الأمراض الموجبه لبعض الملكات الرديه-و السر فى ذلك أن النفس لما كانت متعلقه بالبدن علاقه ارتباطيه،فيتأثر كل منهما بتأثر الآخر،و كل

كيفيه تحدث فى أحدهما تسرى فى الآخر،كما أن غضب النفس أو تعشقها يوجب اضطراب البدن و ارتعاشه،و تأثر البدن بالأمراض،(لا)سيما إذا حدثت فى الأعضاء الرئيسيه يوجب النقص فى إدراك النفس و فساد تخيلها و كثيرا ما يحدث من بعض الأمراض السوداويه فساد الاعتقاد و الجبن و سوء الظن،و من بعضها التهور،و يحصل من أكثر الأمراض سوء الخلق.

فصل (المعالجات الكليه لمرض النفس)

سبب الانحراف إن كان مرضا جسمانيا فيجب أن يبادر إلى إزالته بالمعالجات الطبيه،و إن كان نفسانيا فالمعالجه الكليه هنا كالمعالجه الكليه فى الطب الجسمانى.و المعالجه الكليه فيه أن يعالج المرض أولا بالغذاء الذى هو ضد المرض طبعا،كأن يعالج المرض البارد بالغذاء الحار،فإن لم ينفع فبالدواء و إن لم ينجع فبالسمومات،و إن لم يحصل بها البرء فبالكى أو القطع،و هو آخر العلاج. فالقانون الكلى فى المعالجه هنا أيضا كذلك،و هو أن يبادر بعد معرفه الانحراف إلى تحصيل الفضيله التى هى ضده،و المواظبه على الأفعال التى هى آثارها،و هذا بمنزله الغذاء المضاد للمرض،فكما أن حصول الحراره فى المزاج يدفع البروده الحادثه فيه.فكذا كل فضيله تحدث فى النفس تزيل الرذيله التى هى ضدها.فإن لم ينفع فليوبخ النفس و يعيرها على هذه الرذيله فكرا أو قولا أو عملا،و يعاتبها و يخاطبها بلسان الحال و المقال:أيتها النفس الأماره قد هلكت و تعرضت لسخط اللّه و غضبه،و عن قريب تعذبين فى النار مع الشياطين و الأشرار.فإن لم يؤثر ذلك فليرتكب آثار الرذيله التى هى ضد هذه الرذيله،بشرط محافظه التعديل،فصاحب الجبن مثلا يعمل

أعمال المتهورين،فيخوض فی المخاوف و الأهوال،و يلقی نفسه فی موارد الحذر و الأخطار.و صاحب البخل يكثر من بذل الأموال،بشرط أن يكف إذا قرب زوال الجبن و البخل لئلا يقع فی التهور و الإسراف،و هذا بمنزله المداواه بالسم.فإن لم ينفع ذلک لقوه استحكام المرض فليعذب النفس بأنواع التكاليف الشاقه و الرياضات المتعبه المضعفه للقوه الباعثه علی هذه الرذيله،و هذا بمثابه الكی و القطع،و هو آخر العلاج.

المعالجات الخاصه لمرض النفس

(تنبيه)لما عرفت المعالجه الكليه الشامله لجميع الرذائل بأجناسها و أنواعها و أصنافها،فلنشتغل الآن ببيان معالجه كل من الرذائل بخصوصه.

و قد عددنا قبل ذلک ما يتعلق بالقوی الثلاث من الرذائل و أضدادها من الفضائل مما له اسم مشهور،فههنا نذكر معالجه كل رذيله بخصوصها،و نذيله بذكر ما يضادها من الفضيله،و ما ورد فی مدحها عقلا و نقلا،لأن العلم بمعرفه كل فضيله و حسنه أعون شیء علی إزاله ما يضادها من الرذيله.و ربما كانت جمله من الرذائل المختلفه فی الاسم مشتركه فی المعالجه،و ربما كان للرذائل أو الفضائل المتعدده ضد واحد منهما،فنحن نشير إلی ذلک،و نشير أيضا فی تلو كل رذيله و فضيله إلی ما يتولد منهما من أفعال الجوارح مع معالجته-إن كان له ذلک-و نراعی الترتيب المذكور فی مقام الإجمال:فنذكر أولا ما يتعلق بالقوه العاقله من الجنسين و أنواعهما،ثم ما يتعلق بالقوه الغضبيه،ثم ما يتعلق بالشهويه،ثم ما يتعلق بالثلاث و الاثنين منها،فهنا أربعه مقامات:

ص:۱۳۴

المقام الأول (فی معالجه الرذائل المتعلقه بالقوه العاقله)

اشاره

الجربزه و علاجها-الجهل البسیط و علاجه-شرف العلم و الحکمه-آداب التعلم و التعلیم-العلم الإلهی و الأخلاق و الفقه أشرف العلوم-أصول العقائد المجمع علیها-الجهل المرکب و الشک-الیقین-علامات صاحبه- مراتب الیقین-الشرک-التوحید-التوکل علی اللّه-حق التوکل بما ذا یحصل-مناجاه السر لأرباب القلوب-الخواطر النفسانیه و الوساوس- أقسام الخواطر و منها الإلهام-المطارده بین جندی الملائکه و الشیاطین فی معرکه النفس-العلائم الفارقه بین الإلهام و الوسوسه-علاج الوساوس- ما یتم به علاج الوساوس-ما یتوقف قطع الوساوس علیه-حدیث النفس لا مؤاخذه علیه-الخاطر المحمود و التفکر-مجاری التفکر فی العوالم و المخلوقات

ص: ۱۳۵

أما جنسا رذائلها

اشاره

(۱)

[فأولهما]:

الجربزه

الموجبه للخروج فی الفکر عن الحد اللائق و عدم استقامه الذهن علی شیء بل لا یزال یستخرج أمورا دقیقه غیر مطابقه للواقع و یتجاوز عن الحق و لا یستقر علیه،و ربما أدی فی العقلیات إلی الإلحاد و فساد الاعتقاد،بل إلی نفی حقائق الأشیاء رأسا کما للسوفسطائیه،و فی الشرعیات إلی الوسواس. (و علاجه) بعد تذکر قبحه و إیجابه للهلاک،أن یکلف نفسه علی الاستقامه علی مقتضی الأدله المعتبره عند أولی الأفهام المستقیمه،و لا یتجاوز عن معتقدات أهل الحق المعروفین بالتحقیق و استقامه القریحه،و لا یزال یکلف نفسه علی ذلک حتی یعتاد القیام علی الوسط.و ربما کان للاشتغال بالتعلیمات نفع فی ذلک.

[و ثانیهما]:

اشاره

الجهل البسیط

و قد عرفت أنه من باب التفریط،و هو خلو النفس عن العلم من دون اعتقاد بکونها عالمه.و هو فی البدایه غیر مذموم لتوقف التعلم علیه،إذ ما لم تعتقد النفس جهلها بالمعارف لم تنهض لتحصیلها.و أما الثبات علیه فهو من المهلکات العظیمه.و الطریق فی إزالته أمور: (الأول)أن یتذکر ما یدل علی قبحه و نقصه عقلا،و هو أن یعلم أن الجاهل لیس إنسانا بالحقیقه،و إنما یطلق علیه الإنسان مجازا،إذ فضل الإنسان عن سائر الحیوانات إنما هو إدراک

۱- ۱) أی القوه العاقله.

الکلی المعبر عنه بالعلم،لمشارکتها معه فی سائر الأمور من الجسمیه و القوی الغضبیه و الشهویه و الصوت و غیر ذلک،فلو لا علمه بحقائق الأشیاء و خواصها لکان حیوانا بالحقیقه،و لذا تری أن من کان فی محل محاورات العلماء و کان جاهلا بأقوالهم لم یکن فرق بینه و بین البهائم بالنسبه إلیهم.و أی هلاک أعظم من الخروج عن حدود الإنسانیه و الدخول فی حد البهیمیه. (الثانی) أن یتذکر ما ورد فی الشریعه من الذم علیه مثل

قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «سته یدخلون فی النار قبل الحساب لسته» و عد منهم أهل الرساتیق بالجهاله. (الثالث)أن یتذکر ما یدل علی فضیله العلم عقلا و نقلا کما نذکره و إذا وقف علی جمیع ذلک فلیتیقظ عن سنه الغفله،و یصرف فی إزالته الهمه و یجتهد فی تحصیل العلم عن أهالیه،و یصرف فیه أیامه و لیالیه.

فصل (شرف العلم و الحکمه)

قد علم أن ضد الجنسین-أی الجربزه و السفسطه و الجهل-هو الحکمه، أعنی العلم بحقائق الأشیاء.فلنذکر أولا بعض ما یدل علی شرافته عقلا و نقلا ترغیبا للطالبین علی السعی فی تحصیله و إزاله الجهل عن نفوسهم،فنقول:

لا ریب فی أن العلم أفضل الفضائل الکمالیه و أشرف النعوت الجمالیه، بل هو أجل الصفات الربوبیه و أجمل السمات الألوهیه،و هو الموصل إلی جوار رب العالمین و الدخول فی أفق الملائکه المقربین،و هو المؤدی إلی دار المقامه التی لا تزول و محل الکرامه التی لا تحول،و قد تطابق العقل و البرهان و إجماع أرباب الأدیان علی:أن السعاده الأبدیه و القرب من اللّه سبحانه

لا يتيسران بدونه،و أی شیء أفضل مما هو ذریعه إلیهما.و أیضا قد ثبت فی الحکمه المتعالیه:أن العلم و التجرد متلازمان،فکلما تزداد النفس علما تزداد تجردا،و لا ریب فی أن التجرد أشرف الکمالات المتصوره للإنسان، إذ به یحصل التشبه بالملإ الأعلی و أهل القرب من اللّه تعالی.

و من جمله العلوم معرفه اللّه التی هی السبب الکلی لإیجاد العالم العلوی و السفلی،

کما دل علیه الخبر القدسی: «کنت کنزا مخفیا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» .علی أن العلم لذیذ فی نفسه محبوب فی ذاته،و ما یحصل منه من اللذه و الابتهاج قلما یحصل من غیره.و أسر فیه أن إدراک الأشیاء و الإحاطه بها نوع تملک و تصرف لها،إذ تتقرر فی ذات المدرک حقائقها و صورها،و مثل هذا التملک لدوامه و جزئیه المدرک للمدرک أقوی من ملکیه الأعیان المبائنه لذات المالک الزائله عنه.و التحقیق:أن إطلاق الملکیه علیه مجازی،و النفس لکونها من سنخ عالم الربوبیه تحت القهر و الاستیلاء علی الأشیاء و المالکیه لها بأی نحو کان،إذ معنی الربوبیه التوحید بالکمال و الاقتدار و الغلبه علی الأشیاء.

ثم من فوائد العلم فی الدنیا العز و الاعتبار عند الأخیار و الأشرار، و نفوذ الحکم علی الملوک و أرباب الاقتدار،فإن طباع الأنام من الخاص و العام مجبوله علی تعظیم أهل العلم و توقیرهم و وجوب إطاعتهم و احترامهم،بل جمیع الحیوانات من البهائم و السباع مطیعه للإنسان مسخره له،لاختصاصه بقوه الإدراک و مزید التمییز.و لو تصفحت آحاد الناس لم تجد أحدا له تفوق و زیاده علی غیره فی جاه أو مال أو غیر ذلک إلا-و هو راجع إلی اختصاصه بمزید تمییز و إدراک،و لو کان من باب المکر و الحیل.

هذا و ما یدل علی شرافه العلم من الآیات و الأخبار أکثر من أن تحصی

نبذه منها قوله تعالى:

إِنَّمٰا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ

(١)

و قوله تعالى:

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ

(٢)

و قوله تعالى:

وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً

(٣)

و قوله تعالى:

وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا يَعْقِلُهٰا إِلاَّ الْعٰالِمُونَ

(۴)

و قول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «اللهم ارحم خلفائى.قيل:

يا رسول اللّه!من خلفاؤك؟قال:الذين يأتون من بعدى يروون حديثى و سنتى» .

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لأبى ذر: «جلوس ساعه عند مذاكره العلم أحب إلى اللّه تعالى من قيام ألف ليله يصلى فى كل ليله ألف ركعه و أحب إليه من ألف غزوه،و من قراءه القرآن كله اثنى عشر ألف مره و خير من عباده سنه صام نهارها و قام ليلها،و من خرج من بيته ليلتمس بابا من العلم كتب اللّه عز و جل له بكل قدم ثواب نبى من الأنبياء،و ثواب ألف شهيد من شهداء بدر،و أعطاه اللّه بكل حرف يسمع أو يكتب مدينه فى الجنه و طالب العلم يحبه اللّه و تحبه الملائكه و النبيون،و لا يحب العلم إلا السعيد و طوبى لطالب العلم،و النظر فى وجه العالم خير من عتق ألف رقبه،و من

ص :١٣٩

١- ١) الفاطر،الآيه:٢٨.

٢- ٢) الزمر،الآيه:٩.

۳- ۳) البقره،الآیه:۲۶۹.

۴- ۴) العنکبوت،الآیه:۴۳.

أحب العلم وجبت له الجنه،و يصبح و يمسى فى رضى اللّه،و لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر و يأكل من ثمره الجنه،و لا يأكل الدود جسده و يكون فى الجنه رفيق خضر عليه السلام».

و قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كمال الدين طلب العلم و العمل به،و إن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال،و إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم،و قد ضمنه و سيفى لكم،و العلم مخزون عند أهله فاطلبوه».

و قوله عليه السلام: «إذا مات مؤمن و ترك ورقه واحده عليها علم،تكون تلك الورقه سترا بينه و بين النار،و أعطاه اللّه بكل حرف عليها مدينه أوسع من الدنيا سبع مرات».

و قول سيد الساجدين على بن الحسين-عليهما السلام-: «لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه،و لو بسفك المهج و خوض اللجج».

و قول الباقر عليه السلام: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»

و قول الصادق عليه السلام: «لو يعلم الناس ما فى فضل معرفه اللّه تعالى ما مدوا أعينهم إلى ما متع به الأعداء من زهره الحياه الدنيا و نعيمها،و كانت دنياهم أقل عندهم مما يطؤن بأرجلهم،و لتنعموا بمعرفه اللّه و تلذذوا بها تلذذ من لم يزل فى روضات الجنان مع أولياء اللّه.إن معرفه اللّه تعالى أنس من كل وحشه،و صاحب من كل وحده،و نور من كل ظلمه،و قوه من كل ضعف و شفاء من كل سقم،قد كان قوم قبلكم يقتلون و يحرقون و ينشرون و تضيق عليهم الأرض برحبها،فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترده وتروا من فعل ذلك بهم و لا أذى بما نقموا منهم:

إِلاّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ

(۱)

۱- ۱) البروج،الآيه:۸.

فاسألوا ربكم درجاتهم،و اصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم».

و عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام-عن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-أنه قال: «طلب العلم فريضه على كل مسلم،فاطلبوا العلم فى مظانه،و اقتبسوه من أهله،فإن تعلمه للّه تعالى حسنه،و طلبه عباده، و المذاكره به تسبيح،و العمل به جهاد،و تعليمه من لا يعلمه صدقه،و بذله لأهله قربه إلى اللّه،لأنه معالم الحلال و الحرام،و منار سبيل الجنه،و المؤنس فى الوحشه،و الصاحب فى الغربه و الوحده،و المحدث فى الخلوه،و الدليل على السراء و الضراء،و السلاح على الأعداء.و الزين عند الأخلاء،يرفع اللّه به أقواما،و يجعلهم فى الخير قاده،تقتبس آثارهم،و يقتدى بأفعالهم و ينتهى إلى آرائهم،ترغب الملائكه فى خلتهم،و بأجنحتها تمسهم،و فى صلاتها تبارك عليهم،و يستغفر لهم كل رطب و يابس حتى حيتان البحر و هوامه و سباع البر و أنعامه.إن العلم حياه القلوب من الجهل،و ضياء الأبصار من الظلمه و قوه الأبدان من الضعف،يبلغ بالعبد منازل الأخيار و مجالس الأبرار و الدرجات العلى فى الآخره و الأولى.الذكر فيه يعدل بالصيام و مدارسته بالقيام.به يطاع الرب و يعبد،و به توصل الأرحام،و يعرف الحلال و الحرام العلم إمام و العمل تابعه،يلهمه السعداء و يحرمه الأشقياء،فطوبى لمن لم يحرمه اللّه من حظه».

آداب التعلم و التعليم

[تنبيه]لكل من التعلم و التعليم آداب و شروط:

[أما آداب التعلم]:

(فمنها)أن يجتنب المتعلم عن اتباع الشهوات و الهوى و الاختلاط بأبناء الدنيا.

و لقد قال بعض الأكابر:«كما أن الحاسه الجليديه إذا كانت مئوفه

برمد و نحوه فهی محرومه من الأشعه الفائضه عن الشمس،کذلک البصیره إذا کانت مءوفه بمتابعه الشهوات و الهوی و المخالطه بأبناء الدنیا فهی محرومه من إدراک الأنوار القدسیه و محجوبه عن ذوق اللذات الإنسیه».

(و منها)ان یکون تعلمه لمجرد التقرب إلی اللّه و الفوز بالسعادات الأخرویه،

و لم یکن باعثه شیئا من المراء و المجادله،و المباهاه و المفاخره، و الوصول إلی جاه و مال،أو التفوق علی الأقران و الأمثال.

قال الباقر علیه السلام: «من طلب العلم لیباهی به العلماء أو یماری به السفهاء أو یصرف به وجوه الناس فلیتبوأ مقعده من النار،إن الرئاسه لا تصلح إلا لأهلها»

و قال الصادق علیه السلام: «طلبه العلم ثلاثه،فاعرفهم بأعیانهم و صفاتهم صنف یطلبه للجهل (۱)و المراء،و صنف یطلبه للاستطاله و الختل،و صنف یطلبه للفقه و العقل.فصاحب الجهل و المراء مؤذ ممار،متعرض للمقال فی أندیه الرجال بتذاکر العلم و صفه الحلم،و قد تسربل بالخشوع و تخلی من الورع،فدق اللّه من هذا خیشومه و قطع منه حیزومه،و صاحب الاستطاله و الختل ذو خب و ملق،یستطیل علی مثله من أشباهه،و یتواضع للأغنیاء من دونه،فهو لحلوانهم (۲)هاضم و لدینه حاطم،فأعمی اللّه علی هذا خبره.

۱- ۱) (الجهل)هنا بمعنی الجفاء و الغلظه.

۲- ۲) قال الشیخ(ملا صالح المازندرانی)فی تعلیقته علی أصول الکافی عن هذا الحدیث:«الحلوان-بضم الحاء المهمله و سکون اللام-ما تأخذه الحکام و القضاه و الکاهن من الأجر و الرشوه علی أعمالهم،یقال:حلوته أحلوه حلوانا،فهو مصدر کالغفران،و نونه زائده،و أصله من الحلاوه، و فی بعض النسخ(بحلوائهم)-بالهمزه بعد الألف-و الحلوا.-بالمد و القصر-ما یتخذ من الحلاوه».

و قطع من آثار العلماء أثره.و صاحب الفقه و العقل ذو کآبه و حزن و سهر، قد تحنک فی برنسه و قام اللیل فی حندسه،یعمل و یخشی و جلاـ داعیا مشفقا مقبلاـ علی شأنه عارفا بأهل زمانه مستوحشا من أوثق إخوانه،فشد اللّه من هذا أرکانه و أعطاه یوم القیامه أمانه».

(و منها)أن یعمل بما یفهم و یعلم،

فإن من عمل بما یعلم ورثه اللّه ما لم یعلم.

و قال الصادق علیه السلام: «العلم مقرون إلی العمل،من علم عمل و من عمل علم،و العلم یهتف بالعمل فإن أجابه و إلا ارتحل عنه».

و عن السجاد علیه السلام: «مکتوب فی الإنجیل:لاـ تطلبوا علم ما لا تعملون و لما تعملوا بما علمتم،فإن العلم إذا لم یعمل به لم یزدد صاحبه إلا کفرا و لم یزدده من اللّه إلا بعدا».

و عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من أخذ العلم من أهله و عمل بعلمه نجا،و من أراد به الدنیا فهی حظه».

و عنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «العلماء رجلان:رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج،و عالم تارک لعلمه فهذا هالک،و أن أهل النار لیتأذون من ریح العالم التارک لعلمه،و أن أشد أهل النار ندامه و حسره رجل دعا عبدا إلی اللّه فاستجاب له و قبل منه،فأطاع اللّه فأدخله الجنه،و أدخل الداعی النار بترک عمله (۱)و اتباعه الهوی و طول الأمل،أما اتباع الهوی فیصد عن الحق و طول الأمل ینسی الآخره».

(و منها)أن یحافظ شرائط الخضوع و الأدب للمعلم،

و لا یرد علیه شیئا بالمواجهه،و یکون محبا له بقلبه،و لا ینسی حقوقه،لأنه والده المعنوی الروحانی،و هو أعظم الآباء الثلاثه.

قال الصادق علیه السلام: «اطلبوا

۱- ۱) صححناه علی بعض نسخ أصول الکافی المصححه و فی نسخ جامع السعادات هکذا:(بترکه علمه).

العلم و تزینوا معه بالحلم و الوقار،و تواضعوا لمن تعلمونه العلم،و تواضعوا لمن طلبتم منه العلم،و لا تکونوا علماء جبارین فیذهب باطلکم بحقکم».

هـذا و قد أشـرنا سابقا إلی أن اللازم لکل متعلم أن یطهر نفسه أولا من رذائل الأخلاق و ذمائم الأوصاف بأسـرها،إذ ما لم یجرد لوح نفسه عن النقوش الردیه لم تشرق علیه لمعات أنوار العلم و الحکمه من ألواح العقول الفعاله القدسیه.

(و أما آداب التعلیم):

(فمنها)ان یخلص المعلم تعلیمه للّه سبحانه

و لم یکن له فیه باعث دنیوی من طمع مالی أو جاه و رئاسه أو شـهره بین الناس،بل یکون الباعث مجرد التقرب إلی اللّه تعالی و الوصول إلی المثوبـات الأبـدیه،فـإن من علم غیره علما کان شـریکا،فی ثواب تعلیم هـذا الغیر لآخر،و فی ثواب تعلیم هـذا الآخر لغیره...و هکذا إلی غیر النهایه،فیصل بتعلیم واحد إلی مثوبات التعالیم الغیر المتناهیه،و کفی بهذا له فضلا و شرفا.

(و منها)أن یکون مشفقا علی المتعلم ناصحا له،

مقتصرا فی الإفاده علی قدر فهمه،متکلما معه باللین و الهشاشه لا بالغلظه و الفظاظه.

(و منها)أن لا یضن العلم من أهله و یمنعه عن غیر أهله،

لأن بذل الحکمه للجهال ظلم علیها،و منعها عن أهلها ظلم علیهم،کما ورد فی الخبر (۱).

(و منها)أن یقول ما یعلم و یسکت عما لا یعلم

حتی یرجع إلیه و یعلمه، و لا یخبر المتعلمین ببیان خلاف الواقع.و هذا الشرط لا یختص بالمعلمین،

۱- ۱) روی فی أصول الکـافی فی باب بـذل العلم عن الصادق علیه السـلام: «قام عیسـی بن مریم خطیبا فی بنی إسـرائیل فقال:یا بنی إسرائیل!لا تحدثوا الجهال بالحکمه فتظلموها و لا تمنعوها أهلها فتظلموهم».

بل یعم کل من تصدر عنه المسائل العلمیه کالمفتی و القاضی و أمثالهما.

و قال الباقر علیه السلام: «حق اللّه علی العباد أن یقولوا ما یعلمون و یقفوا عند ما لا یعلمون» (۱)

و قال الصادق(ع): «إن اللّه تعالی خص عباده بآیتین من کتابه!ألا یقولوا حتی یعلموا و لا یردوا ما لم یعلموا،فقال:

أَ لَمْ یُؤْخَذْ عَلَیْهِمْ مِیثٰاقُ الْکِتٰابِ أَنْ لاٰ یَقُولُوا عَلَی اللّٰهِ إِلاَّ الْحَقَّ

(۲)

.و قال! بَلْ کَذَّبُوا بِمٰا لَمْ یُحِیطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّٰا یَأْتِهِمْ تَأْوِیلُهُ (۳).

و عنه(ع)! «إذا سئل الرجل منکم عما لا یعلم،فلیقل!لا أدری، و لا یقل:اللّه أعلم،فیوقع فی قلب صاحبه شکا.و إذا قال المسئول!لا أدری،فلا یتهمه السائل».

و عنه(ع): «إیاک و خصلتین ففیهما هلک من هلک إیاک أن تفتی الناس برأیک،أو تدین بما لا تعلم»،

و عن الباقر(ع) «من أفتی الناس بغیر علم و لا هدی لعنته ملائکه الرحمه و ملائکه العذاب و لحقه وزر من عمل بفتیاه».

و ربما کان لکل من المتعلم و المعلم آداب أخر تظهر لمن وقف علی فن الأخلاق.ثم العارف بأهل زماننا یعلم أن آداب التعلم و التعلیم کسائر الآداب و الفضائل فیهم مهجوره،و الأمر فی مثل الزمان کما قال فی وصفه بعض أهل

---

۱ - ۱) الحدیث المروی فی أصول الکافی هکذا:«عن زراره بن أعین قال سألت أبا جعفر-علیه السلام-ما حق اللّه علی العباد؟قال:أن یقولو ما یعلمون...»الی آخر الحدیث.

۲- ۲) الأعراف،الآیه

۳- ۳) یونس،الآیه:۳۹.

العرفان!«قد فسد الزمان و أهله،و تصدی للتدریس من قل علمه و کثر جهله، فانحطت مرتبه العلم و أصحابه،و اندرست مراسمه بین طلابه».

تتمیم (العلم الإلهی و علم الأخلاق و الفقه أشرف العلوم)

العلم کله و إن کان کمالا للنفس و سعاده،إلا أن فنونه متفاوته فی الشرافه و الجمال و وجوب التحصیل و عدمه،فإن بعضها کالطب و الهندسه و العروض و الموسیقی و أمثالها،مما ترجع جل فائدته إلی الدنیا و لا یحصل بها مزید بهجه و سعاده فی العقبی،و لذا عدت من علوم الدنیا دون الآخره،و لا یجب تحصیلها،و ربما وجب تحصیل بعضها کفایه.

و ما هو علم الآخره الواجب تحصیله،و أشرف العلوم و أحسنها هو العلم الإلهی المعرف لأصول الدین،و علم الأخلاق المعرف لمنجیات النفس و مهلکاتها، و علم الفقه المعرف لکیفیه العبادات و المعاملات،و العلوم التی مقدمات لهذه الثلاثه کالعربیه و المنطق و غیرهما یتصف بالحسن و وجوب التحصیل من باب المقدمه،و هذه العلوم الثلاثه و إن وجب أخذها إجمالا إلا أنها فی کیفیه الأخذ مختلفه!فعلم الأخلاق یجب أخذه عینا علی کل أحد علی ما بینته الشریعه و أوضحه علماء الأخلاق،و علم الفقه یجب أخذ بعضه عینا إما بالدلیل أو التقلید من مجتهد حی،و التارک للطریقین غیر معذور،و لذا ورد الحث الأکید علی التفقه فی الدین،

قال الصادق(ع)! «علیکم بالتفقه فی دین اللّه و لا تکونوا أعرابا،فإنه من لم یتفقه فی دین اللّه لم ینظر إلیه یوم القیامه و لم یزک له عملا»،

و قال! «لیت السیاط علی رءوس أصحابی حتی یتفقهوا فی الحلال و الحرام»،

و قال(ع)! «إن آیه الکذاب أن یخبرک خبر السماء و الأرض و المشرق و المغرب،فإذا سألته عن حرام اللّه و حلاله لم یکن

عنده شیء».

و أما أصول العقائد فیجب أخذها عینا من الشرع و العقل،و هما متلازمان لا یتخلف مقتضی أحدهما عن مقتضی الآخر،إذ العقل هو حجه الله الواجب امتثاله و الحاکم العدل الذی تطابق أحکامه الواقع و نفس الأمر، فلا یرد حکمه،و لولاه لما عرف الشرع،

و لذا ورد! «أنه ما أدی العبد فرائض اللّه حتی عقل عنه،و لا بلغ جمیع العابدین فی فضل عبادتهم ما بلغ العاقل»

(۱)

،فهما متعاضدان و متظاهران،و ما یحکم به أحدهما یحکم به الآخر أیضا،و کیف یکون مقتضی الشرع مخالفا لمقتضی ما هو حجه قاطعه و أحکامه للواقع مطابقه،فالعقل هو الشرع الباطن و النور الداخل،و الشرع هو العقل الظاهر و النور الخارج،و ما یتراءی فی بعض المواضع من التخالف بینهما إنما هو لقصور العقل أو لعدم ثبوت ما ینسب إلی الشرع منه،فإن کل عقل لیس تاما،و کلما ینسب إلی الشرع لیس ثابتا منه،فالمناط هو العقل الصحیح و ما ثبت قطعا من الشریعه،و أصح العقول و أقواها و أمتنها و أصفاها هو عقل صاحب الوحی،و لذا یدرک بنوریته ما لا-سبیل لأمثال عقولنا إلی درکه، کتفاصیل أحوال نشأه الآخره،فاللازم فی مثله أن نأخذه منه إذعانا و إن لم نعرف مأخذه العقلی.

أصول العقائد المجمع علیها

ثم ما أجمعت الأمه المختاره علیه من أصول العقائد هو!أن الواجب سبحانه موجود،و أنه واحد فی الألوهیه،و بسیط عن شوائب الترکیب، و منزه عن الجسمیه و عوارضها،و أن وجوده و صفاته عین ذاته،و أنه متقدم

۱- ۱) هذا الحدیث رواه فی أصول الکافی عن النبی-صلی اللّه علیه و آله فی کتاب العقل و الجهل فصححناه علیه،و فی نسخ جامع السعادات اختلاف عما هنا.

على الزمـان و المكـان و متعـال عنهمـا،و أنه حى قـديم أزلى قادر مريـد عالم بجميع الأشـياء،و علمه بها بعـد إيجادها كعلمه بها قبله،و لا يزداد بإحداثها علما، و أن قدرته عامه بالنسـبه إلى جميع الممكنات،و أنه يخلق ما يشاء و يفعل ما يريد و لا يكون شىء إلا بمشـيئته،و أنه عدل فى حكمه صادق فى وعده،و بالجمله مسـتجمع لجميع الصـفات الكماليه،و ليس كمثله شىء،و لا يتصور عقل و لا وهم مثله،بل هو تام فوق التمام.

و أن القرآن كلامه،و محمـد-صـلى اللّه عليه و آله و سـلم-رسوله،ما أتى به من أمور النشأه الآخره من الجنه و النار و الحساب و الثواب و العقاب و الصـراط و الميزان و الشـفاعه و غير ذلك مما ثبت فى شـريعته المقـدسه حق ثابت،فيجب على كل مؤمن أن يأخذ بجميع ذلك و يتشبث به و يجرد باطنه له،بحيث لو أورد عليه ما ينقصه لم يقبله و لم يعرضه شك و ريب.

ثم إن المكلفين مختلفون فى كيفيه التصـديق و الإذعان بالعقائد المذكوره، فبعضـهم فيها على يقين مثل ضوء الشـمس،بحيث لو كشف عنهم الغطـاء ما ازدادوا يقينا (۱)، و بعضـهم على يقين دون ذلـك،و أقل هؤلاء رتبه أن تصل مرتبه يقينهم إلى طمأنينه لا اضطراب فيها،و بعضهم على مجرد تصديق ظنى يتزلزل من الشبهات و إلقاء النقيض،و إلى هذا الاختلاف

أشـار الإمـام محمـد ابن على البـاقر-عليهما السـلام-بقوله «ان المؤمنين على منازل:منهم على واحـده، و منهم على اثنتين،و منهم على ثلاث،و منهم على أربع،و منهم على خمس،و منهم على ست،و منهم على سبع،فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحده ثنتين لم يقو،

۱- ۱) كما قال أمير المؤمنين-عليه الصلاه و السلام-:«لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقينا».

و علی صاحب الثنتین ثلاثا لم یقو...إلی آخره» (۱).

و الإمام أبو عبد اللّه الصادق(ع)بقوله! «إن للإیمان حالات و درجات و طبقات و منازل،فمنه التام المنتهی تمامه،و منه الناقص البین نقصانه،و منه الراجح الزائد رجحانه» و لا ریب فی أن تحصیل ما یطمئن به القلب فی العقائد الواجبه أخذها مما لا بد منه لکل مکلف،و مجرد التصدیق من غیر اطمئنان القلب غیر کاف للنجاه فی الأخری و الوصول إلی مراتب المؤمنین.و مع حصول الاطمئنان تحصل النجاه و الفوز بالفلاح و إن لم یکن حصوله من تفاصیل البراهین الحکمیه و الدلائل الکلامیه،بل کان حاصلا من دلیل إجمالی برهانی أو إقناعی،إذ الشرع الشریف لم یکلف بأکثر من التصدیق و الجزم بظاهر العقائد المذکوره، و لم یکلف البحث و التفتیش عن کیفیاتها و حقائقها و عن تکلف ترتیب الأدله فی نظمها،فلو حصل لأحد طمأنینه فی اتصاف الواجب بجمیع الصفات الکمالیه و براءته عن الصفات السلبیه،بمجرد أن عدم الاتصاف بالأولی و الاتصاف بالثانیه نقص لا یلیق بذاته الأقدس،کان کافیا فی النجاه و الدخول فی زمره المؤمنین.و کذا إذا حصل له ذلک بمجرد أن هذا مما اتفق علیه فرق الأنبیاء و أساطین الحکماء و العلماء،و قوه عقولهم و دقه أفهامهم تأبی عن اتفاقهم علی محض الخطأ.و قس علی ذلک غیره مما یفید الاطمئنان کائنا ما کان.

قال العلامه«الطوسی»-ره-فی بعض تصانیفه!«أقل ما یجب اعتقاده علی المکلف هو ما ترجمه قول لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه،ثم إذا

۱- ۱) الحدیث مروی فی أصول الکافی فی باب درجات الإیمان و بقیته: «و علی صاحب الثلاث أربعا لم یقو،و علی صاحب الأربع خمسا لم یقو، و علی صاحب الخمس ستا لم یقو،و علی صاحب الست سبعا لم یقو...و علی هذه الدرجات».

صدق الرسول ينبغى أن يصدقه فى صفات اللّه و اليوم الآخر و تعيين الإمام المعصوم،كل ذلک مما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد برهان!أما فى صفات اللّه فبأنه حى عالم قادر مريد متكلم ليس كمثله شىء و هو السميع البصير،و اما فى الآخره فبالإيمان بالجنه و النار و الصراط و الميزان و الحساب و الشفاعه و غيرها،و لا يجب عليه أن يبحث عن حقيقه الصفات،و أن الكلام و العلم و غيرهما حادث أو قديم،بل لو لم تخطر هذه بباله و مات مات مؤمنا،فإن غلب على قلبه شک أو إشكال،فإن أمكن إزالته بكلام قريب من الأفهام و إن لم يكن قويا عند المتكلمين و لا مرضيا فذلک كاف،و لا حاجه إلى تحقيق الدليل،فإن الدليل لا يتم إلا بذكر الشبهه و الجواب،و مهما ذكرت الشبهه لا يؤمن أن تتشبث بالخاطر و القلب فيظنها حقه لقصوره عن إدراک جوابها، إذ الشبهه قد تكون جليه و الجواب دقيقا لا يحتمله عقله،و لذا ورد الزجر عن البحث و التفتيش فى الكلام،و إنما زجر ضعفاء العوام،و أما أئمه الدين فلهم الخوض فى غمره الإشكالات.و منع العوام عن الكلام يجرى مجرى منع الصبيان عن شاطئ دجله خوفا من الغرق،و رخصه الأقوياء فيه أيضا هى رخصه الماهر فى صنعه السباحه،إلا أن ههنا موضع غرور و منزله قدم، و هو أن كل ضعيف فى عقله يظن أنه يقدر على إدراک الحقائق كلها،و أنه من جمله الأقوياء فربما يخوضون و يغرقون فى بحر الجهالات من حيث لا يشعرون، فالصواب منع الخلق كلهم-إلا الشاذ النادر الذى لا تسمح الأعصار إلا بواحد منهم أو اثنين-من تجاوز سلوک أهل العلم فى الإيمان المرسل و التصديق المجمل بكل ما أنزل اللّه و أخبر به رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم- فمن اشتغل بالخوض فيه فقد أوقع نفسه فى شغل شاغل،إذ

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله و سلم- حين رأى أصحابه يخوضون،بعد أن غضب حتى

احمرت وجنتاه!أ فبهذا أمرتم؟تضربون كتاب اللّه بعضه ببعض!انظروا فيما أمركم اللّه فافعلوا و ما نهاكم عنه فانتهوا» فهذا على تنبيه منهج الحق.

ثم لا ريب فى أن نورانيه اليقين و وضوحه،بل و اطمئنان القلب و سكونه.لا يحصل من مجرد صنعه الجدل و الكلام،كما لا يحصل من محض التلقين و تقليد العوام.بل(الأول)-أعنى الاستضاءه بنور اليقين-يتوقف على ملازمه الورع و التقوى،و فطام النفس عن الهوى و إزاله كدرتها و صدأها! وَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها (۱).

و تطهيرها عن ذمائم الصفات و الاشتغال بمشاق الرياضه و المجاهدات،حتى يقذف فى قلبه نور إلهى تنكشف به الحجب و الأستار عن حقائق هذه العقائد، و هو غايه مقصد الطالبين و قره عيون الصديقين و المقربين و له درجات و مراتب، و الناس فيه مختلفون بحسب اختلافهم فى القوه و الاستعداد و السعى و الاجتهاد، كما هم مختلفون فى إدراك أنواع العلوم و الصنائع«و كل ميسر لما خلق له» (۲).

و أما(الثانى)-أعنى مجرد الاعتقاد الجازم الراسخ بظواهر تلك العقائد-فيمكن أن يحصل بما دون ذلك،بأن يشتغل-بعد تلقين هذه العقائد و التصديق بها-بوظائف الطاعات،و يصرف برهه من وقته فى شرائف العبادات،و يواظب على تفسير القرآن و تلاوته،و درس الحديث و درايته، و يحترز عن مخالطه أولى المذاهب الفاسده و ذوى الآراء الباطله،بل يجتنب كل الاجتناب عن مرافقه أرباب الهوى و أصحاب الشر و الشقاء،و يختار مصاحبه أهل الورع و اليقين،و مجالسه الأتقياء و الصالحين،و يلاحظ سيماهم و سيرتهم و هيئاتهم فى الخضوع للّه و الاستكانه،فيكون التلقين كالقاء البذر فى

۱- ۱) الشمس،الآيه:۹.

۲- ۲) حديث نبوى شريف مشهور تقدم ذكره صفحه«۲۶».

الصـدر،و هذه الأمور كالسـقى و التربيه له،فينمو ذلك البذر بها و يتقوى و يزداد رسوخا،حتى يرتفع شـجره طيبه راسـخه أصـلها ثابت و فرعها فى السـماء. ثم من وصل إلى مقام العقيده الجازمه إن اشـتغل بالشواغل الدنيويه و لم يشـتغل بالرياضه و المجاهده لم ينكشف له غيره،و لكنه إذا مات مات مؤمنا على الحق و سلم فى الآخره،و إن اشتغل بتصقيل النفس و ارتياضها انشرح صدره و انفتح له باب الإفاضه،و وصل إلى المرتبه الأولى.

أنواع الرذائل المتعلقه بالعاقله

اشاره

أما الأنواع المتعلقه بالعاقله

فمنها:

الجهل المركب

و هو خلو النفس عن العلم و إذعانهـا بمـا هو خلاـف الواقع،مع اعتقـاد كونها عالمه بما هو الحق،فصاحبه لا يعلم،و لا يعلم أنه لا يعلم،و لـذا سـمى مركبا.و هو أشـد الرذائل و أصـعبها،و إزالته فى غايه الصـعوبه،كما هو ظاهر من حال بعض الطلبه.و قد اعترف أطباء النفوس بالعجز عن معالجته كما اعترف أطباء الأبدان بالعجز عن معالجه بعض الأمراض المزمنه،

و لذا قال عيسـى-عليه السلام-: «إنى لا أعجز عن معالجه الأكمه و الأبرص و أعجز عن معالجه الأحمق». و السر فيه!أنه مع قصور النفس بهـذا الاعتقاد الفاسـد لا يتنبه على نقصانها،فلا يتحرك للطلب،فيبقى فى الضـلاله و الردى ما دام باقيا فى دار الدنيا.ثم إن كـان المنشأ له اعوجـاج السـليقه فأنفع العلاج له تحريض صاحبه على تعلم العلوم الرياضـيه من الهنـدسه و الحساب،فإنها موجبه لاسـتقامه الـذهن لأـلفه لأجلهـا باليقينيـات فيتنبـه على خلـل اعتقادهـا،فيصـير جهلهـا بسـيطا،فينتهض للطلـب.و إن كـان خطأ فى الاستدلال،فليوازن استدلاله لاستدلالات أهل التحقيق و المشهورين باستقامه القريحه،و يعرض

أدله المطلوب على القواعد الميزانيه باحتياط تام و استقصاء بليغ،حتى يظهر خطأه.و إن كان مانع من عصبيه أو تقليد أو غير ذلک فليجتهد فى إزالته.

و منها الشک و الحيره

اشاره

و هو من باب رداءه الكيفيه و هو عجز النفس عن تحقيق الحق و إبطال الباطل فى المطالب الخفيه،و الغالب حصوله من تعارض الأدله،و لا ريب أنه مما يهلک النفس و يفسدها،إذ الشک ينافى اليقين الذى لا يتحقق الإيمان بدونه.

قال أمير المؤمنين-عليه السلام-فى بعض خطبه: «لا ترتابوا فتشكوا و لا تشكوا فتكفروا، و كأن الارتياب فى كلامه-عليه السلام-مبدأ الشک.

و قال الباقر-عليه السلام-: «لا ينفع مع الشک و الجحود عمل».

و قال الصادق-عليه السلام-: «إن الشک و المعصيه فى النار ليس منا و لا إلينا».

و سئل-عليه السلام- عن قول اللّه تعالى! اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمٰانَهُمْ بِظُلْمٍ (۱).

قال:«بشک».

و قال-عليه السلام-: «من شک فى اللّه تعالى بعد مولده على الفطره لم يفئ إلى خير أبدا».

و قال-عليه السلام-: «من شک أو ظن فأقام على أحدهما احبط اللّه عمله،إن حجه اللّه هى الحجه الواضحه».

و قال-عليه السلام-: «من شک فى اللّه تعالى و فى رسوله -صلى اللّه عليه و آله و سلم-فهو كافر». و بمضمونه وردت أخبار أخر.و غير خفى أن المراد بالشک ما يضعف الاعتقاد و يزيل اليقين لا مجرد الوسوسه و حديث النفس،لما يأتى أنه لا ينافى الإيمان،بل الظاهر من بعض الأخبار أن إيجاب الشک للكفر إذا انجر إلى الجحود،

كما روى أن أبا بصير سأل الصادق-عليه السلام-ما تقول فيمن شک فى اللّه تعالى؟قال:«كافر»،

۱- ۱) الأنعام،الآيه:۸۲.

قال:فشک فی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-؟قال«کافر»،ثم التفت إلی زراره فقال:«انما یکفر إذا جحد».

ثم علاجه أن یتذکر أولا قضیه بدیهیه،هی:أن النقیضین لا یجتمعان و لا یرتفعان،و منه یعلم إجمالا أن أحد الشقوق العقلیه المتصوره فی المطلوب ثابت فی الواقع و نفس الأمر و البواقی باطله،ثم یتصفح المقدمات المناسبه للمطلوب و یعرضها علی الأقیسه المنطقیه باستقصاء بلیغ و احتیاط تام فی کل طرف،حتی یقف علی موضع الخطأ و یجزم بحقیه أحد الشقوق و بطلان الآخر.و الغرض من وضع المنطق(لا)سیما مباحث القیاسات السوفسطائیه المشتمله علی المغالطات إزاله هذا المرض.و لو کان ممن لا یقتدر علی ذلک، فالعلاج فی حقه أن یواظب علی العباده و قراءه القرآن،و یشتغل بمطالعه الأحادیث و سماعها من أهلها،و یجالس الصلحاء و المتقین و أصحاب الورع و أهل الیقین،لتکتسب نفسه بذلک نورانیه یدفع بها ظلمه شکه.

وصل الیقین

قد عرفت:أن ضد الجهل المرکب و الحیره و الشک هو(الیقین)،و أول مراتبه اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع غیر زائل بشبهه و إن قویت، فالاعتقاد الذی لا یطابق الواقع لیس یقینا،و إن جزم به صاحبه و اعتقد مطابقته للواقع،بل هو-کما أشیر إلیه-جهل مرکب ینشأ عن اعوجاج القریحه،أو خطأ فی الاستدلال،أو حصول مانع من إفاضه الحق کتقلید أو عصبیه أو غیر ذلک.فالیقین من حیث اعتبار الجزم فیه یکون ضد الحیره و الشک،و من حیث اعتبار المطابقه للواقع فیه یکون ضدا للجهل المرکب.

ثم العلم إن لم یعتبر فیه المطابقه للواقع ففرقه عن الیقین ظاهر،و إلا

فیتساویان و یتشارکان فی المراتب المثبته للیقین.

هـذا و متعلق الیقین إمـا أجزاء الإیمـان و لوازمه،من وجود الواجب و صـفاته الکمـالیه و سائر المباحث الإلهیه من النبوه و أحوال النشأه الآـخره، أو غیرها من حقائق الأشـیاء التی لا یتم الإیمان بـدونها.و لا ریب فی أن مطلق الیقین أقوی أسـباب السـعاده،و إن کان الیقین فی المباحث الإلهیه أدخل فی تکمیل النفس و تحصـیل السعاده الأخرویه،لتوقف الإیمان علیه،بل هو أصله و رکنه،و غیره مـن المراتـب فرعه و غصـنه،و النجـاه فی الآـخره لاـ تحصـل إلاـ به،و الفاقـد له خـارج عن زمره المـؤمنین داخـل فی حزب الکافرین.

و بالجمله:الیقین أشرف الفضائل الخلقیه و أهمها،و أفضل الکمالات النفسیه و أعظمها،و هو الکبریت الأحمر الذی لا یظفر به إلا أوحدی من أعاظم العرفاء أو ألمعی من أکابر الحکماء.و من وصل إلیه فاز بالرتبه القصوی و السعاده العظمی.

قـال سـید الرسـل-صـلی اللّه علیه و آله و سـلم-: «أقـل ما أوتیتم الیقین و عزیمه الصبر،و من أوتی حظه منهما لم یبال ما فاته من صیام النهار و قیام اللیل»،

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «الیقین الإیمان کله»

و قـال-صـلی اللّـه علیـه و آلـه و سـلم-: مـا آدمی إلاـ و لـه ذنـوب،و لکـن مـن کـانت غریزتـه العقـل و سـجیته الیقین لـم تضـره الذنوب،لأنه کلما أذنب ذنبا تاب و استغفر و ندم فتکفر ذنوبه و یبقی له فضل یدخل به الجنه».

و قال الصادق-علیه السلام-! «إن العمل الدائم القلیل علی الیقین أفضل عند اللّه تعالی من العمل الکثیر علی غیر یقین»،

و عنـه علیه السـلام-! إن اللّه تعـالی بعـدله و قسـطه جعـل الروح و الراحه فی الیقین و الرضـا،و جعـل الهم و الحزن فی الشـک و السخط».

و فی وصیه لقمان لابنه: «یا بنی!لا یستطاع العمل إلا بالیقین،و لا یعمل المرء إلا بقدر یقینه،و لا یقصر عامل حتی ینقص یقینه».

علامات صاحب اليقين

ثم لصاحب اليقين علامات!

(منها)ألا يلتفت فی أموره إلی غیر اللّه سبحانه.

و لا یکون اتکاله فی مقاصده إلا علیه،و لا ثقته فی مطالبه إلا به.فیتبری عن کل حول و قوه سوی حول اللّه و قوته،و لا یری لنفسه و لا لأبناء جنسه قدره علی شیء و لا منشأیه لأثر.و یعلم أن ما یرد علیه منه تعالی و ما قدّر له و علیه من الخیر و الشر سیساق إلیه أ فتستوی عنده حاله الوجود و العدم.و الزیاده و النقصان و المدح و الذم.و الفقر و الغنی.و الصحه و المرض.و العز و الذل.و لم یکن له خوف و رجاء إلا منه تعالی.و السر فیه:أنه یری الأشیاء کلها من عین واحده هو مسبب الأسباب.و لا یلتفت إلی الوسائط،بل یراها مسخره تحت حکمه

قال الإمام أبو عبد اللّه-علیه السلام-! «من ضعف یقینه تعلق بالأسباب،و رخص لنفسه بذلک،و اتبع العادات و أقاویل الناس بغیر حقیقه،و السعی فی أمور الدنیا و جمعها و إمساکها،مقرا باللسان أنه لا مانع و لا معطی إلا اللّه،و أن العبد لا یصیب إلا ما رزق و قسم له،و الجهد لا یزید فی الرزق،و ینکر ذلک بفعله و قلبه، قال اللّه سبحانه:

یَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ مٰا لَیْسَ فِی قُلُوبِهِمْ وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا یَکْتُمُونَ

(۱)

.

۱- ۱) الآیه من سوره آل عمران:۱۶۱ و هذا الحدیث منقول عن(مصباح الشریعه و مفتاح الحقیقه)المنسوب إلی الصادق-علیه السلام-و هذا الکتاب قال فیه المجلسی-قدس سره-فی مقدمه البحار:«فیه ما یریب اللبیب الماهر،و اسلوبه لا یشبه سائر کلمات الأئمه و آثارهم»،ثم قال!«و إن سنده ینتهی إلی الصوفیه و لذا اشتمل علی کثیر من اصطلاحاتهم و علی الروایه عن مشایخهم».

و قال-علیه السلام-! «لیس شیء الا و له حد»قیل!فما حد التوکل؟قال!«الیقین»،قیل!فما حد الیقین؟قال!«ألا تخاف مع اللّه شیئا».

و عنه-علیه السلام-! «من صحه یقین المرء المسلم ألا یرضی الناس بسخط اللّه و لا یلومهم علی ما لم یؤته اللّه فإن الرزق لا یسوقه حرص حریص و لا ترده کراهیه کاره،و لو أن أحدکم فرّ من رزقه کما یفرّ من الموت لأدرکه رزقه کما یدرکه الموت».

(و منها)أن یکون فی جمیع الأحوال خاضعا للّه سبحانه.

خاشعا منه، قائما بوظائف خدمته فی السر و العلن،مواظبا علی امتثال ما أعطته الشریعه من الفرائض و السنن،متوجها بشراشره إلیه،متخضعا متذللا بین یدیه، معرضا عن جمیع ما عداه،مفرغا قلبه عما سواء،منصرفا بفکره إلی جناب قدسه،مستغرقا فی لجه حبه و أنسه،و السر أن صاحب الیقین عارف باللّه و عظمته و قدرته،و بأن اللّه تعالی مشاهد لأعماله و أفعاله،مطلع علی خفایا ضمیره و هواجس خاطره،و أن:

مَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ (1).

فیکون دائما فی مقام الشهود لدیه و الحضور بین یدیه،فلا ینفک لحظه عن الحیاء و الخجل و الاشتغال بوظائف الأدب و الخدمه،و یکون سعیه فی تخلیه باطنه عن الرذائل و تحلیته بالفضائل لعین اللّه الکالئه أشد من تزیین

۱- ۱) الزلزال،الآیه:۸-۹

ظاهره لأبناء نوعه.

و بـالجمله:من يقينه بمشاهـدته تعـالى لأعمـاله الباطنه و الظاهره و بالجزاء و الحساب،يكون أبـدا فى مقام امتثال أوامره و اجتناب نواهيه.

و من يقينه بمـا فعـل اللّه فى حقه من إعطـاء ضـروب النعم و الإحسـان، يكون دائمـا فى مقام الانفعال و الخجل و الشـكر لمنعمه الحقيقى.

و من يقينه بما يعطيه المؤمنين فى الدار الآخره من البهجه و السرور، و ما أعده لخلص عبيده مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب أحد،يكون دائما فى مقام الطمع و الرجاء.

و من يقينه باستناد جميع الأـمور إليه سبحانه،و بأن صـدور ما يصـدر فى العالم إنما يكون بالحكمه و المصـلحه و العنايه الأزليه الراجعه إلى نظام الخير، يكون أبدا فى مقام الصبر و التسليم و الرضا بالقضاء من دون عروض تغير و تفاوت فى حاله.

و من يقينه بكون الموت داهيه من الدواهى العظمى و ما بعده أشد و أدهى،يكون أبدا محزونا مهموما.

و من يقينه بخساسه الدنيا و فنائها،لا يركن إليها.

قال الصادق-عليه السلام- فى الكنز الذى قال اللّه تعالى:

وَ كٰانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمٰا

(۱)

:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم:عجبت لمن أيقن بـالموت كيـف يفرح، و عجبت لمن أيقن بالقـدر كيـف يحزن،و عجبت لمن أيقن بالدنيا و تقلبها بأهلها كيف يركن إليها».

و من يقينه بعظمه اللّه الباهره و قوته القاهره،يكون دائما فى مقام

۱- ۱) الكهف الآيه:۸۲.

الهیبه و الدهشه.

و قد ورد أن سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله و سلم-کان من شده خضوعه و خشوعه للّه تعالی و خشیته منه تعالی بحیث إذا کان یمشی یظن أنه یسقط علی الأرض.

و من یقینه بکمالاته الغیر المتناهیه و کونه فوق التمام،یکون دائما فی مقام الشوق و الوله و الحب.و حکایات أصحاب الیقین من الأنبیاء و المرسلین و الأولیاء و الکاملین فی الخوف و الشوق و ما یعتریهم من الاضطراب و التغیر و التلون و أمثال ذلک فی الصلاه و غیرها مشهوره،و فی کتب التواریخ و السیر مسطوره،و کذا ما یأخذهم من الوله و الاستغراق و الابتهاج و الانبساط باللّه سبحانه. و حکایه حصول تکرر الغشیات لمولانا أمیر المؤمنین-علیه السلام- فی أوقات الخلوات و المناجاه و غفلته عن نفسه فی الصلوات مما تواتر عند الخاصه و العامه.و کیف یتصور لصاحب الیقین الواقعی باللّه و بعظمته و جلاله و باطلاعه تعالی علی دقائق أحواله،أن یعصیه فی حضوره و لا یحصل له الانفعال و الخشیه و الدهشه و حضور القلب و التوجه التام إلیه عند القیام لدیه و المثول بین یدیه،مع أنا نری أن الحاضر عند من له أدنی شوکه مجازیه من الملوک و الأمراء مع رذالته و خساسته أولا و آخرا یحصل له من الانفعال و الدهشه و التوجه إلیه بحیث یغفل عن ذاته.

(و منها)أن یکون مستجاب الدعوات،

بل له الکرامات و خرق العادات.و السر فیه أن النفس کلما ازدادت یقینا ازدادت تجردا،فتحصل لها ملکه التصرف فی موارد الکائنات.

قال الإمام أبو عبد الصادق-علیه السلام-: الیقین یوصل العبد إلی کل حال سنی و مقام عجیب،کذلک أخبر رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-من عظم شأن الیقین حین ذکر عنده أن عیسی بن مریم-علیه السلام-کان یمشی علی الماء،فقال:لو زاد یقینه

لمشـی فی الهوی» .فهذا الخبر دل علی أن الکرامات تزداد بازدیاد الیقین، و أن الأنبیاء مع جلاله محلهم من اللّه متفاوتون فی قوه الیقین و ضعفه.

مراتب الیقین

و قـد ظهر ممـا ذکر:أن الیقین جـامع جمیع الفضائل و لا ینفک عن شـیء منها،ثم له مراتب: (أولها)علم الیقین،و هو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع-کما مر-و هو یحصل من الاسـتدلال باللوازم و الملزومات،و مثاله الیقین بوجود النار من مشاهـده الدخان. (و ثانیها)عین الیقین،و هو مشاهده المطلوب و رؤیته بعین البصیره و الباطن،و هو أقوی فی الوضوح و الجلاء من المشاهده بالبصر،و إلی هذه المرتبه

أشار أمیر المؤمنین(ع)بقوله! «لم أعبد ربا لم أره»بعد سؤال ذعلب الیمانی عنه-علیه السلام-!أ رأیت ربک؟

و بقوله-علیه السـلام-: «رأی قلبی ربی» .و هو إنمـا یحصـل من الریـاضه و التصـفیه و حصول التجرد التـام للنفس،و مثـاله الیقین بوجود النار عنـد رؤیتها عیانا، و(ثالثها)حق الیقین،و هو أن تحصل وحده معنویه و ربط حقیقی بین العاقل و المعقول،بحیث یری العاقل ذاته رشـحه من المعقول و مرتبطا به غیر منفک عنه،و یشاهـد دائما ببصـیرته الباطنیه فیضان الأنوار و الآثار منه الیه،و مثاله الیقیـن بوجـود النـار بالـدخول فیهـا مـن غیر احـتراق.و هـذا إنمـا یکـون لکمـل العـارفین بـاللّه المسـتغرقین فی لجـه حبـه و أنسه،المشاهـدین ذواتهم بل سائر الموجودات من رشـحات فیضه الأقـدس،و هم الصـدیقون الذین قصـروا أبصارهم الباطنه علی ملاحظه جماله و مشاهده أنوار جلاله.و حصول هذه المرتبه یتوقف علی مجاهدات شاقه و ریاضیات قویه،و ترک رسوم العادات و قطع أصـول الشـهوات،و قلع الخـواطر النفسـانیه و قمـع الهواجس الشـیطانیه، و الطهـاره عن أدنـاس جیفه الطـبیعه،و التنزه عن زخارف الدنیا الدنیه،و بدون

ذلک لا یحصل هذا النوع من الیقین و المشاهده:

و کیف تری لیلی بعین تری بها

سواها و ما طهرتها بالمدامع

ثم فوق ذلک مرتبه یثبتها بعض أهل السلوک و یعبرون عنه(بحقیقه حق الیقین و الفناء فی اللّه،و هو أن یری العارف ذاته مضمحلا فی أنوار اللّه محترقا من سبحات وجهه،بحیث لا یری استقلالا و لا تحصیلا أصلا، و مثاله الیقین بوجود النار بدخوله فیها و احتراقه منها.

ثم لا ـ ریب فی أن الیقین الحقیقی النورانی المبری عن ظلمات الأوهام و الشکوک و لو کان من المرتبه الأولی لا یحصل من مجرد الفکر و الاستدلال، بل یتوقف حصوله علی الریاضه و المجاهده و تصقیل النفس و تصفیتها عن کدورات ذمائم الأخلاق و صدأها،لیحصل لها التجرد التام فتحاذی شطر العقل الفعال،فتتضح فیها جلیه الحق حق الاتضاح. و السر أن النفس بمنزله المرآه تنعکس إلیها صور الموجودات من العقل الفعال،و لا ـ ریب فی أن انعکاس الصور من ذوات الصور إلی المرآه یتوقف علی تمامیه شکلها و صقاله جوهرها و حصول المقابله و ارتفاع الحائل بینهما و الظفر بالجهه التی فیها الصور المطلوبه،فیجب فی انعکاس حقائق الأشیاء من العقل إلی النفس: -۱-عدم نقصان جوهرها،فلا یکون کنفس الصبی التی لا تنجلی لها المعلومات لنقصانها -۲- و صفاؤها عن کدورات ظلمه الطبیعه و إخباث المعاصی،و نقاؤها عن رسوم العادات و خبائث الشهوات.و هو بمنزله الصقاله عن الخبث و الصدا -۳-و توجهها التام و انصراف فکرها إلی المطلوب،فلا یکون مستوعب الهم بالأمور الدنیویه و أسباب المعیشه و غیرهما من الخواطر المشوشه لها،و هو بمنزله المحاذاه -۴-و تخلیتها عن التعصب و التقلید.و هو بمثابه ارتفاع الحجب -۵-و استحصال المطلوب من تألیف مقدمات مناسبه للمطلوب علی

ص :۱۶۱

الترتیب المخصوص و الشرائط المقرره،و هو بمنزله العثور علی الجهه التی فیها الصوره.

و لولا هذه الأسباب المانعه للنفوس عن إفاضه الحقائق الیقینیه إلیها، لکانت عالمه بجمیع الأشیاء المرتسمه فی العقول الفعاله،إذ کل نفس لکونها أمرا ربانیا و جوهرا ملکوتیا فهی بحسب الفطره صالحه لمعرفه الحقائق،و لذا امتازت عن سائر المخلوقات من السماوات و الأرض و الجبال،و صارت قابله لحمل أمانه اللّه (۱)التی هی المعرفه و التوحید،فحرمان النفس عن معرفه أعیان الموجودات إنما هو لأحد هذه الموانع،و قد أشار سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله و سلم-الی مانع التعصب و التقلید

بقوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم- «کل مولود یولد علی الفطره حتی یکون أبواه یهودانه و یمجسانه (۲)و ینصرانه» ،و إلی مانع کدورات المعاصی و صدأها

بقوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لو لا أن الشیاطین یحومون علی قلوب بنی آدم لنظروا إلی ملکوت السماوات و الأرض». فلو ارتفعت عن النفس حجب السیئات و التعصب و حاذت شطر الحق الأول تجلت لها صوره عالم الملک و الشهاده بأسره،إذ هو

۱- ۱) إشاره إلی قوله تعالی: إِنّٰا عَرَضْنَا الْأَمٰانَةَ عَلَی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبٰالِ فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَهٰا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهٰا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّهُ کٰانَ ظَلُوماً جَهُولاً الأحزاب،الآیه:۷۲.

۲- ۲) روی السید المرتضی علم الهدی هذا الحدیث فی الجزء الثالث من أمالیه بدون کلمه(یمجسانه)،و کذا فی غوالی اللئالی،إلا أن المعروف فی روایته إضافه کلمه(یمجسانه)و لکنها بعد کلمه(ینصرانه)،کما أرسلها فی مجمع البیان:ج ۸ ص ۳۰۳ طبع صیدا،و کذا فی مجمع البحرین فی ماده (فطر)،و کذا فی صحیح البخاری:ج ۱ ص ۲۰۶،و صحیح مسلم:ج ۲ ص ۴۱۳،و معالم التنزیل فی هامش تفسیر الخازن:ج ۵ ص ۱۷۲،و غیر هؤلاء.

متناه یمکن لها الإحاطه به،و صوره عالمی الملکوت و الجبروت بقدر ما یتمکن منه بحسب مرتبته،لأنهما الإسرار الغائبه عن مشاهده الأبصار المختصه بإدراک البصائر،و هی غیر متناهیه،و ما یلوح منها للنفس متناه،و إن کانت فی نفسها و بالإضافه إلی علم اللّه سبحانه و غیر متناهیه،و مجموع تلک العوالم یسمی ب(العالم الربوبی)،إذ کل ما فی الوجود من البدایه إلی النهایه منسوب إلی اللّه سبحانه،و لیس فی الوجود سوی اللّه سبحانه و أفعاله و آثاره،فالعالم الربوبی و الحضره الربوبیه هو العالم المحیط بکل الموجودات،فعدم تناهیه ظاهر بین،فلا یمکن للنفس أن تحیط بکله،بل یظهر لها منه بقدر قوتها و استعدادها. ثم بقدر ما یحصل للنفس من التصفیه و التزکیه و ما یتجلی لها من الحقائق و الأسرار،و من معرفه عظمه اللّه و معرفه صفات جلاله و نعوت جماله تحصل لها السعاده و البهجه و اللذه و النعمه فی نعیم الجنه،و تکون سعه مملکته فیها بحسب سعه معرفته باللّه و بعظمته و بصفاته و أفعاله،و کل منها لا نهایه له.و لذا لا تستقر النفس فی مقام من المعرفه.و البهجه و الکمال و التفوق و الغلبه تکون غایه طلبتها،و لا تکون طالبه لما فوقها.

و ما اعتقده جماعه من أن ما یحصل للنفس من المعارف الإلهیه و الفضائل الخلقیه هی الجنه بعینها فهو عندنا باطل،بل هی موجبه لاستحقاق الجنه التی هی دار السرور و البهجه.

و منها:

اشاره

الشرک

و هو أن یری فی الوجود مؤثرا غیر اللّه سبحانه،فإن عبد هذا الغیر -سواء کان صنما أو کوکبا أو إنسانا أو شیطانا-کان شرک عباده،و إن لم یعبده و لکن لاعتقاد کونه منشأ أثر أطاعه فیما لا یرضی اللّه فهو شرک طاعه

ص:۱۶۳

و الأول يسمى بالشرک الجلی،و الثانی یسمی بالشرک الخفی،و إلیه الإشاره بقوله تعالی:

وَ مٰا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ

(۱)

و کون الشرک أعظم الکبائر الموبقه و موجبا لخلود النار مما لا ریب فیه، و قد انعقد علیه إجماع الأمه،و الآیات و الأخبار الوارده به خارجه عن حد الإحصاء.

ثم للشرک مراتب تظهر فی بحث ضده الذی هو التوحید،و الشرک و إن کان شعبه من الجهل،کما أن التوحید الذی هو ضده من أفراد الیقین و العلم فذکرهما علی حده لم یکن لازما هنا،إلا أنه لما کان المتعارف ذکر التوحید فی کتب الأخلاق.فنحن أیضا ذکرنا له عنوانا علی حده تأسیا بها،و أشرنا إلی لمعه یسیره منه،إذ الاستقصاء فیه و الخوض فی غمراته مما لیس فی وسعنا و لا یلیق هنا،فإن التوحید هو البحر الخضم الذی لا ساحل له.

وصل (التوحید فی الفعل)

ضد الشرک(التوحید)،و هو إما توحید فی أصل الذات بمعنی عدم ترکیب خارجی و عقلی فی ذاته تعالی و عینیه وجوده و صفاته لذاته،و یلزمه کونه تعالی صرف الوجود و بحته،أو توحید فی وجوب وجوده بمعنی نفی الشرک فی وجوب الوجود عنه(و لا بحث لنا هنا عن إثبات هذین القسمین،لثبوتهما فی الحکمه المتعالیه)،أو توحید فی الفعل و التأثیر و الإیجاد،بمعنی أن لا فاعل و لا مؤثر إلا هو،و هو الذی نذکر هنا مراتبه و ما یتعلق به فنقول:

هذا التوحید-علی ما قیل-له أربع مراتب:قشر:و قشر القشر،و لب

۱- ۱) یوسف،الآیه:۱۰۶.

و لب اللب كالجوز الذى له قشرتان و له لب،و اللب دهن و هو لب اللب.

(فالمرتبه الأولى)أن يقول الإنسان باللسان:لا إله إلا اللّه،و قلبه منكر و غافل عنه،كتوحيد المنافقين،و هذا توحيد بمجرد اللسان و لا فائده فيه إلا حفظ صاحبه فى الدنيا من السيف و السنان. (الثانيه)أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه،كما هو شأن عموم المسلمين،و هو اعتقاد العوام و صاحبه موحد،بمعنى أنه معتقد بقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه.و هو عقد على القلب لا يوجب انشراحا و انفتاحا و صفاء له،و لكنه يحفظ صاحبه عن العذاب فى الآخره إن مات عليه و لم يضعف بالمعاصى. (الثالثه)أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطه نور الحق،و ذلك بأن يرى أشياء كثيره و لكن يراها بكثرتها صادره عن الواحد الحق،و هو مقام المقربين و صاحبه موحد بمعنى أنه لا يشاهد إلا فاعلا و مؤثرا واحدا،لأنه انكشف له الحق كما هو عليه. (الرابعه)ألا يرى فى الوجود إلا واحدا،و يسميه أهل المعرفه الفناء فى التوحيد،لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا، و إذا لم ير نفسه،لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه فى توحيده،بمعنى أنه فنى عن رؤيه نفسه،و هو مشاهده الصديقين،و صاحبه موحد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد،فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد.و هذا هى الغايه القصوى فى التوحيد.

فالمرتبه الأولى:كالقشره العليا من الجوز،و كما أن هذه القشره لا خير فيها أصلا،بل إن أكلتها فهى مر المذاق،و إن نظرت إلى باطنها فهو كريه المنظر،و إن اتخذتها حطبا أطفأت النار و أكثرت الدخان،و إن تركتها فى البيت ضيقت المكان،فلا تصلح إلا أن تترك مده على الجوز لحفظ القشره السفلى،ثم ترمى،فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر

مـذموم الظاهر و الباطن،لكن ينفع مـده فى حفظ المرتبه الثانيه إلى وقت الموت، و المرتبه الثانيه:كالقشـره السـفلى،فكما أن هذه القشـره ظـاهره النفـع بالإضـافه إلى القشـره العليـا،فإنهـا تصـون اللب عن الفسـاد عنـد الادخـار،و إذا فصـلت أمكن أن ينتفـع بها حطبـا،لكنها نازله القـدر بالإضافه إلى اللب، فكـذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالنسـبه إلى مجرد نطق اللسان،إذ تحصل به النجاه فى الآخره،لكنه ناقص القدر بالإضافه إلى الكشف و العيان الذى يحصل بانشـراح الصدر و انفتاحه بإشـراق نور الحق فيه. و المرتبه الثـالثه:كـاللب،و كمـا أن اللب نفيس فى نفسه بالإضـافه إلى القشـر و كـأنه المقصود لكنه لا يخلو عن شوب عصـاره بالإضـافه إلى الـدهن منه فكـذلك توحيـد الفعـل على طريق الكشف مقصـد عـال للسـالكين،إلاـ أنه لا يخلو عن شوب ملاـحظه الغير و الالتفـات إلى الكثره بالإضـافه إلى من لاـ يشاهـد سوى الواحـد الحق، و المرتبه الرابعه:كالـدهن المسـتخرج من اللب، و كما أن اللب هو المطلوب لذاته و المرغوب فى نفسه.فكذلك قصـر النظر على مشاهده الحق الأول هو المقصود لذاته و المحبوب فى نفسه.

[تنـبيه]إن قيـل:كيف يمكن تحقيق المرتبه الرابعه من التوحيـد لتوقفهـا على عـدم مشاهـده غير الواحـد،مع أن كـل أحـد يشـاهد الأرض و السماء و سائر الأجسام المحسوسه و هى كثيره،فكيف يكون الكثير واحدا؟ (قلنا):من تيقن أن الممكنات بأسرها أعدام صرفه فى نفسـها،و أن مـا به تحققها من اللّه سـبحانه،ثم أحاط على قلبه نور عظمته و جلاله بحيث بهره و غلب على قلبه الحب و الأنس حتى عن غيره أغفله،فأى استبعاد فى أن يوجب شده استغراقه فى لجه العظمه و الجلال و الكمال و الجمال و غلبه الحب و الأنس عليه،مع عدميه الكثره و وحده ما به التحقق عنده و رسوخ ذلك،

و ارتکازه فی قلبه أن لا یری فی نظر شهوده إلا هو،و یغیب عنه غیره،لقصر نظر بصیرته الباطنه علی ما هو الحقیقه و الواقع. و مما یکسر سوره استبعادک:

أن المشغول بالسلطان و المستغرق فی ملاحظه سطوته ربما غفل عن مشاهده غیره،و أن العاشق قد یستغرق فی مشاهده جمال معشوقه و یبهره حبه بحیث لا یری غیره،مع تحقق الکثره عنده،و أن الکواکب موجوده فی النهار مع أنها لا تری لمغلوبیه أنوارها و اضمحلالها فی جنب نور الشمس،فإذا جاز أن یغلب نور الشمس علی نور الکواکب و یقهرها بحیث یضمحل و یغیب عن بصر الظاهر،فأی استبعاد فی أن یغلب نور الوجود الحقیقی القاهر علی الموجودات الضعیفه الإمکانیه و یقهرها،بحیث یغیب عن نظر العقل و البصیره ثم هذه المشاهدات التی لا یظهر فیها إلا اللّه الواحد الحق لا تدوم،بل هی کالبرق الخاطف و الدوام فیها عزیز نادر.

فصل (ابتناء التوکل علی حصر المؤثر فی اللّه تعالی)

اعلم:أنه لا یمکن التوکل علی اللّه تعالی فی الأمور حق التوکل إلا بالبلوغ إلی المرتبه الثالثه من التوحید،و هی التی یرتبط بها التوکل دون غیرها من المراتب،إذ المرتبه الرابعه لا یتوقف و لا یبتنی علیها التوکل،و الأولی مجرد نفاق لا یفید شیئا-و الثانیه-أعنی مجرد التوحید بالاعتقاد-لا یورث حال توکل کما ینبغی،فإنه موجود فی عموم المسلمین مع عدم وجود التوکل کما ینبغی فیهم.

فالمناط فی التوکل هو ثالث المراتب فی التوحید،و هو أن ینکشف للعبد بنور الحق أن لا فاعل إلا اللّه،و أن کل موجود:من خلق و رزق و عطاء و منع و غنی و فقر،و صحه و مرض،و عز و ذل،و حیاه و موت...إلی غیر ذلک مما

یطلق علیه اسم،فالمتفرد بإبداعه و اختراعه هو اللّه تعالی لا شریک له فیه، و إذا انکشف له هذا لم ینظر إلی غیره،بل کان منه خوفه و إلیه رجاؤه،و به ثقته و علیه اتکاله،فإنه الفاعل بالانفراد دون غیره،و ما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحریک ذره فی ملکوت السماوات و الأرض و إذا انفتح له أبواب المعارف اتضح له هذا اتضاحا أتم من المشاهده بالبصر،و إنما یصده الشیطان عن هذا التوحید،و یوقع فی قلبه شائبه الشرک بالالتفات إلی بعض الوسائط التی یتراءی فی بادی النظر منشئیتها لبعض الأمور،کالاعتماد علی الغیم فی نزول المطر،و علی المطر فی خروج الزرع و نباته و نمائه،و علی الریح فی استواء السفینه و سیرها،و علی بعض نظرات الکواکب و اتصالاتها فی حدوث بعض الحوادث فی الأرض،و کالالتفات إلی اختیار بعض الحیوانات و قدرتها علی بعض الافعال، فیوسوس الشیطان فی قلبه و یقول له:کیف تری الکل من اللّه تعالی،و هذا الإنسان یعطیک رزقک باختیاره فإن شاء أعطاک و إن شاء منع،و هذا الشخص قادر علی جز رقبتک بسیفه فإن شاء جز رقبتک و إن شاء عفی عنک،فکیف لا تخافه و لا ترجوه و أمرک بیده،و أنت تشاهد ذلک و لا تشک فیه؟! و لا ریب فی أن أمثال هذه الالتفاتات جهل بحقائق الأمور،و من مکن الشیطان و سلطه علی نفسه حتی یوقع هذه الوساوس فی قلبه فهو من الجاهلین بأبواب المعارف،إذ من انکشف له أمر العالم کما هو علیه،علم أن السماء و الکواکب و الریح و الغیم و المطر و الإنسان و الحیوان...و غیر ذلک من المخلوقات کلهم مقهورون مسخرون للواحد الحق الذی لا شریک له،فیعلم أن الریح مثلا هواء،و الهواء لا یتحرک بنفسه ما لم یحرکه محرک،و هذا المحرک لا یحرک الهواء ما لم یحرکه علی التحریک محرک آخر...و هکذا إلی أن ینتهی

إلی المحرک الأول الـذی لا محرک له و لا هو متحرک فی نفسه.و کذا الحال فی توسط غیره من الأفلاک و نجومها،و کائنات الجو،و الموجودات علی الأرض من الجماد و النبات و الحیوان.

فالتفـات العبـد فی نجاته إلی بعض الأشـیاء من الریاح و الأمطار أو الإنسان أو الحیوان یضاهی التفاوت من أخـذ لتجز رقبته،فأمر الملک کاتبه بأن یکتب توقیعا بالعفو عنه و تخلیته،فأخـذ العبـد یشـتغل بمـدح الحبر أو الکاغـد أو القلم أو الکاتب،و یقول:لو لا الخبر أو القلـم أو الکاغـذ أو الکـاتب مـا تخلصـت،فیری نجـاته من الحـبر و الکاغـذ دون القلم أو من القلم دون محرکه -أعنی الکاتب-أو من الکاتب دون الملک الذی هو محرک الکاتب و مسخره.

و من علم أن القلم لا ـ حکم له فی نفسه و إنمـا هو مسـخر فی یـد الکـاتب،و أن الکـاتب لا ـ حکم له و إنمـا هو مسـخر تحت ید الملـک،لم یلتفت إلی القلم و الکـاتب و لم یشـکر إلا ـ الملـک،بـل ربمـا یـدهشه فرح النجـاه و شـکر الملک عن أن یخطر بباله الکاغـد و الحبر و القلم و الکـاتب. و لا ریب فی أن جمیع المخلوقات من الشـمس و القمر و النجوم و الغیم و المطر و الأرض و کل حیوان أو جماد مسـخرات فی قبضه القدره،کتسـخیر القلم فی ید الکاتب و تسخیر الکاتب فی ید السلطان بل هذا تمثیل فی حق العبد لاعتقاده أن الملک الموقع هو الکاتب حقیقه،و لیس الأمر کذلک،إذ الحق أن الکاتب هو اللّٰه سبحانه کما قال تعالی.

وَ مٰا رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ رَمیٰ

(۱)

فمن انکشـف له أن جمیـع مـا فی السـماوات و الأـرض مسـخرات للـواجب الحـق،لم یر فی الوجود مؤثرا إلا ـ هو،و انصـرف عنه الشیطان خائبا،و أیس عن مزج توحیده بهذا الشرک.

۱- ۱) الأنفال،الآیه:۱۷.

و أما من لم ينشرح بنور اللّه صدره،قصرت بصيرته عن ملاحظه جبار السماوات و الأرض و مشاهده كونه وراء الكل،فوقف فی الطريق علی بعض المسخرات،و هو جهل محض.و غلطه فی ذلک كغلط النمله مثلا لو كانت تدب علی الكاغد فتری رأس القلم يسود الكاغد،و لم يمتد بصرها إلی الأصابع و اليد،فضلا عن صاحب اليد،و ظنت أن القلم هو المسود للبياض،و ذلک لقصور بصرها عن مجاوزه رأس القلم لضيق حدقتها.

فصل مناجاه السر لأرباب القلوب)

قال بعض العارفين (۱):أرباب القلوب و المشاهدات قد انطلق اللّه فی حقهم كل ذره فی الأرض و السماوات بقدرته التی أنطق بها كل شیء،حتی سمعوا تقديسها و تسبيحها و شهادتها علی نفسها بالعجز،بلسان الواقع الذی هو ليس بعربی و لا أعجمی و ليس فيه حرف و صوت،و لا يسمعه أحد إلا بالسمع العقلی الملكوتی دون السمع الظاهر الحسی الناسوتی،و هذا النطق الذی لكل ذره من الأرض و السماوات مع أرباب القلوب إنما هو(مناجاه السر)،و ذلک مما لا ينحصر و لا يتناهی،فإنها كلمات تستعد (۲)من بحر كلام اللّه الذی لا نهايه له:

۱- ۱) المقصود به(أبو حامد الغزالی)فی إحياء العلوم،راجع الجزء الرابع ص ۱۱۴ المطبوع بالمطبعه العثمانيه بمصر سنه ۱۳۵۲،و ستری أن هذه الفصول مقتبسه منه بتغيير فی العباره و تقديم و تأخير.و كذلک هذا الفصل المنقول عنه فيه تغيير و اختصار كثير،و صاحب الكتاب اعترف-فيما سيأتی-باقتباس هذه الفصول من الغزالی.

۲- ۲) و فی نسختنا الخطيه:(لأنها كلام يستمد)،و لكن الموجود فی المطبوعه و فی نسخه إحياء العلوم كما أثبتناه فی المتن.

قُلْ لَوْ کٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِکَلِمٰاتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِمٰاتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً

(۱)

.

ثم إنها لما کانت مناجیه بأسرار الملک و الملکوت،و لیس کل أحد موضعا للسر،بل صدور الأحرار قبور الأسرار،فاختصت مناجاتها بالأحرار من أرباب القلوب.و هم أیضا لا یحکون هذه الأسرار لغیرهم،إذ إفشاء السر لؤم و هل رأیت قط أمینا علی أسرار الملک قد نوجی بخفایاه فینادی بها علی الملإ من الخلق،و لو جاز إفشاء کل سر لما نهی النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-عن إفشاء سر القدر،و لما خص أمیر المؤمنین(ع)ببعض الأسرار،

و لما قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لو تعلمون ما أعلم لضحکتم قلیلا و لبکیتم کثیرا» بل کان یذکر لهم ذلک حتی یبکون و لا یضحکون.

فإذن عن حکایات مناجاه ذرات الملک و الملکوت لقلوب أرباب المشاهده مانعان:(أحدهما)المنع عن إفشاء السر، (ثانیهما)خروج کلماتها عن الحصر و النهایه.و نحن نحکی فی فعل الکتابه قدرا یسیرا من مناجاه بعض ما یری أسبابا و وسائط،و إقرارها بالعجز علی أنفسها،لیقاس علیه جمیع الأفعال الصادره عن جمیع الأسباب و الوسائط المسخره تحت قدره اللّه،و یفهم به علی الإجمال کیفیه ابتناء التوکل علیه،و نرد لضروره التفهم کلماتها الملکوتیه إلی الحروف و الأصوات،و إن لم تکن أصواتا و حروفا،فنقول:

قال بعض الناظرین عن مشکاه نور اللّه للکاغد،و قد رأی وجهه أسود بالحبر:«لم سودت وجهک و قد کان أبیض مشرقا؟».

فقال:«ما سودت وجهی،و إنما سوده الحبر،فاسأله لم فعل کذا؟».

۱- ۱) الکهف،الآیه:۱۰۹.

فسأل الحبر عن ذلک،فقال:«هذا السؤال علی القلم الذی أخرجنی من مستقری ظلما».

فسأل القلم،فأحاله إلی الید و الأصابع،و هی إلی القدره و القوه،و هی إلی الإراده،معترفا کل واحد منهم بعجز نفسه،و بکونه مقهورا مسخرا تحت قهر المحال علیه من دون استطاعه لمخالفته.

و لما سأل الإراده،قالت:«ما انتهضت بنفسی،بل بعثت علی إشخاص.

القدره و إنهاضها،و بحکم رسول قاهر ورد علی من حضره القلب بلسان العقل،و هذا الرسول هو العلم،فالسؤال عن انتهاضی یتوجه علی العقل و القلب و العلم».

و لما سألها قال(العقل):«أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسی و لکنی اشعلت».

و قال(القلب):«أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسی و لکنی بسطت».

و قال(العلم):«أما أنا فنقش نقشت فی لوح القلب لما أشرق سراج العقل،و ما انتقشت بنفسی بل نقشنی غیری،فسل القلم الذی نقشنی و رسمنی علی لوح القلب بعد اشتعال سراج العقل».

و عند هذا تحیر السائل و قال:«ما هذا القلم و هذا اللوح و هذا الخط و هذا السراج؟فإنی لا أعلم قلما إلا من القصب،و لا لوحا إلا من الحدید أو الخشب،و لا خطا إلا بالحبر،و لا سراجا إلا من النار.و إنی لأسمع فی هذا المنزل حدیث اللوح و القلم و الخط و السراج،و لا أشاهد من ذلک شیئا» فقال له(العلم):«فإذن بضاعتک مزجاه،و زادک قلیل،و مرکبک ضعیف،و المهالک فی الطریق الذی توجهت إلیه کثیره،فإن کنت راغبا فی استتمام الطریق إلی المقصد،فاعلم أن العوالم فی طریقک ثلاثه: (أولها)

عـالم الملـک و الشـهاده،و لقـد کـان الکاغـد و الحبر و القلم و الیـد و الأصـابع من هـذا العالم،و قـد جاوزت تلک المنازل علی سهوله، (و ثانیها)عالم الملکوت الأسـفل و هو یشـبه السـفینه التی بین الأرض و الماء،فلا هی حد اضطراب الماء،و لا هی فی حد سکون الأرض و ثباتهـا،و القـدره و الإراده و العلم من منـازل هـذا العالم. (و ثالثها) عالم الملکوت الأعلی،و هو من ورائی،فإذا جـاوزتنی انتهیت إلی منازله.و أول منازله القلم الـذی یکتب به العلم علی لوح القلب و فی هـذا العالم المهامه الفسـیحه و الجبال الشاهقه و البحار المغرقه».

فقـال له السائل السالک:«قـد تحیرت فی أمری و لست أدری أنی أقـدر علی قطع هـذا الطریق المخوف أم لا،فهل لـذلک علامه أعرف بها تمکنی علی قطع هذا الطریق؟».

فقال:«نعم!افتـح بصـرک،و اجمع ضوء عینک و حـدقه نحوی،فإن ظهر لک القلم الذی به یکتب فی لوح القلب،فیشـبه أن تکون أهلا لهذا الطریق،فإن کل من جاوز الملکوت الأسـفل و قرع أول باب من الملکوت الأعلی کوشف بالقلم.أ ما تری النبی-صـلی اللّه علیه و آله و سلم-کوشف به و أنزل علیه قوله تعالی:

اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ... إلی قوله: اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ (۱).

و هـذا القلم قلم إلهی لیس بقصب و لاـ خشب.أ و ما سـمعت أن متاع البیت یشـبه رب البیت؟و قـد علمت أن اللّه تعالی لا تشـبه ذاته سائر الـذوات فلیس فی ذاته بجسم و لا هو فی مکان،فکـذلک لا تشـبه یـده سائر الأیدی، و لا قلمه سائر الأقلام،و لا کلامه سائر الکلام،و لا خطه سائر الخطوط.

بل هذه أمور إلهیه من عالم الملکوت الأعلی،فلیست یده من لحم و عظم

۱- ۱) العلق،الآیه:۳،۱-۵.

و دم،و لا قلمه من قصب،و لا لوحه من خشب،و لا كلامه من صوت و حرف،و لا خطه من نقش و رسم و رقم،و لا حبره من زاج و عفص.فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فأنت من أهل التشبيه و التجسم و ما عرفت ربك إذ لو نزهت ذاته تعالى و صفاته عن ذات الأجسام و صفاتها و نزهت كلامه عن الحروف و الأصوات،فما بالك تتوقف فى يده و قلمه و لوحه و خطه، و لا تنزهها عن الجسميه و التشبيه بغيرها؟».

فلما سمع السائل السالك من العلم ذلك،استشعر قصور نفسه و فتح بصر بصيرته،بعد الابتهال إلى ربه،فانكشف له القلم الإلهى،فإذا هو كما وصفه العلم،ما هو من خشب و لا قصب،و لا له رأس و لا ذنب،و هو يكتب على الدوام فى قلوب البشر أصناف العلم،فشكر العلم و ودعه،و سافر إلى حضره القلم الإلهى،و قال له:

«أيها القلم!ما لك تخط على الدوام فى القلوب من العلوم ما تبعث به الإرادات إلى انهاض القدره و إشخاصها و صرفها إلى المقدورات؟».

فقال له(القلم الإلهى):«أ فنسيت ما رأيت فى عالم الملك و سمعته من جواب القلم الآدمى حيث أحالك إلى اليد؟فجوابى مثل جوابه،فإنى مسخر تحت يد اللّه تعالى الملقبه:(يمين الملك)،فاسأله عن شأنى فإنى فى قبضته و هو الذى يرددنى،و أنا مقهور مسخر،فلا فرق بين القلم الإلهى و القلم الآدمى فى معنى التسخير،و إنما الفرق فى ظاهر الصوره».

فقال السائل:«من يمين الملك؟».

قال القلم:«أ ما سمعت قوله تعالى:

وَ السَّمٰاوٰاتُ مَطْوِيّٰاتٌ بِيَمِينِهِ؟

(1)

.»

1- 1) الزمر،الآيه:67.

قال:«نعم!سمعته».

قال:«و الأقلام أيضا فی قبضته و هو الذی یرددها».

فسافر السائل من عنـد القلم إلی الیمین،حتی شاهـده،و رأی من عجائبه ما یزید علی عجائب القلم،و رأی أنه یمین لا کالأیمان،و یدا کالأیدی، و إصبع لا کالأصابع،فرأی القلم متحرکا فی قبضته،فسأله عن سبب تحریکه القلم فقال:«جوابی ما سمعته من الیمین التی رأیتها فی عالم الشهاده،و هو الحواله علی القدره،إذ الید لا حکم لها فی نفسها،و إنما محرکها القدره».

فسافر إلی عالم القدره و رأی فیها من العجائب ما استحقر لأجلها ما قبلها فسألها عن سبب تحریکها الیمین.

فقالت:«إنما أنا صفه فاسأل القادر،إذ العهده علی الموصوف دون الصفه».

و عند هذا کاد أن یزیغ قلب السائل،و ینطلق بالجرأه لسان السؤال، فثبت بالقول الثابت و نودی من وراء سرادقات الحضره:

لاٰ یُسْئَلُ عَمّٰا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ

(۱)

.

فغشیته دهشه الحضره،فخر صعقا فی غشیته مده،فلما أفاق قال:

«سبحانک!ما أعظم شأنک و أعز سـلطانک،تبت إلیک و توکلت علیک، و آمنت بأنک الملک الجبار الواحد القهار،فلا أخاف غیرک و لاـ أرجو سواک و لاـ أعوذ إلا بعفوک من عقابک،و برضاک من سـخطک،و ما لی إلا أن أسألک و أتضـرع إلیک،و أقول:

(اشْرَحْ لِی صَدْرِی) لا عرفک، (وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسٰانِی) (۲)لأثنی علیک.

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۲۳.

۲- ۲) طه،الآیه:۲۷،۲۵.

فنودى من وراء الحجاب:«إياک أن تطمع فى الثناء،

فإن سيد الأنبياء -صلى اللّه عليه و آله و سلم-ما زاد فى هذه الحضره إلى أن قال: (سبحانک لا أثنى ثناء عليک كما أنت أثنيت على نفسک) .و إياک أن تطمع فى المعرفه

فإن سيد الأوصياء قال: (العجز عن درک الإدراک إدراک،و الفحص عن سر ذات السر إشراک). فيكفيک نصيبا من حضرتنا أنک عاجز عن ملاحظه جلالنا و جمالنا،و قاصر عن إدراک دقائق حكمنا و أفعالنا».

فعند هذا رجع السائل السالک،و اعتذر عن أسئلته و معاتبته،و قال للقدره و اليمين و القلم و العلم و الإراده و القدره و ما بعدها:«أقبلوا عذرى فإنى كنت غريبا جديد العهد بالدخول فى هذه البلاد.و الآن قد صح عندى عذركم و انكشف لى أن المتفرد بالملک و الملكوت و العزه و الجبروت هو الواحد القهار و ما أنتم إلا مسخرون تحت قهره و قدرته،مرددون فى قبضته،و هو الأول بالإضافه إلى الوجود،إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد، و هو الآخر بالإضافه إلى سير المسافرين إليه،فإنهم لا يزالون مترقين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء إلى حضرته،فهو أول فى الوجود و آخر فى المشاهده و هو الظاهر بالإضافه إلى من يطلبه بالسراج الذى اشتعل فى قلبه بالبصيره الباطنه النافذه فى عالم الملكوت،و هو الباطن بالإضافه إلى العاكفين فى عالم الشهاده الطالبين لإدراكه بالحواس».

و هذا هو التوحيد فى الفعل للسالكين،الذين انكشف لهم وحده الفاعل بالمشاهده و استماع كلام ذرات الملک و الملكوت،و هو موقوف على الإيمان بعالم الملكوت و التمكن من المسافره إليه و استماع الكلام من أهله.و من كان أجنبيا من هذا العالم و لم يكن له استعداد الوصول إليه و لم يمكنه أن يسلک السبيل الذى ذكرناه،فينبغى أن يرد مثله إلى التوحيد الاعتقادى الذى

یوجـد فی عالم الشـهاده،و هو أن یعلم ببعض الأدله وحـده الفاعل،مثل أن یقال له:إن کل أحد یعلم أن المنزل یفسد بصاحبین و البلد یفسد بأمیرین، فإله العالم و مدبره واحد،إذ:

لَوْ کٰانَ فِیهِمٰا آلِهَهٌ إِلاَّ اللّٰهُ لَفَسَدَتٰا

(۱)

فیکون ذلک علی ذوق ما رآه فی عالم الشـهاده،فینغرس اعتقاد التوحیـد فی قلبه بهـذا الطریق بقدر عقله و اسـتعداده،و قد کلفوا الأنبیاء أن یکلموا الناس علی قدر عقولهم.

ثم الحق أن هذا التوحید الاعتقادی إذا قوی یصـلح أن یکون عمادا للتوکل و أصـلا فیه،إذ الاعتقاد إذا قوی عمل عمل الکشـف فی إثاره الأحوال إلا أنه فی الغالب یضـعف و یتسارع إلیه الاضطراب،فیحتاج إلی من یحرسه بکلامه،و أما الذی شاهد الطریق و سلکه بنفسه،فلا یخاف علیه شیء من ذلک،بل لو کشف له الغطاء لما ازداد یقینا و إن کان یزداد وضوحا.

(تنبیه)اعلم أن ما یبتنی علیه التوحید المذکور،أعنی کون جمیع الأشـیاء من الأسباب و الوسائط مقهورات مسخرات تحت القدره الأـزلیه ظـاهر.و سـائر مـا أوردنـا فی هـذا المقام مما ذکره أبو حامـد الغزالی و تبعه بعض أصـحابنا«و لا إشـکال فیه إلا فی أفعال الإنسـان و حرکاته» (۲).فـإن البـدیهه تشـهد بثبوت نوع اختیـار له،لأـنه یتحرک إن شاء و یسـکن إن شاء،مع أنه لو کان مسـخرا مقهورا فی جمیع أفعاله و حرکاته،لزم الجبر و لم یصـح التکلیف و الثواب و العقاب.و لتحقیق هـذه المسأله موضع آخر،و لا یلیق ذکرها هنا.

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۲۲.

۲- ۲) هکذا فی المطبوعه و فی نسختنا الخطیه و النسخه الأخری:«و لا ریب فی لزوم الإشکال فی أفعال الإنسان و حرکاته».

و الحق أن كل ما قيل فيها لا يخلو عن قصور و نقصان،و الأولى فيها السكوت و التأدب بآداب الشرع (۱).

و منها:

اشاره

الخواطر النفسانيه و الوساوس الشيطانيه

اعلم أن الخاطر ما يعرض فی القلب من الأفكار فإن كان مذموما داعيا إلی الشر سمی(وسوسه)،و إن كان محمودا داعيا إلی الخير سمی(إلهاما).

و توضيح ذلک:أن مثل القلب بالنسبه إلی ما يرد عليه من الخواطر مثل هدف تتوارد عليه السهام من الجوانب،أو حوض تنصب إليه مياه مختلفه من الجداول،أو قبه ذات أبواب يدخل منها أشخاص متخالفه،أو مرآه منصوبه تجتاز إليها صور متباينه.فكما أن هذه الأمور لا تنفک عن تلک السوانح، فكذا القلب لا ينفک عن واردات الخواطر.فلا تزال هذه اللطيفه الإلهيه مضمارا لتطاردها و معركه لجولانها و تزاحمها،إلی أن يقطع ربطها عن البدن و لذاته،و يتخلص عن لدغ عقارب الطبع و حياته.

ثم لما كان الخاطر أمرا حادثا فلا بد له من سبب،فإن كان سببه شيطانا فهو الوسوسه،و إن كان ملكا فهو الإلهام.و ما يستعد به القلوب لقبول الوسوسه يسمی إغواءا و خذلانا،و ما يتهيأ به لقبول الإلهام يسمی لطفا و توفيقا.و إلی ذلک

أشار سيد الرسل-صلی اللّه عليه و آله و سلم-بقوله: «فی القلب

۱- ۱) هذا اعتراف بالعجز و هروب من حل هذه المعضله التأريخيه فی سر الخلق،و الحل الذی لم يسبق إليه البشر حتی عند فلاسفتهم الأقدمين و المتأخرين ما قاله إمامنا الصادق(ع):«لا جبر و لا تفويض،و لكن أمر بين أمرين» فإن الفاعل الذی منه الوجود هو اللّه تعالی وحده لا شريک له فی خلقه،و الفاعل الذی به الوجود هو العبد المختار فی فعله.

لمتان (١):لمه من الملک ایعاد بالخیر و تصدیق بالحق،و لمه من الشیطان إیعاد بالشر و تکذیب بالحق».

و بقوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «قلب المؤمن بین إصبعین من أصابع الرحمن».

فصل (أقسام الخواطر و منها الإلهام)

الخاطر ینقسم إلی ما یختلج بالبال من دون أن یکون مبدأ للفعل،و هی الأمانی الکاذبه و الأفکار الفاسده،و إلی محرک الإراده و العزم علی الفعل، إذ کل فعل مسبوق بالخاطر أولا،فمبدأ الأفعال الخواطر،و هی تحرک الرغبه و الرغبه العزم،و العزم النیه،و النیه تبعث الأعضاء علی الفعل،(و الثانی) کما عرفت إن کان مبدأ للخیر یکون إلهاما و محمودا،و إن کان مبدأ للشر یکون وسواسا و مذموما.(و الأول)له أنواع کثیره:

(منها)ما یرجع إلی التمی،سواء کان حصول ما یتمناه ممکنا أو محالا، و سواء کان المتمنی حسنا محمودا أو قبیحا مذموما،و سواء کان عدمه مستندا

١- ١) روی الحدیث فی إحیاء العلوم ج ٢ ص ٢٣ هکذا:«فی القلب لمتان: لمه من الملک إیعاد بالخیر و تصدیق بالحق،فمن وجد ذلک فلیعلم أنه من اللّه سبحانه و لیحمد اللّه.و لمه من العدو إیعاد بالشر و تکذیب بالحق و نهی عن الخیر،فمن وجد ذلک فلیستعذ باللّه من الشیطان الرجیم»،ثم تلا قوله تعالی:الشیطان یعدکم الفقر...الآیه. و هذا الحدیث لم نعثر علیه من طرقنا،و کذا الحدیث الآتی: فی نهایه ابن الأثیر:«فی حدیث ابن مسعود:لابن آدم لمتان:لمه من الملک و لمه من الشیطان-اللمه الهمه و الخطره تقع فی القلب،أراد إلمام الملک أو الشیطان به و القرب منه».

إلى قضاء اللّه و قدره أو إلى تقصيره و سوء تدبيره فيخطر بباله أنه يا ليت لم يفعل كذا أو فعل كذا.

(و منها)ما يرجع إلى تذكر الأحوال الغالبه،إما بدون اختياره أو مع اختيار ما،بأن يتصور ما له من النفائس الفانيه فيستر به،أو يتخيل فقده فيحزن لأجله،أو يتفكر فى ما اعتراه من العلل و الأسقام و اختلال أمر المعاش و سوء الانتظام،أو يذهب وهمه إلى حساب المعاملين أو جواب المعاندين،و تصوير إهلاك الأعداء بالأنواع المختلفه من دون تأثير و فائده.

(و منها)ما يرجع إلى التطير،و ربما بلغ حدا يتخيل كثيرا من الأمور الاتفاقيه الداله على وقوع مكروه بنفسه أو بما يتعلق به،و يضطرب بذلك، و إن لم تكن مشهوره بذلك عند الناس،و ربما حدثت فى القوه الوهميه خباثه و شيطنه تذهب غالبا إلى ما يؤذيه و يكرهه و لا يذهب إلى ما يريده و يسره، فيتخيل ذهاب أمواله و أولاده و ابتلاءه بالأمراض و الأسقام و وصول المكروه من الغير و مغلوبيته من عدوه،و ربما حصل لنفسه نوع إذعان لهذه التخيلات لمغلوبيه العاقله للواهمه.فيعتريه نوع اضطراب و انكسار،و قلما يذهب مثل هذه القوه الوهميه فيما يشاء و يريده من تخيل الغلبه و حصول التوسعه فى الأموال و الأولاد،بحيث يحصل لنفسه نوع إذعان لها،فتنبسط و تهتز.و هذا شر الوساوس و أردؤها،و ربما كان المنشأ لبعضها نوع اختلال فى الدماغ.

و جميع الأنواع المذكوره بأقسامها مفسده للنفس يحدث فيها نوع ذبول و انكسار و يصدها عما خلقت لأجله.

(و منها)ما يرجع إلى التفاؤل،و هذا ليس مذموما.

و قد ورد من رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: أنه يحب التفاؤل، و كثيرا ما يتفاءل ببعض الأمور.

(و منهـا)الوسواس فی العقائـد،بحیث لاـ یؤدی إلی الشـک المزیـل للیقین، فإنه قادح فی الإیمان کما تقـدم.و مرادنا بالوسوسه و حدیث النفس فی العقائد هنا ما لا یضر بالإیمان و لا یؤاخذ به-کما یأتی-.

(تـذنیب)قـد ظهر مما ذکر:أن أکثر جولان الخاطر إنما یکون فی فائت لا تدارک له،أو فی مسـتقبل لا بد و أن یحصل منه ما هو مقدر،و کیف کان هو تضییع لوقته،إذ آله العبد قلبه و بضاعته عمره،فإذا غفل القلب فی نفس واحد عن ذکر یستفید به أنسا باللّه أو عن فکر یسـتفید معرفه اللّه لیسـتفید بـالمعرفه حبـا للّه،فهو مغبون.و هـذا إن کـان فکره و وسواسه فی المباحات،مع أن الغالب لیس کـذلک،بـل یتفکر فی وجوه الحیـل لقضـاء الشـهوات،إذ لاـ یزال ینـازع فی البـاطن کل من فعل فعلا مخالفا لغرضه،أو من یتوهم أنه ینازعه و یخالفه فی رأیه،بل یقدر المخالفه من أخلص الناس فی حبه حتی فی أهله و ولده،ثم یتفکر فی کیفیه زجرهم و قهرهم و جوابهم عما یتعللون به فی مخالفتهم فلا یزال فی شغل دائم مضیع لدینه و دنیاه.

فصل (المطارده بین جندی الملائکه و الشیاطین فی معرکه النفس)

قـد عرفت أن الوسواس أثر الشـیطان الخناس،و الإلهام عمل الملائکه الکرام.و لا ریب فی أن کل نفس فی بدو فطرتها قابله لأثر کل منهما علی التساوی،و إنما یترجـح أحدهما بمتابعه الهوی و ملازمه الورع و التقوی، فإذا مالت النفس إلی مقتضـی شـهوه أو غضب وجد الشـیطان مجالا فیدخل بالوسوسه،و إذا انصـرفت إلی ذکر اللّه ضاق مجاله و ارتحل فیدخل،الملک بالإلهام.فلا یزال التطارد بین جندی الملائکه و الشیاطین فی معرکه النفس.

لهیولانیه وجودها و قابلیتها للأمرین بتوسط قوتیها العقلیه و الوهمیه،إلی أن

يغلب أحد الجندين و يسخر مملكه النفس و يستوطن فيها،و حينئذ يكون اجتياز الثانى على سبيل الاختلاس،و حصول الغلبه إنما هو بغلبه الهوى أو التقوى فإن غلب عليها الهوى و خاضت فيه صارت مرعى الشيطان و مرتعه و كانت من حزبه،و إن غلب عليها الورع و التقوى صارت مستقر الملك و مهبطه و دخلت فى جنده،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «خلق اللّه الإنس ثلاثه أصناف:صنف كالبهائم،قال اللّه تعالى:

لَهُمْ قُلُوبٌ لاٰ يَفْقَهُونَ بِهٰا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لاٰ يُبْصِرُونَ بِهٰا (۱).

و صنف أجسادهم أجساد بنى آدم و أرواحهم أرواح الشياطين،و صنف كالملائكه فى ظل اللّه يوم لا ظل إلا ظله».

و لا ريب فى أن أكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين و ملكوها،و يتصرفون فيها بضروب الوساوس الداعيه إلى إيثار العاجله و إطراح الآجله.و السر فيه:

أن سلطنه الشيطان ساريه فى لحم الإنسان و دمه و محيطه بمجامع قلبه و بدنه، كما أن الشهوات ممتزجه بجميع ذلك، و من هنا

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن الشيطان ليجرى من بنى آدم مجرى الدم» ،و قال اللّه سبحانه-حكايه عن لسان اللعين-:

لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرٰاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمٰانِهِمْ

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۱۷۹.

وَ عَنْ شَمٰائِلِهِمْ

(۱)

.

فالخلاص من أيدى الشياطين يحتاج إلى مجاهده عظيمه رياضه شاقه،فمن لم يقم فى مقام المجاهده كانت نفسه هدفا لسهام وساوسهم و داخله فى أحزابهم

فصل (تسويلات الشيطان و وساوسه)

لما كانت طرق الباطل كثيره و طريق الحق واحده،فالأبواب المفتوحه للشيطان إلى القلب كثيره،و باب الملائكه واحده،

و لذا روى أن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-خط يوما لأصحابه خطا و قال!«هذا سبيل اللّه»،ثم خط خطوطا عن يمينه و شماله فقال:«هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ،ثم تلا قوله سبحانه:

وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ

(۲)

.

ثم لسهوله ميل النفس إلى الباطل و عسر انقيادها للحق تكون الطرق المؤديه إلى الباطل التى هى أبواب الشيطان جليه ظاهره،فكانت أبواب الشيطان مفتوحه أبدا،و الطرق المؤديه إلى الحق التى هى باب الملائكه خفيه.

فكان باب الملائكه مسدودا دائما،فما أصعب بالمسكين ابن آدم أن يسد هذه الأبواب الكثيره الظاهره المفتوحه و يفتح بابا واحدا خفيا مسدودا،على أن

۱- ۱) الأعراف الآيه:۱۷،۱۶.

۲- ۲) الأنعام،الآيه:۱۵۳.

اللعین ربما یلبس بین طریق الحق و الباطل و یعرض الشر فی موضع الخیر، بحیث یظن أنه لمه الملک و إلهامه،لا وسوسه الشیطان و إغواؤه،فیهلک و یضل من حیث لا یعلم،کما یلقی فی قلب العالم أن الناس لکثره غفلتهم أشرفوا علی الهلاک،و هم من الجهل موتی،و من الغفله هلکی،أ ما لک رحمه علی عباد اللّه؟أ ما ترید الثواب و السعاده فی العقبی؟فما بک لا تنبههم عن رقده الغفلات بوعظک،و لا تنقذهم من الهلاک الأبدی بنصحک؟و قد من اللّه علیک بقلب بصیر و علم کثیر و لسان ذلق و لهجه مقبوله!فکیف تخفی نعم اللّه تعالی و لا تظهرها؟فلا یزال یوسوسه بأمثال ذلک و یثبتها فی لوح نفسه، إلی أن یسخره بلطائف الحیل و یشتغل بالوعظ،فیدعوه إلی التزین و التصنع و التحسن بتحسین اللفظ،و السرور بتملق الجماعه،و الفرح بمدحهم إیاه، و الانبساط بتواضعهم لدیه،و انکسارهم بین یدیه،لا یزال فی أثناء الوعظ یقرر فی قلبه شوائب الریاء و قبول العامه،و لذه الجاه و حب الریاسه،و التعزز بالعلم و الفصاحه،و النظر إلی الخلق بعین الحقاره،فیهدی الناس و یضل نفسه و یعمر یومه و یخرب أمسه،و یخالف اللّه و یظن أنه فی طاعته،و یعصیه و یحسب انه فی عبادته،فیدخل فی جمله من قال اللّه فیهم:

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمٰالاً اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً

(۱)

.

ص :۱۸۴

۱- ۱) الکهف الآیه ۱۰۳-۱۰۴.

و یکون

ممن قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فیهم: «إن اللّه لیؤید هذا الدین بأقوام لا خلاق لهم،و«إن اللّه لیؤید هذا الدین بالرجل الفاجر». فلا نجاه من مصائد الشیطان و مکائده إلا ببصیره باطنه نورانیه و قوه قدسیه ربانیه،کما لا نجاه للمسافر الحیران فی بادیه کثیره الطرق غامضه المسلک فی لیله مظلمه إلا بعین بصیره صحیحه و طلوع شمس مشرقه نیره.

فصل (العلائم الفارقه بین الإلهام و الوسوسه)

من تمکن من معرفه الخیر و الشر سهل علیه التفرقه بین الإلهام و الوسوسه و قد قیل إلهام الملک و وسوسه الشیطان یقع فی النفوس علی وجوه و علامات:

(أحدها)کالعلم و الیقین الحاصلین من جانب یمین النفس و تقابله الشهوه و الهوی الحاصلان من جانب شمالها. (و ثانیها)کالنظر إلی آیات الآفاق و الأنفس علی سبیل النظام و الأحکام المزیل للشکوک و الأوهام،و المحصل للمعرفه و الحکمه فی القوه العاقله هی جانب الأیمن من النفس و یقابله النظر إلیها علی سبیل الاشتباه و الغفله و الإعراض عنها،الناشئه منها الشبه و الوساوس فی الواهمه و المتخیله التی علی الجانب الأیسر منها،فإن الآیات المحکمات بمنزله الملائکه المقدسه من العقول و النفوس الکلیه،لأنها مبادئ العلوم الیقینیه،و المتشابهات الوهمیات بمنزله الشیاطین و النفوس الوهمانیه،لأنها مبادئ المقدمات السفسطیه. (و ثالثها)کطاعه الرسول المختار و الأئمه الأطهار فی مقابله أهل الجحود و الإنکار و أرباب التعطیل و التشبیه من الکفار.فکل من سلک سبیل الهدایه فهو بمنزله الملائکه المقدسین الملهمین للخیر،و من سلک سبیل الضلال فهو بمنزله الشیاطین المغوین بالشرور. «و رابعها» کتحصیل العلوم و الإدراکات التی هی فی الموضوعات العالیه و الأعیان الشریفه

كـالعلم بـاللّه و ملائكته و رسله،و اليوم الآخر،و البعث،و قيام الساعه،و مثول الخلائق بين يـدى اللّه تعالى،و حضور الملائكه و النبيين و الشهداء و الصالحين، فى مقابله تحصيل العلوم و الإدراكات التى هى من باب الحيل و الخديعه و السفسطه،و التأمل فى أمور الدنيا الغير الخارجه عن دار المحسوسات،فإن الأول يشبه الملائكه الروحانيه و جنود الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت السماوى،و الثانى يشبه الأبالسه المطروده عن باب اللّه،الممنوعه من ولوج السماوات،المحبوسه فى الظلمات،المحرومه فى الدنيا عن الارتقاء،و المحجوبه فى الآخره عن دار النعيم.

فصل (علاج الوساوس)

الوساوس إن كانت بواعث الشرور و المعاصى،فالعلاج فى دفعها أن يتذكر سوء عاقبه العصيان و وخامه خاتمته فى الدنيا و الآخره،و يتذكر عظيم حق اللّه و جسيم ثوابه و عقابه،و يتذكر أن الصبر عما تدعو إليه هذه الوساوس أسهل من الصبر على نار لو قذف شراره منها إلى الأرض أحرقت نبتها و جمادها فإذا تذكر هذه الأمور و عرف حقيقتها بنور المعرفه و الإيمان،حبس عنه الشيطان و قطع عنه وسواسه،إذ لا يمكن أن ينكر عليه هذه الأمور الحقه،إذ يقينه الحاصل من قواطع البرهان يمنعه عن ذلك و يخيبه،بحيث يرجع هاربا خائبا.فإن التهاب نيران (1)البراهين بمنزله رجوم الشياطين،فإذا قوبلت بها وساوسهم فرت فرار الحمر من الأسد.

و إن كانت مختلجه بالبال بلا إراده و اختيار،من دون أن تكون مبادئ الأفعال،فقطعها بالكليه فى غايه الصعوبه و الإشكال،و قد اعترف أطباء

۱- ۱) و فى نسختنا الخطيه هكذا:«فإن نيرات البراهين».

النفوس بأنها الداء العضال و يتعسر دفعه بالمره،و ربما قيل بتعذره،و لكن الحق إمكانه،

لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من صلى ركعتين لم تتحدث نفسه فيهما بشىء غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر»، و لو لا إمكانه لم يتصور ذلك.

و السر فى صعوبه قطعها بالكليه أن للشيطان جندين:جندا يطير و جندا يسير،و الواهمه جنده الطيار،و الشهوه جنده السيار،لأن غالب ما خلقتا منه هى النار التى خلق منها الشيطان،فالمناسبه اقتضت تسلطه عليهما و تبعيتهما له.

ثم لما كانت النار بذاتها مقتضيه للحركه،إذ لا تتصور نار مشتعله لا تتحرك،بل لا تزال تتحرك بطبعها،فشأن كل من الشيطان و القوتين أن يتحرك و لا يسكن،إلا أن الشيطان لما خلق من النار الصرفه من دون امتزاج شىء آخر بها فهو دائم الحركه و التحريك للقوتين بالوسوسه و الهيجان، و القوتان لما امتزج بغالب مادتهما-أعنى النار-شىء من الطين لم تكونا بمثابه ما خلق من صرف النار فى الحركه،إلا أنهما استعدتا لقبول الحركه منه،فلا يزال الشيطان ينفخ فيهما و يحركهما بالوسوسه و الهيجان و يطير و يجول فيهما ثم الشهوه لكون الناريه فيها أقل فسكونها ممكن،فيحتمل أن يكف تسلط الشيطان عن الإنسان فيها،فيسكن بالكليه عن الهيجان.و أما الواهمه فلا يمكن أن يقطع تسلطه عنها،فيمتنع قطع وسواسه عن الإنسان،إذ لو أمكن قطعه أيضا بالمره،لصار اللعين منقادا للإنسان مسخرا له،و انقياده له هو سجوده له،إذ روح السجود و حقيقته هو الانقياد و الإطاعه،و وضع الجبهه حالته و علامته،و كيف يتصور أن يسجد الملعون لأولاد آدم عليه السلام مع عدم سجوده لأبيهم و استكباره من أن يطمئن عن حركته ساجدا له معللا بقوله:

خَلَقْتَنِی مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ

(۱)

فلا یمکن أن یتواضع لهم بالکف عن الوسوسه،بل هو من المنظرین لإغوائهم إلی یوم الـدین،فلا یتخلص منه أحد إلا من أصبح و همومه هم واحد فیکون قلبه مشتغلا باللّه وحده،فلا یجد الملعون مجالا فیه،و مثله من المخلصین الداخلین فی الاستثناء (۲)عن سلطنه هـذا اللعیـن،فلاـ تظنـن أنه یخلـو عنه قلب فـارغ،بـل هـو سـیال یجری من ابن آدم مجری الـدم،و سـیلانه مثـل الهـواء فی القدح،فإنک إن أردت أن تخلی القدح عن الهواء من غیر أن تشغله بمثل الماء فقد طمعت فی غیر مطمع،بل بقدر ما یدخل فیه الماء یخلو عن الهواء، فکـذلک القلب إذا کان مشـغولا بفکر مهم فی الـدین یمکن أن یخلو من جولان هذا اللعین،و أما لو غفل عن اللّه و لو فی لحظه،فلیس له فی تلک اللحظه قرین إلا الشیطان،کما قال سبحانه:

وَ مَنْ یَعْشُ عَنْ ذِکْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَیِّضْ لَهُ شَیْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِینٌ

(۳)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن اللّه یبغض الشاب الفارغ» ،لأن الشاب إذا تعطل عن عمل مباح یشغل باطنه لا بـد أن یـدخل فی قلبه الشـیطان و یعیش فیه و یبیض و یفرخ،و هکـذا یتوالد نسل الشـیطان توالدا أسـرع من توالد الحیوانات،لأن الشیطان طبعه من النار،و الشهوه

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۲.

۲- ۲) إشاره إلی قوله تعالی: قٰالَ رَبِّ بِمٰا أَغْوَیْتَنِی لَأُزَیِّنَنَّ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ إِلاّٰ عِبٰادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ الحجر الآیه:۴۰.

۳- ۳) الزخرف،الآیه ۳۵.

فی نفس الشاب کالحلفاء (۱)الیابسه،فإذا وجدها کثره تولده و تولدت النار من النار و لم تنقطع أصلا.

فظهر أن وسواس الخناس لا یزال یجاذب قلب کل إنسان من جانب إلی جانب،و لا علاج له إلا قطع العلائق کلها ظاهرا و باطنا،و الفرار عن الأهل و المال و الولد و الجاه و الرفقاء،ثم الاعتزال إلی زاویه،و جعل الهموم هما واحدا هو اللّه.و هذا أیضا غیر کاف ما لم یکن له مجال فی الفکر و سیر فی الباطن فی ملکوت السماوات و الأرض و عجائب صنع اللّه،فإن استیلاء ذلک علی القلب و اشتغاله به یدفع مجاذبه الشیطان و وسواسه،و إن لم یکن له سیر بالباطن فلا ینجیه إلا الأوراد المتواصله المترتبه فی کل لحظه من الصلوات و الأذکار و الأدعیه و القراءه.و یحتاج مع ذلک إلی تکلیف القلب الحضور، إذ الأوراد الظاهره لا تستغرق القلب،بل التفکر بالباطن هو الذی یستغرقه و إذا فعل کل ذلک لم یسلم له من الأوقات إلا بعضها،إذ لا یخلو فی بعضها عن حوادث تتجدد و تشغله عن الفکر و الذکر،کمرض أو خوف أو إیذاء و طغیان،و لو من مخالطه بعض لا یستغنی عنه فی الاستعانه فی بعض أسباب المعیشه.

فصل (ما یتم به علاج الوسواس)

لو أمکن العلاج فی القطع الکلی للوساوس فإنما یتم بأمور ثلاثه:

(الأول)سد الأبواب العظیمه للشیطان فی القلب،

و هی الشهوه، و الغضب،و الحرص،و الحسد و العداوه،و العجب،و الحقد،و الکبر، و الطمع،و البخل،و الخفه و الجبن،و حب الحطام الدنیوی الدائر،و الشوق

۱- ۱) الحلفاء:نبت أطرافه محدده کأنها سعف النخل و الخوص،ینبت فی مغایض المیاه.الواحده(حلفه و حلفاء).

إلى التزين بالثياب الفاخره،و العجله فى الأمر،و خوف الفاقه و الفقر، و التعصب لغير الحق،و سوء الظن بالخالق و الخلق...و غير ذلک من رؤس ذمائم الصفات و رذائل الملكات،فإنها أبواب عظيمه للشيطان،فإذا وجد بعضها مفتوحا يدخل منه فى القلب بالوساوس المتعلقه به،و إذا سدت لم يكن له إليه سبيل إلا على طريق الاختلاس و الاجتياز.

(الثانى)عماره القلب بأضدادها

من فضائل الأخلاق و شرائف الاوصاف،و الملازمه للورع و التقوى،و المواظبه على عباده ربه الأعلى.

(الثالث)كثره الذكر بالقلب و اللسان،

فإذا قلعت عن القلب أصول ذمائم الصفات المذكوره التى هى بمنزله الأبواب العظيمه للشيطان،زالت عنه وجوه سلطنته و تصرفاته،سوى خطراته و اجتيازاته،و الذكر يمنعها و يقطع تسلطه و تصرفه بالكليه،و لو لم يسد أبوابه أولا لم ينفع مجرد الذكر اللسانى فى إزالتها،إذ حقيقه الذكر لا يتمكن فى القلب إلا بعد تخليته عن الرذائل و تحليته بالفضائل،و لولاهما لم يظهر على القلب سلطانه،بل كان مجرد حديث نفس لا يندفع به كيد الشيطان و تسلطه،فإن مثل الشيطان مثل كلب جائع،و مثل هذه الصفات المذمومه مثل لحم أو خبز أو غيرهما من مشتهيات الكلب،و مثل الذكر مثل قولک له:اخسأ.و لا ريب فى أن الكلب إذا قرب إليک و لم يكن عندک شىء من مشتهياته فهو ينزجر عنک بمجرد قولک:

اخسأ،و إن كان عندک شىء منها لم يندفع عنک بمجرد هذا القول ما لم يصل إلى مطلوبه. فالقلب الخالى عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر،و أما القلب المملو منه فيدفع الذكر إلى حواشيه،و لا يستقر فى سويدائه،لاستقرار الشيطان فيه.و أيضا الذكر بمنزله الغذاء المقوى،فكما لا تنفع الأغذيه المقويه ما لم ينق البدن عن الأخلاط الفاسده و مواد الأمراض الحادثه،كذلک

لا ینفع الـذکر ما لم یطهر القلب عن الأخلاق الـذمیمه التی هی مواد مرض الوسواس،فالذکر إنما ینفع للقلب إذا کان متطهرا عن شوائب الهوی و منورا بأنوار الورع و التقوی،کما قال سبحانه.

إِنَّ الَّذِینَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّیْطانِ تَذَکَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ

(۱)

و قال سبحانه:

إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ

(۲)

و لو کان مجرد الذکر مطردا للشیطان لکان کل أحد حاضر القلب فی الصلاه،و لم یخطر بباله فیها الوساوس الباطله و الهواجس الفاسـده،إذ منتهی کـل ذکر و عبـاده إنما هو فی الصـلاه مع أن من راقب قلبه یجـد أن خطور الخواطر فی صـلاته أکثر من سائر الأوقـات،و ربما لا یتـذکر ما نسـیه من فضول الـدنیا إلا فی صـلاته،بل یزدحم عنـدها جنود الشـیاطین علی قلبه و یصـیر مضـمارا لجولا نهم،و یقلبونه شـمالا و یمینـا بحیث لا یجـد فیه إیمانـا و لا یقینـا و یجـاذبونه إلی الأسواق و حسـاب المعـاملین و جواب المعانـدین،و یمرون به فی أودیه الـدنیا و مهالکهـا،و مع ذلک کله لا تظنن أن الـذکر لا ینفع فی القلوب الغافله أصـلا،فإن الأمر لیس کذلک،إذ للذکر عند أهله أربع مراتب کلها تنفع الذاکرین،إلا أن لبه و روحه و الغرض الأصلی من ذلک المرتبه الأخیره:

(الأولی)اللسانی فقط.

(الثانیه)اللسانی و القلبی،مع عدم تمکنه من القلب،بحیث احتیاج

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۲۰۱.

۲- ۲) ق،الآیه:۳۶.

القلب إلى مراقبته حتى يحضر مع الذكر،و لو خلى و طبعه استرسل فى أوديه الخواطر.

(الثالثه)القلبى الذى تمكن من القلب و استولى عليه،بحيث لم يمكن صرفه عنه بسهوله،بل احتاج ذلك إلى سعى و تكلف،كما احتيج فى الثانيه إليهما فى قراره معه و دوامه عليه.

(الرابعه)القلبى الذى يتمكن المذكور من القلب بحيث انمحى عند الذكر،فلا يلتفت القلب إلى نفسه و لا إلى الذكر،بل يستغرق بشراشره فى المذكور،و أهل هذه المرتبه يجعلون الالتفات إلى الذكر حجابا شاغلا.

و هذه المرتبه هى المطلوبه بالذات و البواقى مع اختلاف مراتبها مطلوبه بالعرض لكونها طرقا إلى ما هو المطلوب بالذات.

فصل (ما يتوقف عليه قطع الوساوس)

السر فى توقف قطع الوساوس بالكليه على التصفيه و التخليه أولا،ثم المواظبه على ذكر اللّه:إن بعد حصول هذه الأمور للنفس تحصل لقوتها العاقله ملكه الاستيلاء و الاستعلاء على القوى الشهويه و الغضبيه و الوهميه،فلا تتأثر عنها و تؤثر فيها على وفق المصلحه،فتتمكن من ضبط الواهمه و المتخيله بحيث لو أرادت صرفهما عن الوساوس لأمكنها ذلك،و لم تتمكن القوتان من الذهاب فى أوديه الخواطر بدون رأيها،و إذا حصلت للنفس هذه الملكه و توجهت إلى ضبطهما كلما أرادتا الخروج عن الانقياد و الذهاب فى أوديه الوساوس و تكرر منها هذا الضبط،حصل لهما ثبات الانقياد بحيث لم يحدث فيهما خاطر سوء مطلقا،بل لم يخطر فيهما إلا خواطر الخير من خزائن الغيب و حينئذ تستقر النفس على مقام الاطمئنان،و تنسد عنها أبواب الشيطان و تنفتح فيها أبواب

ص: ۱۹۲

الملائکه،و یصیر مستقرها و مستودعها،فتستضاء بشروق الأنوار القدسیه من مشکاه الربوبیه،و یشملها خطاب:

یٰا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ اِرْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً (۱) و مثل هذه النفس أحسن النفوس و أشرفها،و تقابلها النفس المنکوسه المملوه من الخبائث الملوثه بأنواع الذمائم و الرذائل،و هی التی انفتحت فیها أبواب الشیطان و انسدت منها أبواب الملائکه،و یتصاعد منها دخان مظلم إلیها،فتملأ جوانبها و یطفئ نور الیقین و یضعف سلطان الإیمان، حتی تخمد أنواره بالکلیه،و لا یخطر فیها خاطر خیر أبدا،و تکون دائما محل الوساوس الشیطانیه،و مثلها لا یرجع إلی الخیر أبدا،و علامتها عدم تأثرها من النصائح و المواعظ،و لو أسمعت الحق عمیت عن الفهم و صمت عن السمع،و إلی مثلها أشیر بقوله سبحانه:

أَ رَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ أَ فَأَنْتَ تَکُونُ عَلَیْهِ وَکِیلاً (۲)و بقوله تعالی:

خَتَمَ اللّٰهُ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلیٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلیٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَهٌ

(۳)

و بقوله سبحانه:

إِنْ هُمْ إِلاّٰ کَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً

(۴)

۱- ۱) الفجر،الآیه:۲۷-۲۸.

۲- ۲) الفرقان،الآیه:۴۳.

۳- ۳) البقره،الآیه:۷.

۴- ۴) الفرقان،الآیه:۴۴.

و بقوله تعالی:

وَ سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ

(۱)

و بقوله عز و جل:

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ

(۲)

و بین هاتین النفسین نفس متوسطه فی السعاده و الشقاوه،و لها مراتب مختلفه فی اتصافها بالفضائل و الرذائل بحسب الکم و الکیف و الزمان فیختلف فیها فتح أبواب الملائکه و الشیاطین بالجهات المذکوره،فتاره یبتدئ فیها خاطر الهوی فیدعوها إلی الشر،و تاره یبتدئ فیها خاطر الإیمان فیبعثها علی الخیر،و مثلها معرکه تطارد جندی الشیاطین و الملائکه و تجاذبهما،فتاره یصول الملک علی الشیطان فیطرده،و تاره یحمل الشیطان علی الملک فیغلبه، و لا تزال متجاذبه بین الحزبین متردده بین الجندین،إلی أن تصل إلی ما خلقت لأجله لسابق القضاء و القدر.ثم النفس الأولی فی غایه الندره،و هی نفوس الکمل من المؤمنین الموحدین،و الثانیه فی نهایه الکثره و هی نفوس الکفار بأسرهم،و الثالثه نفوس أکثر المسلمین،و لها مراتب شتی و درجات لا تحصی و لها عرض عریض،فیتصل أحد طرفین بالنفس الأولی،و آخرهما بالثانیه

فصل (حدیث النفس لا مؤاخذه علیه)

قد عرفت أن الوساوس بأقسامها مشترکه فی إحداث ظلمه و کدره فی النفس،إلا أن مجرد الخواطر-أی(حدیث النفس)و ما یتولد عنه بلا

۱- ۱) یس،الآیه:۱۰.

۲- ۲) یس،الآیه:۷.

اختیار،کالمیل و هیجان الرغبه-لا مؤاخذه علیهما،و لا یکتب بهما معصیه لعدم دخولهما تحت الاختیار،فالمؤاخذه علیهما ظلم،و النهی عنهما تکلیف بما لا یطاق،و الاعتقاد و حکم القلب بأنه ینبغی أن یفعل هذا فیؤاخذ به لکونه اختیاریا،و کذا الهم بالفعل و العزم علیه،إلا أنه إن یفعل مع الهم خوفا من اللّه و ندم عنه کتبت له حسنه،و إن لم یفعل لمانع منعه لا لخوف اللّه سبحانه کتبت علیه سیئه.

و الدلیل علی هذا التفصیل:أما علی عدم المؤاخذه علی مجرد الخاطر،

فما روی فی الکافی: «إنه جاء رجل إلی النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فقال یا رسول اللّه!هلکت.فقال له هل أتاک الخبیث فقال لک من خلقک؟فقلت اللّه تعالی،فقال لک:اللّه من خلقه؟فقال له:أی و الذی بعثک بالحق لکان کذا.فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-.ذاک و اللّه محض الإیمان» و مثله

ما روی: أن رجلا أتی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فقال «یا رسول اللّه نافقت!فقال و اللّه ما نافقت!و لو نافقت ما أتیتنی تعلمنی،ما الذی رابک؟ أظن أن العدو الحاضر أتاک،فقال:من خلقک؟فقلت:اللّه تعالی خلقنی.

فقال لک:من خلق اللّه؟فقال:أی و الذی بعثک بالحق لکان کذا،فقال:إن الشیطان أتاکم من قبل الأعمال فلم یقو علیکم،فأتاکم من هذا الوجه لکی یستزلکم،فإذا کان کذلک فلیذکر أحدکم اللّه وحده». و قریب منه

ما روی: أن رجلا کتب إلی أبی جعفر علیه السلام یشکو إلیه لمما یخطر علی باله،فأجابه فی بعض کلامه:«إن اللّه إن شاء ثبتک فلا یجعل لإبلیس علیک طریقا.قد شکی قوم إلی النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-لمما یعرض لهم لأن تهوی بهم الریح أو یقطعوا أحب إلیهم من أن یتکلموا به،فقال رسول اللّه:أ تجدون ذلک؟قالوا:نعم!قال:و الذی نفسی بیده إن ذلک

لصريح الإيمان،فإذا وجدتموه فقولوا: آمنا باللّه و رسوله و لا حول و لا قوه إلا باللّه»

و سئل الصادق عليه السلام عن الوسوسه و إن كثرت،فقال.

«لا شيء فيها،تقول لا اله الا اللّه ».

و عن جميل بن دراج قال: قلت للصادق عليه السلام:إنه يقع فى قلبى أمر عظيم،فقال: «قل لا اله الا اللّه» ،قال جميل فكلما وقع فى قلبى قلت لا اله الا اللّه ،فيذهب عنى.

و مما يدل على عدم المؤاخذه عليه و على الميل و هيجان الرغبه إذا لم يكونا داخلين تحت الاختيار

ما روى. أنه لما نزل قوله تعالى.

وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ

(۱)

جاء ناس من الصحابه إلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و قالوا كلفنا ما لا نطيق،إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت فى قلبه، ثم يحاسب بذلك؟فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-.«لعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل.سمعنا و عصينا،قولوا.سمعنا و أطعنا، فقالوا.سمعنا و أطعنا،فأنزل اللّه الفرج بعد سنه بقوله تعالى.

لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا

(۲)

و ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام فى قوله سبحانه.

«وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ» .«إن هذه الآيه عرضت على الأنبياء و الأمم السابقه فأبوا أن يقبلوها من ثقلها،و قبلها رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و عرضها على أمته فقبلوها.فلما رأى اللّه

ص: ۱۹۶

۱- ۱) البقره الآيه:۲۸۴.

۲- ۲) البقره الآيه:۲۸۶.

عز و جل منهم القبول على أنهم لا يطيقونها،قال.أما إذا قبلت الآيه بتشديدها و عظم ما فيها و قد عرضتها على الأمم السابقه فأبوا أن يقبلوها و قبلتها أمتك،فحق على أن أرفعها عن أمتك،و قال عز من قائل: لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا»

و ما روى عن النبى-صلى اللّٰه عليه و آله و سلم-أنه قال «وضع عن أمتى تسع خصال:الخطأ،و النسيان،و ما لا يعلمونه،و ما لا يطيقونه،و ما اضطروا عليه،و ما استكرهوا عليه،و الطيره و الوسوسه فى التفكر فى الخلق،و الحسد ما لم يظهر بلسان أويد».

و ما روى أنه سئل الصادق عليه السلام عن رجل يجىء منه الشيء على حد الغضب يؤاخذه اللّٰه تعالى؟ فقال عليه السلام.«إن اللّٰه تعالى أكرم من أن يستغلق على عبده»، و المراد من الغضب فيه.الغضب الذى سلب الاختيار.

و بالجمله القطع حاصل بعدم المؤاخذه و المعصيه على ما لا يدخل تحت الاختيار من الخواطر و الميل و هيجان الرغبه،إذ النهى عنها مع عدم كونها اختياريه تكليف بما لا تطاق،و إن لم ينفك عن إحداث خباثه فى النفس.

و أما (1)على أنه يكتب سيئه على الاعتقاد و اللهم بالفعل و التصميم عليه مع تركه لمانع لا لخوف من اللّٰه،فهو أن كلا من الاعتقاد و الهم بالمعصيه فعل من الأفعال الاختياريه للقلب،و قد ثبت فى الشريعه ترتب الثواب و العقاب على فعل القلب إذا كان اختياريا،قال اللّٰه سبحانه:

إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤٰادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كٰانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً

(2)

و قال سبحانه:

1- 1) أى و أما الدليل على أنه يكتب سيئه.

2- 2) بنى إسرائيل،الآيه:38.

لاٰ یُؤٰاخِذُکُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِی أَیْمٰانِکَمْ وَ لٰکِنْ یُؤٰاخِذُکُمْ بِمٰا کَسَبَتْ قُلُوبُکَمْ

(۱)

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إنما یحشر الناس علی نیاتهم» .

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إذا التقی المسلمان بسیفهما فالقاتل و المقتول فی النار»،قیل:یا رسول اللّه هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال:«لأنه أراد قتل صاحبه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم: «لکل امرئ ما نوی» و الآثار الوارده فی ترتب العقاب علی الهم بالمعصیه کثیره،و إطلاقها محمول علی غیر صوره الترک خوفا من اللّه،لما یأتی من أنه فی هذه الصوره تکتب بها حسنه،و کیف لا یؤاخذ علی أعمال القلوب مع أن المؤاخذه علی الملکات الردیه من الکبر و العجب و الریاء و النفاق و الحسد و غیرها قطعی الثبوت من الشرع،مع کونها أفعالا قلبیه،و قد ثبت فی الشریعه أن من وطأ امرأه ظانا أنها أجنبیه کان عاصیا و إن کانت زوجته.

و أما علی أنه یکتب حسنه علی الترک بعد الهم خوفا من اللّه،

فما روی عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-أنه قال: «قالت الملائکه:رب ذاک عبدک یرید أن یعمل سیئه و هو أبصر،فقال:راقبوه فإن عملها فاکتبوها علیه بمثلها،و إن ترکها فاکتبوها له حسنه إنما ترکها لأجلی».

و ما روی عن الإمام محمد بن علی الباقر-علیهما السلام-: «ان اللّه تعالی جعل لآدم فی ذریته من هم بحسنه و لم یعملها کتبت له حسنه،و من هم بحسنه و عملها کتبت له عشرا،و من هم بسیئه و لم یعملها لم تکتب علیه سیئه،و من هم بها و عملها کتبت علیه سیئه»،

و قوله: «لم یکتب علیه» محمول علی صوره عدم

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۲۵.

العمل خوفا من اللّه.لما تقدم من أنه إن لم يعملها لمانع غير خوف اللّه كتبت عليه سيئه.

و ما روى عن الصادق عليه السلام انه قال: «ما من مؤمن إلا و له ذنب يهجره زمانا ثم يلم به و ذلك قوله تعالى:

إِلاَّ اللَّمَمَ

(۱)

و قال:«و اللمم:الرجل يلم بالذنب فيستغفر اللّه منه» ،و قد وردت بهذا المضمون اخبار أخر.

وصل (الخاطر المحمود و التفكر)

قد عرفت أن ضد الوسوسه الخاطر المحمود المستحسن شرعا و عقلا،لأن القلب إذا كان مشغولا بشىء لا يمكن أن يشغله شىء آخر،فإذا كان مشغولا بشىء من الخواطر المحموده لا سبيل للخواطر المذمومه إليه،و ربما كان للغفله التى هى ضد النيه تقابل لكل من الوسوسه و الخاطر المحمود،إذ عند الغفله لا يتحقق شىء منهما،إلا أن خلو القلب عن كل نيه و خاطر بحيث يكون ساذجا فى غايه الندره،على أن الظاهر أن مرادهم من الغفله خلو الذهن من القصد الباعث و إن كان مشغولا بالوساوس الباطله،كما يأتى تحقيقه.

ثم الخاطر المحمود إن كان قصدا و نيه لفعل جميل معين كان متعلقا بالقوه التى يتعلق هذا الفعل بها،و إلا كان راجعا إما إلى الذكر القلبى أو إلى التدبر فى العلوم و المعارف و التفكر فى عجائب صنع اللّه و غرائب عظمته، أو إلى التدبر الإجمالى الكلى فيما يقرب العبد إلى اللّه سبحانه أو ما يبعده عنه

۱- ۱) النجم،الآيه:۳۲.

تعالی،و لیس وراء ذلک خاطر محمود متعلق بالدین أو غیر ذلک من الخواطر المذمومه المتعلقه بالدنیا.

و إذا عرفت ذلک فاعلم:أنه من معالجات مرض الوسواس معرفه شرافه ضده الذی هو الخاطر المحمود،لیبعثه علی المواظبه علیه الموجبه لدفع الوساوس.و فضیله الخواطر المحموده الباعثه علی الأفعال الجمیله یأتی ذکرها فی باب النیه و ربما یعلم من بیان فضیله نفس هذه الأفعال أیضا کما یأتی ذکرها فی باب النیه،و فضیله الذکر القلبی یعلم فی باب مطلق الذکر.

أما بیان شرافه التفکر و بعض مجاریه من أفعال اللّه تعالی و الإشاره إلی کیفیه التفکر فیها و فیما یقرب العبد إلی اللّه تعالی و فیما یبعده عنه،فلنشر إلی مجمل منه هنا لتعلقه بالقوه النظریه،فنقول:

التفکر:هو سیر الباطن من المبادئ إلی المقاصد،و المبادئ :هی آیات الآفاق و الأنفس،و المقصد:هو الوصول إلی معرفه موجودها و مبدعها و العلم بقدرته القاهره و عظمته الباهره،و لا یمکن لأحد أن یترقی من حضیض النقصان إلی أوج الکمال إلا بهذا السیر.و هو مفتاح الأسرار و مشکاه الأنوار،و منشأ الاعتبار و مبدأ الاستبصار،و شبکه المعارف الحقیقه و مصیده الحقائق الیقینیه،و هو أجنحه النفس للطیران إلی وکرها القدسی،و مطیه الروح للمسافره إلی وطنها الأصلی و به تنکشف ظلمه الجهل و أستاره و تنجلی أنوار العلم و أسراره،و لذا ورد علیه الحث و المدح فی الآیات و الأخبار کقوله سبحانه:

أَ وَ لَمْ یَتَفَکَّرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ

(۱)

.»

۱- ۱) الروم الآیه:۸.

و قوله تعالى:

أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ

(۱)

و قوله تعالى:

فَاعْتَبِرُوا يٰا أُولِي الْأَبْصٰارِ

(۲)

و قوله تعالى:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

(۳)

و قوله تعالى:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ ... لَآيٰاتٍ لِأُولِي الْأَلْبٰابِ (۴)و قوله تعالى:

وَ فِي الْأَرْضِ آيٰاتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ

(۵)

و قوله تعالى:

ص :۲۰۱

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۱۸۵.

۲- ۲) الحشر،الآيه:۳.

۳- ۳) العنكبوت،الآيه:۲۰.

۴- ۴) آل عمران،الآيه:۱۹۰.

۵- ۵) الذاريات،الآيه:۲۰-۲۱.

اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلىٰ جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماوٰاتِ وَ الْأَرْضِ

(۱)

.

و قول رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «التفکر حیاه قلب البصیر»

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم: «فکره ساعه خیر من عباده سنه» ،و لا ینال منزله التفکر إلا من خصه اللّه عز و جل بنور التوحید و المعرفه،

و قوله -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «أفضل العباده إدمان التفکر فی اللّه و فی قدرته»

(۲)

،و مراده من التفکر فی اللّه التفکر فی قدرته و صنعه و فی عجائب أفعاله و مخلوقاته و غرائب آثاره و مبدعاته،لا التفکر فی ذاته،لکونه ممنوعا عنه فی الأخبار،و معللا بأنه یورث الحیره و الدهشه و اضطراب العقل،

و قد ورد: «إیاکم و التفکر فی اللّه،و لکن إذا أردتم أن تنظروا إلی عظمته فانظروا إلی عظیم خلقه». و اشتهر

عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-أنه قال: «تفکروا فی آلاء اللّه و لا تفکروا فی اللّه،فإنکم لن تقدروا قدره»،

و قول أمیر المؤمنین علیه السلام: «التفکر یدعو إلی البر و العمل به» ،

و قوله علیه السلام: «نبه بالتفکر قلبک،و جاف عن اللیل جنبک،و اتق اللّه ربک»،

و قول الباقر علیه السلام: «بإجاله الفکر یستدر الرأی المعشب»

و قول الصادق علیه السلام: «الفکر مرآه الحسنات و کفاره السیئات،و ضیاء للقلوب و فسحه للخلق،و إصابه فی صلاح المعاد،و اطلاع علی العواقب،و استزاده فی العلم و هی خصله لا یعبد اللّه بمثلها»،

و قول الرضا علیه السلام: «لیس العباده کثره فی الصلاه و الصوم،إنما العباده التفکر فی أمر الله عز و جل».

۱- ۱) آل عمران،الآیه ۱۹۱.

۲- ۲) روی هذه الأحادیث فی الکافی فی(باب التفکر)عن أبی عبد اللّه -علیه السلام-کما هنا.

تکمله (مجاری التفکر فی المخلوقات)

الموجودات بأسرها مجاری التفکر و مطارح النظر،إذ کل ما فی الوجود سوی واجب الوجود فهو من رشحات وجوده و آثاره فیضه و جوده،و کل موجود و مخلوق من جوهر أو عرض مجرد أو مادی،فلکی أو عنصری، بسیط أو مرکب فعل اللّه و صنعه،و ما من ذره من ذرات العالم إلاـ و فیها ضروب من عجائب حکمته و غرائب عظمته،بحیث لو تشمر عقلاء الأقطار و حکماء الأمصار مدی الأعصار لاستنباطها،انقضت أعمارهم دون الوقوف علی عشر عشیرها و قلیل من کثیرها.

ثم إن الموجودات المخلوقه منقسمه إلی ما لا یعرف أصله فلا یمکننا التفکر فیه،و إلی ما یعرف أصله و مجمله من دون معرفه تفاصیله فیمکننا التفکر فی تفصیله لتزداد لنا معرفه و بصیره بخالقه.و هو إلی ما لاـ یدرک بحس البصر و یسمی ب(الملکوت)،کالملائکه و الجن و الشیاطین و عوالم العقول و النفوس المجرده،و لها أجناس و طبقات لاـ یحیط بها إلا موجدها،و إلی ما یدرک به،و له أجناس ثلاثه:عالم السماوات المشاهده بکواکبها و نجومها و دورانها فی طلوعها و غروبها،و عالم الأرض المحسوسه ببحارها و جبالها و وهادها و تلالها و معادنها و أنهارها و نباتها و أشجارها و حیوانها و جمادها،و عالم الجو المدرک بسحبه و غیومه و أمطاره و ثلوجه و شهبه و بروقه و ریاحه و رعوده،و کل من هذه الأجناس الثلاثه ینقسم إلی أنواع،و یتشعب کل نوع إلی أقسام و أصناف غیر متناهیه،مختلفه فی الصفات و الهیئات،و اللوازم و الآثار و الخواص، و المعانی الظاهره و الباطنه،و لیس شیء منها إلا و موجده هو اللّه سبحانه،

و فی وجوده و حرکته و سکونه حکم و مصالح لا تحصی.

و کل ذلک مجاری التفکر و التدبر لتحصیل المعرفه و البصیره بخالقها الحکیم و موجدها القیوم العلیم،إذ کلها شواهد عدل و بینات صدق علی وحدانیته و حکمته و کمال کبریائه و عظمته،فمن قدم قدم حقیقته،و دار عالم الوجود و فتح عین بصیرته،و شاهد مملکه ربه الودود،لظهر له فی کل ذره من ذرات الخلق عجائب حکمه و غرائب قدره،بهر منها عقله و وهمه، و حسر دونها لبه و فهمه.

ثم لا ریب فی أن طبقات العوالم المنتظمه المرتبه علی النحو الأصلح و النهج الأحسن بأمر موجدها الحکیم و مدبرها العلیم،مبتدأه فی الصدور من الأشرف فالأشرف،حتی ینتهی إلی أسفل العوالم و أخسها،و هو عالم الأرض بما فیه،و کل عالم أسفل لا قدر له بالنسبه إلی ما فوقه،فلا قدر للأرض بالنظر إلی عالم الجو،و لا للجو بالقیاس إلی عالم السماوات،و لا للسماوات بالنسبه إلی عالم المثال،و لا للمثال بالنظر إلی عالم الملکوت،و لا للملکوت بالقیاس إلی الجبروت،و لا للجمیع بالنسبه إلی ما لا سبیل لنا إلی درکه تفصیلا و إجمالا من عوالم الألوهیه،کما ظهر لعلماء الطبیعه و أهل الرصد و الهندسه،و وضح لأرباب المکاشفه و العرفان و أصحاب المشاهده و العیان.

ثم أخس العوالم الذی عرفت حاله-أعنی الأرض-لا قدر لما علی ظهرها من الحیوان و النبات و الجماد،بالنظر إلی نفسها،و لذا یفسد من أدنی تغیر لها جل ما علیها،و لکل جنس مما علیها أنواع و أقسام و أصناف غیر متناهیه. و أضعف أنواع الحیوان البعوضه و النحل و أشرف أنواعه الإنسان فنحن نشیر إلی نبذه یسیره من الحکم و العجائب المودعه فیها،و کیفیه التفکر فیها،لیقاس علیها البواقی إجمالا.فإن بیان مجاری التفکر

بأسرها فی حین المحال،و ما یمکن منه خارج عن حیطه الضبط و التدوین، و لذا تری أن البارعین من الحکماء و الفائقین من أجله العرفاء بذلوا وسعهم فی بیان مجاری التفکر و مطارحه و شرح بمجال النظر و مسارحه فسطروا فیه الأساطیر و ملأوا منه الطوامیر،و خاضوا فی غمرات بحار الأفکار و غاصوا فی تیار لجج الأنظار،و مع ذلک لم یعودوا بالنظر إلی ما هو الواقع إلا صفر الیدین و رجعوا آخر الأمر(بخفی حنین).و نحن لو تعرضنا لشرح ما یمکن لنا درکه من الحکم و الغرائب المودعه فی عضو واحد من أعضائها علی التفصیل لخرجنا عن وضع الکتاب،و ارتکبنا ما یعمل الناظرین من الإطناب،فنشیر إجمالا إلی بعض ما فیها من الحکم و العجائب،تنبیها للطالبین علی کیفیه التفکر فی الصنائع الإلهیه،فنقول:

أما(البعوض)

فانظر کیف خلقه اللّه علی صغر قدره علی شکل الفیل الذی هو أعظم الحیوانات،إذ خلق له خرطوما کخرطومه،و خلق له مع صغره جمیع الأعضاء التی خلقها للفیل بزیاده جناحین،فقسم أعضاءه الظاهره، فأنبت جناحیه و أخرج یدیه و رجلیه،و شق سمعه و بصره و دبر فی باطنه أعضاء الغذاء،و رکب فیها من القوی الغاذیه و الجاذبه و الدافعه و الماسکه و الهاضمه ما رکب فی الحیوانات العظیمه-کما یأتی فی الإنسان-ثم هداه إلی غذائه الذی هو دم الإنسان و غیره من الحیوانات،فأنبت له آله الطیران إلی الإنسان،و خلق له الخرطوم الطویل و هو محدد الرأس،و هداه إلی الامتصاص من مسام بشره الإنسان حتی یضع خرطومه فی واحد من مسامه، و یغرز فیه و یمص الدم و یتجرعه،و خلق خرطومه-مع دقته-مجوفا حتی یجری فیه الدم الصافی الرقیق و ینتهی إلی باطنه و ینتشر فی معدته و فی سائر أعضائه،و عرفه أن الإنسان یقصده بیده فعلمه حیله الهرب،و خلق له

السمع الذی یسمع به حفیف حرکه الید مع کونها بعیده منه،فیترک المص و یهرب،و إذا سکنت الید عاد،و خلق له حدقتین حتی یبصر مواضع غذائه فیقصده مع صغر حجم وجهه.و لما کانت حدقه کل حیوان صغیره بحیث لا یحتمل الأجفان لصغره،و کانت الأجفان مصقله لمرأه الحدقه عن القذی و الغبار،خلق للبعوض و الذباب و غیرهما من الحیوانات الصغیره یدین لیمسح بهما حدقتیه و یطهرهما عن الغبار و القذی،أ و لا تری الذباب أنه علی الدوام یمسح حدقتیه بیدیه.و أما الإنسان و غیره من الحیوانات العظیمه خلق لحدقتیه الأجفان حتی ینطبق أحدهما علی الآخر و أطرافهما حاده،فیجمع الغبار الذی یلحق الحدقه و یرمیها إلی أطراف الأهداب.فهذه لمعه یسیره من عجائب صنع اللّه فیه،و فیها من العجائب الظاهره و الباطنه ما لو اجتمع الأولون و الآخرون علی الإحاطه بکنهها عجزوا عن حقیقتها.

أما(النحل)

-فانظر کیف أوحی اللّه تعالی إلیها حتی اتخذت! مِنَ الْجِبٰالِ بُیُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمّٰا یَعْرِشُونَ (۱)و استخرج من لعابها الشمع و العسل،و جعل أحدهما ضیاء و الآخر شفاء و انظر فی عجائب أمرها فی تناولها الأزهار و الأنهار و اجتنابها عن النجاسات و الأقذار،و فی طاعتها و انقیادها لواحد من جملتهم،و أکبرهم شخصا،و هو أمیرهم.و انظر کیف علم اللّه أمیرهم أن یحکم بالعدل و الإنصاف بینهم،حتی أنه لیقتل علی باب النفذ کل ما وقع منها علی نجاسه.ثم انظر إلی بناء بیوتها من الشمع و اختیارها من جمله الأشکال المسدس،فلا یبنی مستدیرا و لا مربعا و لا مخمسا،بل اختار المسدس لخاصیه یقصر عن درکها أفهام المهندسین،و هو أن أوسع الأشکال و أجودها المستدیر،ثم ما یقرب منه،

۱- ۱) النحل،الآیه:۶۸.

فإن المربع تخرج منه زوايا ضايعه،و شكل النحل مستدير مستطيل،فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغه،و لو بناها مستديره لبقيت خارج البيوت فرج ضايعه،لأن الأشكال المستديره إذا اجتمعت لم تجتمع متراصه و لا شكل فى الإشكال ذوات الزوايا يقرب فى الوسعه و الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجمله منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجه إلا المسدس،فهذه خاصيه هذا الشكل. فانظر كيف علم اللّه النحل مع صغر جرمها لطفا بها و عنايه بوجودها ليهنأ عيشها،فسبحانه ما أعظم شأنه.و ما ذكرناه قدر يسير من عجائب الحكمه المودعه فيها،و ما فيها من العجائب الظاهره و الباطنه مما لا يمكن الإحاطه به.

و أما(الإنسان)

فنقول:لا ريب فى أن أول كل إنسان قطره من ماء قذره،لو خليت بنفسها لأنتنها الهواء و أفسدها،و كانت متفرقه فى جميع أجزاء بدن الذكر، فألقى اللّه بلطائف حكمته محبه بينه و بين الأنثى و قادهما بسلاسل الشهوه إلى الاجتماع،و استخرج هذه النطفه المنتنه بحركه الوقاع و أعطى لآله الرجل قوه دافعه،و لرحم الأنثى قوه جاذبه،حتى جذبتها من فم الإحليل إلى نفسها،و امتزجت بمنى الأنثى بحيث صارتا واحده،و استقرت فى الرحم،و جعل مبدأ عقد الصوره فى منى الذكر،و مبدأ انعقادها فى منى الأنثى،فهما بالنظر إلى الجنين كالأنفحه و اللبن بالقياس إلى الجبن،و الحق إن لكل من المنيين القوه العاقده و المنعقده،إلا أن الأولى فى الذكورى و الثانيه فى الأنوثى أقوى،و إلا لم يتحدا شيئا واحدا،و لم ينعقد الذكورى حتى يصير جزءا من الولد.فلو كان مزاج الأنثى ذكوريا كما فى النساء الشريفه النفوس القويه القوى،و كان مزاج كبدها حارا،كان المنى المنفصل عن كليتها اليمنى أحر كثيرا من المنفصل عن كليتها اليسرى،فإذا اجتمعا فى الرحم،

و كان مزاج الرحم قويا فى الإمساك و الجذب،قام المنفصل عن الكليه اليمنى مقام منى الذكر فى شده قوه العقد،و المنفصل من اليسرى مقام منى الأنثى فى قوه الانعقاد،فيختلق الولد،و بهذا تتصحح ولاده مريم البتول-عليها السلام- حيث تمثل لها روح القدس بشرا سويا حسن الصوره،فمع تحقق ما ذكر لها تأيدت به-أى بروح القدس-و سرى أثر اتصالها به إلى الطبيعه و البدن و تغير مزاجها و مد جميع القوى فى أفعالها بالمدد الروحانى،فصارت أقدر على أفعالها بما لا ينضبط بالقياس.

ثم ابتدأ خلق الجنين فى استقرار الماءين فى الرحم،و شبه بالعجين إذا ألصق بالتنور،فغيره اللّه تعالى سبحانه عن حاله قليلا،كالبذر إذا نبت من الأرض،فصارت نطفه،فاستجلب دم الحيض من أعماق العروق إليها،حتى ظهرت فيها نقط دمويه منه و صارت علقه.ثم أظهر فيها حمره ظاهره حتى صار شبيها بالدم الجامد،و هيج فيها ريحا حاره فصارت مضغه.ثم أظهر فيها رسوم الأعضاء و شكلها و صورها،فأحسن تصويرها،فقسم أجزاءها المتشابهه إلى أجزاء مختلفه من العظام و الأعصاب و العروق و الأوتار و اللحم و الشحم.

ثم ركب الأعضاء الظاهره و الباطنه من اللحم و العروق و الأعصاب، فدور الرأس،و شق البصر و السمع و الفم و الأنف و سائر المنافذ،و مد اليد و الرجل،و قسم رءوسها بالأصابع و قسم الأصابع بالأنامل،و خلق كل واحد من القلب و الدماغ و الكبد و الطحال و المعده و الرئه و الرحم و المثانه و الأمعاء و غيرها من الأعضاء على شكل مخصوص،و جعل لكل واحد منها عملا معينا و فعلا مخصوصا،و جميع ذلك يحصل للجنين و هو فى ظلمه الأحشاء محبوس و فى دم الحيض مغموس،منضم فى صره،كفاه على خديه،و مرفقاه على حقويه،جمعت ركبتاه على صدره و ذقنه على رأس ركبتيه،و هو كشبه

نـائم،سـر ته متصـله بسـره أمه يمتص منهـا الغـذاء،و وجهه إلى وجهها إن كان أنثى و إلى ظهرها إن كان ذكرا.فتتوارد عليه تلك النقـوش العجيبـه و التصـويرات الغريبـه مـن غير خـبر منهـا لـه و للرحم،و لاـ للأـب و الأـم،و لاـ يرى داخـل النطفه أو الرحم و لا خارجهما نقاش يصل إليه أثر نقشه،فكأن الجنين بلسان حاله ينادى قلوب العارفين بنغمات تهيجها و ترقصـها:تصوروني فى ظلمه الأحشـاء مغموسـا بـدم الحيض،كيف يظهر التخطيـط و التصوير على وجهى، فينقش النقـاش أجفانى و حـدقتى،و يصور المصور خـدى و شـفتى،و لاـ يزال يظهر على نقش بعـد نقش و صوره بعـد صوره،و لاـ أرى نقاشـا و لا مصورا، أ و لا تتعجبون من هـذا النقاش الذى لا يحتاج إلى تماس و مزاوله و لا يفتقر إلى آله و مباشـره،أ و لا تنتقلون من عجيب صنعه إلى عظيم قدرته و جسيم عظمته، أ و ليس لكم أعين بها تبصـرون أو قلوب بها تفقهون،فكيف تنظرون إلى تكون أعضائى و عجائبها و لا تعتبرون؟! فانظر الآـن-يا حبيبى-فى نبـذ من العجائب و الحكم المودعه فى بعض من هـذه الأعضاء،فتأمل فى(العظام)التى هى أجسام قويه صـلبه كيف خلقهـا من نطفه سـخيفه رقيقه،و أحكمهـا و صـلبها فى الرحم بين المياه،مع أن صـلابه المائع فى الماء محال عاده،و جعلها قوامـا و دعامه للبـدن،و لـذا صـلبها و أحكمها لئلا تنكسـر عنـد الحركات العنيفه،و قـدرها مقادير مختلفه و شـكلها على أشـكال متفاوته،ففيها صـغير و كبير و طويل و قصـير و مسـتقيم و مسـتدير و دقيق و عريض و مجوف و مصمت،على ما اقتضته الحكمه و المصـلحه،و لمـا كـان الإنسـان محتاجـا إلى الحركه،تاره بجمله بـدنه،و تاره ببعض أعضائه،لم يخلقه من عظم واحـد،بل جعل له عظامـا كثيره بينهـا مفاصـل،حتى تتيسـر له الحركه بجمله بـدنه و بعض أعضـائه،و قـدر شـكل كـل واحـد منها على وفق الحركه المطلوبه

بها،و ما لم تكن فيه فائده سوى كونه عمادا للبدن خلقه مصمتا،و إن جعل فيه المسام و الخلل التى لا بد منها،و ما يحتاج إليه للحركه أيضا،زاد فى تجويفه ليكون أخف،و جعل تجويفه فى الوسط واحدا لئلا يحتاج فى وصول الغذاء إليه إلى التجاويف و الخلل المتفرقه،فيصير رخوا،بل صلبه مع تجويفه،لئلا ينكسر عند الحركات العنيفه،و ما كانت الحاجه فيه إلى الوثاقه أشد جعل تجويفه أقل،و ما كان الاحتياج فيه إلى الخفه أكثر جعل تجويفه أزيد،و جمع غذاءه و هو المخ فى حشوه ليغذوه و يرطبه دائما،لئلا يتفتت بتجفيف الحركه.

ثم وصل مفاصلها و ربط بعضها بالبعض بأوتار أنبتها من أحد العظمين و ألصقها بالآخر،كالرباط،و خلق فى أحدهما زوائد خارجه منه و فى الآخر حفرا غائصه فيه موافقه لشكل الزوائد،ليدخل فيها و ينطبق عليها،و لذلك لو أراد الإنسان أن يحرك جزءا من بدنه دون سائر أعضائه لم يتعسر عليه، و لو لا المفاصل لتعذر عليه ذلك.

ثم وسط بين العظام الصلبه و اللحوم الرخوه(الغضاريف)و هى من العظم ألين و من اللحم أصلب،ليحسن اتصال الصلب باللين،فلا يتأذى منه،خصوصا عند الضربه و الضغطه،و ليحسن به مجاوره المفاصل المتحاكه فلا تتراض لصلابتها.

ثم انظر-يا أخى-فى(العروق)و ما فيها من العجائب و الحكم،فانها خلقت على نوعين:(أحدهما)الشرايين:و هى العروق الضوارب المتحركه و منبتها القلب.و لما كان القلب ينبوع الحياه و منبع الروح و الحراره الغريزيه خلقت هذه العروق مبتدأه منه منتشره فى سائر الأعضاء لإيصال الروح و الحياه منه إليها،و لها حركتان،انقباضيه يقبض بها الأبخره الدخانيه عن القلب

و انبساطیه یجذب بها صافی النسیم إلیه،لیستریح،و لو لا هذا القبض و الجذب لاختنق القلب بالبخار الدخانی،و خلقت ذات صفاقین لئلا تنشق بقوه حرکتها و لئلا یتحلل ما فیها من الروح،و جعل الصفاق الداخل أصلب لأنه الملاقی لقوه الحراره الغریزیه و مصادمه حرکه الروح،فأوجب الحکمه الإلهیه زیاده إحکامها حفظا لها عن الانشقاق،لقوه حرکه الروح،و تقویه المحل الحراره الغریزیه،لئلا یتحلل شیء منها بتحلل محلها.و واحد من هذه الشرایین و یسمی الشریان الوریدی،لما کان حاملا لغذاء الریه لأن غذاءها من القلب فیغوص فیها و یصیر شعبا،فخلق لذلک ذا صفاق واحد لئلا یزاحم بصلابته الریه لرخاوتها و لینها،مع عدم مصادمه لحمها له عند الحرکه لکثره لینه و رخاوته.فلم تکن حاجه إلی زیاده استحکامه،علی أن الریه تحتاج إلی الغذاء علی سبیل الترشح بسرعه و سهوله،و کثره الصلابه منافیه لذلک.

(و ثانیهما)العروق الساکنه:و تسمی الأورده،و شأنها جذب الغذاء من المعده إلی الکبد و منه إلی سائر الأعضاء،و هی ذات صفاق واحد لأنها ساکنه فلا یخشی انشقاقها.و جعل واحد منها و یسمی الورید الشریانی ذا صفاقین لنفوذه فی التجویف الأیمن من القلب،فکان اللازم زیاده وثاقته لئلا یعتریه انشقاق بقوه حرکه القلب و صلابته،و هو الذی یأتی بغذاء الریه إلی القلب،و إذا خلص عن القلب و جاوزه یأخذ الشریان الوریدی منه الغذاء و یذهب به إلی الریه.

فانظر-یا أخی-إلی عجیب حکمه ربک،فإن حامل غذاء الریه ما دام نافذا فی القلب و مصادما لحرکته خلق صلبا ذا صفاقین،و إذا خلص عنه إلی الریه التی لا تتحمل الصلب جعل رخوا ذا صفاق واحد،فسبحانه ما أجل شأنه و أعظم برهانه.

ص:٢١١

ثم تفکر أیها المتفکر فی(الرأس)و عجیب خلقه،حیث رکبه من عظام مختلفه الأشکال و الصور،و ألف بعضها إلی بعض حتی استوت کره کما تراه،و جعله مجمع الحواس،و لذا جعله مستدیرا،لأن المستدیر أبعد من الآفات بالقیاس إلی ذی الزاویه،و أعظم مساحه منه مع تساوی إحاطتهما و جعل استدارته إلی طول،لأن منابت الأعصاب الدماغیه موضوعه فی الطول فلو لم یتسع منبتها لازدحمت و انضغطت،و ألف قحفه (۱)من سته أعظم:

اثنان بمنزله السقف و أربعه بمثابه الجدران،و وصل بعضها ببعض بالدروز و الشؤن،و جعل الجدران أصلب من الیافوخ الذی هو السقف،لأن الصدمات علیها أکثر،و تخلخل الیافوخ مما لا بد منه لخروج الأبخره المتحلله(و عدم ثقله علی الدماغ) (۲)و فائده الدروز أن تخرج منها الأبخره المتحلله فی الدماغ لئلا یؤدی مکثها إلی الصداع و غیره من الأمراض الدماغیه،و جعل أصلب الجدران مؤخرها لأنه غائب عن البصر فلا یحرسه فاحتاج إلی زیاده وثاقه.

و خلق فیها الدماغ لینا دسما،لتنطبع فیه المحسوسات بسهوله،و لتکون الأعصاب النابته منه لزجه لئلا تنکسر،و جعل مزاجه رطبا باردا لتنفعل القوی المودعه فیه عن مدرکاتها،و لئلا یشتعل بالحراره الحاصله عن الحرکات الفکریه و جعل مقدمه الذی هو منبت الأعصاب الحسیه ألین من مؤخره الذی هو منبت أعصاب الحرکه،لأن الحرکه لا تحصل إلا بالقوه،و القوه إنما تحصل بالصلابه.ثم جلل الدماغ بغشاءین:(أحدهما)رقیق لین ملاصق

۱- ۱) القحف:العظم فوق الدماغ و ما انفلق من الجمجمه فبان قال فی القاموس:«و لا یدعی قحفا حتی یبین أو ینکسر منه شیء».

۲- ۲) هذه الجمله مطابقه لنسختنا الخطیه و المطبوعه،لکنها غیر موجوده فی النسخه الخطیه الأخری.

لجوهره،و(ثانيهما)غليظ صلب ملاصق للقحف،و هو مثقب بثقب كثيره لاندفاع الفضول منه،و انشعبت منه شعب دقاق تصعد من دروز القحف إلى ظاهره،ليتشبث بها هذا الغشاء بالقحف و لا ينفصل عنه،و جعل بين جزئى الدماغ المقدم و المؤخر حجابا لطيفا ليحجب عن مماسه الألين بالأصلب فيتأذى منه،و خلق تحت الدماغ بين الغشاء الغليظ و العظم نسيجه (1)شبيهه بالشباك،و قد تكونت من الشرايين الصاعده من القلب و الكبد إلى الدماغ،و قد فرشت هذه الشبكه تحت الدماغ،ليبرد فيها الدم الشريانى و الروح،و يتشبه بالمزاج الدماغى بعد النضج،ثم يتخلص إلى الدماغ على التدريج،و لولاه لم يصلح الدم الكبدى و الروح القلبى لكثره حرارتهما لتغذيه الدماغ،و لم يناسبا جوهره،و جعل الفرج التى بين فروع هذه الشريانات محشوه بلحم غددى لئلا تبقى خاليه،و لتعتمد عليه تلك الفروع و تبقى على أوضاعها.

ثم لما كان الدماغ مبدأ الحس و الحركه.و لم يكن لسائر الأعضاء حس و حركه بذاتها،و كان اللازم إيصالهما منه إليهما،و لم يكن ذلك ممكنا بدون واسطه فى الإيصال،فخلق(الأعصاب)من جوهره،و وصلها منه إلى سائر الأعضاء من العظام و غيرها،ليفيدها الدماغ بتوسطها حسا و حركه،و ليشد و يتقوى بها اللحم و البدن،و أيضا لم يجعلها متصله بالعظم مفرده،بل بعد اختلاطها باللحم و الرباط،لئلا يتأذى من صلابته.

ثم لما كان نزول جميع الأعصاب التى يحتاج إليها من الدماغ موجبا لثقل الرأس و عظمه،خلق اللّه من جوهر الدماغ أشبه شىء به و هو(النخاع)، و جعل فى أسفل القحف ثقبا و أخرجه منها،و خصه بالعنق و الصلب،

١- ١) الموجود فى نسختنا الخطيه:«فسحه»بدل(نسيجه).

و أخرج منه كثيرا من الأعصاب المحتاج إليها إلى الأعضاء.فالدماغ بمنزله العين و الينبوع للحس و الحركه،و النخاع بمثابه النهر العظيم الجارى منه، و الأعصاب كالجداول.و المنبع ألين من النهر و النهر ألين من الجداول.

ثم انظر-يا حبيبى-كيف خلق(العين)و فتحها و أحسن شكلها و لونها و هيئتها و رتب لها سبع طبقات و ثلاث رطوبات كل منها على شكل خاص و لون مخصوص،لو تغير شىء منها عما عليه لاختل أمر الإبصار،و تأمل كيف أظهر فى حدقتها التى بمقدار العدسه صوره السماء مع اتساع أكنافها و تباعد أقطارها،و حماها بالأجفان ليسترها و يحفظها و يصقلها،و جعلها وقايه لها يدفع بها الأقذاء عنها،و يمنعها عن وصول الغبار و الدخان و الشعاع إليها عند انطباقها،و جعل الجفن الأسفل أصغر من الأعلى،لأن الأعلى يستر الحدقه تاره و يكشفها أخرى لتحركه،و أما الأسفل فغير متحرك،فلو زيد على هذا القدر يستر شيئا من الحدقه دائما،و يجتمع فيه الفضول و لا تسيل ثم زين الأجفان:(الأهداب)ليمنع من الحدقه بعض الأشياء التى لا يمنعها الأجفان مع انفتاح العين-كما ترى عند هبوب الرياح التى يأتى بالأقذاء-فيفتح العين أدنى فتح،و تتصل الأهداب الفوقانيه بالسفلانيه فيحصل شبه شباك ينظر من ورائه،فتحصل الرؤيه مع دفع القذى.

ثم انظر كيف شق(الأذن)و أودعها ما يحفظ سمعها و يدفع الهوام عنها و جعل ثقبها محاطه بصدفه مرتفعه لئلا تتأذى من البرد و الحر و غيرهما مما يؤذى،و ليجتمع فيها الهواء المتحرك من الأصوات فينفذ فيها و يحرك الهواء الذى فى داخلها و يموجه-كما ترى من دوائر الماء إذا وقع فيه شىء- حتى يصل إلى العصبه المفروشه على الصماخ التى فيها قوه السمع،فيدرك الصوت.و جعل فى منفذها تجويفات و اعوجاجات كثيره لتكثر حركه ما يدب

فيها و يطول طريقها،فيتنبه صاحبها إذا قصدته دابه مؤذيه فيدفع شرها، و خلق فيها جرما نتنا عفنا لتنفر عنه الدواب المؤذيه و لا تدخلها.

ثم تأمل كيف زين الوجه ب(الحاجبين)و حسنهما بدقه الشعر و استقواس الشكل.

و زين وجه الرجل ب(اللحيه)و وجه المرأه بعدمها،و المتأمل يعرف أن اللحيه زين للرجل و شين للمرأه،و هذا من عجائب الحكمه.

و زين الوجه برفع(الأنف)من وسطه،و حسن شكله و فتح منخريه، و أودع فيهما حاسه الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه و أغذيته و ليستنشق الهواء الطيب الصافى،و يدفع الهواء الحار الدخانى،و ترويحا لقلبه،و جعل له منخرين لتميل الفضلات النازله من الدماغ غالبا إلى أحدهما،و يبقى الآخر مفتوحا،فلا تسد طرق الاستنشاق بأسرها.

ثم انظر إلى(الفم)و عجائبه و إلى اللسان و غرائبه،فإنه سبحانه لعظيم قدرته و حكمته فتح الفم،و أودعه اللسان و جعله ناطقا معربا عما فى القلب و مكنه من التكلم باللغات المتخالفه و تقطيع الأصوات و إخراج الحروف المتباينه،و جعل له قدره على الحركه فى مخارج مختلفه تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها.و خلق(الفكين)و ركب فيهما الأسنان لتكون آله للطحن و القطع و الكسر،فأحكم أصولها،و حسن لونها،و رتب صفوفها متساويه الرءوس متناسقه الترتيب،كالدرر المنظومه،مختلفه الأشكال باختلاف الأغراض و المقاصد،متفاوته الأوضاع بتفاوت الغايات و الفوائد و لما كان الطعام يحتاج تاره إلى الكسر و تاره إلى القطع و أخرى إلى الطحن فقسم الأضراس إلى عريضه طواحن كالأضراس،و إلى حاده قواطع كالرباعيات،و إلى ما يصلح للكسر كالأنياب.و الأضراس التى فى الفكك

إلا على لما كانت معلقه جعل أصولها ثلاثه أو أربعه،و التى فى الفك الأسفل اكتفى فى أصولها باثنين أو ثلاثه لعدم الاحتياج،و جعل لسائر الأسنان أصلا واحدا لعدم ثقل فيها.ثم جعل مفصل(الفكين)متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل و يتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى،و هو ثابت لا يتحرك،فيتم الطحن بذلك.فانظر فى عجيب صنع اللّه فى هذه الرحى حيث يدور الأسفل منها على الأعلى على خلاف سائر الأرحيه،لدوران الأعلى منها على الأسفل.و الحكمه فى تحرك الأسفل دون الأعلى:أن الأعلى مجمع الدماغ و الحواس،فتحركه كان موجبا لأذيتهما و اضطرابهما،و أيضا هو مفصل الرأس و العنق،فلو تحرك لم يستحكم،مع أن الوثاقه فيه لازمه ثم لما كان مضغ الطعام محتاجا إلى تحركه فيما تحت الأسنان،فأعطى اللّه سبحانه قدره اللسان على أن يطوف فى جوانب الفم و يرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجه.و لما كان الطعام يابسا فلم يمكن ابتلاعه إلا بنوع رطوبه،فخلق تحت اللسان عينا جاريه يفيض منها اللعاب و ينصب بقدر الحاجه،حتى يعجن به الطعام و يقدر على ابتلاعه.

ثم تفكر كيف خلق(الحناجر)و هيأها لخروج الأصوات،و جعلها مختلفه الأشكال فى الضيق و السعه و الخشونه و الملاسه و الطول و القصر و صلابه الجوهر و رخاوته،حتى اختلفت بها الأصوات،فلا يتشابه صوتان،بل يظهر به بين كل صوتين فرق حتى يميز السامع أصوات آحاد الناس بمجرد سماعها فى الظلمه و الغيبه.

ثم مد(العنق)و جعله مركبا للرأس،و كبه من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تجويفات و زيادات و نقصان،لينطبق البعض على البعض، و لما كان أكثر منافعه فى الحركه جعل مفاصله سلسه،و لم يجعل زوائدها المفصليه

کبیره کزوائد فقرات الصلب،لتکون حرکاته أسرع،و تدارک تلک السلاسه بأعصاب و عضلات کثیره محیطه به.

ثم انظر إلی عجائب(المعده)و آلاتها التی یتم بها الأکل،فجعل سطح الفم متصلا بفم المعده بحیث کأنهما سطح واحد،حتی یحصل أولا نوع انهضام بالمضغ،ثم هیأ(المریء) (۱)و الحنجره،و جعل علی رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق و تنضغط حتی یهوی الطعام من دهلیز المری إلی المعده،و إذا ورد علیها لا یصلح لأن یصیر عظما و لحما و دما علی هذه الهیئه،بل لا بد أن ینطبخ انطباخا تاما تتشابه أجزاؤه،فخلق اللّه المعده علی هیئه قدر یقع فیه الطعام و تنغلق علیه الأبواب،و خلق فیها حراره صالحه للطبخ،و مع ذلک جعلها محاطه من جوانبها الأربعه بالحراره المنبجسه من الکبد و الطحال و الثرب و لحم الصلب،فمن هذه الحرارات ینطبخ الطعام فی المعده و ینهضم،حتی یصیر کیلوسا (۲)أی جوهرا سیالا لیشبه ماء الکشک (۳)الثخین.

ثم خلق اللّه بعظیم حکمته و رأفته لإیصال صفو ما طبخ فی المعده إلی الکبد قسمین من العروق:(أحدهما)العروق المخلوقه فی تحت المعده المتصله بالمعاء المسماه ب(ماساریقا) (۴)،و جعل لها فوهات کثیره لینصب لطیف المطبوخ فیها،و(ثانیهما)العرق المسمی بباب الکبد النافذ فیه بعد تفرقه بعروق شعریه لیفیه منتشره فی اجزائه،و جعل الماساریقا متصله بباب الکبد،فإذا انصب خالص الکیلوس فی الماساریقا یوصله إلی باب الکبد،

۱- ۱) هو الخرطوم المتصل بالأوداج الأربعه إلی الحنجره.

۲- ۲) کلمه یونانیه،المراد منه هو الطعام المطبوخ فی المعده طبخا ناقصا.

۳- ۳) ماء الکشک:هو ماء الشعیر.

۴- ۴) أی العروق تحت المعده المتصله بالمعاء.و الکلمه یونانیه.

و ینصب منه إلی العروق اللیفیه المتفرقه فی جوهر الکبد،فتستولی قوه الکبد علی هذا الکیلوس،بحیث یلاقی کله کله،و لذا یصیر فعله فیه أشد و أسرع،فیمتصه و یجذبه إلی نفسه فیطبخه و یفیده الحراره و الحمره،حتی ینصبغ بلون الدم،و من هذا الطبخ یحصل شیء کالرغوه و هی(الصفراء)، و شیء کالدودی و هو(السوداء)،و شیء کبیاض البیض و هو(البلغم)، و هو کما یتکون من هذا الطبخ یتکون من الطبخ الأول أیضا،و قد یصیر شیء من هذا البلغم إلی الکبد مع عصاره الطعام،و یبقی المتصفی من هذه الجمله دما ناضجا ذا رطوبه مائیه منتشره فی العروق الشعریه،فلو بقیت الصفراء و السوداء و البلغم و المائیه مختلطه بالدم و لم تنفصل عنه لفسد مزاج البدن، فخلق اللّه بحکمته الکلیتین و المراره و الطحال،و جعل لکل منهما عنقا ممدودا فی الکبد،و جعل عنقی الآخرین داخلا فی تجویف الکبد،و لم یجعل عنقی الکلیتین داخلا فی تجویفه،بل جعلهما متصلین بالعروق الطالعه من حدبه الکبد حتی یجذبا مائیته بعد الطلوع من العروق الدقیقه التی فی الکبد،اذ لو اجتذبت قبل ذلک لغلظت و لم تخرج بسهوله عن العروق الدقیقه الشعریه.

ثم إذا انجذبت المائیه من جانب محدب الکبد من طریق العروق الطالعه منه إلی الکلیتین،حملت مع نفسها من الدم ما یکون صالحا کما و کیفا لغذائهما فتغذوان الدسومه و الدمویه من تلک المائیه،و یندفع باقیها إلی المثانه،و منها إلی الإحلیل.و أما(المراره)فتأخذ الرغوه الصفراویه من محدب الکبد بعنقها الذی اتصل بالکبد،و تقذفها من منفذ آخر لها إلی الأمعاء،لیلذعها بحدتها فتحرکها علی دفع الأثقال التی بقیت من الکیلوس بعد ذهاب صفوه إلی الکبد،فینضغط حتی تندفع منها الأثقال،و بخروجها تخرج تلک الرغوه الصفراویه،و صفرتها لذلک.و أما(الطحال)فیأخذ بعنقه المتصل بمحدب

الکبد منه الرسوب السوداوی و یحیله حتی یکتسب قبضا و حموضه،ثم یرسل منه فی کل یوم شیئا إلی فم المعده لتنبه بالجوع،فیحرک الشهوه بحموضته و قبضه،ثم یخرج بخروج الثقل أیضا.و أما(الدم)فیتوجه إلی الأعضاء و یتوزع علیها فی شعب العرق الأجوف العظیم النابت من محدب الکبد،فیسلک فی الأورده المتشعبه منه فی جداول،ثم فی سواقی الجداول، ثم فی رواضع السواقی،ثم فی العروق الشعریه اللیفیه،ثم یترشح من فوهاتها فی الأعضاء بتقدیر خالق الأرض و السماء.

و مما ذکر ظهر أنه لو حدث بواحد من المراره و الطحال و الکلیتین آفه، فسد الدم و حصلت أمراض الخلط الذی یجذبه من الکبد،فلو عرضت آفه بالمراره حدثت الأمراض الصفراویه،و لو حصلت آفه بالطحال حصلت أمراض سوداویه،و لو لم تندفع المائیه إلی الکلی بعروض آفه لها حصل مرض الاستسقاء، و أما(البلغم)فما یتکون فی الکبد أو یصیر إلیه مع عصاره الطعام انهضم فیه و صار دما،و ما بقی منه فی الأمعاء و لم ینحدر إلی الکبد انغسل بمره الصفراء التی شأنها تنقیه الأمعاء من الفضول بحرافتها و حدتها و سیلانها،و من البلغم ما یبقی فی البدن لاحتیاجه إلیه فی حرکه المفاصل و ترطیب الأمعاء،و منه ما یخرج من الفم بالقیء و البصاق أو ینحدر من الرأس إلی الفم و یخرج منه بالتنخع.

ثم انظر-یا أخی-فی(القلب)و عجائبه،حیث خلقه جسما صنوبریا و جعله منبعا لروح الحیاه،و لذا خلقه صلبا لیکون محفوظا من الواردات، و جعل هذا الروح جرما حارا لطیفا نورانیا شفافا،و جعله مطیه للنفس و قواها،و أناط به حیاه الإنسان و بقاءه،فیبقی ببقائه و یفنی بفنائه،فکل عضو

يفيض عليه من سلطان نوره يكون حيا،و إلا كان ميتا،و لذا لو حصل بعضو سده مانعه من نفوذه فيه بطل حسه و حركته،و يتوزع هـذا الروح من القلب الـذى هو منبعه إلى سـائر الأعضـاء العـاليه و السافله،بوساطه سـفراء الشـرايين و الأورده،فما يصـعد منه إلى الـدماغ بأيـدى خوادم الشـرايين،و يعتـدل بكسب البروده من جوهر الدماغ،ثم يفيض على الأعضاء المدركه و المتحركه منبثا فى جميع البـدن،يسـمى(روحا نفسانيا).و ما ينزل بصـحابه أمناء الأورده إلى الكبد الذى هو مبدأ القوى النباتيه،و منه يتفرق إلى سائر الأعضاء،يسـمى(روحا طبيعيا).و قـد خلق اللّه سـبحانه هذا الروح من لطائف الأمشاج الأربعه،كما خلق الأعضاء من كثائفها.و هذا الروح مثاله جرم نار السـراج،و القلب الذى محله كالمسـرجه له،و الدم الأسود الذى فى باطن القلب و يتكون هذا البخار اللطيف منه بمنزله الفتيله له،و الغـذاء له كـالزيت و الحياه الظاهره فى جميع أجزاء البـدن بسـببه كالضوء للسـراج فى جمله البيت،كما أن السـراج إذا انقطع زيته انطفأ،فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه و كما أن الفتيله قد تحترق و تصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت،فكذلك الدم الأسود الذى فى باطن القلب قد يحترق بحيث لا يقبل الغذاء الذى تبقى الروح به،كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به،و كما أن السـراج ينطفئ تاره بسـبب من داخل-كما ذكرنا-و تاره بسـبب من خارج،كهبوب ريح أو إطفاء إنسـان،فكـذلك انطفـاء الروح تـاره يكون بسـبب من داخل و تاره بسـبب من خارج،كالقتل،و كما أن انطفاء السـراج هو منتهى وقت وجوده كـذلك انطفـاء الروح هو منتهى وقت وجود الإنسان،و هو أجله الـذى أجل له فى أم الكتاب.و كما أن السـراج إذا انطفأ أظلم البيت كله كذلك الروح اذا انطفا أظلم البدن كله،و فارقته أنواره التى كان يستفيدها من الروح،و هى

أنوار الإحساسات و القدره و الإرادات و سائر ما يجمعها معنى الحياه.

ثم انظر-يا حبيبى-إن كنت من أهل اليقظه فى(اليـدين)و حكمتهما، حيث طولهما لتمتـدا إلى المقاصـد،و عرّض الكف و وضع عليهـا الأصـابع الخمس،و قسم كـل إصـبع بثلاث أنامـل،و جعـل الإبهام فى جانب،و البواقى فى جانب،ليـدور عليها،و لو اجتمع الأولون و الآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر فى وضع الأصابع سوى ما وضـعت عليه من بعد الإبهام من الأربع و ترتبهـا فى صـف واحـد و تفاوتهـا فى الطـول و القصـر،على أن يكون هـذا الوجه أزين و أصـلح منه أو مثله و شـبهه فى الزينه و المصلحه لم يقدروا عليه،إذ بهذا الترتيب صلحت للقبض و الإعطاء،فإن بسطتها كانت لك طبقا تضيع عليها ما تريد،و إن جمعتها كانت لك آله للضـرب،و إن نشـرتها ثم ضـممتها كانت آله للقبض،و إن ضـممتها ضـما غير تام كانت لك مغرفه،و إن وضعت الإبهـام على السـبابه كـانت لـك مخرقه،و إن بسـطت الكف مع اتصال الأصابع كانت لك مجرفه و إن بسـطت الكف و جمعت عليها الأصابع كانت لك محرزه،إلى غير ذلك من المنافع.

ثم خلق(الأظفـار)على رءوسـها،زينه للأنامـل و عمـادا لهـا من ورائهـا، حتى لا تنفت،و ليلتقط بها الأشـياء الـدقيقه التى لا تتناولها الأنامل،و ليحك بها بدنه عند الحاجه،فالظفر الذى هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان و حدثت به حكمه لكان أضعف الخلق و أعجزهم،ثم هـدى(اليـد)إلى موضـع الحـك حـتى تمتـد إليه و لو فى حـاله النوم و الغفله،من غير حـاجه إلى فحص و طلب،و لو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك.

ثم خلق(الرجلين)مركبتين من الفخذ و الساق و القدم،كل منها على شـكل خاص و تركيب خاص،ليتحرك بهما الإنسان إلى أى موضع أراد،و لو

تغير شیء من الشكل أو الوضع أو التركيب فی جزء من إجزائهما لأختل أمر الحركه،و وضع عليهما جمله البدن و جعلهما دعامه و أساسا له و حاملين لثقله،مع خفتهما و صغر جثتهما بالنسبه إليه،إذ حسن التركيب و سهوله الحمل و الحركه فی مثل هذا الخلق لا يتصور بدون ذلک.فانظر فی عجيب حكمه ربک حيث جعل الأخف و الأدق و الأصغر أساسا و حاملا للأثقل و الأغلظ و الأكبر،مع أن كل بناء يكون أساسه أكبر و أغلظ مما يبنی عليه،و كل حامل يكون أعظم جثه من المحمول،فسبحانه من خالق لا نهايه لعجائب حكمته و غرائب قدرته.

ثم خلق جميع ذلک فی النطفه جوف الرحم فی ظلمات ثلاث،و لو كشف عنها الغطاء و امتد إليها البصر،لكان يرى التخطيط و التصوير يظهر عليها شيئا فشيئا،و لا يرى المصور و لا آلته،فسبحانه من مصور فاعل يتصرف فی مصنوعه من دون احتياج إلى مباشره آله و لا افتقار إلى مكادحه عمل.

تذنيب

ثم تأمل-أيها المتأمل-فی عجائب حكم ربک:إنه لما كبر الصبی و ضاق عنه الرحم كيف هداه السبيل إلى الخروج حتى تنكس و تحرک،و خرج من ذلک المضيق كأنه عاقل بصير،و لما خرج و كان محتاجا إلى الغذاء و لم يحتمل بدنه الأغذيه الكثيفه للينه و رخاوته خلق له اللبن اللطيف،و استخرجه من بين الفرث و الدم،خالصا سائغا،و خلق الثديين و جمع فيهما هذا اللبن، و أنبت منهما الحلمه على قدر ما ينطبق فم الصبی،و هداه إلى التقامها،و فتح فيها ثقبا ضيقه جدا،حتى لا يخرج اللبن إلا بعد المص تدريجيا،لأن الطفل

لاـ یطیق منه إلاـ القلیـل،ثم هـداه إلی الامتصاص حتی یسـتخرج من مثل هـذا المضـیق اللبن الکثیر عنـد شـده الجوع،و أخر خلق الأسـنان إلی تمـام الحولین، لأـنه لاـ یحتـاج فیهمـا إلیهمـا بـاللبن،و مـا دام مغتـذیا به لمـا کان فی دماغه رطوبه کثیره سلط علیه البکـاء،لتسـیل به تلک الرطوبه،فلا تنزل إلی بصره أو إلی غیره من أعضائه فتفسـده،ثم لما کبر و لم یوافقه اللبن الخفیف و افتقر إلی الأغـذیه الغلیظه المحتـاجه إلی المضـغ و الطحن أنبت له الأسـنان عنـد الحـاجه من دون تقـدیم و تـأخیر،و حنن علیه قلـوب الوالدین بالقیام علی تربیته و تکفل حاله ما دام عاجزا عن تدبیر نفسه.

ثم رزقه الإدراک و الفهم و القـدره و العقل علی التدریج حتی بلغ ما بلغ و أودع فی نفسه المجرده و قواها الباطنه أسـرارا عجیبه تحیر طوامح العقول و تدهش منها ثواقب الأنظار و الفهوم.فانظر إلی قوه الخیال بعرضـیتها الغیر المنقسـمه کیف تطوی السـماء و الأرض و تتحرک من المغرب إلی المشـرق فی آن واحد،و إلی قوه الوهـم کیف تسـتنبط کثره المعانی الجزئیه فی لحظه واحده، و تأخـذها من حواق الأشـیاء،و إلی المتخیله کیف ترکب بعضـها بالبعض و تأخذ منها ما فیه الصـلاح و الرشاد فی أمر المعاش و المعاد.

ثم انظر فی عجائب النفس و عالمها:من إحاطتها بالبـدن کله و تدبیرها له، مع تنزهها عن صـقع المکان و اتصافها بالعلم و القدره و سـائر الصـفات الکمـالیه، و تمکنهـا من الإحاطه علی حقائق الأشـیاء بأسـرها،و تصـرفها فی الملک و الملکوت بقوتها العقلیه و العملیه و مع ذلـک عاجزه عن معرفه ذاتها و حقیقتها، و من تطوراتها فی الأطوار المختلفه،و تقلبها فی النشآت المتباینه،و ترقیاتها بحسب درجاتهـا و مقاماتهـا،من لـدن تعلقها بالنطفه القـذره إلی صـیرورتها عالما ربانیا محیطا بحقائق الأشـیاء متصـلا بالملکوت الأعلی،و من اجتماع

عوالم السباع و البهائم و الملائکه و الشیاطین فیه (۱)،و إطاعه جمیع الموجودات له،حتی السباع تخضع لدیه و الطیور تخفض أجنحه الذل بین یدیه، و یستخدم الجن و یسخر الکواکب و روحانیتها،و من عجائب عالمه الطبع الموزون و الصوت الحسن،و علمه بصناعه الموسیقی،و استنباطه أنواع الصنائع من الأرض،و قد یتعدی إلی عالم العجیبه و الحرف الغریبه.

و منها أمر الرؤیا و إخباره بالمغیبات لاتصاله بالجواهر الروحانیه،و تأثیره فی مواد الأکوان بنزع صوره و إلباس أخری،فیؤثر بانقطاعه إلی اللّه فی استحاله الهواء إلی الغیم و نزول الأمطار،و إزاله أنواع الأمراض،و إهلاک قوم و إنجائهم،و تمکنه من فعل أو تحریک یخرج عن وسع مثله،و إمساکه عن القوت مده غیر معتاده،و اقتداره علی إظهار بدنه المثالی فی مواضع مختلفه فی وقت واحد،و إحضاره ما یریده من المطاعم و الملابس،و مصاحبته مع الملائکه و أخذ العلوم منهم.فانظر-یا أخی-إن کنت من أهل الیقظه إلی قدره ربک العظیم حیث أودع جمیع ذلک فیما عرفت حاله من النطفه السخیفه القذره،و هذه النطفه هی التی قد تصیر ملکا شدید الهمه و البطش مسخرا للربع المسکون،بحیث ینوط به انتظام النوع و اختلاله،و قد یصیر بحیث تظهر منه خوارق العادات و غرائب المعجزات فی عالم الأرض،و قد یتعدی إلی عالم الأفلاک،فینشق القمر و یرد الشمس.

و لیت شعری إن الناس کیف یتعجبون من صیروره المیت حیا،مع أنه جثته کانت موجوده و إنما أفیض علیه مجرد حس و حرکه،و لا یتعجبون من بلوغ قطره ماء قذره إلی المراتب التی عرفتها.و لیس المنشأ لذلک إلا کثره مشاهدتهم و تکرر ملاحظتهم له مع أن هذا لا یدفع العجب و الغرابه لو

۱- ۱) تذکیر الضمیر هنا و فیما یأتی باعتبار الإنسان،و تقدم مثله صفحه(۱۱).

نظروا بعين العبره و البصيره،إذ منشأهما إما عظم الصنع و حسن الإبداع، فهما فى بلوغ النطفه إلى المراتب المذكوره أقوى و أشد من إحياء ميت،أو دلاله هـذا الصـنع و الفعل على صانع حكيم و فاعل عليم،فلا ريب أيضا فى أن دلاله الأول على ذلك أشد من دلاله الثانى عليه،إذ كل من رزق أدنى حظ من البصـيره يعلم أن بلوغ قطره ماء قـذره إلى المراتب المـذكوره ليس إلا من قـدره قادر حكيم و صنع صانع عليم،أو من حدوث الفعل من دون مشاهده سبب مباشر،فهذا فى أمر النطفه أظهر،و على أى تقدير كان يكون التعجب و الغرابه فى بلوغ النطفه السـخيفه القذره إلى المراتب المذكوره أشد و أحرى من التعجب فى إحياء ميت أو إبراء أكمه أو أبرص أو تكلم حيوان أو نبـات أو جمـاد أو غير ذلك من خوارق العادات و غرائب المعجزات،فالنظر الـذى لا يقتضـى منه العجب إنما هو نظره حمقاء لم ينشأ عن حقيقه الروايه و الاتقان و لم يصدر عن ذى قلب يقظان.و بالجمله:الحكم و العجائب المودعه فى النشأه الإنسانيه أكثر من أن تحصى.و إنما أشرنا إلى نبذه قليله منها تبصره لمن استبصر،و تنبيها على كيفيه التفكر فى سائر مجارى الفكر و النظر،

قـال الإمام أبو عبـد اللّه الصادق(ع): «إن الصوره الإنسانيه أكبر حجه للّه على خلقه،و هى الكتاب الـذى كتبه بيـده،و هى الهيكل الـذى بنـاه بحكمته،و هى مجموع صور العالمين،و هى المختصـر من العلوم فى اللوح المحفوظ،و هى الشاهـد على كل غائب،و هى الحجه على كل جاحد،و هى الطريق المستقيم إلى كل خير، و هى الصراط الممدود بين الجنه و النار».

و إذا عرفت نبـذا من عجائب نفسك و بـدنك،فقس عليه عجائب الأرض التى هى مقرك،بوهادها،و تلالها،و سـهلها،و جبالها،و أشجارها،و أنهارها،و بحارها

و أزهارهـا،و برارهـا،و عمارهـا و مـدنها،و أمصارهـا،و معادنها،و جمادها، و حيوانها،و نباتها،فإن كل ما نظرت إليه منها لو تأملته لوجدته مشتملا على غرائب حكم لا تعد و عجائب مصالح لا تحد،و لرأيته آيه باهره على عظمه مبدعه و حجه قاطعه على جلاله موجده.

فانظر-أولا-إلى(رواسى الجبال)و شوامخ الصم الصلاب،

كيف أحكم بها جوانب الأرض و أودع المياه تحتها،فانفرجت من هـذه الأحجار اليابسه و التربه الكدره مياه عذبه صافيه،و أودع فيهـا الجواهر النفيسه العـاليه و هـدى النـاس إلى اسـتخراجها و اسـتعمالها فيمـا ينبغى،و خلق فى الأـرض معـادن يحتاج إليها نوع الإنسـان،و لو فقـد واحـدا منهـا لم يتم انتظامه،و لم يترك معموره لم يكن فى قربها هـذه المعادن،و جعل ما يكون الاحتياج إليه أشد و أكثر أعم وجودا و أقرب مسافه،كالملح و مثله.

ثم انظر إلى(أنواع النبات)

بكثرتها و اختلافها فى الإشـكال و الألوان و الطعوم و الروائـح و الخواص و المنافع،فهـذا يغـذى،و هـذا يقوى،و هـذا يقتل،و هذا يحيى،و هذا يسخن،و هذا يبرد،و هذا يجفف،و هذا يرطب و هذا يسهر،و هذا ينوم،و هذا يحزن،و هذا يفرح...إلى غير ذلك من المنـافع المختلفه و الفوائـد المتبـاينه،مع اشتراكهـا فى السـقى من مـاء واحـد، و الخروج من أرض واحـده.(فـإن قلت):اختلاـفها لاختلاف بذورها، (قلنا):متى كانت فى النواه نخله مطوقه بعناقيد الرطب؟و متى كانت فى حبه واحده سبع سـنابل فى كل سـنبله مـائه حبه؟و انظر إلى كـل شـجر و نبت إذا أنزل عليهـا المـاء كيـف يهـتز و يربـو و يخضـر و ينمـو بجميـع أجزائه من الأـصول و الأغصان و الأوراق و الأثمار على نسبه واحده،من غير زياده لجزء على آخر لوصول الماء إليها على نسـبه واحده و قسـمته عليها بالسويه،فمن هذا القاسم

العدل فی فعل ما لیس له شعور و لا إدراک؟فتبا لأقوام یسندون هذه الحکم المتقنه الظاهره و المصالح المحکمه الباهره إلی ما لا خبر له بوجوده و ذاته و لا بأفعاله و صفاته.

ثم انظر إلی(أنواع الحیوانات)

و أصنافها و کثرتها و اختلافها:من الطیور و الوحوش و السباع و البهائم،کیف هدی اللّه کل واحد منها إلی ترتیب المنزل و تحصیل القوت،و جعل ما لا یتم معاش الإنسان بدونه من الإنعام و البهائم مأنوسا به غیر متوحش عنه،و غیره وحشیا عنه غیر ألف به،و جعل فی کل منها من عجائب الحکم و غرائب المصالح ما تتحیر منه العقول،فمن ذا الذی یقدر أن یحیط بعجائب خلق العنکبوت و النحله-بل البقه و النمله- و غرائب أفعالها مع کونها من صغار الحیوانات،من وضع منازلها و جمیع أقواتها و ادخارها لنفسها و هدایتها إلی حوائجها؟فأی مهندس یقدر علی رسم بیوت النحل و العنکبوت علی هذا التناسب الهندسی؟و انظر کیف جعل العنکبوت بیته شبکه لیصید بها البق و الذباب.و بالجمله:کل شخص من الحیوان أودع فیه من العجائب ما لا یمکن وصفه،و کل أحد إنما یدرک قدر ما یصل إلیه فهمه.

ثم انتقل من عالم الأرض إلی(عالم البحر)و عجائبه من الحیوانات و الجواهر و النفائس،فإن العجائب المودعه فیه أضعاف عجائب الأرض،کما أن سعته أضعاف سعته،و کل حیوان یوجد فی الأرض یوجد فیه،و فیه حیوانات أخر لیس لها نظیر فی البر أصلا،و قد یوجد فیه من الحیوانات ما عظمه بقدر جزیره عظیمه،و کثیرا ما ینزل الرکبان علیه فیتحرک.أو من عجائبه خلق اللؤلؤ فی صدفه تحت الماء و إنبات المرجان من صم الصخور تحته،مع کونه علی هیئه شجر ثابته نامیه...و قس علیه الغیر و سائر النفائس التی یقذفها البحر و تستخرج منه.و بالجمله عجائب البحر أضعاف عجائب البر،و قد صنف

جماعه فيها مجلدات من الكتب،و مع ذلك لم يأتوا إلا باليسير،و لم يذكروا إلا قليلا من كثير.

ثم انتقل إلى(عالم الجو)و عجائبه.من السبح و الغيوم و الأمطار و الثلوج و الشهب و البروق و الصواعق و الرعود،فانظر إلى السحاب الخفيف مع رخاوته كيف يحمل الماء الثقيل و يسكن فى جو صاف لا يتحرك إلا أن يأذن اللّه سبحانه فى إرساله الماء،و تقطيع القطرات كل قطره بالقدر الذى شاء و أراد،فينزل قطرات متفاصله لا تدرك قطره منها أخرى،و لا يتقدم المتأخره و لا يتأخر المتقدم،حتى يصيب الأرض قطره قطره،و عين كل قطره لجزء من الأرض أو قوتا لحيوان معين،و لو كنت-يا حبيبى-ذا قلب لشاهدت فى كل قطره خطا إليها مكتوبا بقلم إلهى:إنه يصيب الجزء الفلانى من الأرض،أو رزق للحيوان الفلانى فى الموضع الفلانى.

ثم ارفع رأسك إلى هذا(السقف الأخضر)

قائلا:سبحانك!ما خلقت هذا باطلا.و انظر إلى هذه الأجرام النوريه و عجائبها،و اصرف برهه من وقتك فى الفحص عن حقائق غرائبها:من الشمس و إضاءتها عالم الأكوان، و القمر و اختلاف تشكلاته فى الزياده و النقصان،و سائر الأنجم الدائره، و الكواكب الثابته و السائره،و اختلاف صورها و أشكالها و مقاديرها و أوضاعها،و تفاوت مشارقها و مغاربها،و تباين منازلها و مواضعها،و اجتماعها و اتصالها،و تفرقها و انفصالها،و طلوعها و أفولها،و كسوفها و خسوفها، و انتظام حركاتها و اتساق دورانها،و حسن وضعها و ترتيبها و عجيب نضدها و ترصيعها،بحيث حصل من كيفيه نضدها و وضعها صور جميع الحيوانات:

من العقرب و الحمل و الثور و الجدى و الإنسان و الحوت و السرطان،بل صور

غير الحيوان:من السنبله و الميزان و القوس و الدلو و غير ذلك.حتى ما من صوره فى الأرض إلا و لها تمثال فى السماء أ يظن عاقل أن وضع هذه الكواكب على هذه الصوره و اختلاف بعضها فى اللون:ككموده زحل، و حمره المريخ،و قلب العقرب،و صفره عطارد،و رصاصيه الزهره و المشترى،بمجرد الاتفاق،و ليس لخالقها فى ذلك حكمه و مصلحه فما أشد جهلا و حمقا من توهم ذلك!

ثم انظر إلى حركه(الشمس)

يسير فلكها و إتمامها الدور بهذا السير فى سنه،و به تقرب من وسط السماء و تبعد عنه،و بسير آخر تطلع و تغرب فى كل يوم و تتم الدور بيوم و ليله،فلو لا سيرها الأول الموجب لغايه قربها إلى وسط السماء مده،و غايه بعدها عنه تاره،و توسطها بين الغايتين مرتين، لم تحصل الفصول الأربعه الموجبه لنشوء النباتات و الثمار و نضجها و بلوغها إلى غاياتها المطلوبه،و لو لا سيرها الثانى لم يختلف الليل و النهار،فلم يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحه،و لم تعرف المواقيت من الشهور و الأعوام و الساعات و الأيام.و تأمل فى أنه لو لم تكن السماوات مستديره و حركاتها دوريه،لم يتم شىء من الفوائد و الحكم المطلوبه من الحركه و الزمان و ما ارتبط بها من أمور العالم السفلى.

ثم انظر إلى عظم أقدار هذه الأجرام السماويه،

حتى لا قدر لجميع العوالم السفليه من الأرض و البحار و عالم الجو بالنسبه إليها،فلا يمكن أن يقال جميع ذلك بالنسبه إليها،بل بالنسبه إلى فكل الشمس فقط-مثلا-كنسبه قطره إلى البحر المحيط،و قد قال المهندسون:إن جرم كوكب الشمس فقط مائه و نيف و ستون ضعف الأرض بجميعها،بل قال بعضهم أكثر من ذلك، و مع ذلك بينوا أن ثخن فلك المريخ ثلاثه أمثال غلظ فلك الشمس،مع

مـا فيه من أفلاـك الزهره و عطـارد و القمر و العناصـر الأـربعه،ثم أصـغر كـوكب تراه فى السـماء هو مثـل جميع الأـرض ثمـانى مرات،و أكبرها ينتهى إلى قريب من مائه و عشرين مثلا للأرض.

ثم انظر مع هذا العظم إلى سرعه حركتها و خفتها،

فإن شـده سـرعه حركتها مما لا يمكن دركها،إلا أنك لا تشك فى أن كل جزء من الفلك فى لحظه يسـيره يسـير مقـدار عرض كوكب،و الزمـان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمـامه فى غـايه القله.و قـد علمت أن هـذا الكواكب إما مثل الأرض مائه و نيف و ستين مره أو أكثر أو مائه و عشرين مره أو مائه مره،و الأقل قدرا أن يكون مثلها ثمانى مرات،فقد دار كل جزء من الفلك فى هذه اللحظه مثل الأرض مائه و سبعين مره أو مائه و عشرين مره.و قد عبر روح الأمين عليه السلام عن سرعه حركه الفلك،إذا

قـال سيد الرسـل-صـلى اللّه عليه و آله و سلم-: «هـل زالت الشـمس؟»قـال:لاـ نعم!فقـال له:كيـف تقول لاـ نعم!فقـال:من حيث قلت:لا،إلى أن قلت نعم،سارت الشمس مسيره خمسمائه عام.

فتيقـظ-يـا أخى-من نوم الطـبيعه،و تأمـل من الـذى حرك هـذه الأجسـام الثقيله العظيمه بهـذه الحركه السريعه الخفيفه،و أدخل صورتها مع اتساع أكنافها فى حدقه العين بصـغرها،و تفكر من ذا الذى سـخرها و أدار رحاها، فقل: بِسْمِ اللّهِ مَجْرٰاهٰا وَ مُرْسٰاهٰا ،و لـو نظرت إليهـا بعين البصـيره،لعلمت أنهـا عبـاد طـائعون خاضـعون،و عشـاق إلهيون والهون،و بإشـاره من ربهم إلى يوم القيـامه رقاصون دائرون.

و بـالجمله:لو نظرت بعين العبره فى ذرات الوجود لاـ تجـد ذره من ملكوت السـماوات و الأـرض إلاـ و فيهـا غرائب حكمه يكل البيان عن وصفها،و لو

کـان لـک قلب و ألقیت السـمع و أنت شـهید،لعلمت أن جمیع ذرات الکائنات شواهـد ظاهره و آیات متظافره علی عظمه ربک الأعلی،و ما من ذره إلا و هی بلسان حالها ناطقه و عن جلاله بارئها مفصحه،قائله لأصحاب الشهود بحرکاتها و سکناتها،و منادیه لأربـاب القلوب بنغماتهـا:أ و مـا تنظرون إلی خلقی و تکوینی و تصویری و ترکیـبی و اختلاـف صـفاتی و حالاـتی و تحولی فی أطواری و تقلباتی؟أ و لا تشاهـدون کثره فوائـدی و منافعی و غرائب حکمی و مصالحی؟أ تظنون أنی تکونت بنفسـی أو خلقنی أحد من جنسـی؟أو تسـتحیون تنظرون فی کلمه مرقومه من ثلاثه أحرف،فتجزمون أنها صـنعه آدمی مرید عالم و متکلم قادر،ثم تنظرون إلی عجـائب الخطوط الإلهیه المرقومه علی صـفحات وجهی و العجائب الربانیه المودعه فی باطنی و ظاهری،و مع ذلک عن عظمه ربی غافلون و عن علمه و حکمته ذاهلون؟!

تتمیم

قـد دریت إجمالا أن التفکر النافع محصور بین التفکر فی صـفات اللّه و عجائب أفعاله،و التفکر فی ما یقرب العبد إلی اللّه لیفعله و فیمـا یبعـده عنـه لیـترکه.و غیر ذلـک من الأفکـار لیس نافعـا و لاـ متعلقـا بالـدین.مثال ذلـک أن حـال السـائر إلی اللّه الطـالب للقـائه،کحال العاشق المسـتهتر،فکما أن تفکره لا یتجاوز عن التفکر فی معشوقه و جماله و فی صـفاته و أفعاله و فی أفعال نفسـه الـتی تقربه منه و تحببه إلیه لیتصف بهـا،أو الـتی تبعـده عنه و تسـقطه عن عینه لیتنزه عنهـا،و لو تفکر فی غیر ذلـک کـان نـاقص العشق،کـذلک المحب الخـالص للّه ینبغی أن یحصـر فکره فی اللّه و فی صـفاته و أفعـاله و فیمـا یقربه منه و یحببه الیه أو یبعـده عنه،و لو تفکر فی غیر ذلک کان کاذبا فیما یدعیه من الشوق و الحب

ثم التفكر فی ذات اللّه،بـل فی بعض صـفاته مما لا یجوز،و قـد منعته الشـریعه الحقه الإلهیه و الحکمه المتعالیه الحقیقیه،لأن ذاته أجل من أن تکون مرقی لأقـدام الأفهام،أو مرمی لسـهام الأوهام،فطرح النظر إلیه یورث اختلاط الـذهن و الحیره،و جولان الفکر فیه یوجب اضـطراب العقل و الـدهشه و بعض الصـدیقین المتجردین عن جلباب البـدن لو أطاقوا إلیه مد البصـر فإنما هو کالبرق الخاطف،و لو تجاوزوا عن ذلک لاحترقوا من سبحات وجهه.

و حال الصدیقین فی ذلک کحال الإنسان فی النظر إلی الشـمس،فإنه و إن قدر علی مد البصر إلیها،إلا أن إدامته یورث الضعف و العمش،بل لا مشابهه بین الحالین،و إنما هو مجرد تقریب و تفهیم،فإن المناسـبه بین نور الشمس و نور البصر فی الجمله ثابته،و أین مثل هذه المناسـبه بین نور البصر و نور الأنوار القاهر علی کل نور بالإحاطه و الغلبه،و ما من نور إلا و هو منبجس من نوره و مترشح عن ظهوره،فکل نور فی مرتبه نوره زائل،و کل ظهور فی جنب ظهوره و شروقه مضمحل باطل.

و لما کان التفکر فی ذاته تعالی مذموما،فانحصر التفکر الممدوح فی التفکر فی عجائب صنعه و بدائع خلقه-و قد تقدم-و فی ما یقرب العبـد إلی اللّه من الفضائـل الخلقیه و الطاعـات العضویه،و مـا یبعـده عنه من الملکـات الباطنه و المعاصـی الظاهره.و هـذه الملکات و الأفعال هی المعبر عنها بالمنجیات و المهلکات و الطاعات و السیئات التی تذکر فی هذا الکتاب و فی غیره من کتب الأخلاق،و المراد بـالتفکر فیهـا ههنـا أن یتفکر العبـد فی کـل یوم و لیله فی وقت واحـد أو أوقـات متعـدده فی أخلاقه الباطنه و أعمـاله الظـاهره، و یتفحص عن حـال قلبه و أعضائه،فإن وجـد قلبه مسـتقیما علی جاده العـداله متصـفا بجمیع الفضائل الخلقیه و مجتنبا عن الرذائل الباطنه،و وجد أعضاءه

ملازمه للطاعات و العبادات المتعلقه بها تارکه للمعاصی المنسوبه إلیها،فلیشکر اللّه علی عظیم توفیقه،و إن وجد فی قلبه شیئا من الرذائل أو رآه خالیا عن بعض الفضائل،فلیبادر إلی العلاج بالقوانین المقرره،بعد التفکر فی سوء خاتمته و أدائه إلی مقت اللّه و هلاکه،و کذلک إن عثر بالتفکر علی صدور معصیه أو ترک طاعه منه فلیتدارکه بالندم و التوبه و قضاء تلک الطاعه.

و لا ریب فی أن هذا القسم من التفکر له مجال متسع و القدر الضروری منه یستغرق الیوم بلیلته،و الاستقصاء فیه خارج عن حیطه شهر و سنه،إذ اللازم منه أن یتفکر فی کل یوم و لیله فی کل واحد من الملکات المهلکه:

من البخل،و الکبر،و العجب،و الریاء،و الحقد،و الحسد.و الجبن،و شده الغضب و الحرص و الطمع و شره الطعام و الوقاع،و حب المال،و حب الجاه، و النفاق،و سوء الظن،و الغفله،و الغرور...و غیر ذلک.و ینظر بنور الفکره و البصیره فی زوایا قلبه،و یتفقد منها هذه الصفات،فإن وجدها بظنه خالیه عنها،فلیتفکر فی کیفیه امتحان القلب و الاستشهاد بالعلامات الداله علی البراءه الیقینیه،فإن النفس قد تلبس الأمر علی صاحبها:فإن ادعت البراءه من الکبر،فینبغی أن یمتحن بحمل قربه ماء أو حزمه حطب فی السوق، فإن ادعت البراءه من الغضب فلیجرب بإیقاعها فی معرض إهانه السفهاء، و هکذا فلیمتحن فی غیرهما من الصفات بالامتحانات التی کان الأولون و السلف الصالحون یجربون بها أنفسهم،حتی یطمئن بانقطاع أصولها و فروعها من قلبه.و لو وجد بالامتحان أو تصریح المشاهده و العیان شیئا منها فی قلبه.

فلیتفکر فی کیفیه الخلاص من المعالجه بالضد أو بالموعظه و النصیحه و التوبیخ و الملامه،أو ملازمه أولی الأخلاق الفاضله و مجالسه أصحاب الورع و التقوی، أو بالریاضه و المجاهده و غیر ذلک.فإن نفع شیء منها فی الإزاله بالسهوله

فلیحمد اللّه علی ذلک،و إلا فلیواظب علی هذه المعالجات و تکررها حتی یوفقه اللّه للخلاص بمقتضی وعده.

ثم یتفکر فی کل واحد من الفضائل المنجیه:کالیقین،و التوکل، و الصبر علی البلاء،و الرضا بالقضاء،و الشکر علی النعماء،و اعتدال الخوف و الرجاء،و الشجاعه و السخاء،و الزهد و الورع،و الإخلاص فی العمل، و ستر العیوب،و الندم علی الذنوب،و حسن الخلق مع الخلق،و حب اللّه و الخشوع له...و غیر ذلک،فإن وجد قلبه متصفا بالجمیع فلیجربه بالعاملات حتی یطمئن من تلبیس النفس-کما علمت طریقه-و إن وجد قلبه خالیا من شیء منها فلیتفکر فی طریق تحصیله-کما أشیر إلیه-.ثم یتوجه إلی کل واحد من أعضائه و یتفکر فی المعاصی المتعلقه به،مثل أن ینظر فی لسانه و یتفکر فی أنه هل صدر منه شیء من الغیبه،أو الکذب،أو الفحش،أو فضول الکلام أو النمیمه،أو الثناء علی النفس،أو غیر ذلک.ثم ینظر فی سمعه،و یتفکر فی أنه هل سمع شیئا من ذلک.ثم ینظر فی بطنه هل عصی اللّه بأکل حرام أو شبهه،أو کثره مانعه عن صفاء النفس و غیر ذلک...

و هکذا یفعل فی کل عضو عضو.

ثم یتفکر فی الطاعات المتعلقه بکل واحد منها و فیما خلق هذا العضو لأجله من الفرائض و النوافل،فإن وجد-بعد التفکر-عدم صدور شیء من المعاصی عن شیء منها-و إتیانها بالطاعات المفروضه علیها بأسرها و بالنوافل المرغبه إلیها بقدر الیسر و الاستطاعه فلیحمد اللّه علی ذلک،و إن عثر علی صدور شیء من المعاصی أو ترک شیء من الفرائض،فلیتفکر أولا فی الأسباب الباعثه علی ذلک،من الاشتغال بفضول الدنیا أو مصاحبه أقران السوء أو غیر ذلک،فلیبادر إلی قطع السبب،ثم التدارک بالتوبه و الندم،

لئلا يکون غده مثل يومه.و هذا القدر من التفکر فی کل يوم و ليله لازم لکل ديّن معتقد بالنشأه الآخره،و قد کان ذلک عاده و ديدنا لسلفنا المتقين فی صبيحه کل يوم أو عشيه کل ليله،بل کانت لهم جريده يکتبون فيها رءوس المهلکات و المنجيات و يعرضون فی کل يوم و ليله صفاتهم عليها،و مهما اطمأنوا بقطع رذيله أو الاتصاف بفضيله يخطون عليها فی الجريده،و يدعون الفکر فيها،ثم يقبلون على البواقی،و هکذا يفعلون حتی يخطوا على الجميع، و من کان أقل مرتبه منهم من الصلحاء ربما يثبتون فی جريدتهم بعض المعاصی الظاهره من أکل الحرام،و الشبهه،و إطلاق اللسان،و الکذب،و الغيبه و المزاء،و النميمه،و المداهنه مع الخلق بترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر...و غير ذلک،و يفعلون بمثل ما مر.

و بالجمله:کان إخواننا السالفون و سلفنا الصالحون لا ينفکون عن هذا النوع من التفکر،و يرونه من لوازم الإيمان بالحساب،فأف علينا حيث ترکنا بهم التأسی و القدوه،و خضنا فی غمرات الغفله،و لعمری إنهم لو رأونا لحکموا بکفرنا و عدم إيماننا بيوم الحساب،کيف و أعمالنا لا تشابه أعمال من يؤمن بالجنه و النار.فإن من خاف شيئا هرب منه،و من رجا شيئا طلبه،و نحن ندعی الخوف من النار و نعلم أن الهرب منها بترک المعاصی و مع ذلک منهمکون فيها،و ندعی الشوق إلى الجنه و نعلم أن الوصول إليها بکثره الطاعات و مع ذلک مقصرون فی فعلها.

ثم هذا النوع من التفکر إنما هو تفکر العلماء و الصالحين،و أما تفکر الصديقين فأجل من ذلک،لأنهم مستغرقون فی لجه الحب و الأنس،و منقطعون بشراشرهم إلى جناب القدس،ففکرهم مقصور على جلال اللّه و جماله و قلبهم مستهتر به،بحيث فنی عن نفسه و نسی صفاته و أحواله،فحالهم أبدا کحال

ص:٢٣٥

العشاق المستهترين عند لقاء المعشوق،و لا تظن أن هذا التفكر-بل أدنى مراتب التلذذ بالتفكر فى عظمه اللّه و جلاله-ممكن الحصول بدون الانفكاك عن جميع الرذائل المهلكه و الاتصاف بجميع الفضائل المنجيه،فإن حال المتفكر فى جلال اللّه و عظمته مع اتصافه بالأخلاق الرذيله،كحال العاشق الذى خلى بمحبوبته،و كان تحت ثيابه حيات و عقارب تلدغه مره بعد أخرى، فتمنعه عن لذه المشاهده و الأنس.و لا يتم ابتهاجه إلا بإخراجها عن ثيابه و لا ريب أن الملكات الرذيله كلها كالحيات و العقارب مؤذيات و مشوشات، و من كان له أدنى معرفه و توجه إلى مناجاه ربه و كان فى نفسه شيء منها،يجد أنه كيف يشوشه و يصده عن الابتهاج،ثم إن لدغ هذه الصفات لا يظهر ظهورا بينا للمنهمكين فى علائق الطبيعه،و بعد مفارقه النفس عن البدن يشتد ألم لدغها بحيث يزيد على ألم لدغ الحيات و العقارب بمراتب شتى.

نصيحه

تيقظ-يا حبيبى-من نوم الغفله،و تفكر اليوم لغدك،قبل أن تنشب مخالب الموت فى جسدك،و لا تنفك قوتك العاقله عن التفكر فى صفاتك و أحوالك،و اعلم على سبيل القطع و اليقين أن كل ما فى نفسك من فضيله أو رذيله و كل ما يصدر عنك من طاعه أو معصيه يكون بإزائه جزاء عند رحلتك عن هذه الدار الفانيه،و اسمع

قول سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و لو كنت ذا قلب لكفاك إيقاظا و تنبيها،حيث قال: «إن روح القدس نفث فى روعى:أحب ما أحببت فإنك مفارقه،و عش ما شئت فإنك ميت،و اعمل ما شئت فإنك مجزى به». و لعمرى إنك إن كنت مؤمنا بالمبدإ و المعاد لكفاك هذا الكلام واعظا و حائلا بينك و بين الالتفات إلى الدنيا و أهلها.و بالجمله:ينبغى للمؤمن ألا يخلو فى كل يوم و ليله عن الفكر

فی صفاته و أفعاله،و إذا صرف برهه من وقته فی هذا التفکر و برهه أخری فی التفکر فی عجائب قدره ربه،و صار ذلک معتادا له،حصل لنفسه کمال قوتیها العقلیه و العملیه،و خلصت عن الوساوس الشیطانیه و الخواطر النفسانیه،وفقنا اللّه بعظیم فضله الموصول إلی ما خلقنا لأجله.

(و منها)-أی و من رذائل القوه العاقله-استنباط وجوده.

المکر و الحیل

للوصول إلی مقتضیات قوتی الغضب و الشهوه.و اعلم أن المکر، و الحیله،و الخدعه،و النکر،و الدهاء:ألفاظ مترادفه،و هی فی اللغه قد تطلق علی شده الفطانه،و أرباب المعقول یطلقونها علی استنباط بعض الأمور من المآخذ الخفیه البعیده علی ما تجاوز عن مقتضی استقامه القریحه،و لذا جعلوها ضدا للذکاء و سرعه الفهم،و العرف خصصها باستنباط هذه الأمور إذا کانت موجبه لإصابه مکروه إلی الغیر من حیث لا یعلم،و ربما فسر بذلک فی اللغه أیضا،و هذا المعنی هو المراد هنا.

و لترکبه من إصابه المکروه إلی الغیر و من التلبیس علیه،یکون ضده استنباط الأمور المؤدیه إلی الخیریه،و النصیحه لکل مسلم،و استواء العلانیه للسریریه.

ثم فرق المکر و مرادفاته عن التلبیس و الغش و الغدر و أمثالها،إما باعتبار خفاء المقدمات و بعدها فیها دونها.أو بتخصیص الأولی بنفس استنباط الأمور المذکوره و الثانیه بارتکابها،و لذا عدت الأولی من رذائل القوه الوهمیه أو العاقله للعذر المذکور،و الثانیه من رذائل الشهویه،و ربما کان استعمالهما علی الترادف،و أطلق کل منهما علی ما تطلق علیه الأخری.

هـذا و للمكر مراتب شتى و درجـات لاـ تحصـى من حيث الظهور و الخفـاء، فربمـا لم يكن فيه كثير دقه و خفاء فيشعر به من له أدنى شعور،و ربمـا كـان فى غايه الغموض و الخفاء بحيث لم يتفطن به الأذكياء.و من حيث الموارد و المواضع كالباعث لظهور المحبه و الصـداقه و اطمئنان عاقل،ثم التهجم عليه بالإيـذاء و المكروه،و الباعث لظهور الأمانه و الديانه و تسـليم الناس أموالهم و نفائسـهم إليه على سبيـل الوديعه أو المشـاركه أو المعامله،ثم أخـذها و سـرقها على نحو آخر من وجوه المكر،و كالباعث لظهور ورعه و عدالته و اتخاذ الناس إياه إماما أو أميرا فيفسد عليهم باطنا دينهم و دنياهم.و قس على ذلك غيره من الموارد و المواضع.

ثم المكر من المهلكات العظيمه،لأنه أظهر صـفات الشيطان،و المتصف به أعظم جنوده،و معصيته أشد من معصيه إصابه المكروه إلى الغير فى العلاـنيه،إذ المطلع بـإراده الغير إيـذاءه يحتـاط و يحافـظ نفسـه عنـه،فربمـا دفـع أذيته،و أمـا الغافـل فليس فى مقـام الاحتياط،لظنه أن هـذا المكار المحيل محب و ناصـح له،فيصل إليه ضـره و كيـده فى لباس الصداقه و المحبه.فمن أحضـر طعاما مسـموما عنـد الغير مريـدا إهلاكه فهو أخبث نفسا و أشد معصـيه ممن شـهر سـيفه علانيه مريدا قتله،إذ الثانى أظهر ما فى باطنه و اعلم هذا الغير بإرادته،فيجزم بأنه عدو محارب له فيتعرض لصـرف شـره و منع ضـره،فربما تمكن من دفعه،و أما الأول فظاهره فى مقـام الإحسـان و باطنه فى مقام الإيـذاء و العـدوان،و الغافل المسـكين لا خبر له عن خباثه باطنه،فيقطع بأنه يحسن إليه،فلا يكون معه فى مقام الدفع و الاحتياط،بل فى مقام المحبه و الوداد،فيقتله و هو يعلم أنه يحسن إليه،و يهلكه و هو فى مقام الخجل منه.

و بالجمله:هذه الرذيله أخبث الرذائل و أشدها معصيه،و لذلك

قال

رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لیس منا من ماکر مسلما».

و قال أمیر المؤمنین(ع): «لو لا أن المکر و الخدیعه فی النار لکنت أمکر الناس» ،

و کان(ع)کثیرا ما یتنفس الصعداء و یقول: «وا ویلاه یمکرون بی و یعلمون أنی بمکرهم عالم و أعرف منهم بوجوه المکر،و لکنی أعلم أن المکر و الخدیعه فی النار فأصبر علی مکروهم و لا ارتکب مثل ما ارتکبوا».

و طریق علاجه-بعد الیقظه-أن یتأمل فی سوء خاتمته و وخامه عاقبته،و فی تأدیته إلی النار و مجاوره الشیاطین و الأشرار،و یتذکر أن وبال کل مکر و حیله یرجع فی الدنیا إلی صاحبه،کما نطقت به الآیات و الأخبار و شهدت به التجربه و الاعتبار.ثم یتذکر فوائد ضد المکر و محامده،أعنی استنباط ما یوجب النصیحه و الخیریه للمسلمین و موافقه ظاهره لباطنه فی أفعاله و أقواله-کما یأتی فی محله-و بعد ذلک لو کان عاقلا مشفقا علی نفسه لاجتنب عنه کل الاجتناب،و ینبغی أن یقدم التروی فی کل فعل یصدر عنه لئلا یکون له فیه مکر و حیله،و إذا عثر علی فعل یتضمنه فلیترکه معاتبا لنفسه،و إذا تکرر منه ذلک تزول عن نفسه أصول المکر و فروعه بالکلیه بعون اللّه و توفیقه.

المقام الثانی (فیما یتعلق بالقوه الغضبیه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج)

اشاره

التهور و الجبن و الشجاعه-الخوف-الخوف المذموم و أقسامه- الخوف المحمود و أقسامه و درجاته-بم یتحقق الخوف-الخوف من اللّه أفضل الفضائل-الخوف إذا جاوز حده کان مذموما-طرق تحصیل الخوف الممدوح-خوف سوء الخاتمه و أسبابه-الفرق بین الاطمئنان و الأمن من مکر اللّه-التلازم بین الخوف و الرجاء-مواقع الخوف و الرجاء و ترجیح أحدهما علی الآخر-العمل علی الرجاء أعلی منه علی الخوف-مداواه الناس بالخوف و الرجاء علی اختلاف أمراضهم-صغر النفس و کبرها و صلابتها-الثبات- دناءه الهمه و علوها-الغیره و الحمیه و عدمها-الغیره علی الدین و الحریم و الأولاد-العجله-الأناه و التوقف و الوقار و السکینه-سوء الظن-حسن الظن-الغضب-الإفراط و التفریط و الاعتدال فی قوته-ذم الغضب- إمکان إزاله الغضب و طرق علاجه-فضیله الحلم و کظم الغیظ-الانتقام و العفو-العنف و الرفق-فضیله الرفق-المداراه-سوء الخلق بالمعنی الأخص-طرق اکتساب حسن الخلق-الحقد-العداوه الظاهره-الضرب و الفحش و اللعن و الطعن-العجب-ذمه آفاته-علاجه إجمالا و تفصیلا-انکسار النفس-الکبر-ذمه-التکبر علی اللّه و الناس-درجات الکبر-علاجه علما و عملا-التواضع-الذله-الافتخار-البغی-تزکیه النفس-العصبیه- کتمان الحق-الإنصاف و الاستقامه علی الحق-القساوه.

ص: ۲۴۱

فنقول: أما جنسا رذائلها

اشاره

(۱)

«فأحدهما»:

التهور

كما علم،و هو من طرف الإفراط:أی الإقدام علی ما لا ینبغی و الخوض فی ما یمنعه العقل و الشرع من المهالک و المخاوف.و لا ریب فی أنه من المهلکات فی الدنیا و الآخره.و یدل علی ذمه کل ما ورد فی وجوب محافظه النفس و فی المنع عن إلقائها فی المهالک،کقوله تعالی:

وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى اَلتَّهْلُكَهِ

(۲)

و غیر ذلک من الآیات و الأخبار.و الحق أن من لا یحافظ نفسه عما یحکم العقل بلزوم المحافظه عنه فهو غیر خال من شائبه من الجنون،و کیف یستحق اسم العقل من ألقی نفسه من الجبال الشاهقه و لم یبال بالسیوف الشاهره،أو وقع (۳)فی الشطوط الغامره الجاریه و لم یحذر من السباع الضاریه.کیف و من ألقی نفسه فیما یظن به العطب،فهلک،کان قاتل نفسه بحکم الشریعه،و هو یوجب الهلاکه الأبدیه و الشقاوه السرمدیه.

و علاجه-بعد تذکر مفاسده فی الدنیا و الآخره-أن یقدم التروی فی کل فعل یرید الخوض فیه،فإن جوزه العقل و الشرع و لم یحکما بالحذر عنه ارتکبه،و إلا ترکه و لم یقدم علیه.و ربما احتیاج فی معالجته أن یلزم نفسه الحذر و الاجتناب عن بعض ما یحکم العقل بعدم الحذر عنه،حتی یقع فی طرف التفریط،و إذا علم من نفسه زوال التهور ترکه و أخذ بالوسط الذی هو الشجاعه.

۱- ۱) أی القوه الغضبیه.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۹۵.

۳- ۳) کذا فی النسختین،و لعل الصحیح(أو أوقع نفسه).

«و ثانيهما»:

اشاره

الجبن

و هو سكون النفس عن الحركه إلى الانتقام أو غيره،مع كونها أولى.

و الغضب إفراط فى تلك الحركه،فله ضديه للغضب باعتبار،و للتهور باعتبار آخر.و على الاعتبارين هو فى طرف التفريط من المهلكات العظيمه،و يلزمه من الأعراض الذميمه،مهانه النفس،و الذله،و سوء العيش،و طمع الناس فيما يملكه،و قله ثباته فى الأمور،و الكسل،وجب الراحه،و هو يوجب الحرمان عن السعادات بأسرها و تمكين الظالمين من الظلم عليه،و تحمله للفضائح فى نفسه و أهله،و استماع القبائح من الشتم و القذف،و عدم مبالاته بما يوجب الفضيحه و العار،و تعطيل مقاصده و مهماته،و لذلك ورد فى ذمه من الشريعه ما ورد

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا ينبغى للمؤمن أن يكون بخيلا و لا جبانا» ،

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-.

«اللهم إنى أعوذ بك من البخل،و أعوذ بك من الجبن،و أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر».

و علاجه-بعد تنبيه نفسه على نقصانها و هلاكها-أن يحرك الدواعى الغضبيه فيما يحصل به الجبن،فإن القوه الغضبيه موجوده فى كل أحد،و لكنها تضعف و تنقص فى بعض الناس فيحدث فيهم الجبن،و إذا حركت و هيجت على التواتر تقوى و تزيد،كما أن النار الضعيفه تتوقد و تلتهب بالتحريك المتواتر،و قد نقل عن الحكماء أنهم يلقون أنفسهم فى المخاطرات الشديده و المخاوف العظيمه دفعا لهذه الرذيله.و مما ينفع من المعالجات أن يكلف نفسه على المخاصمه مع من يأمن غوائله،تحريكا لقوه الغضب،و إذا وجد من نفسه حصول ملكه الشجاعه فليحافظ نفسه لئلا يتجاوز و يقع فى طرف الإفراط.

وصل الشجاعه

قد عرفت أن ضد هذين الجنسين هو(الشجاعه)،فتذكر مدحها و شرافتها،و كلف نفسك المواظبه على آثارها و لوازمها،حتى يصير ما تكلفته طبعا و ملكه،فترتفع عنك آثار الضدين بالكليه.و قد عرفت أن الشجاعه طاعه قوه الغضب للعاقله فى الإقدام على الأمور الهائله و عدم اضطرابها بالخوض فى ما يقتضيه رأيها.و لا ريب فى أنها أشرف الملكات النفسيه و أفضل الصفات الكماليه،و الفاقد لها برىء عن الفحليه و الرجوليه،و هو بالحقيقه من النسوان دون الرجال،و قد وصف اللّه خيار الصحابه بها فى قوله أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ (۱)و أمر اللّه نبيه بها بقوله: وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ (۲)إذ الشده و الغلظه من لوازمها و آثارها،و الأخبار مصرحه باتصاف المؤمن بها.

قال أمير المؤمنين(ع) فى وصف المؤمن:«نفسه أصلب من الصلد».

و قال الصادق عليه السلام: «المؤمن أصلب من الجبل إذ الجبل يستفل (۳)منه و المؤمن لا يستقل من دينه».

۱- ۱) الفتح،الآيه ۲۹.

۲- ۲) التوبه،الآيه ۷۳.

۳- ۳) استفل الشيء:أخذ منه أدنى جزء كعشره.

و أما الأنواع و لوازمها المتعلقه بالقوه الغضبيه

اشاره

فمنها:

اشاره

الخوف

و هو تألم القلب و احتراقه بسبب توقع مكروه فی الاستقبال مشکوک الوقوع،فلو علم أو ظن حصوله سمی توقعه انتظار مکروه،و کان تألمه أشد من الخوف،و کلامنا فی کلیهما.و فرقه عن الجبن علی ما قررناه من حدهما ظاهر،فإن الجبن هو سکون النفس عما یستحسن شرعا و عقلا-من الحرکه إلی الانتقام أو شیء آخر،و هذا السکون قد یتحقق من غیر حدوث التألم الذی هو الخوف،مثلا-من لا-یجترئ علی الدخول فی السفینه أو النوم فی البیت وحده أو التعرض لدفع من یظلمه و یتعرض له یمکن اتصافه بالسکون المذکور مع عدم تألم بالفعل،فمثله جبان و لیس بخائف.و من کان له ملکه الحرکه إلی الانتقام و غیره من الأفعال التی یجوزها الشرع و العقل ربما حصل له التألم المذکور من توقع حدوث بعض المکاره،کما إذا أمر السلطان بقتله،فمثله خائف و لیس بجبان.

ثم الخوف علی نوعین:(أحدهما)مذموم بجمیع أقسامه،و هو الذی لم یکن من اللّه و لا من صفاته المقتضیه للهیبه و الرعب،و لا من معاصی العبد و جنایاته،بل یکون لغیر ذلک من الأمور التی یأتی تفصیلها.و هذا النوع من رذائل قوه الغضب من طرف التفریط،و من نتائج الجبن.و(ثانیهما) محمود و هو الذی یکون من اللّه و من عظمته و من خطأ العبد و جنایته،و هو من فضائل القوه الغضبیه،إذ العاقله تأمر به و تحسنه،فهو حاصل من انقیادها لها.و لنفصل القول فی أقسام النوعین،و بیان العلاج فی إزاله أقسام الأول و تحصیل الثانی:

فصل الخوف المذموم و أقسامه

للنوع الأول أقسام يقبحها العقل بأسرها و لا يجوزها،فلا ينبغى للعاقل أن يتطرقها إلى نفسه.بيان ذلك:أن باعث هذا الخوف يتصور على أقسام

(الأول)أن يكون أمرا ضروريا لازم الوقوع،

و لم يكن دفعه فى مقدره البشر.و لا ريب فى أن الخوف من مثله خطأ محض،و لا يترتب عليه فائده سوى تعجيل عقوبه بصده عن تدبير مصالحه الدنيويه و الدينيه.و العاقل لا يتطرق على نفسه مثل ذلك،بل يسلى نفسه و يرضيها بما هو كائن إدراكا لراحه العاجل و سعاده الآجل.

(الثانى)أن يكون أمرا ممكنا لم يجزم بشىء من طرفيه،

و لم يكن لهذا الشخص مدخليه فى وقوعه و لا وقوعه.و لا ريب فى أن الجزم بوقوع مثله و التألم لأجله خلاف مقتضى العقل،بل اللازم إبقاؤه على إمكانه من دون جزم بحصوله،ف:

لَعَلَّ اللّٰهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْراً

(١)

و هذا القسم مع مشاركته للأول فى استلزامه تعجيل العقوبه بلا سبب، لعدم مدخليته لاختياره فيه،يمتاز عنه بعدم الجزم بوقوعه،فهو بعدم الخوف أولى منه.

(الثالث)أن يكون أمرا ممكنا فاعله هذا الشخص،

و هو ناشىء عن سوء اختياره،فعلاجه ألا يرتكبه و لا يقدم على فعل يخاف من سوء عاقبته.

فإنه إما فعل غير قبيح من شأنه التأدى إلى ما يضره،و لا ريب فى أن

١- ١) الطلاق،الآيه:١.

ارتکاب مثله خلاف حکم العقل،و لو ظهر التأدی بعد إیقاعه فیکون من الثانی،أو فعل قبیح لو ظهر أوجب الفضیحه و المؤاخذه،و إنما فعله ظنا منه أنه لا یظهر،ثم یخاف من الظهور و المؤاخذه،و لا ریب فی أن هذا الظن ناشیء عن الجهل،إذ کل فعل یصدر عن کل فاعل و لو خفیه یمکن أن یظهر، و إذا ظهر یمکن إیجابه للفضیحه و المؤاخذه.و العاقل العالم بطبیعه الممکن لا-یرتکب مثله،فباعث الخوف فی الثانی هو الحکم علی الممکن بالوجوب، و فی هذا الحکم علیه بالامتناع،و لو حکم علیه بما یقتضی ذاته أمن من الخوفین.

)

الرابع)أن یکون مما توحش منه الطباع،بلا داع عقلی و لا باعث نفس أمری،

کالمیت و الجن و أمثالهما،(لا-)سیما فی اللیل مع وحدته، و لا-ریب فی أن هذا ناشیء عن قصور العقل و مقهوریته عن الواهمه،فلیحرک القوه الغضبیه و یهیجها لتغلب به العاقله علی الوهم.و ربما ینفع إلزام نفسه علی الوحده فی اللیالی المظلمه و الصبر علیها،حتی یزول عنه هذا الخوف علی التدریج.

ثم لما کان خوف الموت أشد أقسام هذا النوع و أعمها،فلنشر إلی علاجه بخصوصه،فنقول:

باعث خوف الموت یحتمل أمورا:

(الأول)تصور فناء ذاته بالکلیه

و صیرورته عدما محضا بالموت.

و لا ریب فی کونه ناشئا عن محض الجهل إذ الموت لیس إلا قطع علاقه النفس عن بدنه،و هی باقیه أبدا،کما دلت علیه القواطع العقلیه و الشواهد الذوقیه و الظواهر السمعیه،و لعل ما تقدم یکفی لإثبات هذا المطلوب.و مع قطع النظر عن ذلک نقول:کیف یجوز لمن له أدنی بصیره أن یجتمع عظماء نوع الإنسان بحذافیرهم،کأهل الوحی و الإلهام و أساطین الحکمه و العرفان علی محض الکذب و صرف الباطل!فمن تأمل أدنی تأمل یتخلص من هذا الخوف.

(الثانی)تصور إیجابه ألما جسمانیا عظیما لا یتحمل مثله و لم یدرک فی الحیاه شبهه.

و هـذا أیضـا من الخیالات الفاسـده،فإن الألم فرع الحیاه،و الألم الجسـمانی ما دامت الحیاه لا یکون أشـد مما رآه کل إنسان فی حیاته من الأوجاع و قطع الاتصال،و بعـد زوال الحیاه لا معنی لوجوده،إذ کل جسـمانی إدراکه بواسـطه الحیاه،و بعـد انقطاعها لا إدراک،فلا ألم.

(الثالث)تصور عروض نقصان لأجله.

و هو أیضـا غفله عن حقیقه الموت و الإنسـان،إذ من علم حقیقتهمـا یعلم أن الموت متمم الإنسـانیه و آثارهـا و المائت جزء لحد الإنسان.و لـذا قال أوائل الحکماء:(الإنسان حی ناطق مائت)،و حد الشـیء یوجب کماله لا نقصانه،فبالموت تحصل التمامیه دون النقصان«نشـنیده ای که هر که بمرد أو تمام شد» (۱)فالإنسان الکامل یشـتاق إلی الموت،لاقتضائه تمامیته و کماله،و خروجه عن ظلمه الطبیعه و مجـاوره الأشـرار إلی عـالم الأـنوار و مرافقه الأخیـار من العقول القـادسه و النفوس الطـاهره،و أی عاقـل لا یرجح الحیـاه العقلیه و الابتهاجـات الحقیقیه علی الحیـاه المـوحشه الهیولاـنیه،المشـوبه بـأنواع الآلاـم و المصـائب و أصـناف الأسـقام و النوائب! فیا حبیبی!تیقظ من نوم الغفله و سـکر الطبیعه،و استمع النصیحه ممن هو أحوج منک إلی النصیحه:حرک الشوق الکامن فی جوهر ذاتک إلی عالمک الحقیقی و مقرک الأصـلی،و انسلخ عن القشورات الهیولانیه،و انقض عن روحک القدسی ما لزقه من الکـدورات الجسـمانیه،و طهر نفسک الزکیه عن أدناس دار الغرور و أرجاس عالم الزور،و اکسـر قفصک الترابی الظلمانی و طر

۱- ۱) هذه الجمله من الکلمات الحکمیه القصار،و معناها:(أ ما سمعت بأن کل من مات صار إنسانا کاملا).

بجناح همتك إلى وكرك القدسى النورانى،و ارتفع عن حضيض الجهل و النقصان إلى أوج العزه و العرفان،و خلص نفسك عن مضيق سجن الناسوت و سيرها فى فضاء قدس اللاهوت،فما بالك نسيت عهود الحمى و رضيت بمصاحبه من لا ثبات له و لا وفاء؟! زد سحر طائر قدسم ز سر سدره صفير كه در اين دامگه حادثه آرام مگير (١)

(الرابع)صعوبه قطع علاقته من الأولاد و الأموال و المناصب و الأحباب

و معلوم أن هذا ليس خوفا من الموت فى نفسه،بل هو حزن على مفارقه بعض الزخارف الفانيه.و علاجه:أن يتذكر أن الأمور الفانيه مما لا يليق بالعاقل أن يرتبط بها قلبه،و كيف يحب العاقل خسائس عالم الطبيعه و يطمئن إليها مع علمه بأنه عن قريب يفارقها،فاللازم أن يخرج حب الدنيا و أهلها عن قلبه ليتخلص من هذا الألم.

(الخامس)تصور سرور الأعداء و شماتتهم بموته.

و هذا وسوسه شيطانيه صادره عن محض التوهم،إذ مسره الأعداء أو شماتتهم لا توجب ضررا فى

١- ١) هذا البيت للشاعر الفارسى الفيلسوف الشهير(حافظ الشيرازى) و هو من أبيات العرفان.و أراد(بالسحر)على سبيل الرمز وقت استكمال النفس و تنبهها،و(بالطائر القدسى)ما يرمز إليه العرفا المسمى عندهم أيضا(البيضانى)،و هو أحد العقول المجرده الذى بصفيره يوقظ الراقدين فى مراقد الظلمات،و بصوته ينبه الغافلين عن تذكر الآيات،و(بالسدره) سدره المنتهى المقصود منها منتهى قوس الصعود فى سلسله الممكنات. و حاصل معنى البيت المطابقى:قد صفر الطائر القدسى المنسوب إلى من على السدره فى السحر،و يقول فى صفيره:لا تستقر فى المصيده المخيفه(و هى الدنيا و عوالم السفليات)،و المراد أن يذهب عنها إلى عالم المجردات النورانى حرا طليقا.

إيمانه و دينه،و لا ألما فى روحه و جسـمه،على أن ذلك لا يختص بالموت، إذ العدو يشمت و يفرح بما يرد عليه فى حال الحياه أيضا من البلايا و المحن فمن كره ذلك فليجتهد فى قطع العداوه و إزالتها بالمعالجات المقرره للحقد و الحسد

(السادس)تصور تضييع الأولاد و العيال،و هلاک الأعوان و الأنصار

و هـذا أيضا من الوساوس الباطله الشـيطانيه و الخواطر الفاسـده النفسانيه، إذ ذلك يوجب ظن منشـئيته لاسـتكمال الغير و عزته،و مـدخليته فى قوته و ثروته،و ذلـک ناشـیء من جهله بـاللّه و بقضائه و قـدره،إذ فیضه الأقـدس اقتضـی إیصال کل ذره من ذرات العالم إلى ما يليق بها و إبلاغها إلى ما خلقت لأجله،و ليس لأحـد أن يغير ذلك أو يبـدله و لذا ترى أكثر الأفاضل يجتهدون فى تربيه أولادهم و لا ينجـح سـعيهم أصـلا،و تشاهـد غير واحـد من الأغنياء يخلفون لأولادهم أموالا كثيره و تخرج عن أيديهم فى مده قليله، و ترى كثيرا من أيتام الأطفال لا تربيه لهم و لا مال،و مع ذلك يبلغون بالتربيه الأزليه مدارج الكمال،أو يحصـلون ما لا حصـر له من الأـموال.و الغـالب أن الأيتـام الـذين ذهب عنهم الآبـاء فى حـاله الصبى تكون ترقياتهم فى الآخره و الـدنيا أكثر من الأولاـد الـذين نشـأوا فى حجر الآباء.و التجربه شاهـده بأن من اطمأن من أولاده بمال يخلفه لهم أو ذى قوه يفوض إليه أمورهم، اعتراهم بعده الفقر و الفاقه و الذله و المهانه،و ربما صار ذلك سـببا لهلاكهم و انقراضـهم.و من فوض أمورهم إلى رب الأرباب و خـالق العبـاد ازداد لهم بعـده عزا و قوه و كثره و ثروه.فاللاـئق بالعقلاء أن يفوضوا أمور الأولاد و غيرهم من الأقارب و الأنصار إلى من خلقهم و ربـاهم،و يـوكلهم إلى موجـدهم و مولاـهم،و هـو نعم المـولى و نعم الوكيـل.و قـد ظهر أن الخوف من الموت لأجل البواعث المذكوره لا وجه له.

ثم ينبغى للعاقل أن يتفكر فى أن كل كائن فاسد البته،كما تقرر فى

الحکمه.و هو من الکائنات.و الفساد ضروری له.فمن أراد وجود بدنه أراد فساده اللازم له،فتمنی دوام الحیاه من الخیالات الممتنعه،و العاقل لا یحوم حولها و لا یتمنی مثلها.بل یعلم یقینا أن ما یوجد فی النظام الکلی هو الأصلح الأکمل و تغییره ینافی الحکمه و الخیریه،فیرضی بما هو واقع علی نفسه و غیره من غیر ألم و کدوره. ثم من یتمنی طول عمره فمقصوده منه إن کان حب اللذات الجسمیه و امتداد زمانها،فلیعلم أن الشیب إذا أدرکه ضعفت الأعضاء و اختلت القوی و زالت عنه الصحه التی هی عمده لذاته فضلا عن غیرها،فلا یلتذ بالأکل و الإجماع و سائر اللذات الحسیه،و لا یخلو لحظه عن مرض و ألم،و تتراجع جمیع أحواله،فتتبدل قوته بالضعف و عزه بالذل،و کذا سائر أحواله،کما أشیر إلیه فی الکتاب الإلهی بقوله تعالی:

وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَکِّسْهُ فِی الْخَلْقِ

(۱)

.

و مع ذلک لا یخلو کل یوم من مفارقه حبیب أو شفیق،و مهاجره قریب أو رفیق.و ربما ابتلی بأنواع المصیبات،و یهجم علیه الفقر و الفاقه و النکبات،و طالب العمر فی الحقیقه طالب هذه الزحمات.و إن کان مقصوده منه اکتساب الفضائل العلمیه و العملیه،فلا ریب فی أن تحصیل الکمالات بعد أوان الشیخوخه فی غایه الصعوبه،فمن لم یحصل الفضائل الخلقیه إلی أن أدرکه الشیب،و استحکمت فیه الملکات المهلکه من الجهل و غیره،فإنی یمکنه بعد ذلک إزالتها و تبدیلها بمقابلاتها،إذ رفع ما رسخ فی النفس مع الشیخوخه التی لا یقتدر معها علی الریاضات و المجاهدات غیر ممکن.

و لذا ورد فی الآثار: «إن الرجل إذا بلغ أربعین سنه و لم یرجع إلی الخیر،جاء الشیطان و مسح علی وجهه و قال:بأبی وجه من لا یفلح أبدا». علی أن

۱- ۱) یس،الآیه:۶۸.

الطالب للسعاده ينبغى أن يكون مقصور الهم فى كل حال على تحصيلها،و من جملتها دفع طول الأمل و الرضا بما قدر له من طول العمر و قصره،و يكون سعيه أبدا فى تحصيل الكمالات بقدر الإمكان و التخلص عن مزاحمه الزمان و المكان،و قطع علاقته من الدنيا و زخارفها الفانيه و الميل إلى الحياه و اللذات الباقيه،و الاهتمام فى كسب الابتهاجات العقليه و الاتصال التام بالحضره الإلهيه،حتى يتخلص عن سجن الطبيعه و يرتقى إلى أوج عالم الحقيقه،فيتفق له الموت الإرادى الموجب للحياه الطبيعيه،كما قال(معلم الإشراق):«مت بالإراده تحيى بالطبيعه»، فينقل إلى مقعد صدق هو مستقر الصديقين،و يصل إلى جوار رب العالمين،و حينئذ يشتاق للموت و لا يبالى بتقديمه و تأخيره، و لا يركن إلى ظلمات البرزخ الذى هو منزل الأشقياء و الفجار و مسكن الشياطين و الأشرار،و لا يتمنى الحياه الفانيه أصلا و ينطق بلسان الحال:

خرم آن روز كزين منزل ويران بروم

راحت جان طلبم و ز پى جانان بروم

بهواى لب أو ذره صفت رقص كنان

تا لب چشمه خورشيد درخشان بروم (۱)

(السابع)تصور العذاب الجسمانى و الروحانى المترتب على ذمائم الأعمال و قبائح الأفعال.

و لا ريب فى أن الخوف من ذلك ممدوح،و هو

ص: ۲۵۲

---

۱ - ۱) البيتان للشاعر الفيلسوف(حافظ الشيرازى).و معنى الأول:«إن سرورى يكون فى يوم الرحيل من هذه الدار الخربه طلبا لراحه نفسى و لقاء الحبيب».و يقصد بحبيبه:الحق الأول،و براحه نفسه:النعيم الأبدى، و بالرحيل عن الدار الخربه:انتقال نفسه من بدنه بالموت. و معنى البيت الثانى:«أنى لشوقى إلى إلقاء الحبيب اهتز اهتزاز الذره فى ضوء الشمس لكى أصل إلى لقاء عين الشمس المتوهجه».و يقصد بعين الشمس: خالق الكائنات.

معـدود من أقسام النوع الثانى،إلا أن البقاء عليه و عـدم السـعى فيما يدفعه من ترك الخطيئات و كسب الطاعات جهل و بطاله،إذ هذا الخوف ناشىء من سوء الاختيار،و قد بعث اللّه الرسل و أوصياءهم لاستخلاص الناس عنه.

فعلاـجه ترك المعاصـى و تحصـيل معالى الأخلاق.و معلوم أن المنهمك فى المعاصـى مع خوفه من العـذاب كالملقى نفسه فى البحر أو النـار مع خوفه من الغرق و الحرق،و لاـ ريب فى أن إزاله هـذا الخوف باختيـاره،فليترك المعاصـى و يجتهـد فى كسـب وظـائف الطاعـات ليتخلص عنه،و اهتمـام أكـابر الـدين من الأنبيـاء و المرسـلين و الحكمـاء و الصـديقين فى وظـائف الطاعات و صبرهم على مشاق العبادات و مجاهدتهم مع جنود الشياطين إنما هو لدفع هذا الخوف عن نفوسهم،فهو فى الحقيقه ناشىء منك و من سوء اختيـارك،فبـادر إلى تقليله بـالمواظبه على صوالـح الأعمال و فضائل الأفعال.و قـد يأتى أن هـذا الخوف هو سوط الله الباعث على العمل،و معه لو كان مفرطا فليعالـج بأسـباب الرجاء، و بدونه فلا بد أن يكون حتى يبعثه عليه،على أنه مع عظم جرمه و قصور بـاعه عن تـداركه فلاـ ينبغى أن ييـأس من روح اللّه،فلعل واسع الرحمه السابقه على الغضب يـدركه بسابقه من القضاء و القدر.

فصل الخوف المحمود و أقسامه و درجاته

و للنوع الثانى من الخوف أقسام:(الأول)أن يكون من اللّه سـبحانه و من عظمته و كبريائه،و هذا هو المسـمى بالخشيه و الرهبه فى عرف أرباب القلوب.(الثانى)من جنايه العبـد باقترافه المعاصـى.(الثالث)أن يكون منهما جميعا.و كلما ازدادت المعرفه بجلال اللّه و عظمته و تعاليه و بعيوب

نفسه و جنایاته،ازداد الخوف،إذ إدراک القدره القاهره و العظمه الباهره و القوه القویه و العزه الشدیده،یوجب الاضطراب و الدهشه،و لا ریب فی أن عظمه اللّه و قدرته و سائر صفاته الجلالیه و الجمالیه غیر متناهیه شده و قوه و یظهر منها علی کل نفس ما یطیقه و یستعد له.و أنی لأحد من أولی المدارک أن یحیط بصفاته علی ما هی علیه،فإن المدارک عن إدراک غیر المتناهی قاصره.نعم،لبعض المدارک العالیه أن یدرکه علی الإجمال.مع أن ما یظهر للعقلاء من صفاته لیس هو من حقیقه صفاته،بل هو غایه ما تتأدی إلیه عقولهم و یتصور کمالا،و لو ظهر قدر ذره من حقیقه بعض صفاته لأقوی العقول و أعلی المدارک،لاحترق من سبحات وجهه،و تفرقت أجزاؤه من نور ربه.و لو انکشف من بعضها الغطاء لزهقت النفوس و تقطعت القلوب فغایه ما للمدارک العالیه من العقول و النفوس القادسه،أن یتصور عدم تناهیها فی الشده و القوه،و کونها فی الکمال و البهاء غایه ما یمکن و یتصور و یحتمله ظرف الواقع و نفس الأمر،کما هو الشأن فی ذاته سبحانه.و إدراک هذه الغایه أیضا یختلف باختلاف علو المدارک،فمن کان فی الدرک أقوی و أقدم کان بربه أعرف،و من کان به أعرف کان منه أخوف،و لذا قال تعالی:

إِنَّمٰا یَخْشَی اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ

(۱)

و قال سید الرسل: «أنا أخوفکم من اللّه». و قد قرع سمعک حکایات خوف زمره المرسلین و من بعدهم من فرق الأولیاء و العارفین،و عروض الغشیات المتواتره فی کل لیله لمولانا أمیر المؤمنین علیه السلام.

و هذا مقتضی کمال المعرفه الموجب لشده الخوف،إذ کمال المعرفه

۱- ۱) الفاطر،الآیه:۲۸.

یوجب احتراق القلب،فیفیض أثر الحرقه من القلب إلی البدن بالنحول و الصفار و الغشیه و البکاء،و إلی الجوارح بکفها عن المعاصی و تقییدها بالطاعات تلافیا لما فرط فی جنب اللّه،و من لم یجتهد فی ترک المعاصی و کسب الطاعات فلیس علی شیء من الخوف،و لذا قیل:لیس الخائف من یبکی و یمسح عینیه،بل من یترک ما یخاف أن یعاقب علیه. و قال بعض الحکماء:«من خاف شیئا هرب منه،و من خاف اللّه هرب إلیه»،و قال بعض العرفاء:

«لا یکون العبد خائفا حتی ینزل نفسه منزله السقیم الذی یحتمی مخافه طول السقام».و إلی الصفات بقمع الشهوات و تکدر اللذات،فتصیر المعاصی المحبوبه عنده مکروهه،کما یصیر العسل مکروها عند من یشتهیه إذا عرف کونه مسموما،فتحترق الشهوات بالخوف،و تتأدب الجوارح،و یحصل فی القلب الذبول و الذله و الخشوع و الاستکانه،و تفارقه ذمائم الصفات،و یصیر مستوعب الهم بخوفه و النظر فی خطر عاقبته،فلا یتفرغ لغیره،و لا یکون له شغل إلا المجاهده و المحاسبه و المراقبه و الضنه بالأنفاس و اللحظات، و مؤاخذه النفس فی الخطرات و الکلمات،و یشتغل ظاهره و باطنه بما هو خائف منه لا متسع فیه لغیره،کما أن من وقع فی مخالب ضاری السبع یکون مشغول اللهم به و لا شغل له بغیره.و هذا حال من غلبه الخوف و استولی علیه کما جری علیه جماعه من الصحابه و التابعین و من یحذوهم من السلف الصالحین فقوه المجاهده و المحاسبه بحسب شده الخوف الذی هو حرقه القلب و تألمه،و هو بحسب قوه المعرفه بجلال الله و عظمته و سائر صفاته و أفعاله، و بعیوب النفس و ما بین یدیها من الأخطار و الأهوال.

و أقل درجات الخوف مما یظهر أثره فی الأعمال أن یکف عن المحظورات و یسمی الکف منها(ورعا)،فإن زادت قوته کف عن الشبهات،یسمی

ذلک(تقوی)إذ التقوی أن یترک ما یریبه إلی ما لا یریبه،و قد یحمله علی ترک ما لا بأس به مخافه ما به بأس،و هو الصدق فی التقوی،فإذا انضم إلیه التجرد للخدمه،و صار ممن لا یبنی ما لا یسکنه،و لا یجمع ما لا یأکله،و لا یلتفت إلی دنیا یعلم أنه یفارقها،و لا یصرف إلی غیر الله نفسا عن أنفاسه، فهو(الصدق)،و یسمی صاحبه(صدیقا)،فیدخل فی الصدق التقوی، و فی التقوی الورع،و فی الورع العفه،لأنها عباره عن الامتناع من مقتضی الشهوات.

فإذن یؤثر الخوف فی الجوارح بالکف و الإقدام.

فصل بم یتحقق الخوف

اعلم أن الخوف لا یتحقق إلا بانتظار مکروه،و المکروه إما أن یکون مکروها فی ذاته کالنار،أو مکروها لإفضائه إلی المکروه فی ذاته کالمعاصی المفضیه إلی المکروه لذاته فی الآخره،و لا بد لکل خائف أن یتمثل فی نفسه مکروه من أحد القسمین،و یقوی انتظاره فی قلبه حتی یتألم قلبه بسبب استشعاره ذلک المکروه،و یختلف مقام الخائفین فیما یغلب علی قلوبهم من المکروهات المحظوره:

فالذین یغلب علی قلوبهم خوف المکروه لذاته،فإما أن یکون خوفهم من سکرات الموت و شدته و سؤال النکیرین و غلظته،أو عذاب القبر و وحدته و هول المطلع و وحشته،أو من الموقف بین یدی اللّه و هیبته و الحیاء من کشف سریرته،أو من الحساب و دقته و الصراط وحدته،أو من النار و أ هوالها و الجحیم و أغلالها،أو الحرمان من دار النعیم و عدم وصوله إلی الملک

المقیم،أو من نقصان درجاته فی العلیین و عدم مجاورته المقربین،أو من اللّه سبحانه بأن یخاف جلاله و عظمته و البعد و الحجاب منه و یرجو القرب منه، و هذا أعلاها رتبه،و هو خوف أرباب القلوب العارفین من صفاته ما یقتضی الهیبه و الخوف،و العالمین بلذه الوصال و ألم البعد و الفراق و المطلعین علی سر قوله:

وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ

(۱)

،و قوله: اِتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ (۲).

و قیل:ذلک خوف العابدین و الزاهدین و کافه العاملین.

و أما الذین غلب علی قلوبهم خوف المکروه لغیره،فإما یکون خوفهم من الموت قبل التوبه،أو نقضها قبل انقضاء المده،أو من ضعف القوه عن الوفاء بتمام حقوق اللّه،أو تخلیته مع حسناته التی اتکل علیها و تعزز بها فی عباد اللّه،أو من المیل عن الاستقامه،أو إلی اتباع الشهوات المألوفه استیلاء للعاده،أو تبدیل رقه القلب إلی القساوه،أو تبعات الناس عنده من الغش و العداوه،أو من الاشتغال عن اللّه بغیره،أو حدوث ما یحدث فی بقیه عمره،أو من البطر و الاستدراج بتواتر النعم،أو انکشاف غوائل طاعته حتی یبدو له من اللّه ما لم یعلم،أو من الاغترار بالدنیا و زخارفها الفانیه،أو تعجیل العقوبه بالدنیا و افتضاحه بالعلانیه،أو من اطلاع اللّه علی سریرته و هو عنه غافل،و توجهه إلی غیره و هو إلیه ناظر،أو من الختم له عند الموت بسوء الخاتمه،أو مما سبق له فی الأزل من السابقه.و هذه کلها مخاوف العارفین.

و لکل واحد منها خصوص فائده،هو الحذر عما یفضی إلی الخوف،

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۲۸.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۱۵۲.

فالخائف من تبعات الناس يجتهد فی براءه ذمته عنها،و من استیلاء العاده یواظب علی فطام نفسه عنها.و من اطلاع اللّه علی سریرته یشتغل بتطهیر قلبه عن الوساوس.و هکذا فی بقیه الأقسام.

و أغلب هذه المخاوف علی المتقین خوف سوء الخاتمه،و هو الذی قطع قلوب العارفین،إذ الأمر فیه مخطر-کما یأتی-و أعلی الأقسام و أدلها علی کمال المعرفه خوف السابقه،لأن الخاتمه فرع السابقه،و یترتب علیها بعد تخلل أسباب کثیره،و لذا قال العارف الأنصاری:«الناس یخافون من الیوم الآخر و أنا أخاف من الیوم الأول».فالخاتمه تظهر ما سبق به القضاء فی أم الکتاب،

و إلیه أشار النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فی المنبر، حیث رفع یده الیمنی قابضا علی کفه،ثم قال:«أ تدرون أیها الناس ما فی کفی؟»، قالوا:اللّه و رسوله أعلم،قال:«أسماء أهل الجنه و أسماء آبائهم و قبائلهم إلی یوم القیامه».ثم رفع یده الیسری و قال:«أیها الناس!أ تدرون ما فی کفی؟» قالوا:اللّه و رسوله أعلم،فقال:أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم إلی یوم القیامه».ثم قال:«حکم اللّه و عدل،حکم اللّه»:

فَرِیقٌ فِی الْجَنَّهِ وَ فَرِیقٌ فِی السَّعِیرِ

(۱)

.

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «یسلک بالسعید فی طریق الأشقیاء حتی یقول الناس:ما أشبهه بهم بل هو منهم،ثم تتدارکه السعاده.و قد یسلک بالشقی طریق السعداء حتی یقول الناس:ما أشبهه بهم،بل هو منهم،ثم یتدارکه الشقاء.إن من کتبه اللّه سعیدا و إن لم یبق من الدنیا إلا فواق ناقه ختم له بالسعاده» (۲)،

۱- ۱) الشوری،الآیه:۷.

۲- ۲) هذا الحدیث مروی فی أصول الکافی فی(باب السعاده و الشقاوه)عن أبی عبد الله الصادق-علیه السلام-

فصل الخوف من اللّه أفضل الفضائل

الخوف منزل من منازل الدين و مقام من مقامات الموقنين،و هو أفضل الفضائل النفسانيه،إذ فضيله الشيء بقدر إعانته على السعاده،و لا سعاده كسعاده لقاء اللّه و القرب منه،و لا وصول إليها إلا بتحصيل محبته و الأنس به،و لا يحصل ذلك إلا بالمعرفه،و لا تحصل المعرفه إلا بدوام الفكر، و لا يحصل الأنس إلا بالمحبه و دوام الذكر،و لا تتيسر المواظبه على الفكر و الذكر إلا بانقلاع حب الدنيا من القلب،و لا ينقلع ذلك إلا بقمع لذاتها و شهواتها،و أقوى ما تنقمع به الشهوه هو نار الخوف،فالخوف هو النار المحرقه للشهوات،فإذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات و يكف من المعاصي و يحث على الطاعات،و يختلف ذلك باختلاف درجات الخوف -كما مر-.

و قيل:من أنس باللّه،و ملك الحق قلبه،و بلغ مقام الرضا،و صار مشاهدا لجمال الحق:لم يبق له الخوف،بل يتبدل خوفه بالأمن،كما يدل عليه قوله سبحانه:

أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ

(۱)

إذ لا يبقى له التفات إلى المستقبل،و لا كراهيه من مكروه،و لا رغبه إلى محبوب،فلا يبقى له خوف و لا رجاء،بل صار حاله أعلى منهما.نعم، لا يخلو عن الخشيه-أي الرهبه من اللّه و من عظمته و هيبته-و إذا صار متجليا بنظر الوحده لم يبق فيه أثر من الخشيه أيضا،لأنه من لوازم التكثر،

۱- ۱) الأنعام الآيه:۸۲.

و قد زال.و لذا قيل:«الخوف حجاب بين اللّه و بين العبد».و قيل أيضا:

«إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها محل لخوف و لا رجاء».و قيل أيضا:«المحب إذا شغل قلبه فى مشاهده المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا فى دوام الشهود الذى هو غايه المقامات».

و أنت خبير بأن هذه الأقوال مما لا التفات لنا إليها،فلنرجع إلى ما كنا بصدده من بيان فضيله الخوف،فنقول:الآيات و الأخبار الداله عليه أكثر من أن تحصى،و قد جمع اللّه للخائفين العلم و الهدى و الرحمه و الرضوان، و هى مجامع مقامات أهل الجنان،فقال:

إِنَّمٰا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ

(۱)

.و قال: هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (۲).و قال: رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (۳).

و كثير من الآيات مصرحه بكون الخوف من لوازم الإيمان، كقوله تعالى:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذٰا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (۴)و قوله: وَ خٰافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۵)و مدح الخائفين بالتذكر فى قوله:

۱- ۱) الفاطر،الآيه:۲۸.

۲- ۲) الأعراف،الآيه:۱۵۴.

۳- ۳) البينه،الآيه:۸.

۴- ۴) الانفال،الآيه:۲.

۵- ۵) آل عمران،الآيه:۱۷۵.

سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى

(۱)

و وعدهم الجنه و جنتين،بقوله:

وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِيَ الْمَأْوى

(۲)

.و قوله: وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ (۳).

و فى الخبر القدسى: «و عزتى لا أجمع على عبدى خوفين و لا أجمع له أمنين،فإذا أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامه،و إذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامه».

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «رأس الحكمه مخافه اللّه»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من خاف اللّه أخاف اللّه منه كل شىء،و من لم يخف اللّه أخافه اللّه من كل شىء»

(۴)

،

و قال لابن مسعود:«إن أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف بعدى»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أتمكم عقلا أشدكم اللّه خوفا».

و عن ليث بن أبى سليم قال: «سمعت رجلا من الأنصار يقول:بينما رسول اللّه مستظل بظل شجره فى يوم شديد الحر،إذ جاء رجل فنزع ثيابه، ثم جعل يتمرغ فى الرمضاء،يكوى ظهره مره،و بطنه مره،و جبهته مره، و يقول:يا نفس ذوقى،فما عند اللّه أعظم مما صنعت بك.و رسول اللّه ينظر إليه ما يصنع.ثم إن الرجل لبس ثيابه،ثم أقبل،فأومى إليه النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم- بيده و دعاه،فقال له:يا عبد اللّه!رايتك صنعت شيئا

۱- ۱) الأعلى،الآيه:۱۰.

۲- ۲) النازعات،الآيه:۴۰-۴۱

۳- ۳) الرحمن،الآيه:۴۶.

۴- ۴) روی الحدیث فی أصول الکافی فی باب الخوف و الرجاء عن الصادق(ع)

ما رأيت أحدا من الناس صنعه،فما حملك على ما صنعت؟فقال الرجل:

حملني على ذلك مخافه اللّه،فقلت لنفسى:يا نفس ذوقى فما عند اللّه أعظم مما صنعت بك.فقال النبى-صلى الله عليه و آله و سلم-:لقد خفت ربك حق مخافته،و إن ربك ليباهى بك أهل السماء،ثم قال لأصحابه:يا معشر من حضر!ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم.فدنوا منه،فدعا لهم،و قال اللهم اجمع أمرنا على الهدى و اجعل التقوى زادنا،و الجنه مآبنا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعه،و إن كانت مثل رأس الذباب،من خشيه اللّه،ثم يصيب شيئا من حر وجهه،إلا حرمه اللّه على النار»،

و قال: «إذا اقشعر قلب المؤمن من خشيه اللّه تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها»،

و قال: «لا يلج النار أحد بكى من خشيه اللّه حتى يعود اللبن فى الضرع».

و قال سيد الساجدين(ع) فى بعض أدعيته:

«سبحانك!عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك»

.

و قال الباقر عليه السلام: «صلى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق،فلما انصرف وعظهم،فبكى و أبكاهم من خوف اللّه،ثم قال:أما و اللّه لقد عهدت أقواما على عهد خليلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:و أنهم ليصبحون و يمسون شعثا غبرا خمصا بين أعينهم كركب البعير يبيتون لربهم سجدا و قياما، يراوحون بين أقدامهم و جباههم،يناجون ربهم فى فكاك رقابهم من النار و اللّه لقد رأيتهم مع هذا و هم خائفون مشفقون»،

و فى روايه أخرى: «و كأن زفير النار فى آذانهم،إذا ذكر اللّه عندهم مادوا كما تميد الشجر،كأنما القوم باتوا غافلين»،

ثم قال عليه السلام: «فما رئى عليه السلام بعد ذلك ضاحكا حتى قبض».

و قال الصادق عليه السلام: «من عرف اللّه خاف اللّه و من خاف اللّه سخت نفسه عن الدنيا».

و قال عليه السلام: «إن من العباده

شده الخوف من اللّه تعالى يقول: إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ .و قال:

فَلا تَخْشَوُا النّاسَ وَ اخْشَوْنِ

(۱)

.قال: وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (۲).

و قال:«إن حب الشرف و الذكر لا يكونان فى قلب الخائف الراهب»

و قال عليه السلام: «المؤمن بين مخافتين:ذنب قد مضى ما يدرى ما صنع اللّه فيه،و عمر قد بقى لا يدرى ما يكتسب فيه من المهالك،فهو لا يصبح إلا خائفا و لا يصلحه إلا الخوف»،

و قال(ع): «خف اللّه كأنك تراه،و إن كنت لا تراه فإنه يراك،و إن كنت ترى أنه لا يراك،فقد كفرت،و إن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصيه فقد جعلته من أهون الناظرين إليك»،

و قال(ع) «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا،و لا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف و يرجو»،

و قال(ع): «مما حفظ من خطب النبى -صلى اللّه عليه و آله و سلم-أنه قال:أيها الناس!إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم،و إن لكم نهايه فانتهوا إلى نهايتكم،ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما اللّه صانع فيه و بين أجل قد بقى لا يدرى ما اللّه قاض فيه،فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه و من دنياه لآخرته،و من الشبيبه قبل الكبر،و فى الحياه قبل الممات،فو الذى نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب و ما بعدها من دار إلا الجنه أو النار».

ثم الأخبار الوارده فى فضل العلم و التقوى و الورع و البكاء و الرجاء تدل على فضل الخوف،لان جمله ذلك متعلقه به تعلق السبب أو تعلق

۱- ۱) المائده،الآيه:۴۴.

۲- ۲) الطلاق،الآيه:۲.

المسبب،إذ العلم سبب الخوف،و التقوى و الورع يحصلان منه و يترتبان عليه-كما ظهر مما سبق-و البكاء ثمرته و لازمه،و الرجاء يلازمه و يصاحبه إذ كل من رجا محبوبا فلا بد أن يخاف فوته،إذ لو لم يخف فوته لم يحبه فلا ينفك أحدهما عن الآخر،و إن جاز غلبه أحدهما على الآخر،إذ من شرطهما تعلقهما بالمشكوك،لأن المعلوم لا يرجى و لا يخاف،فالمحبوب المشكوك فيه تقدير وجوده يروح القلب و هو الرجاء،و تقدير عدمه يؤلمه و هو الخوف،و التقديران يتقابلان.نعم أحد طرفى الشك قد يترجح بحضور بعض الأسباب،و يسمى ذلك ظنا،و مقابله وهما،فإذا ظن وجود المحبوب قوى الرجاء و ضعف الخوف بالإضافه إليه،و كذا بالعكس،و على كل حال فهما متلازمان،و لذلك قال اللّه سبحانه.

وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً

(1)

.و قال: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً (2).

و قد ظهر أن ما يدل على فضل الخمسه يدل على فضيلته،و كذا ما ورد فى ذم الأمن من مكر اللّه يدل على فضيلته،لأنه ضده،و ذم الشيء مدح لضده الذى ينفيه.و مما يدل على فضيلته ما ثبت بالتواتر من كثره خوف الملائكه و الأنبياء و أئمه الهدى-عليهم السلام-كخوف جبرائيل،و ميكائيل، و إسرافيل،و حمله العرش،و غيرهم من الملائكه المهيمين و المسلمين.و كخوف نبينا،و إبراهيم،و موسى،و عيسى،و داود،و يحيى...و غيرهم.و خوف أمير المؤمنين و سيد الساجدين و سائر الأئمه الطاهرين-عليهم السلام-و حكايه

1- 1) الأنبياء،الآيه:90.

2- 2) السجده،الآيه:16.

خوف کل منهم فی کتب المحدثین مذکوره و فی زبرهم مسطوره،فلیرجع إلیها من أراد،و من اللّه العصمه و السداد.

فصل الخوف إذا جاوز حده کان مذموما

اعلم أن الخوف ممدوح إلی حد،فإن جاوزه کان مذموما.و بیان ذلک:

أن الخوف سوط اللّه الذی سوق به العباد إلی المواظبه علی العلم و العمل، لینالوا بهما رتبه القرب إلیه تعالی و لذه المحبه و الأنس به،و کما أن السوط الذی تساق به البهیمه و یأدب به الصبی،له حد فی الاعتدال.لو قصر عنه لم یکن نافعا فی السوق و التأدیب،و لو تجاوز عنه فی المقدار أو الکیفیه أو المبالغه فی الضرب کان مذموما لأدائه إلی إهلاک الدابه و الصبی،فکذلک الخوف الذی هو سوط اللّه لسوق عباده له حد فی الاعتدال و الوسط،و هو ما یوصل إلی المطلوب،فإن کان قاصرا عنه کان قلیل الجدوی،و کان کقضیب ضعیف یضرب به دابه قویه،فلا یسوقها إلی المقصد.و مثل هذا الخوف یجری مجری رقه النساء عند سماع شیء محزن یورث فیهن البکاء،و بمجرد انقطاعه یرجعن إلی حالهن الأولی،أو مجری خوف بعض الناس عند مشاهده سبب هائل،و إذا غاب ذلک السبب عن الحس رجع القلب إلی الغفله.

فهذا خوف قاصر قلیل الجدوی.فالخوف الذی لا یؤثر فی الجوارح بکفها عن المعاصی و تقییدها بالطاعات حدیث نفس و حرکه خاطر لا یستحق أن یسمی خوفا.و لو کان مفرطا ربما جاوز إلی القنوط و هو ضلال:

وَ مَنْ یَقْنَطُ مِنْ رَحْمَهِ رَبِّهِ إِلاَّ الضّالُّونَ

(۱)

۱- ۱) الحجر،الآیه:۵۶.

أو إلى اليأس و هو كفر:

لاٰ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكٰافِرُونَ

(۱)

و لا ـ ريب فى أن الخوف المجاوز إلى اليأس و القنوط يمنع من العمل، لرفعهما نشاط الخاطر الباعث على الفعل،و إيجابهما كساله الأعضاء المانعه من العمل.و مثل هذا الخوف محض الفساد و النقصان و عين القصور و الخسران و لا رجحان له فى نظر العقل و الشرع مطلقا،إذ كل خوف بالحقيقه نقص لكونه منشأ العجز،لأنه متعرض لمحذور لا يمكنه دفعه،و باعث الجهل لعدم اطلا ـ عه على عاقبه أمره،إذ لو علم ذلك لم يكن خائفا،لما مر من أن الخوف هو ما كان مشكوكا فيه،فبعض أفراد الخوف إنما يصير كمالا بالإضافه إلى نقص أعظم منه، و باعتبار رفعه المعاصى و إفضائه إلى ما يترتب عليه من الورع و التقوى و المجاهده و الذكر و العباده و سائر الأسباب الموصله إلى قرب اللّه و أنسه،و لو لم يؤد إليها كان فى نفسه نقصا لا كمالا،إذ الكمال فى نفسه هو ما يجوز أن يوصف اللّه تعالى به،كالعلم و القدره و أمثالهما،و ما لا يجوز وصفه به ليس كمالا فى ذاته،و ربما صار محمودا بالإضافه إلى غيره و بالنظر إلى بعض فوائده،فما لا يفضى إلى فوائده المقصوده منه لإفراطه فهو مذموم، و ربما أوجب الموت أو المرض أو فساد العقل،و هو كالضرب الذى يقتل الصبى أو يهلك الدابه أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها.و إنما مدح صاحب الشرع الرجاء و كلف الناس به ليعالج به صدمه الخوف المفرط المفضى إلى اليأس أو إلى أحد الأمور المذكوره.فالخوف المحمود ما يفضى إلى العمل مع بقاء الحياه و صحه البدن و سلامه العقل،فإن تجاوز إلى إزاله شى منها فهو مرض يجب علاجه،و كان بعض مشائخ العرفاء يقول للمرتاضين من

۱- ۱) يوسف،الآيه:۸۷.

مریـدیه الملازمین للجوع أیاما کثیره:احفظوا عقولکم،فإنه لم یکن للّه تعالی ولی ناقص العقل،و ما قیل:«إن من مات من خوف اللّه تعالی مات شـهیدا، معناه أن موته بالخوف أفضل من موته فی هـذا الوقت بـدونه،فهو بالنسـبه إلیه فضـیله،لا بالنظر إلی تقدیر بقائه و طول عمره فی طاعه اللّه و تحصـیل المعارف إذ للمترقی فی درجات المعارف و الطاعات له فی کل لحظه ثواب شهید أو شهداء فأفضل السعادات طول العمر فی تحصیل العلم و العلم،فکل ما یبطل العمر أو العقل و الصحه فهو خسران و نقصان.

فصل طرق تحصیل الخوف الممدوح

لتحصیل الخوف الممدوح و جلبه طرق:

(الأول)أن یجتهد فی تحصیل الیقین.

أی قوه الإیمـان بـاللّه،و الیوم الآخر،و الجنه،و النـار،و الحسـاب،و العقـاب.و لا ریب فی کونه مهیجـا للخوف من النـار و الرجاء للجنه.ثم الخوف و الرجـاء یؤدیـان إلی الصبر علی المکاره و المشاق،و هو إلی المجاهـده و التجرد لـذکر اللّه تعالی و الفکر فیه علی الـدوام،و یقـوی دوام الـذکر علی الأنس،و دوام الفکر علی کمـال المعرفه، و یؤدی الأنس و کمـال المعرفه إلی المحبه،و یتبعها الرضا و التوکل و سائر المقامات.و هـذا هو الترتیب فی سـلوک منازل الـدین،فلیس بعـد أصل الیقین مقام سوی الخوف و الرجاء،و لا بعـدهما مقام سوی الصبر،و لا بعـده سوی المجاهده و التجرد للّه ظاهرا و باطنا،و لا بعده سوی الهدایه و المعرفه،و لا بعـدهما سـوی الأنس و المحبـه.و مـن ضـروره المحبـه الرضـا بفعـل المحبـوب و الثقـه بعنـایه،و هـو التوکل.فـالیقین هـو سـبب الخوف،فیجب تحصیل

ص:۲۶۷

السبب ليؤدى إلى المسبب.

(الثانى)ملازمه التفكر فى أحوال القيامه،

و أصناف العذاب فى الآخره و استماع المواعظ المنذره،و النظر إلى الخائفين و مجالستهم،و مشاهده أحوالهم و استماع حكاياتهم.و هذا مما يستجلب الخوف من عذابه تعالى،و هو خوف عموم الخلق،و هو يحصل بمجرد أصل الإيمان بالجنه و النار،و كونهما جزاءين على الطاعه و المعصيه،و إنما يضعف للغفله أو ضعف الإيمان، و تزول الغفله و الضعف بما ذكر.و أما الخوف من اللّه بأن يخاف البعد و الحجاب و يرجو القرب و الوصال،و هو خوف أرباب القلوب،العارفين من صفاته ما يقتضى الخوف و الهيبه،المطلعين على سر قوله:

وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ

(۱)

.و قوله: اِتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ (۲).

فالعلاج فى تحصيله الارتقاء إلى ذروه المعرفه،إذ هذا الخوف ثمره المعرفه باللّه و بصفات جلاله و جماله،و من لم يمكنه ذلك فلا يترك سماع الأخبار و الآثار و ملاحظه أحوال الخائفين من هيبته و جلاله،كالأنبياء و الأولياء و زمره العرفاء،فإنه لا يخلو عن تأثير.

(الثالث)أن يتأمل فى أن الوقف على كنه صفات اللّه فى حيز المحال،

و أن الإحاطه بكنه الأمور ليس فى مقدره البشر،إذ هى مرتبطه بالمشيه ارتباطا يخرج عن حد المعقول و المألوف.و من عرف ذلك على التحقيق يعلم أن الحكم على أمر من الأمور الآتيه غير ممكن بالحدس و القياس،فضلا

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۲۸.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۱۰۲.

عن القطع و التحقیق،و حینئذ یعظم خوفه و یشتد ألمه،و إن کانت الخیرات کلها له میسره و نفسها عن الدنیا بالمره منقطعه.و إلی اللّه بشراشرها ملتفته، إذ خطر الخاتمه و عسر الثبات علی الحق مما لا یمکن دفعه،و کیف یحصل الاطمئنان من تغیر الحال،و قلب المؤمن بین إصبعین من أصابع الرحمن، و أنه أشد تقلبا من القدر فی غلیانها،و قد قال مقلب القلوب:

إِنَّ عَذٰابَ رَبِّهِمْ غَیْرُ مَأْمُونٍ (۱)فإنی للناس أن یطمئنوا و هو ینادیهم بالتحذر،و لذا قال بعض العرفاء:

«لو حالت بینی و بین من عرفته بالتوحید خمسین سنه أسطوانه فمات لم أقطع له بالتوحید،لأنی لا أدری ما ظهر له من التقلب» (۲).

فصل خوف سوء الخاتمه و أسبابه

قد أشیر إلی أن أعظم المخاوف خوف سوء الخاتمه،و له أسباب مختلفه ترجع إلی ثلاثه:

(الأول)و هو الأعظم،و هو أن یغلب علی القلب عند سکرات الموت و ظهور أ هواله،

إما الجحود أو الشک،فتقبض الروح فی تلک الحاله،و تصیر عقده الجحود أو الشک حجابا بینه و بین اللّه تعالی،و ذلک یقتضی البعد الدائم،و الحرمان اللازم،و خسران الأبد،و العذاب المخلد.

ثم هذا الجحود أو الشک إما یتعلق ببعض العقائد الأصولیه،کالتوحید

۱- ۱) المعارج،الآیه:۲۸.

۲- ۲) نقل هذه الکلمه فی أحیاء العلوم(ج ۴ ص ۱۴۹)عن بعض العارفین و لم یذکر اسمه أیضا.

و علمه تعالى أو غير ذلك من صفاته الكماليه،أو بضروريات أمر الآخره و النبوه.و كل واحد من ذلك كاف فى الهلاك و زهوق النفس على الزندقه.

أو يتعلق بجميعها إما إصاله أو سرايه، و المراد بالسرايه أن الرجل ربما اعتقد فى ذات اللّه و صفاته و أفعاله خلاف ما هو الحق و الواقع،إما برأيه و معقوله،أو بالتقليد،فإذا قرب الموت و ظهرت سكراته و اضطرب القلب بما فيه،ربما انكشف بطلان ما اعتقده جهلا،إذ حال الموت حال كشف الغطاء،و يكون ذلك سببا لبطلان بقيه اعتقاداته أو الشك فيها،و إن كانت صحيحه مطابقه للواقع،إذ لم يكن عنده أولا فرق بين هذا الاعتقاد الفاسد الذى انكشف فساده و بين سائر عقائده الصحيحه،فإذا علم خطأه فى البعض لم يبق له اليقين و الاطمئنان فى البواقى.كما نقل أن(الفخر الرازى)بكى يوما،فسألوه عن سبب بكائه،قال:«اعتقدت فى مسأله منذ سبعين سنه على نحو انكشف اليوم لى بطلانه،فما أدرانى أن لا تكون سائر عقائدى كذلك» و بالجمله:إن اتفق زهوق روحه فى هذه الخطره قبل أن ينيب و يعود إلى أصل الإيمان،فقد ختم له بالسوء و خرجت روحه على الشرك،أعاذنا اللّه منه، و ثبتنا على الاعتقاد الحق لديه،و هم المقصودون من قوله:

وَ بَدٰا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ مٰا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ

(۱)

.

و من قوله: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمٰالاً اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (۲).

۱- ۱) الزمر،الآيه:۴۷.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۱۰۳-۱۰۴.

و البله:أعنى الذين آمنوا باللّه و رسوله و اليوم الآخر إيمانا مجملا راسخا، بمعزل عن هذا الخطر،

و لـذلك ورد :أن أكثر أهـل الجنه البله. و ورد المنع من البحث و النظر و الخوض فى الكلام،و الأخـذ بظواهر الشـرع،مع اعتقاد كونه تعـالى منزها عن النقص متصـفا بما هو الغايه و النهايه من صـفات الكمال و السـر فى ذلك:أن البله إذا أخـذوا بما ورد من الشرع و اعتقدوا به،يثبتون عليه لقصور أذهانهم عن درك الشبهات و عدم اعتيادهم بالتشكيك،فلا يختلج ببالهم شك و شبهه و لو عند الموت.

و أمـا الخائضون فى غمرات البحث و النظر،و الآخـذون عقائـدهم من عقولهم المزجاه،فليس لهم تثبت على عقائـدهم،إذ العقول عن درك صـفات اللّه و سـائر العقائـد الأـصوليه على مـا هى عليه قاصـره،و الأـدله التى يسـتخرجها مضـطربه متعـارضه.و أبواب الشكوك و الشبهات بالخوض و البحث تصير مفتوحه.

فأذهـانهم دائمـا محـل تعـارض العقائـد و الشـكوك،فربمـا ثبتت لهم عقيـده بملاـحظه بعض دلائله،فيحصل لهم فيها طمأنينه،ثم يعرض لهـم شـك يرفعهـا أو يضـعفها،فهـم دائمـا فى غمرات الحيره و الاضـطراب.فإذا كـان حـالهم هـذا فأخـذتهم سـكرات الموت،فأى اسـتبعاد فى أن يختلـج لهم حينئـذ شك فى بعض عقائدهم.و مثله مثل من انكسـرت سـفينته و هو فى ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج،و الغالب فى مثله الهلاك،و إن اتفق نادرا أن يرميه موج إلى الساحل.

و قد نقل عن(نصير الدين الحلى)-و هو من أعاظم المتكلمين-أنه قال:

«إنى تفكرت فى العلوم العقليه سـبعين سـنه،و صنفت فيها من الكتب ما لا يحصى،لم يظهر لى منها شىء سوى أن لهذا المصنوع صانعـا،و مع ذلـك عجـائز القوم فى ذلك أشـد يقينا منى». فالصواب تلقى أصل الإيمان و العقائـد من صاحب الوحى،مع تطهير الباطن عن خبائث الأخلاق،و الاشتغال

بالطاعات و صوالح الأعمال،و عدم التعرض لما هو خارج عن طاقتهم من التفكر فى حقائق المعارف،إلا من أيده اللّه بالقوه القدسيه و القريحه المستقيمه،و أشرق نور الحكمه فى قلبه.و شمله خفى الألطاف من ربه،فله الخوض فى غمرات العلوم.و أما غيره فينبغى أن يأخذ منه أصول عقائده الوارده من الشرع،و يشتغل بخدمته حتى تشمله بركات أنفاسه،فإن العاجز عن المجاهده فى صف القتال ينبغى أن يسقى القوم و يتعهد دوابهم،ليحشر يوم القيامه فى زمرتهم و إن كان فاقدا لدرجتهم.

(الثانى)ضعف الإيمان فى الأصل،

و مهما ضعف الإيمان ضعف حب اللّه و قوى حب الدنيا فى القلب،و استولى عليه بحيث لا يبقى فى القلب موضع لحب اللّه إلا من حيث حديث النفس،فلا يظهر له أثر فى مخالفه النفس و الشيطان،فيورث ذلك الانهماك فى اتباع الشهوات،حتى يظلم القلب و يسود،و تتراكم ظلمه الذنوب عليه،و لا يزال يطفئ ما فيه من نور الإيمان حتى ينطفئ بالكليه،فإذا جاءت سكره الموت ازداد حب اللّه ضعفا،و ربما عدم بالمره،لما يستشعر من فراقه محبوبه الغالب على قلبه و هو الدنيا،فيتألم و يرى ذلك من اللّه،فيختلج ضميره بإنكاره ما قدره اللّه من الموت،و ربما يحدث فى باطنه بغض اللّه بدل الحب،لما يرى أن موته من اللّه،كما أن من يحب ولده حبا ضعيفا،إذا أخذ مالا له هو أحب إليه منه و أتلفه،انقلب حبه بغضا.فإن اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظه التى خطر فيها هذه الخطره فقد ختم له بالسوء.نعوذ باللّه من ذلك.

و قد ظهر أن السبب المفضى إلى ذلك غلبه حب الدنيا مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب اللّه،فمن وجد فى قلبه حب اللّه أغلب من حب الدنيا فهو أبعد من هذا الخطر،و إن أحب الدنيا أيضا،و من وجد فى قلبه عكس

ذلک فهو قریب من هـذا الخطر.و السـبب فی قله حب اللّه قله المعرفه به،إذ لا یحب اللّه إلا من عرفه،و إلی هـذا القسم من سوء الخاتمه أشیر فی الکتاب الإلهی بقوله:

قُلْ إِنْ کٰانَ آبٰاؤُکُمْ وَ أَبْنٰاؤُکُمْ وَ إِخْوٰانُکُمْ وَ أَزْوٰاجُکُمْ وَ عَشِیرَتُکُمْ وَ أَمْوٰالٌ اقْتَرَفْتُمُوهٰا وَ تِجٰارَهٌ تَخْشَوْنَ کَسٰادَهٰا وَ مَسٰاکِنُ تَرْضَوْنَهٰا أَحَبَّ إِلَیْکُمْ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهٰادٍ فِی سَبِیلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّٰی یَأْتِیَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ

(۱)

فمن فـارقته روحه فی حـاله کراهه فعـل اللّه و بغضه له فی تفریقه بینه و بین أهله و ماله و سائر محابه،فیکون موته قـدوما علی ما أبغضه و فراقا لما أحبه فیقدم علی اللّه قدوم العبد المبغض الآبق إذا قدم به علی مولاه قهرا،و لا یخفی ما یسـتحق مثله من الخزی و النکال و أما الـذی یموت علی حب اللّه و الرضا بفعله کان قـدومه قدوم العبد المحسن المشـتاق إلی مولاه،و لا یخفی ما یلقاه من الفرح و السرور.

(و الثالث)کثره المعاصی و غلبه الشهوات،و إن قوی الإیمان.

و بیـان ذلـک:أن مفـارقه المعاصـی سـببها غلبه الشـهوات و رسوخهـا فی القلب بکثره الألف و العاده،و جمیع ما ألفه الإنسان فی عمره یعود ذکره فی قلبه عنـد موته،فـإن کان أکثر میله إلی الطاعات کان أکثر ما یحضـره عنـد الموت طاعه اللّه،و إن کان أکثر میله إلی المعاصی غلب ذکرها علی قلبه عنده،و إن کان أکثر

۱- ۱) التوبه،الآیه:۲۴.

شغله السخریه و الاستهزاء و المزاح و أمثال ذلک کان الغالب عند الموت ذلک،و هکذا الحال فی جمیع الأشغال و الأعمال الغالبه فی عمره،فإنها تغلب علی قلبه عند موته،فربما یقبض روحه عند غلبه شهوه من شهوات الدنیا و معصیه من المعاصی،فیعتقد بها قلبه،و یصیر محجوبا عن اللّه تعالی.

و هو المراد بالختم علی السوء.فالذی غلبت علیه المعاصی و الشهوات،و کان قلبه أمیل إلیها منه إلی الطاعه،فهذا الخطر قریب فی حقه و لا یمیل إلیها أصلا،فهو بعید منه جدا.و من غلبت علیه الطاعات و لم یقارف المعاصی إلا نادرا،فلعل الراجح فی حقه النجاه منه،و إن أمکن حصوله.و من لم یغلب شیء من طاعاته و معاصیه علی الآخر فأمره فی هذا الخطر إلی اللّه،و لا یمکن لنا الحکم بشیء من القرب و البعد فی حقه.

و السر فی ذلک:أن الغشیه المتقدمه علی الموت شبیهه بالنوم،فکما أن الإنسان یری فی منامه جمله من الأحوال التی عهدها طول عمره و ألفها،حتی أنه لا یری فی منامه إلا ما یماثل مشاهداته فی الیقظه،و حتی أن المراهق الذی یحتلم لا یری صوره الوقاع،فکذلک حاله عند سکرات الموت و ما یتقدمه من الغشیه،لکونه شبیها بالنوم و إن کان فوقه، فیقتضی ذلک تذکر المألوفات و عودها إلی القلب،فربما یکون غلبه الألف سببا لأن تتمثل صوره فاحشه فی قلبه و تمیل نفسه إلیها و تقبض علیها روحه،و یکون ذلک سبب سوء خاتمته،و إن کان أصل الإیمان باقیا بحیث یرجی له الخلاص منها بعنایه اللّه و فضله.و کما أن ما یخطر بالبال فی الیقظه إنما یخطر بسبب خاص لا یعلمه بحقیقته أحد إلا اللّه،فکذلک ما یری فی آحاد المنامات و ما یختلج فی القلب عند سکرات الموت له أسباب عند اللّه لا نعرف بعضها،و ربما نتمکن من معرفه بعضه،فإنا نعلم أن الخاطر ینتقل من الشیء إلی ما یناسبه،إما بالمشابهه

بـأن ينظر إلى جميل فيتـذكر جميلا آخر،و إما بالمضاده،بأن ينظر إلى جميل فيتـذكر قبيحا،و إما بالمقارنه،بأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان،و قد ينتقل الخاطر من شـىء إلى شىء،و لا يدرى وجه المناسبه له،و ربما ينتقل إلى شىء لا يعرف سـببه أصـلا.و كذلك انتقالات الخواطر بالمنام و عند سـكرات الموت لها أسباب لا نعرف بعضها و نعرف بعضها بالنحو المذكور. و من أراد أن يكف خاطره عن الانتقال إلى المعاصى و الشهوات،فلا طريق له إلا المجاهده طول عمره فى فطام نفسه عنها،و فى قمع الشهوات عن قلبه،فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار،و يكون طول المجاهده و المواظبه على العلم و تخليه السر عن الشواغل الدنيويه و تقييده بالتوجه إلى اللّه و حبه و أنسه عده و ذخيره لحاله سكرات الموت،

إذ المرء يموت على ما عاش عليه،و يحشر على ما مات عليه،كما ورد فى الخبر (۱).

و قد دلت المشاهده على أن كل أحد يكون عند موته مشـغول القلب بما هو الغالب عليه طول عمره،حيث يظهر منه عند ذلك،و إنمـا المخوف الموجب لسوء الخـاتمه هو خاطر سوء يخطر،و منه عظم خوف العارفين،إذ اختلاج الخواطر و الاتفاقات المقتضـيه لكونها مـذمومه أو ممـدوحه لا يـدخل تحت الاختيار دخولا كليا،و إن كان لطول الألف و العاده تأثير و مـدخليه،و لـذا إذا أراد الإنسان ألا يرى فى المنام إلا الأنبياء و الأئمه-عليهم السـلام- و أحوال الصالحين و العبادات لم يتيسـر له،و إن كانت كثره الحب و المواظبه على الصـلاح و الطاعه مؤثره فيه. و بالجمله:اضـطرابات الخيال لا تدخل بالكليه تحت الضبط،و إن كان الغالب مناسبه ما يظهر فى النوم لما غلب فى

۱- ۱) لم نعثر على مصدر لهذا الخبر،و جاء ذكر هذا الخبر مرسـلا فى(الحقائق) -ص ۸۸ طبع إيران-للشيخ(ملا محسن الفيض)و لم يذكر المصدر له.

الیقظه.و بذلک یعلم أن أعمال العبد کلها ضائعه إن لم یسلم فی النفس الأخیر الذی علیه خروج الروح،و أن السلامه مع اضطراب أمواج الخواطر مشکله و لذلک

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن الرجل لیعمل بعمل أهل الجنه خمسین سنه حتی لا یبقی بینه و بین الجنه إلا فواق ناقه، فیختم له بما سبق به الکتاب» و معلوم أن فواق الناقه لا یتسع لأعمال توجب الشقاوه،بل هی الخواطر التی تضطرب و تخطر خطور البرق الخاطف.و من هنا قیل (۱):«إنی لا أعجب ممن هلک،کیف هلک،و لکنی أعجب ممن نجا کیف نجا»،

و ورد (۲): «أن الملائکه إذا صعدت بروح المؤمن،و قد مات علی الخیر و الإسلام،تعجبت الملائکه منه،و قالوا:کیف نجا من دنیا فسد فیها خیارنا». و لذلک قیل (۳):من وقعت سفینته فی لجه البحر،و هجمت علیه الریاح العاصفه،و اضطربت الأمواج،کانت النجاه فی حقه أبعد من الهلاک،و قلب المؤمن أشد اضطرابا من السفینه،و أمواج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر،و مقلب القلوب هو اللّه.و من هنا یظهر سر

قوله:

«الناس کلهم هلکی إلا العالمون،و العالمون کلهم هلکی إلا العاملون، و العاملون کلهم هلکی إلا المخلصون،و المخلصون علی خطر عظیم» (۴).

۱- ۱) القائل هو(مطرف بن عبد اللّه)کما فی إحیاء العلوم:ج ۴ ص ۱۵۵
۲- ۲) یظهر من کلمه(ورد)أن هذا حدیث.و فی إحیاء العلوم-ج ۴ ص ۱۵۵-کلام ینقله عن(حامد اللفاف).
۳- ۳) القائل هو(الغزالی)فی إحیاء العلوم،فی الصفحه المتقدمه.
۴- ۴) جاء نص هذا الکلام فی أثناء کلام(الغزالی)فی إحیاء العلوم-ج ۴ ص ۱۵۶-و کأنه من کلام نفسه.إلا أنه جاء نص هذه العباره فی(مجموعه الشیخ ورام)ص ۳۲۰،عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-مرسلا.و کذلک جاء فی(مصباح الشریعه)المنسوب إلی الصادق-علیه السلام-فی الباب- ۷۷ ما یقرب من هذا النص.فما ذا نظن أراد المؤلف بقوله:(سر قوله)،هل أراد الغزالی ما تری؟

و لأجل هـذا الخطر العظيم كـانت الشـهاده مطلـوبه و موت الفجـأه مكروهـا، إذ موت الفجـأه ربمـا يتفق عنـد غلبه خـاطر سوء و استيلائه على القلب.

و أمـا الشـهاده فى سبيـل اللّه فإنهـا عبـاره عن قبض الروح فى حـاله لم يبق فى القلب غير حب اللّه،و خرج حب الـدنيا و المال و الولـد،فـإن مـن هجـوم على صـف القتـال بـأمر اللّـه و أمر رسـوله يكـون موطنـا نفسـه على المـوت لرضـا اللّه و حبه، بائعـا دنيـاه بآخرته،راضيا بالبيع الذى بايعه اللّه به فى قوله:

إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ

(۱)

.

و بـذلك يظهر أن القتل لا بسبب الشـهاده التى حقيقتها ما فسـر،لا يفيـد الاطمئنان من هـذا الخطر،و إن كان ظلما،و إن كان فى الجهاد،إذا لم تكن هجرته فيه إلى اللّه و رسوله،بل إلى دنيا يصيبها أو امرأه يأخذها.

و قـد ظهر مما ذكر:أن سوء الخاتمه باختلاف أسـبابه راجع إلى أحوال القلب،و حاله القلب إما خاطر خير أو خاطر سوء أو خاطر مبـاح،فمن زهق روحه على خـاطر مبـاح لم يمكن الحكم بأنه ختم على خير أو سوء،بل أمره إلى اللّه،و إن كانت النجاه له أقرب بعد غلبه صالحات أعماله على فاسداتها،و من زهق روحه على خاطر سوء و هو أحد الخواطر المتقدمه:

فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً بَعِيداً ،و خَسِرَ خُسْرٰاناً مُبِيناً (۲) و من زهق روحه على خاطر خير و هو أن يكون قلبه فى حاله الموت

۱- ۱) التوبه،الآیه:۱۱۱.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱۱۹،۱۱۶.

متوجها إلى اللّه ممتليا من حبه و أنسه«فقد فاز فوزا عظيما».و هذا موقوف على المجاهده فى فطام النفس عن الشهوات الحيوانيه،و إخراج حب الدنيا عنها رأسا،و الاحتراز عن فعل المعاصى و مشاهداتها و التفكر فيها،و عن مجالسه أهلها و استماع حكاياتهم،بل عن مباحات الدنيا بالكليه،و تخليه السر عما سوى اللّه،و الانقطاع بشراشره إليه،و إخراج محبه كل شىء سوى محبته عن قلبه،حتى يصير حبه سبحانه و الأنس به ملكه راسخه،ليغلب على القلب عند سكره الموت،و بدون ذلك لا يمكن القطع بذلك،كيف و قد علمت أن الغشيه المتقدمه على الموت شبه النوم،و أنت فى غالب الرؤيا الظاهره عليك فى المنام لا تجد فى قلبك حبا للّه و أنسا به و توجها إليه،بل لا يخطر ببالك أن لك ربا متصفا بالصفات الكماليه،بل ترى ما كنت تألفه و تعتاده من الأمور الباطله و الخيالات الفاسده،فإن زهق روحك عند اشتغال خاطرك بشىء من الأمور الدنيويه،و لم يكن متوجها إلى اللّه و مستحضرا معرفته و مبتهجا بحبه و أنسه،لبقيت على تلك الحاله أبدا،و هو الشقاوه العظمى و الخيبه الكبرى.

فتيقظ-يا حبيبى-من سنه الغفله،و تنبه عن سكر الطبيعه،و اخرج حب الدنيا عن قلبك،و توجه بشراشرك إلى جناب ربك،و اكتف من الدنيا بقدر ضرورتك و لا تطلب منها فوق حاجتك،و اقنع من الطعام ما يقيم صلبك و لا تكثر التناول منه ليزيل من ربك قربك،و ارض من اللباس بما يستر عورتك و لا يظهر للناس سوءتك،و اكتف من المسكن بما يحول بينك و بين الأبصار و يدفع عنك حر الشمس و برد الأمطار،فإن جاوزت عن ذلك تشعبت همومك و تكثرت غمومك،و أحاط بك الشغل الدائم و العناء اللازم و ذهب عنك جل خيراتك و ضاعت بركات أوقاتك.و بعد ذلك راقب قلبك

فی جمیع الأوقات،و إیاک أن تهمله لحظه من اللحظات،و احفظه من أن یکون محلا لغیر معرفه اللّه و حبه،و لیکن القرب إلی اللّه و الأنس به غایه همک،إذ العاقل إنما یمیل و یشتاق إلی ما هو الأشرف و الأکمل،و یسر و یرتاح بما له أحسن و أنفع،و لا ریب فی أن أشرف الموجودات و أکملها هو سبحانه،بل هو الموجود الحقیقی و الکمال الواقعی،و غیره من الموجودات و الکمالات من لوازم فیضه و رشحات وجوده و فضله،و له غایه ما یتصور من العلو و الکمال و البهاء و الجلال،و إن معرفته و حبه أحسن الأشیاء و أنفعها لکل أحد،لأنه الباعث للسعاده الأبدیه و البهجه الدائمیه،فلا ینبغی للعاقل أن یترک ذلک اشتغالا بفضول الدنیا و خسائسها،بل یلزم علیها أن یترک حبلها علی غاربها،و یخلص نفسه الشریفه عن مخالبها،و یتوجه بکلیته إلی جناب ربه،و لم یکن فرحه و ابتهاجه إلا بحبه و أنسه.

فصل الفرق بین الاطمئنان و الأمن من مکر اللّه

ضد الخوف المذموم هو اطمئنان القلب فی الأمور المذکوره،و لا ریب فی کونه فضیله و کمالا،إذ قوه القلب و عدم اضطرابه مما یحکم العقل بعدم الحذر عنه صفه کمال،و نقیضه نقص و رذیله.

و أما الخوف الممدوح،فضده الأمن من مکر اللّه،و هو من المهلکات، و قد ورد به الذم فی الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

فَلاٰ یَأْمَنُ مَکْرَ اللّٰهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخٰاسِرُونَ

(۱)

و قد ثبت بالتواتر:أن الملائکه و الأنبیاء کانوا خائفین من مکره،

کما

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۹۹.

روی: «أنه لما ظهر علی إبلیس ما ظهر،طفق جبرئیل و میکائیل یبکیان، فأوحی اللّه إلیهما:ما لکما تبکیان؟فقالا:یا رب!لا نأمن مکرک.فقال اللّه هکذا کونا،لا تأمنا مکری».

و روی: «أن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم- و جبرئیل بکیا من خوف اللّه تعالی،فأوحی اللّه إلیهما:لم تبکیان و قد أمنتکما؟ فقالا:و من یأمن مکرک؟» و کأنهما لم یأمنا أن یکون قوله(قد أمنتکما) ابتلاء لهما و امتحانا،حتی أن سکن خوفهما (۱)ظهر أنهما قد أمنا المکر و ما وفیا بقولهما،کما أن إبراهیم علیه السلام لما وضع فی المنجنیق قال:حسبی اللّه و کان هذا القول منه من الدعاوی العظیمه،فامتحن و عورض بجبرئیل علیه السلام فی الهواء حتی قال:أ لک حاجه؟قال:أما إلیک فلا.و کان ذلک وفاء بمقتضی قوله،فأخبر اللّه تعالی عنه و قال:

وَ إِبْرٰاهِیمَ الَّذِی وَفّٰی

(۲)

و بالجمله:ینبغی للمؤمن ألا یأمن من مکر ربه،کما لم یأمن منه الملائکه و الأنبیاء،و إذا لم یأمن منه کان خائفا منه دائما.

تتمیم التلازم بین الخوف و الرجاء

الرجاء ارتیاح القلب لانتظار المحبوب،و هو یلازم الخوف،إذ الخوف -کما عرفت-عباره عن التألم من توقع مکروه ممکن الحصول،و ما یمکن حصوله یمکن عدم حصوله أیضا،و ما کان حصوله مکروها کان عدم حصوله محبوبا،فکما أنه یتألم بتوقع حصوله یرتاح لیتوقع عدم حصوله أیضا، فالخوف عن شیء وجودا یلزمه الرجاء عدما،و عنه عدما یلزمه الرجاء

۱- ۱) هذه العباره لبیان الابتلاء و الامتحان،یعنی:أنهما یخشیان إذا سکن خوفهما أن یظهر أنهما قدامنا المکر و لم یوفیا بقولهما فیکون ذلک امتحانا لهما

۲- ۲) النجم،الآیه:۳۷.

وجودا. و قس علیه استلزام الرجاء للخوف،فهما متلازمان،و إن أمکن غلبه أحدهما نظرا إلی کثره حصول أسبابه.و إن تیقن الحصول أو عدمه لم یکن انتظارهما خوفا و رجاء،بل سمی انتظار مکروه أو انتظار محبوب.

ثم کما أن الخوف من متعلقات قوه الغضب،و أن الممدوح منه من فضائلها،لکونه مقتضی العقل و الشرع،و باعثا للعمل من حیث الرهبه، فکذا الرجاء متعلق بها و من فضائلها،لکونه مقتضاهما و باعثا للعمل من حیث الرغبه.إلا أن الخوف لترتبه علی ضعف القلب یکون أقرب إلی طرف التفریط،و الرجاء لترتبه علی قوته یکون أقرب إلی طرف الإفراط،و إن کان کلاهما ممدوحین.ثم لا بد أن یحصل أکثر أسباب حصول المحبوب حتی یصدق اسم الرجاء علی انتظاره،کتوقع الحصاد ممن ألقی بذرا جیدا فی أرض طیبه یصلها الماء.و أما انتظار ما لم یحصل شیء من أسبابه فیسمی غرورا و حماقه، کتوقع من ألقی بذرا فی أرض سبخه لا یصلها الماء.و انتظار ما کان أسبابه مشکوکه یسمی تمنیا،کما إذا صلحت الأرض و لا ماء.

و تفصیل ذلک:أن الدنیا مزرعه الآخره،و القلب کالأرض،و الإیمان کالبذر،و الطاعات هی الماء الذی تسقی به الأرض،و تطهیر القلب من المعاصی و الأخلاق الذمیمه بمنزله تنقیه الأرض من الشوک و الأحجار و النباتات الخبیثه،و یوم القیامه هو وقت الحصاد.فینبغی أن یقاس رجاء العبد(المغفره) برجاء صاحب الزرع(التنمیه)،و کما أن من ألقی البذر فی أرض طیبه،و ساق إلیها الماء فی وقته،و نقاها الشوک و الأحجار،و بذل جهده فی قلع النباتات الخبیثه المفسده للزرع،ثم جلس ینتظر کرم اللّه و لطفه مؤملا أن یحصل له وقت الحصاد مائه قفیز مثلا-سمی انتظاره رجاء ممدوحا،فکذلک العبد إذا طهر أرض قلبه عن شوک الأخلاق الردیه و بث فیه بذر الإیمان بماء

الطاعـات،ثم انتظر من فضـل اللّه تثبيته إلى الموت و حسن الخـاتمه المفضـيه إلى المغفره،كـان انتظـاره رجاء حقيقيا محمودا فى نفسه.و كمـا أن من تغافـل عن الزراعه و اختار الراحه طول السـنه،أو ألقى البـذر فى أرض سـبخه مرتفعه لا ينصب إليها ماء،و لم يشـتغل بتعهـد البـذر و إصـلاح الأرض من النباتات المفسـده للزرع،ثم جلس منتظرا إلى أن ينبت له زرع يحصده،سـمى انتظاره حمقا و غرورا.كـذلك من لم يلق بـذر الإيمان فى أرض قلبه،أو ألقاه فيه مع كونه مشـحونا برذائل الأخلاق منهمكا فى خسائس الشهوات و اللذات، و لم يسق إليها ماء الطاعات،ثم انتظر المغفره،كان انتظاره حمقا و غرورا.

و كمـا أن من بث البـذر فى أرض طيبه لاـ مـاء لهـا،و جلس ينتظر ميـاه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار،و إن لم يمتنع أيضا،سـمى انتظـاره تمنيا.كـذلك من ألقى بـذر الإيمـان فى أرض قلبه،و لكنه لم يسق إليه مـاء الطاعات و انتظر المغفره بلطفه و فضـله،كان انتظاره تمنيا.

فإذن،اسم(الرجاء)إنما يصـدق على انتظار محبوب تمهـدت جميع أسـبابه الـداخله تحت اختيار العبد،و لم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره، و هو فضل اللّه تعالى بصـرف القواطع و المفسدات.فالأحاديث الوارده فى الترغيب على الرجاء و فى سعه عفو اللّه و جزيـل رحمته و وفـور مغفرته، إنمـا هى مخصـوصه بمن يرجـو الرحمه و الغفران بالعمـل الخـاص المعـد لحصولهمـا، و ترک الانهمـاک فى المعاصـى المفوت لهـذا الاسـتعداد.فاحذر أن يغرک الشـيطان و يثبطـک عن العمـل و يقنعـک بمحض الرجاء و الأمـل.و انظر إلى حال الأنبياء و الأولياء و اجتهادهم فى الطاعات و صـرفهم العمر فى العبادات ليلا و نهارا، أ ما كان يرجون عفو اللّه و رحمته؟بلى و اللّه!إنهم كـانوا أعلم بسعه رحمه اللّه و أرجى لهـا منـک و من كل أحـد،و لكن علموا أن رجاء الرحمه من دون العمل

غرور محض و سفه بحت،فصرفوا فی العبادات أعمارهم و قصروا علی الطاعات لیلهم و نهارهم.

و نحن نشیر(أولا)إلی بعض ما ورد فی الرجاء من الآیات و الأخبار، ثم نورد نبذا مما یدل علی أنه لا معنی للرجاء بدون العمل،لیعلم أن إطلاق الأول محمول علی الثانی.فنقول:

الظواهر الوارده فی الرجاء أکثر من أن تحصی،و هی علی أقسام:

(الأول)ما ورد فی النهی عن القنوط و الیأس من رحمه اللّه

کقوله تعالی:

یٰا عِبٰادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّٰهِ

(۱)

:

و قول علی(ع) لرجل أخرجه الخوف إلی القنوط لکثره ذنوبه:

«أیا هذا!یأسک من رحمه اللّه أعظم من ذنوبک».

و ما روی: «أنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-لما قال:لو تعلمون ما أعلم لضحکتم قلیلا و لبکیتم کثیرا و لخرجتم إلی الصعدات تلدمون صدورکم و تجأرون إلی ربکم.فهبط جبرئیل (ع)فقال:إن ربک یقول:لم تقنط عبادی؟فخرج علیهم و رجاهم و شوقهم».

و ما ورد: «أن رجلا من بنی إسرائیل کان یقنط الناس و یشدد علیهم،فیقول اللّه له یوم القیامه:الیوم أویسک من رحمتی کما کنت تقنط عبادی منها».

(الثانی)ما ورد فی الترغیب علی خصوص الرجاء و کونه سبب النجاه،

کما ورد فی أخبار یعقوب من«أنه تعالی أوحی إلیه أ تدری لم فرقت بینک و بین یوسف؟لقولک:

وَ أَخٰافُ أَنْ یَأْکُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غٰافِلُونَ

(۲)

.

۱- ۱) الزمر،الآیه:۵۳.

۲- ۲) یوسف،الآیه:۱۳.

لم خفت الذئب و لم ترجنی؟و لم نظرت إلی غفله إخوته و لم تنظر إلی حفظی؟»

و قول أمیر المؤمنین(ع) لرجل قال عند النزع:أجدنی أخاف ذنوبی و أرجو رحمه ربی:«ما اجتمعا فی قلب عبد فی هذا الموطن إلا أعطاه اللّه ما رجا و أمنه مما یخاف»

(۱)

،

و قول النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن اللّه تعالی یقول للعبد یوم القیامه،ما منعک إذ رأیت المنکر أن تنکره؟فإن لقنه اللّه حجته،قال:رب رجوتک و خفت الناس،فیقول اللّه:قد غفرته لک».

و ما روی عنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «أن رجلا یدخل النار فیمکث فیها ألف سنه ینادی یا حنان یا منان،فیقول اللّه لجبرئیل:اذهب فأتنی بعبدی،فیجیء به،فیوقفه علی ربه،فیقول اللّه له:کیف وجدت مکانک؟فیقول:شر مکان،فیقول:رده إلی مکانه.قال:فیمشی و یلتفت إلی ورائه،فیقول اللّه عز و جل:إلی أی شیء تلتفت؟فیقول:لقد رجوت ألا تعیدنی إلیها بعد إذ أخرجتنی منها،فیقول اللّه تعالی:اذهبوا به إلی الجنه».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «قال اللّه تعالی:لا یتکل العاملون علی أعمالهم التی یعملونها لثوابی،فإنهم لو اجتهدوا و أتعبوا أنفسهم أعمارهم فی عبادتی،کانوا مقصرین غیر بالغین فی عبادتهم کنه عبادتی،فیما یطلبون عندی من کرامتی،و النعیم فی جناتی،و رفیع الدرجات العلی فی جواری،و لکن برحمتی فلیثقوا،و إلی حسن الظن بی فلیطمئنوا،و فضلی فلیرجوا (۲)،فإن رحمتی عند ذلک تدرکهم،و منی یبلغهم رضوانی،و مغفرتی تلبسهم عفوی فإنی أنا اللّه الرحمن الرحیم و بذلک تسمیت».

و عن أبی جعفر(ع)قال:

۱- ۱) روی(احیاء العلوم:ج ۴ ص ۱۲۵)هذا الحدیث عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-.

۲- ۲) فی الکافی فی(باب حسن الظن باللّه عز و جل)تقدیم و تأخیر عما هنا، فقد جاء فیه:«و فضلی فلیرجوا و إلی حسن الظن بی فلیطمئنوا».

«وجدنا فی کتاب علی(ع)أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-قال و هو علی منبره.و الذی لا إله إلا هو ما أعطی مؤمن قط خیر الدنیا و الآخره إلا بحسن ظنه باللّه و رجائه له و حسن خلقه و الکف عن اغتیاب المؤمنین و الذی لا إله إلا هو لا یعذب اللّه مؤمنا بعد التوبه و الاستغفار إلا بسوء ظنه باللّه و تقصیره من رجائه و سوء خلقه و اغتیابه للمؤمنین،و الذی لا إله إلا هو لا یحسن ظن عبد مؤمن باللّه إلا کان اللّه عند ظن عبده المؤمن،لان اللّه کریم بیده الخیرات یستحیی (۱)أن یکون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم یختلف ظنه و رجاءه،فأحسنوا باللّه الظن و ارغبوا إلیه».

(الثالث)ما ورد فی استغفار الملائکه و الأنبیاء للمؤمنین

کقوله تعالی:

وَ الْمَلاٰئِکَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ یَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِی الْأَرْضِ

(۲)

.

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «حیاتی خیر لکم و موتی خیر لکم،أما حیاتی فأسن لکم السنن و أشرع لکم الشرائع،و أما موتی فإن أعمالکم تعرض علی،فما رأیت منها حسنا حمدت اللّه علیه و ما رأیت منها سیئا استغفرت اللّه لکم».

(الرابع)ما ورد فی تأجیل المذنب إلی أن یستغفر،

کقول الباقر-علیه السلام: «إن العبد إذا أذنب أجل من غدوه إلی اللیل،فإن استغفر لم یکتب علیه» (۳).

و قول الصادق(ع): «من عمل سیئه أجل فیها

۱- ۱) فی الکافی فی(باب حسن الظن):(یستحی).

۲- ۲) الشوری،الآیه:۵.

۳- ۳) روی الکافی فی(باب الاستغفار من الذنب)هذا الحدیث عن الصادق-علیه السلام-.

سبع ساعات من النهار،فإن قال: أستغفر اللّه الذى لا إله إلا هو الحى القيوم و أتوب إليه ثلاث مرات، لم تكتب عليه».

(الخامس)ما ورد فى شفاعه النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-

كقوله تعالى:

وَ لَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضىٰ

(۱)

.

و قد ورد فى تفسيره أنه لا يرضى محمد و واحد من أمته فى النار،

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» ،و كذا ما ورد فى شفاعه الأئمه و المؤمنين.

(السادس)ما ورد من البشارات للشيعه و من عدم خلودهم فى النار،

و من أن حب النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و العتره الطاهره ينجيهم من العذاب،و إن فعلوا ما فعلوا.

(السابع)ما دل على أن النار إما أعدها اللّه لأعدائه من الكافرين،

و إنما يخوف بها أولياءه،كقوله تعالى.

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّٰارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذٰلِکَ يُخَوِّفُ اللّٰهُ بِهِ عِبٰادَهُ

(۲)

،و قوله: وَ اتَّقُوا النّٰارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكٰافِرِينَ (۳)و قوله: لاٰ يَصْلاٰهٰا إِلاَّ الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى (۴).

۱- ۱) الضحى،الآيه:۵.

۲- ۲) الزمر،الآيه:۱۶.

۳- ۳) آل عمران،الآيه:۱۳۱.

۴- ۴) الليل،الآيه:۱۵-۱۶.

(الثامن)ما ورد فی سعه عفو اللّه و مغفرته و وفور رأفته و رحمته،

کقوله:

وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّاسِ عَلیٰ ظُلْمِهِمْ

(۱)

و ما روی فی تفسیر قوله تعالی:

یَوْمَ لاٰ یُخْزِی اللّٰهُ النَّبِیَّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ

(۲)

«أن اللّه أوحی إلی نبیه:أنی أجعل حساب أمتک إلیک،فقال:لا یا رب!أنت خیر لهم منی (۳)،فقال إذن لا أخزیک فیهم»

و ما روی:«أنه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-قال یوما: یا کریم العفو!فقال جبرئیل:أ تدری ما تفسیر یا کریم العفو؟هو:أنه یعفو عن السیئات برحمته ثم یبدلها حسنات بکرمه» (۴).

و ما ورد: أن العبد إذا أذنب فاستغفر،یقول اللّه لملائکته:

انظروا إلی عبدی أذنب ذنبا،فعلم أنه له ربا یغفر الذنوب و یأخذ بالذنب أشهدکم أنی قد غفرت له.

و ما ورد فی الخبر القدسی: إنما خلقت الخلق لیربحوا علی،و لم أخلقهم لأربح علیهم» .

و ما ورد من«أنه لو لم یذنبوا، لخلق اللّه تعالی خلقا یذنبون لیغفر لهم

و قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«و الذی نفسی بیده.اللّه أرحم بعبده المؤمن من الوالده الشفیقه بولدها»

و ما ورد من«أنه سبحانه لیغفرن یوم القیامه مغفره ما خطرت قط علی قلب أحد حتی أن إبلیس یتطاول لها رجاء أن تصیبه». و الآیات و الاخبار الوارده فی هذا المعنی متجاوزه عن حد التواتر.

۱- ۱) الرعد،الآیه ۶.

۲- ۲) التحریم،الآیه ۸.

۳- ۳) فى(احياء العلوم:ج ۴ ص ۱۲۸)هكذا:«أنت أرحم بهم منى»، و كذا بدل لا أخزيك:«لا نخزيك».

۴- ۴) فى(إحياء العلوم:ص ۱۲۹ من ج ۴)هكذا:«هو إن عفا عن السيئات برحمته بدلها حسنات بكرمه».

(التاسع)ما دل على أن ابتلاء المؤمن فى الدنيا بالبلايا و الأمراض كفاره لذنوبه،

كقوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «الحمى من قيح جهنم، و هى حظ المؤمن من النار».

(العاشر)-ما ورد فى أن الإيمان لا يضر معه عمل،

كما أن الكفر لا ينفع معه عمل،و فى أنه قد يغفر اللّه عبدا و يدخله الجنه لأجل مثقال ذره من الإيمان أو عمل جزئى من الأعمال الصالحه.

(الحادى عشر)ما ورد فى الترغيب على حسن الظن باللّه،

كقوله -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا يموتن أحدكم إلا و هو يحسن الظن باللّه»

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يقول اللّه تعالى:أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء».

و قول الرضا(ع): «أحسن الظن باللّه،فإن اللّه عز و جل يقول:أنا عند ظن عبدى لى،إن خيرا فخير و إن شرا فشر».

و قول الصادق(ع): «حسن الظن باللّه:ألا ترجو إلا اللّه،و لا تخاف إلا ذنبك» و قد تقدم بعض أخبار أخر فى هذا المعنى.ثم إيجاب حسن الظن للرجاء و جلبه له مما لا ريب فيه.

(الثانى عشر)ما دل على أن الكافر أو النصاب يكونون يوم القيامه فداء للمؤمنين أو الشيعه،

كما روى أنه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-قال:

«أمتى أمه مرحومه لا عذاب عليها فى الآخره،و عجل عقابها فى الدنيا بالزلزال و الفتن،فإذا كان يوم القيامه دفع إلى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب، فقيل هذا فداؤك من النار».

و عن أهل البيت-عليهم السلام-: «أن النصاب يجعلون فداء لشيعتنا بظلمهم إياهم و وقيعتهم فيهم».

و عن الصادق(ع): «سيؤتى بالواحد من مقصرى شيعتنا فى أعماله،بعد أن صان الولايه و التقيه و حقوق إخوانه،و يوقف بإزائه ما بين مائه و أكثر من ذلك إلى مائه ألف من النصاب،فيقال

له:هؤلاء فداؤک من النار،فیدخل هؤلاء المؤمنون إلی الجنه و أولئک النصاب إلی النار،و ذلک ما قال اللّه تعالی:

رُبَمٰا یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کٰانُوا مُسْلِمِینَ

(۱)

فی الدنیا منقادین للإمامه،لیجعل مخالفوهم من النار فداءهم».

و أما(الثانی)-أعنی ما یدل علی أن رجاء المغفره و العفو و الرحمه إنما هو بعد العمل

-فأکثر من أن یحصی،کقوله تعالی:

إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ أُولٰئِکَ یَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّٰهِ

(۲)

.و قوله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْکِتٰابَ یَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنیٰ وَ یَقُولُونَ سَیُغْفَرُ لَنٰا (۳).

و قول النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «الکیس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت،و الأحمق من اتبع نفسه هواها و تمنی علی اللّه الجنه».

و ما روی عن الصادق علیه السلام أنه قیل له:قوم یعملون بالمعاصی و یقولون:نرجوا فلا یزالون کذلک حتی یأتیهم الموت،فقال:«هؤلاء قوم یترجحون فی الأمانی کذبوا لیسوا براجین،«إن» (۴)من رجا شیئا طلبه،و من خاف من شیء هرب منه»

و عن علی بن محمد،قال: قلت له علیه السلام:إن قوما من موالیک یلمون بالمعاصی و یقولون نرجوا،فقال:«کذبوا،لیسوا لنا بموال

۱- ۱) الحجر،الآیه:۲.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۱۸.

۳- ۳) الأعراف،الآیه:۱۶۹.

۴- ۴) روی الحدیث فی الکافی(باب الرجاء)و لیس فیه کلمه«إن».

أولئك قوم ترجحت بهم الأماني.من رجا شيئا عمل له،و من خاف شيئا هرب منه».

و عنه قال: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا،و لا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف و يرجو».

فصل مواقع الخوف و الرجاء و ترجيح أحدهما على الآخر

قد عرفت أن الخوف و الرجاء محمودان،لكونهما باعثين على العمل، و دواءين يداوى بهما أمراض القلوب،فضل كل منهما إنما هو بحسب ما يترتب عليه من فائده العمل و معالجه المرض.

و هذا يختلف باختلاف الأشخاص:فمن كان تأثير الخوف فى بعثه على العمل أكثر من تأثير الرجاء فيه،فالخوف له أصلح من الرجاء و من كان بالعكس فبالعكس و من غلب عليه مرض الأمن من مكر اللّه و الاغترار به، فالخوف له أصلح.و من غلب عليه اليأس و القنوط،فالرجاء له أصلح.و من انهمك فى المعاصى،فالخوف له أصلح.و من ترك ظاهر الإثم و باطنه و خفيه و جليه،فالأصلح له أن يعتدل خوفه و رجاؤه.

و الوجه فى ذلك:أن كل ما يراد به المقصود،ففضله إنما يظهر بالإضافه إلى مقصوده لا إلى نفسه،فلو فرض تساويهما فى البعث على العمل و لم يغلب شيء من المذكورات،فالأصلح اعتدالهما،

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لبعض ولده: «يا بنى!خف اللّه خوفا ترى أنك إن أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك،و ارج اللّه رجاء كأنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك».

و قال الباقر عليه السلام: «ليس من عبد مؤمن إلا و فى قلبه نوران:نور خيفه،و نور رجاء،لو وزن هذا لم يزد على هذا،و قد جمع اللّه سبحانه بينهما فى وصف من أثنى عليهم،فقال:يدعون ربهم خوفا و طمعا

و قال:یدعوننا رغبا و رهبا».

و عن الحارث بن المغیره قال: قلت للصادق علیه السلام:ما کان فی وصیه لقمان؟قال:«کان فیها الأعاجیب،و کان أعجب ما کان فیها أن قال لابنه:خف اللّه عز و جل خیفه لو جئته ببر الثقلین لعذبک،و ارج اللّه رجاء لو جئته بذنوب الثقلین لرحمک»،ثم قال علیه السلام: «کان أبی علیه السلام یقول:إنه لیس من عبد مؤمن إلا و فی قلبه نوران.نور خیفه،و نور رجاء،لو وزن هذا لم یزد علی هذا،و لو وزن هذا لم یزد علی هذا».

و قال علیه السلام: «الخوف رقیب القلب،و الرجاء شفیع النفس،و من کان باللّه عارفا کان من اللّه خائفا و إلیه راجیا،و هما جناحا الإیمان،یطیر العبد المحلق بهما إلی رضوان اللّه،و عینا عقله،یبصر بهما إلی وعد اللّه و وعیده، و الخوف طالع عدل اللّه و ناعی وعیده،و الرجاء داعی فضل اللّه،و هو یحیی القلب،و الخوف یمیت النفس...و من عبد اللّه علی میزان الخوف و الرجاء لا یضل،و یصل إلی مأموله،و کیف لا یخاف العبد و هو غیر عالم بما تختم صحیفته،و لا له عمل یتوسل به استحقاقا،و لا قدره له علی شیء و لا مفر، و کیف لا یرجو و هو یعرف نفسه بالعجز،و هو غریق فی بحر آلاء اللّه و نعمائه من حیث لا تحصی و لا تعد،و المحب یعبد ربه علی الرجاء بمشاهده أحواله بعین سهر (۱)،و الزاهد یعبد علی الخوف» (۲).

۱- ۱) هکذا فی نسخ هذا الکتاب و نسخه البحار،و لم نعثر علی استعمال (سهر)للمبالغه فی معنی ساهره.
۲- ۲) هذه الروایه نقلها فی البحار(الجزء الثانی من المجلد ۱۵ فی باب الخوف و الرجاء)عن مصباح الشریعه.و قد تقدم رأی صاحب البحار فی مصباح الشریعه ص ۱۲۱ فی تعلیقتنا و هذه الروایه ظاهره أنها لیست من أسلوب کلام الإمام-علیه السلام-.

و قـد ظهر ممـا ذكر:أن الرجـاء أصـلح و أفضل فی موضـعین:(أحـدهما)فی حق من تفتر نفسه عن فضائل الأعمال و یقتصـر علی الفرائض،و کـان الرجـاء باعثـا له علی التشـمیر و النشـاط للطاعـات،و مثله ینبغی أن یرجی نفسه نعم اللّه تعـالی و مـا وعـد اللّه به الصـالحین فی العلیین،حتی ینبعث من رجـائه نشاط العباده. (و ثانیهما)فی حق العاصـی المنهمک إذا خطر له خاطر التوبه،فیقنطه الشـیطان من رحمه اللّه،و یقـول له:کیف تقبـل التوبه من مثلـک؟فعنـد هـذا یجب علیه أن یقمع قنوطه بالرجـاء و یتـذکر مـا ورد فیه،کقوله تعالی:

لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّٰهِ

(۱)

و قوله: وَ إِنِّی لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ (۲).

و یتوب و یتوقع المغفره مع التوبه لاـ بـدونها،إذ لو توقع المغفره مع الإصـرار کـان مغرورا.و الرجـاء الأـول یقمع الفتور المانع من النشاط و التشمیر و الثانی یقطع القنوط المانع من التوبه.

فصل العمل علی الرجاء أعلی منه علی الخوف

العمـل علی الرجـاء أعلی منـه علی الخـوف،لأـن أقرب العبـاد أحبهـم إلیه، و الحب یغلب بالرجـاء.و اعتـبر ذلـک بملکین یخـدم أحدهما خوفا من عقابه و الآخر رجاء لعطائه،و لذلک عیر اللّه أقواما یظنون السوء باللّه،قال:

وَ ذٰلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ أَرْدٰاکُمْ

(۳)

.

۱- ۱) الزمر،الآیه:۵۳.

۲- ۲) طه،الآیه:۸۲.

۳- ۳) فصلت،الآیه:۲۳.

و قال:

وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً

(۱)

و ورد فی الرجاء و حسن الظن ما ورد- کما تقدم-

و فی الخبر: «أن اللّه تعالی أوحی إلی داود:أحبنی و أحب من یحبنی و حببنی إلی خلقی،فقال:

یا رب!کیف أحببک إلی خلقک؟قال:اذکرنی بالحسن الجمیل،و اذکر آلائی و إحسانی،و ذکرهم ذلک،فإنهم لا یعرفون منی إلا الجمیل». و رأی بعض الأکابر فی النوم-و کان یکثر ذکر أبواب الرجاء-فقال:«أوقفنی اللّه بین یدیه،فقال:ما الذی حملک علی ذلک؟فقلت:أردت أن أحببک إلی خلقک.فقال:قد غفرت لک».

هذا مع أن الرجاء أفضل من الخوف للعبد بالنظر إلی مطلعهما،إذ الرجاء مستقی من بحر الرحمه و الخوف مستقی من بحر الغضب.و من لاحظ من صفات اللّه ما یقتضی اللطف و الرحمه کانت المحبه علیه أغلب،و لیس وراء المحبه مقام.و أما الخوف فمستنده الالتفات إلی الصفات التی تقتضی الغضب فلا تمازجه المحبه کممازجتها للرجاء.نعم،لما کانت المعاصی و الاغترار علی الخلق أغلب،(لا ـ)سیما علی الموجودین فی هذا الزمان،فالأصلح لهم غلبه الخوف،بشرط ألا ـ یخرجهم إلی الیأس و قطع العمل،بل یحثهم علی العمل، و یکدر شهواتهم،و یزعج قلوبهم عن الرکون إلی دار الغرور،و یدعوهم إلی التجافی عن عالم الزور،إذ مع غلبه المعاصی علی الطاعات لا ریب فی أصلحیه الخوف،(لا)سیما أن الآفات الخفیه:من الشرک الخفی،و النفاق،و الریاء و غیر ذلک من خفایا الأخلاق الخبیثه فی أکثر الناس موجوده،و محبه الشهوات و الحطام الدنیوی فی بواطنهم کامنه،و أهوال سکرات الموت و اضطراب

۱- ۱) الفتح،الآیه:۱۱.

الاعتقاد عنـده ممكنه،و مناقشات الحساب و رد أعمالهم الصالحه لأسـباب خفيه محتمله، فمن عرف حقائق هـذه الأمور،فإن كان ضعيف القلب جبانـا فى نفسه غلب خوفه على رجائه،و إن كان قوى القلب ثابت الجأش تام المعرفه اسـتوى خوفه و رجاؤه.و أما أن يغلب رجـاؤه فلا،بـل غلبته إنمـا هو من الاـغترار و قله التـدبر،كما فى غالب الناس،بل الأصـلح لهم غلبه الخوف، و لكن قبل الإشراف على الموت،و أما عنده فالأصلح لهم غلبه الرجاء و حسن الظن،لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل،و قد انقضى وقته و هو لا يطيق هنا أسباب الخوف،لأنها تقطع نياط قلبه و تعين على تعجيل موته و أما روح الرجاء فيقوى قلبه و يحبب إليه ربه الذى إليه رجاؤه.

و ينبغى أن لا يفارق أحد الدنيا إلا محبا للّه،ليكون محبا للقائه،و من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه،و من أحب اللّه و لقاءه،و علم أنه تعالى أيضا يحب لقاءه،اشـتقاق إليه تعالى،و كان فرحانا بالقدوم عليه،إذ من قدم على محبوبه عظم سـروره بقدر محبته،و من فـارق محبوبه اشـتد عـذابه و محنته،فمهما كان الغالب على القلب عنـد الموت حب الأهل و الولـد و المال كانت محابه كلها فى الـدنيا،فكـانت الـدنيا جنتـه،إذ الجنـه هى البقعه الجـامعه لجميـع المحـاب، فكـان مـوته خروجـا عن الجنه و حيلـوله بينه و بين ما يشـتهيه.و هذا أول ما يلقاه كل محب للدنيا،فضـلا عما أعد اللّه له من ضـرور الخزى و النكال و السلاسل و الأغلال. و أما إذا لم يكن له محبوب سوى اللّه و سوى معرفته و حبه و أنسه،فالدنيا و علائقها شاغله له عن المحبوب،فالدنيا أول سجنه،إذ السجن هى البقعه المانعه عن الوصول إلى محابه،فموته خلاص له من السـجن و قدوم على المحبوب،و لا يخفى حال من خلص من السـجن و خلى بينه و بين محبوبه، و هذا أول ابتهاج يلقاه من كان محبا للّه غير محب للدنيا و ما فيها،فضلا عما

أعده اللّه مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

فصل مداواه الناس بالخوف أو الرجاء على اختلاف أمراضهم

قد عرفت أن المحتاج إلى تحصيل دواء الرجاء من غلب عليه اليأس فترك العباده أو غلب عليه الخوف فأسرف فيها حتى أضر بنفسه و أهله.و أما المنهمكون فى طغيان الذنوب و المغرورون بما هم فيه من الفساد و الخوف -كأكثر أبناء زماننا-فأدويه الرجاء بالنسبه إليهم سموم مهلكه،إذ لا يزداد سماعهم لها إلا تماديا فى طغيانهم و فسادا فى فسادهم و عصيانهم،فواعظ الخلق ينبغى أن يعرف أمراضهم و ينظر إلى مواقع عللهم،و يعالج كل عله بما يضادها لا بما يزيدها،ففى مثل هذا الزمان ينبغى ألا يذكر لهم بواعث الرجاء،بل يبالغ فى ذكر أسباب الخوف،لئلا يهلكهم و يرديهم بالكليه،و لا يقصد بموعظته استماله القلوب و توقع الثناء من الناس،فينتقل إلى الترغيب على الرجاء لكونه أخف على القلوب و ألذ عند النفوس،فيهلك و يهلكهم و يضل و يضلهم.

و بالجمله:الطريق إلى تحصيل الرجاء لمن يحتاج إليه:أن يتذكر الآيات و الأخبار المتواتره الوارده فيه و فى سعه رحمته و وفور عفوه و رأفته-كما تقدم شطر منها-ثم يتأمل فى لطائف نعمائه و عجائب آلائه لعباده فى دار الدنيا،حتى أعد لهم كل ما هو ضرورى لهم فى دوام الوجود،بل لم يترك لهم شيئا جزئيا يحتاجون إليه نادرا يفوت بفقده ما هو الأصلح الأولى لهم من الزينه و الجمال.فإذا لم تقصر العنايه الإلهيه عن عباده فى جميع ما يحب و يحسن لهم من اللطف و الإحسان فى دار الدنيا-و هى حقيقه دار البليه و المحنه

لا دار النعمه و الراحه-و لم يرض أن يفوته شیء من المزائد و المزايا فی الحاجه و الزينه،فكيف يرضی فی دار الآخره التی هی دار الفيض و الجود بسياقهم إلى الهلاك المؤبد و العذاب المخلد،مع أنه تعالى أخبر بأن رحمته سابقه على غضبه؟!و أقوى ما يجلب به الرجاء أن يعلم أن اللّه تعالى خير محض لا شريه فيه أصلا،و فياض على الإطلاق،و إنما أوجد الخلق لإفاضه الجود و الإحسان عليهم،فلا بد أن يرحمهم و لا يبقيهم فی الزجر الدائم.

از خير محض جز نكوئی نايد

خوش باش كه عاقبت نكو خواهد شد (۱)

و منها:

صغر النفس

و هو ملكه العجز عن تحمل الواردات،و هو من نتائج الجبن،و من خبائث الصفات.و تلزمه الذله و المهانه،و عدم الاقتحام فی معالی الأمور، و المسامحه فی النهی عن المنكر و الأمر بالمعروف،و الاضطراب بعروض أدنى شیء من البلايا و المخاوف.

و قد ورد فی الأخبار بأن المؤمن بریء عن ذله النفس،

قال الصادق عليه السلام: «إن الله عز و جل فوض إلى المؤمن أموره كلها و لم يفوض إليه أن يكون ذليلا:أ ما تسمع اللّه تعالى يقول:

وَ لِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ

(۲)

فالمؤمن يكون عزيزا و لا يكون ذليلا،إن المؤمن أعز من الجبل،

۱- ۱) و حاصل معنى هذا البيت!(أن الخير المحض لا يصدر عنه إلا الجميل فكن مطمئنا أن عاقبتك ستكون إلى الجميل).

۲- ۲) المنافقون،الآيه:۸.

الجبل يستقل منه (۱)بالمعاول و المؤمن لا يستقل من دينه شیء».

و قال(ع) «إن اللّه فوض إلی المؤمن کل شیء إلا إذلال نفسه». و قد وردت بهذا المضمون أخبار أخر.و علاجه ما تقدم فی معالجه الجبن.

وصل کبر النفس و صلابتها

و ضده(کبر النفس و صلابتها)،و قد عرفت أنه ملکه التحمل لما یرد علیه کائنا ما کان.و قد دلت الأخبار علی أن المؤمن ذو صلابه و عزه و مهابه، و کل ذلک فرع کبر النفس.

قال الباقر(ع): «المؤمن أصلب من الجبل»،

و قال(ع): «إن اللّه أعطی المؤمن ثلاث خصال:العز فی الدنیا و الآخره، و الفلج فی الدنیا و الآخره،و المهابه فی صدور الظالمین». و صاحب هذه الملکه لا یبالی بالکرامه و الهوان،و یتساوی عنده الفقر و الیسار و الغنی و الإعسار،بل الصحه و المرض و المدح و الذم،و لا یتأثر بتقلب الأمور و الأحوال.و هی ملکه شریفه لیست شریعه لکل وارد،و لا یصل إلیها إلا واحد بعد واحد،بل لا یحوم حولها إلا أوحدی من أفاضل الحکماء،أو المعی قوی القلب من أماثل العرفاء.و طریق تحصیلها-بعد تذکر شرافتها-أن یتکلف فی المواظبه علی آثارها و الاجتناب عما ینافیها، حتی تحصل بالتدریج.

---

۱ - ۱) تقدم فی صفحه(۲۰۸)مضمون هذا الحدیث،و رجعنا فیه کلمه (یستفل)بدل(یستقل)و فسرناها ثم بعد التحقیق وجدنا ذلک الحدیث المتقدم فی أصول الکافی فی باب صفات المؤمن بکلمه(یستقل)-بالقاف-و کذلک نسخ جامع السعادات هنا و هناک.و جاء فی البحار(الجزء الأول من المجلد ۱۵- باب علامات المؤمن و صفاته ص ۵۹۶)فی شرح هذا الحدیث هکذا:«الجبل یستقل منه:من القله،أی ینقص و یؤخذ منه بعضه بالفأس و المعول و نحوهما»

تتميم الثبات أخص من كبر النفس

قـد عرفـت أن الثبـات أخص مـن كـبر النفس،و هـو ملكـه التحمـل على الخوض فى الأـهوال،و قـوه المقـاومه مـع الشدائـد و الآلاـم،بحيث لاـ يعتريه الانكسـار،و إن زادت و كثرت.و ضـده الاضـطراب فى الأهوال و الشدائـد، و من جمله الثبات الثبات فى الإيمان،و هو اطمئنان النفس فى عقائدها، بحيث لا يتزلزل فيها بالشبهات،قال اللّه تعالى:

يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ فِی الْآخِرَهِ

(۱)

.

و هذا الاطمئنان من شـرائط كسب الكمال و فضائل الأعمال،إذ ما لم تسـتقر النفس على معتقداتها فى المبدإ و المعاد لم يحصل لهـا العزم البـالغ على تحصـيل مـا يتوقف فائـدته عليهـا فمن ليس له هـذا الثبـات لاـ تجـده ثابتـا و مواظبا على شـىء من الأعمال الفاضله،بل هو:

كَالَّذِی اسْتَهْوَتْهُ الشَّیاطِینُ فِی الْأَرْضِ حَیْرانَ

(۲)

.

و المتصف به مواظب لها دائما من غير فتور.و عـدم هـذا الثبات لعـدم البصـيره الباطنه أو لضـعف فى النفس.فوجوده يحصل من المعرفه و قوه النفس، فهو من فضائل العاقله و قوه الغضب،و عدمه من رذائل إحداهما أو كليهما،

۱- ۱) إبراهيم،الآيه:۲۷.

۲- ۲) الانعام،الآيه:۷۱.

و منها:

دناءه الهمه

و هو قصور النفس عن طلب معالى الأمور و قناعتها بأدانيها،و هو من نتائج ضعف النفس و صغرها.و ضده(علو الهمه).و هو ملكه السعى فى تحصيل السعاده و الكمال و طلب معالى الأمور،من دون ملاحظه منافع الدنيا و مضارها،حتى لا يعتريه السرور بالوجدان و لا الحزن بالفقدان،بل لا يبالى فى طريق الطلب بالموت و القتل و أمثالهما.و صاحب هذه الملكه هو المؤمن الحقيقى الشائق للموت،و الموت تحفه له،و أعظم سرور يصل إليه، كما ورد فى الأخبار.و هو الذى يقول:

آن مرد نيم كز عدمم بيم آيد

كان بيم مرا خوشتر از اين بيم آيد

جانى است مرا بعاريت داده خدا

تسليم كنم چو و قد تسليم آيد (۱)

و يقول:

مرگ اگر مرد است گو نزد من آی

تا در آغوشش در آرم تنگ تنگ

۱- ۱) الأبيات كلها ل(حافظ الشيرازى)المتقدم ذكره.و معنى البيتين: (لست بذلك الرجل الذى يخشى من فناء نفسه،فإن ما أخشى منه-و هو الموت-أحسن عندى من نفس الخوف منه،لأن نفسى قد أعارنيها اللّه تعالى، فعلى أن أسلمها عند ما يطلب تسليم العاريه).

من از آن عمری ستانم جاودان

آن ز من دلقی ستاند رنگ رنگ (۱)

و یقول:

این جان عاریت که بحافظ سپرده دوست

روزی رخش ببینم و تسلیم وی کنم (۲)

و هـذه الملکه من نتائـج کبر النفس و شـجاعتها،و هی أعظم الفضائـل النفسـانیه،إذ کل من وصل إلی المراتب العظیمه و الأمور العـالیه فإنمـا وصـل إلیها لأجلها،إذ صاحبها لا یرضـی بالمراتب الـدنیه،و یشـمر لتحصـیل المراتب العالیه و الأمور المتعالیه،و فی جوهر الإنسان و جبلته أن یصل إلی کل ما یجتهد فی طلبه:

وَ الَّذِینَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنا

(۳)

.

من طلب الشـیء و جـدّ وجـد.و من أفراد علو الهمه الشـهامه،و هو الحرص علی اقتنـاء عظائم الأمور توقعا لجمیل الـذکر علی مر الدهور.

و منها:

عدم الغیره و الحمیه

و هو الإهمال فی محافظه ما یلزم محافظته:من الـدین،و العرض، و الأولاد،و الأموال.و هو من نتائـج صـغر النفس و ضـعفها،و من المهلکات العظیمه،و ربما یؤدی إلی الدیاثه و القیاده.

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه

۱- ۱) معنی البیتین:(لو أن الموت رجل،فقل له:یأتینی حتی أحتظنه شوقا إلیه، و ألزه لزا،و ذلک لأنی آخـذ منه الحیاه الخالـده و یأخذ منی هذه الزخارف الفانیه للوارث).

۲- ۲) معنی البیت:(أن هذه النفس العاریه التی أمنها الحبیب عند حافظ-و یعنی نفسه- لا بد أن أسلمها فی یوم من الأیام عند ما أری وجه الحبیب-یعنی بالحبیب:اللّه تعالی)

۳- ۳) العنکبوت،الآیه:۶۹.

و آله و سلم- إذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا غير الرجل فى أهله أو بعض مناكحه من مملوكته فلم يغر، بعث اللّه إليه طائرا يقال له(القندر)حتى يسقط على عارضه بابه،ثم يمهله أربعين يوما،ثم يهتف به:إن اللّه غيور يحب كل غيور،،فإن هو غار و غير و أنكر ذلك فأكبره،و إلا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه،فينزع اللّه منه بعد ذلك روح الإيمان،و تسميه الملائكه:

الديوث».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «كان إبراهيم غيورا و أنا أغير منه،و جدع اللّه أنف من لا يغار على المؤمنين و المسلمين».

و قال أمير المؤمنين(ع): «يا أهل العراق!نبئت أن نساءكم يدافعن الرجال فى الطريق، أ ما تستحيون؟».

و قال(ع): «أ ما تستحيون و لا تغارون،نساؤكم يخرجن إلى الأسواق و يزاحمن العلوج؟».

وصل الغيره و الحميه

و ضده(الغير و الحميه)،و هو السعى فى محافظه ما يلزم محافظته،و هو من نتائج الشجاعه و كبر النفس و قوتها.و هى شرائف الملكات،و بها تتحقق الرجوليه و الفحليه،و الفاقد لها غير معدود من الرجال.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن سعدا لغيور،و أنا أغير من سعد،و اللّه أغير منى».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه لغيور،و لأجل غيرته حرم الفواحش»

و قال: «إن اللّه يغار،و المؤمن يغار،و غيره اللّه أن يأتى الرجل المؤمن ما حرم اللّه عليه».

و قال الصادق(ع): «إن اللّه تعالى غيور و يحب الغيره،و لغيرته حرم الفواحش ظاهرها و باطنها».

فصل الغيره على الدين و الحريم و الأولاد

مقتضى الغيره و الحميه فى(الدين)

أن يجتهد فى حفظه عن بدع المبتدعين،و انتحال المبطلين،و قصاص المرتدين،و إهانه من يستخف به من المخالفين،و رد شبه الجاحدين،و يسعى فى ترويجه و نشر أحكامه،و يبالغ فى تبيين حلاله و حرامه،و لا يتسامح فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

و مقتضى الغيره على(الحريم)

ألا يتغافل عن مبادئ الأمور التى تخشى غوائلها،فيحفظهن عن أجانب الرجال،و يمنعهن عن الدخول فى الأسواق.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لفاطمه(ع):«أى شىء خير للمرأه؟قالت:أن لا ترى رجلا و لا يراها رجل.فضمها إليه،و قال:

ذريه بعضها من بعض». و كان أصحاب النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم- يسدون الثقب و الكوى فى الحيطان،لئلا تطلع النساء على الرجال.

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من أطاع امرأته أكبه اللّه على وجهه فى النار»

و ما روى أنه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:أذن للنساء فى حضور المساجد، و قال:«لا تمنعوا إماء اللّه مساجد اللّه»، فالظاهر انه كان مختصا بنساء عصره-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:لعلمه بعدم ترتب فساد على حضورهن فيها.و الصواب اليوم أن يمنع من حضور المساجد و الذهاب إلى المشاهد إلا العجائز منهن،للقطع بترتب الفساد و المعصيه على خروج نساء هذا العصر إلى أى موضع كان.

و سئل الصادق(ع)عن خروج النساء فى العيدين، فقال:«لا!إلا العجوز عليها منقلاها» ،يعنى الخفين.

و فى روايه أخرى أنه(ع):«سئل عن خروج النساء فى العيدين و الجماعه،فقال:لا! إلا امرأه مسنه».

و بالجمله:من اطلع على أحوال نساء أمثال عصرنا يعلم أن مقتضى الغيره أن يبالغ فى حفظهن عن جميع ما يحتمل أن يؤدى إلى فتنه و فساد،سواء كان فى نفسه محرما كالنظر إلى الرجال الأجانب و استماع كلامهم بلا ضروره شرعيه و ارتكاب الملاهى المحرمه،أولا،كالخروج عن البيت بلا داع شرعى أو ضرورى،و لو إلى المساجد و المشاهد المشرفه و مجامع تعزيه مولانا أبى عبد اللّه الحسين(ع)،إذ ذلك و إن كان فى نفسه راجحا إلا أن الغالب عدم انفكاكه عما ينافى الغيره و الحميه على ما هو المشاهد فى عصرنا،فإن أقل ما فى الباب أنه لا ينفك عن نظرهن إلى الأجانب و استماع كلامهم،بل عن نظرهم إليهن و استماع كلامهن،و هذا خروج للطرفين إلى الانحراف عن قانون العفه مع أنا نعلم قطعا أن خروج أكثرهن لا يخلو عن غرض فاسد أو مرجوح، و ما أقل فيهن أن يكون خروجها إلى أحد المواضع المذكوره لمحض القربه و الثواب.فالصواب أن يمنعن فى أمثال هذا العصر عن مطلق الخروج،إلا إلى سفر واجب كالحج،أو إلى بيت عالم عادل لأخذ ما يجب عليهن من المسائل،إذا لم يتمكن أزواجهن من أخذها و إيصالها إليهن.نعم،لو فرض خروجها إلى أحد المشاهد أو إلى مجمع تعزيه من مجامع النساء بل إلى مجمع العرس على نحو اطمأن الزوج منها و تيقن عدم حدوث ما ينافى الغيره و عدم ترتب فساد و معصيه و ريبه عليه،فالظاهر جواز الإذن بل رجحانه.و جميع ذلك إنما هو فى الشواب من النساء،و أما العجائز فلا بأس بخروجهن إلى المواضع المذكوره!و مقتضى الغيره أن يمنعن من استماع الكلمات الملهيه و الحكايات المهيجه للشهوه،و عن مجالسه العجائز اللاتى يحضرن مجامع الرجال و ينقلن حكاياتهم و قصصهم لأنهن ناقصات العقل و الإيمان،و مع ذلك شهوتهن فى غايه القوه و الغلبه،فاستماعهن لشىء من المذكورات يوجب ثوران الشهوه

و هیجانها فیهن فلما لم یکن فیهن قاهر العقل و مانع الإیمان فربما أدی ذلک إلی فساد عظیم.و لذلک ورد فی الأخبار منعهن عن تعلم سوره یوسف(ع)، إذ استماعهن لأمثال القصه المذکوره فیها ربما أدی إلی انحرافهن عن طریق العفه.

قال أمیر المؤمنین(ع) «لا تعلموا نساءکم سوره یوسف و لا تقرءوهن إیاها فإن فیها الفتن،و علموهن سوره النور فإن فیها المواعظ».

و قال(ع):

«لا تحملوا الفروج علی السروج فتهیجوهن للفجور».

و قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا تنزلوا النساء الغرف و لا تعلموهن الکتابه و علموهن الغزل و سوره النور».

و بالجمله:مقتضی العقل و النقل أن یمنعن عن جمیع ما یمکن أن یؤدی إلی فساد و ریبه،و عن مبادئ الأمور التی تخاف غوائلها،و ینبغی لصاحب الغیره أن یجعل نفسه مهیبا فی نظرها،حتی تکون منه علی خوف و حذر، و لا تطمئن منه فتتبع هواها و ما تقتضیه جبلتها،و أن یجعلها مشغوله فی کل وقت بأمر من الأمور،کتدبیر المنزل و إصلاح أمر المعیشه،أو بکسب من المکاسب،حتی یکون لها دائما شغل شاغل،و لا تکون فارغه عنه فی وقت من الأوقات،إذ لو خلت عن الأشغال و تعطلت عن المهمات أوقعها الشیطان فی أودیه الأفکار الردیه،فتمیل إلی الزینه و الخروج و التفرج،و النظر إلی أجانب الرجال،و الملاعبه و المضاحکه للنسوان،فینجر أمرها إلی الفساد، و ینبغی أیضا لصاحب الغیره أن یعطی امرأته ما تحتاج إلیه من القوت و اللباس و سائر الضروریات،حتی لا تضطر إلی ارتکاب ما لا ینبغی من الحرکات و الأفعال توصلا إلی أخذ شیء من ذلک من غیر زوجها.

ثم ینبغی ألا توقعه الغیره فی طرف الإفراط فیبالغ فی إساءه الظن و العتنت و تجسس البواطن،

فقد نهی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«أن يتبع عورات النساء و أن يتعنت بهن».

و فى الخبر المشهور: أن المرأه كالضلع،إن أردت أن تقيمه كسرته،فدعه تستمتع به على عوج».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من الغيره غيره يبغضها اللّه و رسوله،و هى غيره الرجل على أهله من غير ريبه»

و قال أمير المؤمنين(ع): «لا تكثر الغيره على أهلك فترمى بالسوء من أجلك».

و قال(ع) فى رسالته إلى الحسن (ع):«إياك و التغاير فى غير موضع الغيره،فإن ذلك يدعوهن إلى السقم، و لكن احكم أمرهن،فإن رأيت عيبا فعجل النكير على الصغير و الكبير،بأن تعاقب منهن البريئه فتعظم الذنب و تهون العيب». و بالجمله:لا ينبغى المبالغه فى الفحص و التفتيش،إذ لا ينفك ذلك عن سوء الظن الذى نهينا عنه،فإن بعض الظن إثم.

و أما مقتضى الغيره على(الأولاد):

أن تراقبهم من أول أمرهم، فاستعمل فى حضانه كل مولود له و إرضاعه امرأه صالحه تأكل الحلال،إذ الصبى الذى تتكون أعضاؤه من اللبن الحاصل من غذاء حرام يميل طبعه إلى الخبائث،لأن طينته انعجنت من الخبث.

و إذا بدأت فيه مخائل التمييز فينبغى أن يؤدب بآداب الأخيار.و لما كان أول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام،فينبغى أن يؤدب فيه بأن يؤمر بألا يأخذ إلا بيمينه،و يقول(باسم اللّه)عند أكله،و يأكل مما يليه،و لا يبادر إلى الطعام قبل غيره،و لا يحدق إلى الطعام و لا إلى من يأكل،و لا يسرع فى الأكل،و يمضغ الطعام مضغا جيدا،و لا يلطخ ثوبه و لا يده.

و يقبح عنده كثره الأكل بأن يذم كثير الأكل و يشبه بالبهائم،و يمدح الصبى الذى يقنع بالقليل و يحبب إليه الإيثار بالطعام و قله المبالاه به

و القناعه بأی طعام اتفق.ثم یؤدب فی أمر اللباس،حتی لا یخرج فیه عن زی الأبرار و أهل الورع،فیحبب إلیه ثیاب القطن و البیض،دون الإبریسم الملون،و یقرر عنده بأن ذلک شأن النساء و المخنثین،و الرجال یستنکفون منه،و یحفظ من الصبیان الذین تعودوا التنعم و الترفه و الزینه. ثم یؤدب فی الأخلاق و الأفعال و یبالغ فی ذلک،لأن الصبی إذا أهمل فی أول نشوه خرج فی الأکثر ردی الأخلاق و الأفعال،فیکون کذابا،حسودا،لجوجا، عنودا،سارقا،خائنا،ذا ضحک و فضول،و ربما صار مخنثا مائلا إلی الفسوق و الفجور.فینبغی أن یحفظ من قرناء السوء،و هو الأصل فی تأدیبه.و یسلم إلی معلم دین صالح،یعلمه القرآن و أحادیث الأخیار و حکایات الأبرار، لینغرس فی نفسه حب الصالحین.و یحفظ عن الأشعار التی فیها ذکر الفسوق و أهله.إذ ذلک یغرس فی قلبه بذر الفساد.و ینبغی أن یعود الصبر و السکوت إذا ضربه المعلم،حتی لا یکثر الصراخ و الشغب و لا یستشفع بأحد حینئذ، و یذکر له أن ذلک دأب الرجال و الشجعان،و أن کثره الصراخ دأب الممالیک و النسوان.و ینبغی أن یؤذن له بعد الفراغ من المکتب باللعب المباح الجمیل حتی یستریح من تعب الأدب،و لا یموت قلبه،و لا ینقص ذکاء.و یعلم محاسن الأخلاق و الأفعال،و یجنب عن خبائث الصفات و رذائل الأعمال.

فیخوف من الحسد،و العداوه،و الجبن،و البخل،و الکبر،و العجب.

و یحذر من السرقه،و أکل الحرام،و الکذب،و الغیبه،و الخیانه،و الفحش، و اللعن،و السب،و لغو الکلام...و غیر ذلک.و یرغب فی الصبر، و الشکر،و التوکل،و الرضا،و الشجاعه،و السخاء،و الصدق،و النصیحه...

و غیر ذلک من محاسن الأخلاق و فضائلها.و یمدح عنده الأخیار و یذم الأشرار،حتی یصیر الخیر عنده محبوبا،و یصیر الشر عنده مبغوضا.

و إذا بلغ سن التمييز،يؤمر بالطهاره و الصلاه و الصوم فى بعض الأيام من شهر رمضان،و يعلم أصول العقائد و كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع.و مهما ظهر منه خلق جميل أو فعل محمود،فينبغى أن يكرم عليه و يجازى لأجله بما يفرح به،و يمدح بين أظهر الناس.و إن ظهر منه فعل قبيح مره واحده ينبغى أن يتغافل عنه و لا يهتك ستره،و لا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله،(لا)سيما إذا ستره الصبى و اجتهد فى إخفائه، فإن إظهار ذلك ربما يفيده جساره حتى لا يبالى بالمكاشفه بعد ذلك،فإن عاد ثانيا إلى مثله،فينبغى أن يعاتب عليه سرا و يعظم الأمر فيه،و يقال له:إياك أن يطلع على فعلك هذا أحد فتفتضح عند الناس.و لا يكثر العتاب عليه حتى يسقط وقع الكلام من قلبه. و ليكن الأب حافظا هيبته فى الكلام و الحركات معه.و ينبغى للأم أن تخوفه بالأب.و ينبغى أن يمنع من كل ما يفعله خفيه، فإنه لا يخفيه إلا و هو يعتقد أنه قبيح،فإذا ترك يعود فعل القبيح.و يعود الوقار و الطمأنينه فى المشى و سائر الحركات و الأفعال،و عدم كشف أطرافه، و التواضع و الإكرام لكل من عاشره،و التلطف معه فى الكلام.و يعلم طاعه والديه،و معلمه،و مؤدبه،و كل من هو أكبر سنا منه،من قريب و بعيد،و يعود النظر إليهم بعين التعظيم و الجلاله و ترك اللعب بين أيديهم و يمنع من الفخر على أقرانه بشىء مما تملكه نفسه أو والده.و يخوف من أخذ شىء من الصبيان أو الرجال،أو يذكر له أن الرفعه فى العطاء،و الأخذ لؤم و خسه و مهانه و ذله،فإنه دأب الكلب،إذ هو يتبصبص فى انتظار لقمه، و يقبح عنده حب الذهب و الفضه،و يحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات و العقارب،اذ آفه حبهما أكثر من آفه السموم،و قد هلك لأجله كل من هلك العالم. و يعود ألا يبصق فى مجلسه،و لا يتمخط،و لا يتمطط،و لا

يتثأب بحضره غيره،و لا يستدبر غيره،و لا يضع رجلا على رجل و لا يضرب كفه تحت ذقنه،لأنه دليل الكسل.و يعلم كيفيه الجلوس و الحركه و السكون.و يمنع من النوم فى النهار،و من التنعم فى المفرش و الملبس و المطعم بل يعود الخشونه فيها حتى تنصلب أعضاؤه،و لا يستخف بدنه،و يذكر له أنها خلقت لدفع الضرر و الألم لا لأجل اللذه،و أن الأطعمه أدويه يتقوى الإنسان بها على عباده اللّه،و أن الدنيا كلها لا أصل لها و لا بقاء لها،و أن الموت يقطع نعيمها،و أنها دار ممر لا دار مقر.و أن الآخره هى دار القرار و محل الراحه و اللذات،و الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخره. و ينبغى أن يمنع من كثره الكلام،و من الكذب،و اليمين و لو كان صدقا،و من اللهو و اللعب و السخريه و كثره المزاح،و من أن يبتدئ بالكلام،و يعود ألا يتكلم إلا جوابا و بقدر السؤال،و أن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر سنا منه،و أن يقوم لمن هو أكبر منه،و يوسع له المكان و يجلس بين يديه.

فإذا تأدب الصبى بهذه الآداب فى صغره صارت له بعد بلوغه ملكات راسخه،فيكون خيرا صالحا.و إن نشأ على خلاف ذلك،حتى ألف اللعب، و الفحش،و الوقاحه،و الخرق،و شره الطعام.و اللباس،و التزين و التفاخر بلغ و هو خبيث النفس كثيف الجوهر،و كان وبالا لوالديه،و صدر منه ما يوجب الفضيحه و العار.فيجب على كل والد ألا يتسامح فى تأديب ولده فى حاله الصبا،لأنه أمانه اللّه عنده،و قلبه الطاهر جوهره نفيسه ساذجه عن كل نقش و صوره،و قابل للخير و الشر،و أبواه يميلان به إلى أحدهما،فإن عود الخير نشأ عليه و سعد فى الدنيا و الآخره،و شاركه فى ثوابه أبواه و كل معلم و مؤدب،و إن عود الشر و أهمل شقى و هلك،و كان الوزر فى رقبه أبيه

أو من كان قيما و وليا له.

ثم الصبيه تؤدب بمثل ما مر،إلا فيما يتفاوت به الصبى و الصبيه، فيستعمل ما يليق بها،و يجب السعى فى جعلها ملازمه للبيت،و الحجاب، و الوقار،و العفه و الحياء،و سائر الخصال التى ينبغى أن تتصف بها النساء.

ثم ينبغى أن يتفرس من حال الصبى أنه مستعد لأى علم و صناعه، فيجعل مشغولا باكتسابه و يمنع من اكتساب غيره،لئلا يضيع عمره و لا تترتب عليه فائده،إذ كل أحد ليس مستعدا لكل صناعه،و إلا لاشتغل الجميع بأشراف الصناعات،و اختلاف الناس و تفاوتهم فى هذا الاستعداد لتوقف قوام النوع و انتظام العالم عليه.

و أما الغيره على(المال)،

فلا تظن أنها ليست ممدوحه لسرعه فناء المال و عدم اعتناء الأخيار،إذ كل إنسان ما دام فى دار الدنيا محتاج إليه،و تحصيل الآخره أيضا يتوقف عليه،إذ كسب العلم و العمل موقوف على بقاء البدن، و هو موقوف على بدل مما يتحلل عنه من الأغذيه و الأقوات.فلا بد لكل عاقل أن يعتنى بالمال و يجتهد فى حفظه و ضبطه،بعد تحصيله من المداخل الطيبه و المكاسب المحموده،و مقتضى السعى فى حفظه المعبر عنه بالغيره عليه ألا يصرفه فى مصرف لا تترتب عليه فائده لآخرته أو دنياه،كإنفاقه للرياء و المفاخره و التضيف،أو بذله على غير المستحقين بلا داع دينى أو دنيوى أو عادى،أو تمكينه الظلمه و السارقين و أهل الخيانه من أخذه علانيه أو سرا،أو عدم مبالاته بتضييعه من غير أن يصل نفعه إلى أحد،أو إسرافه فى بذله،أو غير ذلك من المصارف التى ليست راجحه بحسب العقل و الشرع و لا يعود إليه عوض فى الآخره و الدنيا. بل مقتضى الغيره عليه أن يصرف

جمیع أمواله فی حیاته فی المصارف التی تعود فائدتها إلی نفسه،و لا یترک شیئا منها لوارثه إلا للأخیار من أولاده،إذ بقائهم بمنزله بقائه،و یترتب علی وجودهم-مع حسن حالهم و عیشهم-جمیل الذکر و جزیل الثواب له بعد موته و کیف یرضی صاحب الغیره أن یترک ماله الذی أتعب نفسه فی اکتسابه و فنی عمره فی تحصیله و یحاسب علیه فی عرصات القیامه.لزوج امرأته،فیأکله و یجامعها،و غایه رضی هذه المرأه الخبیثه التی لیست لها حمیه و وفاء و لا لها مطلوب أهم من مقاربه الرجال،أن یأکل هذا الرجل صفو ماله لیتقوی علی مجامعتها،و هذا محنه لا یتحمل مثلها أهل الدیانه و القیاده،فضلا عن صاحب الغیره و الحمیه،و قس علی ذلک تخلیف الأموال لسائر الوراث الذین لا یعرفون الحقوق،و لیسوا من أهل الخیر و الصلاح و الوفاء،من أولاد السوء و أزواج البنات،و سائر الأقارب من الإخوان و الأخوات و الأعمام و العمات و الأخوال و الخالات.و هؤلاء و إن لم یکونوا بمثابه زوج امرأته،إلا أن ترک الأموال لهم إذا لم یکونوا من أهل الخیر و الصلاح لا تثمر له فائده سوی الوزر و الوبال و ذکره بالسوء و الشتم و الفحش کما هو المشاهد فی زماننا هذا.

و منها:

العجله

و هی المعنی الراتب فی القلب،الباعث علی الإقدام علی الأمور بأول خاطر،من دون توقف و استبطاء فی اتباعها و العمل بها.و قد عرفت أنه من لوازم ضعف النفس و صغرها،و هو من الأبواب العظیمه للشیطان،قد أهلک به کثیرا من الناس،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«العجله من الشیطان.و التأنی من اللّه». و قد خاطب اللّه تعالی نبیه-صلی اللّه

علیه و آله و سلم-بقوله:

وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضیٰ إِلَیْکَ وَحْیُهُ

(۱)

،

و قد روی: «أنه لما ولد عیسی(ع)أتت الشیاطین إبلیس،فقالت:

أصبحت الأصنام قد نکست رءوسها.فقال:هذا حادث قد حدث، مکانکم.فطار حتی جاء خافقی الأرض،فلم یجد شیئا،ثم وجد عیسی(ع) قد ولد،و إذا الملائکه قد حفت حوله،فرجع إلیهم،فقال:إن نبیا قد ولد البارحه،ما حملت أنثی قط و لا وضعت إلا و أنا بحضرتها،إلا هذا،فایأسوا أن تعبد الأصنام بعد هذه اللیله،و لکن ائتوا بنی آدم من قبل العجله و الخفه».

و الظواهر فی ذم العجله أکثر من أن تحصی،و لذلک أفتی بعض علماء العامه بالمنع من التعجیل لمن خاف فوت صلاه الجمعه.و السر فی شده ذمها:

أن الأعمال ینبغی أن تکون بعد المعرفه و البصیره،و هما موقوفان علی التأمل و المهله،و العجله تمنع من ذلک،فمن یستعجل فی أمر یلقی الشیطان شره علیه من حیث لا یدری.و التجربه شاهده بأن کل أمر یصدر علی العجله یوجب الندامه و الخسران،و کل ما یصدر علی التأنی و التثبت لا تعرض بعده ندامه، بل یکون مرضیا،و بأن کل خفیف عجول ساقط عن العیون،و لا وقع له عند القلوب.و المتأمل فی الأمور یعلم أن العجله هو السبب الأعظم لتبدیل نعیم الآخره و ملک الأبد بخسائس الدنیا و مزخرفاتها.

و بیان ذلک:أنه لا ریب فی أن أحب اللذات و ألذها للنفس هو الغلبه و الاستیلاء،لأنها من صفات الربوبیه التی هی مطلوبه بالطبع للنفوس المجرده.

۱- ۱) طه،الآیه:۱۱۴.

و السر فيه:أن كل معلول من سنخ علته،و يناسبها فی صفاتها و آثارها،و غايه ابتهاجه أن يتصف بمثل كمالاتها،و لذا قيل:«كل ما يصدر عن شیء لا يمكن أن يكون من جميع الجهات هو هو،و لا أن يكون من جميع الجهات ليس هو بل من جهه هو هو و من جهه ليس هو».و هذا معنى كلام قدماء الحكمه:

(الممكن زوج تركيبی).و لا ريب فی أن جميع الموجودات معلومه للواجب سبحانه،صادره عن محض وجوده و مترشحه عن فيضه و وجوده،فهو غايه الكل و الكل طالبه نحو كمالاته،إلا أن ما هو فی سلسله الصدور إليه أقرب و الواسطه بينهما أقل،تكون مناسبه له أتم و شوقه إلى الاتصاف بكماله أشد و لا ريب فی أن الذوات المجرده النوريه التی هی من عالم الأمر مقتبسه من مشكاه نوره،فلها غايه القرب إليه فی سلسله الصدور،فتكون شديده الشوق إلى الاتصاف بنحو كماله.و النفس الإنسانيه لكونها منها و من عالم الأمر -كما قال اللّه تعالى-:

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی

(۱)

تكون مثلها فی القرب إليه تعالى أو فی المناسبه له،فلها غايه الشوق فی الاتصاف بصفاته و كمالاته التی من جملتها الغلبه و الاستعلاء و ليس ذلك مذموما،إذ ينبغی لكل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له،و سعاده دائميه لا نفاد لها،و بقاء لا فناء فيه،و عز لا ذل معه،و أمنا لا خوف فيه،و غنى لا فقر معه،و كمالا لا نقصان فيه.و هذه كلها من أوصاف الربوبيه،و طالبها طالب للعلو و العز و الكمال لا محاله.

فالمذموم من الرئاسه و الاستيلاء إنما هو الغلط الذی وقع للنفس بسبب تغرير اللعين المبعد عن عالم الأمر،إذ حسدها على كونها من عالم الأمر،

۱- ۱) الإسراء،الآيه:۸۵.

فأضـلها و أغواهـا من طريق العجله،فزين فى نظره الملـك الفـانى المشوب بأنواع الآلام،لكونه عاجلا،و صـده عن الملك المخلد الدائم الذى لا يشوبه كدر و لا يقطعه قاطع،لكونه آجلا.و المسكين المخذول ابن آدم لما خلق عجولا راغبا فى العاجله،لما جاءه المطرود من عالم الأمر،و توسل إليه بواسـطه العجله التى فى طبعه،و استغواه بالعاجله،و أمال قلبه إلى عدم الاعتناء بالآجله، و زين له الحاضـره،و وعـده بـالغرور و بـالتمنى على اللّه فى بـاب الآـخره،فانخـدع بغروره و اشـتغل بطلب ملـك الـدنيا و مزخرفاتها مع فنائهـا،و ترك سـلطنه الآـخره مع بقائهـا،و لم يتأمـل المسـكين فى أن ملـك الـدنيا و رئاسـتها ليس كمالا و لا علوا و استيلاء فى الحقيقه،بـل هو صـفه نقص يصـده عن الكمـال الحقيقى و الرئـاسه المعنويه. مثـال ذلك:أنه لا ريب فى أن الحب و العشق صـفه كمـال، و لكن إذا وقع فى موقعه،و ذلـك إذا كان المحبوب شـريفا كاملا فى ذاته و صـفاته،فحب اللّه سـبحانه أشـرف الصـفات الكمـاليه،و حب الجمـادات و خسـائس الحيوانـات أخس الرذائـل النفسـيه،فكل من كان جاهلا بحقائق الأمور ينخـدع بغروره،و يختار الملك العاجل الفانى على السـلطنه الآجله الباقيه،و أما العالم الموفق فلا يتدلى بحبل غروره،إذ علم مداخل مكره، فأعرض عن العاجله و اختيار الآجله.

و لما استـطار مكر اللعين فى كافه الخلق،أرسل اللّه إليهم الأنبياء،و اشـتغلوا بـدعوتهم من الملك المجازى الـذى لا أصل له و لا دوام ان سلم إلى الملك الحقيقى الذى لا زوال له أصلا،فنادوا فيهم:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياهِ الدُّنْيا مِنَ

الْآخِرَهِ فَمٰا مَتٰاعُ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا فِى الْآخِرَهِ إِلاّ قَلِيلٌ

(۱)

و ذموا من اختار العاجله الفانيه على الآخره الباقيه كما قال سبحانه:

إِنَّ هٰؤُلاٰءِ يُحِبُّونَ الْعٰاجِلَهَ وَ يَذَرُونَ وَرٰاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً

(۲)

و قال: كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَهَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَهَ (۳) فالغرض من بعثه الرسل ليس إلا دعوه الخلق إلى الملك المخلد،ليكونوا ملوكا فى الآخره بسبب القرب من اللّه تعالى،و دركـ بقاء لا فناء فيه،و عز لا ذل معه،و قره عين أخفيت لا يعلمها أحد.و الشيطان يدعوهم من طريق العجله إلى ملكـ الدنيا الفانى،لعلمه بأن ما سمى ملكـ الدنيا،مع أنه لا يسلم و لا يخلو عن المنازعات و المكدرات و طول الهموم فى التدبيرات،يفوت به ملكـ الآخره،إذ الدنيا و الآخره ضرتان.بل يفوت به الملكـ الحاضر الذى هو الزهد فى الدنيا،إذ معناه أن يملكـ العبد شهوته و غضبه،فينقادان لباعث الدين و إشاره الإيمان.و هذا ملكـ بالاستحقاق،إذ به يصير صاحبه حرا و باستيلاء الشهوه يصير عبد لبطنه و فرجه و سائر أعضائه،فيكون مسخرا مثل البهيمه،مملوكا يسخره زمام الشهوه،أخذ المخنقه إلى حيث يريد و يهوى فما أعظم اغترار الإنسان،إذ ظن أنه ينال الملكـ بأن يصير مملوكا،و ينال الربوبيه بأن يصير عبدا. و مثل هذا هل يكون إلا معكوسا فى الدنيا منكوسا فى الآخره؟.فقد ظهر أن منشأ الخسران فى الدنيا و الآخره هو العجله.

۱- ۱) التوبه،الآيه:۳۸.

۲- ۲) الدهر،الآيه:۲۷.

۳- ۳) القيامه،الآيه:۲۰-۲۱.

و الطريق فی علاجها:أن یتـذکر فسادها،و سوء عاقبتها،و إیجابها للخفه و المهانه عنـد الناس،و تأدیتها إلی النـدامه و الخسـران.ثم یتذکر شـرافه الوقار الذی هو ضده،و کونه صفه الأنبیاء و الأخیار،فیوطن نفسه علی ألا یرتکب فعلا إلا بعد التأمل و المهلکه،و لا یترک الطمأنینه و السـکون باطنا و ظاهرا فی جمیع أفعاله و سـکناته،فإذا فعل ذلک مده،و لو بالتکلف و التعمل،یصیر ذلک عاده له،فتزول عنه هذه الصفه،و تحدث صفه الوقار و السکینه.

وصل الأناه و التوقف و الوقار و السکینه

ضد العجله(الأناه) (۱)،و هو المعنی الراتب فی القلب،البـاعث علی الاحتیـاط فی الأـمور و النظر فیها،و التأنی فی اتباعها و العمل بها.

ثم(التوقف)قریب من التـأنی و الأنـاه،و الفرق بینهمـا:أن التوقف هو السـکون قبـل الـدخول فی الأمور حتی یسـتبین له رشـدها،و التأنی سکون و طمأنینه بعد الدخول فیها،حتی یؤدی لکل جزء منها حقه،و ضد التوقف و التعسف.

و(الوقـار)یتنـاول الأنـاه و التوقف کلیهمـا،فهو طمـأنینه النفس و سـکونها فی الأـقوال و الأفعـال و الحرکـات قبـل الـدخول فیها و بعـدها.و هو من نتائـج قوه النفس و کبرهـا.و مـا قـل من الفضائـل النفسـانیه أن یبلغ مرتبته فی الشـرافه،و لـذا یمـدح به الأنبیـاء و الأصفیاء،

و ورد فی الأخبار: «أن المؤمن متصف به البته» فینبغی لکل مؤمن أن یتکلف آثاره فی الحرکات

۱- ۱) فی النسخ(الأناءه)،فصححناه کما هنا.

و الأفعال،حتی یصیر بالتدریج ملکه،و تکلف الطمأنینه فی الأفعال و الحرکات قبل أن تصیر ملکه یختص باسم الوقار،و إذا صارت ملکه سمیت سکینه، إذ هی طمأنینه الباطن،و الوقار اطمئنان الظاهر.

و منها:

سوء الظن بالخالق و المخلوق

و هو من نتائج الجبن و ضعف النفس،إذ کل جبان ضعیف النفس تذعن نفسه لکل فکر فاسد یدخل فی وهمه و یتبعه،و قد یترتب علیه الخوف و الغم و هو من المهلکات العظیمه،و قد قال اللّه سبحانه:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا کَثِیراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

(۱)

.و قال تعالی: وَ ذٰلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ (۲).و قال: وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ کُنْتُمْ قَوْماً بُوراً (۳).

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «ضع أمر أخیک علی أحسنه حتی یأتیک ما یغلبک منه،و لا تظنن بکلمه خرجت من أخیک سوءا و أنت تجد لها فی الخیر محملا». و لا ریب فی أن من حکم بظنه علی غیره بالشر،بعثه الشیطان علی أن یغتابه أو یتوانی فی تعظیمه و إکرامه،أو یقصر فیما یلزمه من القیام بحقوقه،أو ینظر إلیه بعین الاحتقار و یری نفسه خیرا منه و کل ذلک من

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۲.

۲- ۲) فصلت،الآیه:۲۳.

۳- ۳) الفتح،الآیه:۱۲.

المهلکات.علی أن سوء الظن بالناس من لوازم خبث الباطن و قذراته،کما أن حسن الظن من علائم سلامه القلب و طهارته،فکل من یسیء الظن بالناس و یطلب عیوبهم و عثراتهم فهو خبیث النفس سقیم الفؤاد،و کل من یحسن الظن بهم و یستر عیوبهم فهو سلیم الصدر طیب الباطن،فالمؤمن یظهر محاسن أخیه،و المنافق یطلب مساویه،و کل إناء یترشح بما فیه.

و السر فی خباثه سوء الظن و تحریمه و صدوره عن خبث الضمیر و إغواء الشیطان:أن أسرار القلوب لا یعلمها إلا علام الغیوب،فلیس لأحد أن یعتقد فی حق غیره سوء إلا إذا انکشف له بعیان لا یقبل التأویل،إذ حینئذ لا یمکنه ألا یعتقد ما شاهده و علمه،و أما ما لم یشاهده و لم یعلمه و لم یسمعه و إنما وقع فی قلبه،فالشیطان ألقاه إلیه،فینبغی أن یکذبه،لأنه أفسق الفسقه،و قد قال اللّه:

إِنْ جٰاءَکُمْ فٰاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا أَنْ تُصِیبُوا قَوْماً بِجَهٰالَهٍ

(۱)

.

فلا یجوز تصدیق اللعین فی نبأه،و إن حف بقرائن الفساد، ما احتمل التأویل و الخلاف فلو رأیت عالما فی بیت أمیر ظالم لا تظنن أن الباعث طلب الحطام المحرمه،لاحتمال کون الباعث إغاثه مظلوم.و لو وجدت رائحه الخمر فی فم مسلم فلا تجز من بشرب الخمر و وجوب الحد،إذ یمکن أنه تمضمض بالخمر و مجه و ما شربه،أو شربه إکراها و قهرا.فلا یستباح سوء الظن إلا بما یستباح به المال،و هو صریح المشاهده،أو قیام بینه فاضله.

و لو أخبرک عدل واحد بسوء من مسلم،وجب علیک أن تتوقف فی

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۶.

إخباره من غير تصديق و لا تكذيب،إذ لو كذبته لكنت خائنا على هذا العدل،إذ ظننت به الكذب،و ذلك أيضا من سوء الظن،و كذا إن ظننت به العداوه أو الحسد أو المقت لتتطرق لأجله التهمه،فترد شهادته،و لو صدقته لكنت خائنا على المسلم المخبر عنه،إذ ظننت به السوء،مع احتمال كون العدل المخبر ساهيا،أو التباس الأمر عليه بحيث لا يكون فى إخباره بخلاف الواقع آثما و فاسقا.و بالجمله:لا ينبغى أن تحسن الظن بالواحد و تسىء بالآخر،فتذكر المذكور حاله على ما كان فى الستر و الحجاب،إذ لم ينكشف لك حاله بأحد القواطع،و لا بحجه شرعيه يجب قبولها،و تحمل خبر العدل على إمكان تطرق شبهه مجوزه للخبار و إن لم يكن مطابقا للواقع ثم المراد بسوء الظن هو عقد القلب و ميل النفس دون مجرد الخواطر و حديث النفس،بل الشك أيضا،إذ المنهى عنه فى الآيات و الأخبار إنما هو أن يظن،و الظن هو الطرف الراجح الموجب لميل النفس إليه.و الأمارات التى بها يمتاز العقد عن مجرد الخواطر و حديث النفس،هو أن يتغير القلب منه عما كان من الألف و المحبه إلى الكراهه و النفره،و الجوارح عما كانت عليه من الأفعال اللازمه فى المعاشرات إلى خلافها. و الدليل على أن المراد هو ما ذكر،

قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم -ثلاث فى المؤمن لا تستحسن و له منهن مخرج،فمخرجه من سوء الظن ألا يحققه» ،أى لا يحقق فى نفسه بعقد و لا فعل لا فى القلب و لا فى الجوارح.

ثم لكون سوء الظن من المهلكات،منع الشرع من التعرض للتهمه، صيانه لنفوس الناس عنه،

فقال-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «اتقوا مواقع التهم».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرض نفسه للتهمه فلا يلومن من أساء به الظن».

و روى: «أنه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-كان يكلم زوجته

صفیه بنت حی ابن أخطب،فمر به رجل من الأنصار،فدعاه رسول اللّه، و قال:یا فلان!هذه زوجتی صفیه.فقال:یا رسول اللّه أ فنظن بک إلا خیرا؟ قال:إن الشیطان یجری من ابن آدم مجری الدم،فخشیت أن یدخل علیک» فانظر کیف أشفق رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-علی دینه فحرسه و کیف علم الأمه طریق الاحتراز عن التهمه،حتی لا یظن العالم الورع المعروف بالتقوی و الدین أن الناس لا یظنون به إلا خیرا،إعجابا منه بنفسه،فإن ما لا جزم بتحققه فی حق سید الرسل و أشرفهم،فکیف یجزم بتحققه فی حق غیره،و إن بلغ من العلم و الورع ما بلغ.و السر فی ذلک:أن أورع الناس و أفضلهم لا ینظر الناس کلهم إلیه بعین واحده،بل إن نظر إلیه بعضهم بعین الرضا ینظر إلیه بعض آخر بعین السخط:

و عین الرضا عن کل عیب کلیله

و لکن عین السخط تبدی المساویا

فکل عدو و حاسد لا ینظر إلا بعین السخط،فیکتم المحاسن و یطلب المساوی،و کل شریر لا یظن بالناس کلهم إلا شرا،و کل معیوب مفتضح عند الناس یحب أن یتفضح غیره و تظهر عیوبه عندهم،لأن البلیه إذا عمت هانت،و لأن یشتغل الناس به فلا تطول ألسنتهم فیه.فاللازم لکل مؤمن ألا یتعرض لموضع التهمه حتی یوقع الناس فی المعصیه بسوء الظن،فیکون شریکا فی معصیتهم،إذ کل من کان سببا لمعصیه غیره یکون شریکا له فی هذه المعصیه.و لذا قال اللّه تعالی:

وَ لاٰ تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَیَسُبُّوا اللّٰهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ

(۱)

.

۱- ۱) الأنعام،الآیه:۱۰۸.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «كيف ترون من يسب أبويه؟فقالوا:هل من أحد يسب أبويه؟فقال:نعم!يسب أبوى غيره فيسبون أبويه».

ثم طريق المعالجه فى إزالته-بعد تذكر ما تقدم من فساده و ما يأتى من فضيله ضده-أنه إذا خطر لك خاطر سوء على مسلم،لا تتبعه،و لا تحققه و لا تغير قلبك عما كان عليه بالنسبه إليه،من المراعاه و التفقد و الإكرام و الاعتماد بسببه،بل ينبغى أن تزيد فى مراعاته و إعظامه و تدعو له بالخير، فإن ذلك يقنط الشيطان و يدفعه عنك،فلا يلقى إليك خاطر السوء خوفا من اشتغالك بالدعاء و زياده الإكرام.و مهما عرفت عثره من مسلم فانصحه فى السر و لا تبادر إلى اغتيابه،و إذا وعظته فلا تعظه و أنت مسرور باطلاعك على عيبه،لتنظر إليه بعين الحقاره،مع أنه ينظر إليك بعين التعظيم،بل ينبغى أن يكون قصدك استخلاصه من الإثم،و تكون محزونا كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان،و ينبغى أن يكون تركه ذلك العيب من غير نصيحتك أحب إليك من تركه بنصيحتك،و إذا فعلت ذلك جمعت بين أجر نصيحته و أجر الحزن بمصيبته و أجر الإعانه على آخرته.

وصل حسن الظن

قد عرفت أن ضد سوء الظن بالخالق و المخلوق هو(حسن الظن بهما) و لما كان الأول من لوازم ضعف النفس و صغرها،فالثانى من نتائج قوتها و ثباتها،و فوائده أكثر من أن تحصى،و قد تقدمت الظواهر الوارده فى مدحه، فينبغى لكل مؤمن ألا ييأس من روح اللّه،و لا يظن أنه لا يرحمه

و یعـذبه البته و لاـ یخلصه من العقاب،و أن ما یرد علیه فی الـدنیا من البلایا و المصائب هو شـر له و عقوبه،بل ینبغی أن یعلم أنه أرحم و أرأف به من والـدیه،و إنمـا خلقه لأجـل الفیض و الجود،فلاـ بـد أن یرحمه فی دار الآخره، و خلصه من عـذاب الأبـد و یوصله إلی نعیم السرمد،و ما یرد علیه من المصائب و البلایا فی دار الدنیا خیر له و صلاح،و ذخیره له فی یوم المعاد.

و کذا لا یظن السوء و الشر بالمسـلمین،و لا یحملن ما له وجه صحیح من أعمالهم و أقوالهم علی وجه فاسد،بل یجب أن یحمل کـل مـا یشاهـده من أفعـالهم و حرکـاتهم علی أحسن الوجوه و أصـحها،مـا لـم یجزم بفساده،و یکـذب وهمه و سائر حواسه،فیما یـذهب إلیه من المحامل الفاسده و الاحتمالات القبیحه المحرمه،و یکلف نفسه علی ذلک،حتی یصـیر ذلک ملکه له،فترتفع عنه ملکه سوء الظن بالکلیه.نعم،الحمل علی الوجه الصـحیح علی تقدیر عدم مطابقته للواقع،لو کان باعثا لضرر مالی أو فساد دینی أو عرضـی، لزم فیـه الحزم و الاحتیـاط،و عـدم تعلیـق أمـوره الـدینیه و الـدنیویه علیه،لئلاـ یـترتب علیه الخسـران و الإضـرار،و تلزمه الفضیحه و العار.

و منها:

الغضب

و هو کیفیه نفسـانیه موجبه لحرکه الروح من الـداخل إلی الخـارج للغلبه، و مبـدؤه شـهوه الانتقـام،و هو من جـانب الإفراط،و إذا اشـتد یوجب حرکه عنیفه،یمتلئ لأجلها الـدماغ و الأعصاب من الدخان المظلم،فیستر نور العقل و یضـعف فعله،و لذا لا یؤثر فی صاحبه الوعظ و النصیحه،بل تزیده الموعظه غلظه و شده.قال بعض علماء الأخلاق:«الغضب شعله نار اقتبست من نار

اللّه الموقده،إلا أنها لا تطلع إلا على الأفئده،و إنها لمستكنه فى طى الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد،و تستخرجها حميه الدين من قلوب المؤمنين، أو حميه الجاهليه و الكبر الدفين من قلوب الجبارين،التى لها عرق إلى الشيطان اللعين،حيث قال:

خَلَقْتَنِي مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

(۱)

.

فمن شأن الطين السكون و الوقار،و من شأن النار التلظى و الاستعار».

ثم قوه الغضب تتوجه عند ثورانها إما إلى دفع المؤذيات إن كان قبل وقوعها أو إلى التشفى و الانتقام إن كان بعد وقوعها،فشهوتها إلى أحد هذين الأمرين و لذتها فيه،و لا تسكن إلا به.فإن صدر الغضب على من يقدر أن ينتقم منه،و استشعر باقتداره على الانتقام،انبسط الدم من الباطن إلى الظاهر،و احمر اللون،و هو الغضب الحقيقى.و إن صدر على من لا يتمكن أن ينتقم منه لكونه فوقه،و استشعر باليأس عن الانتقام.انقبض الدم من الظاهر إلى الباطن،و صار حزنا.و إن صدر على من يشك فى الانتقام منه انبسط الدم تاره أو انقبض أخرى،فيحمر و يصفر و يضطرب.

فصل الإفراط و التفريط و الاعتدال فى قوه الغضب

الناس فى هذه القوه على إفراط و تفريط و اعتدال.فالإفراط:أن تغلب هذه الصفه حتى يخرج عن طاعه العقل و الشرع و سياستهما،و لا تبقى له فكره و بصيره.و التفريط:أن يفقد هذه القوه أو تضعف بحيث لا يغضب عما ينبغى الغضب عليه شرعا و عقلا.و الاعتدال:أن يصدر غضبه فيما ينبغى

۱- ۱) الأعراف،الآيه ۱۲.و ص،الآيه:۷۶.

و لا يصدر فى ما لا ينبغى،بحيث يخرج عن سياسه الشرع و العقل،بل يكون تابعا لهما فى الغضب و عدمه،فيكون غضبه و انتقامه بأمرهما.و لا ريب فى أن الاعتدال ليس مذموما،و لا معدودا من الغضب،بل هو من الشجاعه.

و التفريط مذموم معدود من الجبن و المهانه،و ربما كان أخبث من الغضب، إذ الفاقد لهذه القوه لا حميه له،و هو ناقص جدا.و من آثاره عدم الغيره على الحرم و صغر النفس.و الجور،و تحمل الذل من الأخساء،و المداهنه فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الفحشاء.و لذا قيل:«من استغضب فلم يغضب فهو حمار» (۱).و قد وصف اللّه خيار الصحابه بالحميه و الشده،فقال:

أَشِدّٰاءُ عَلَى الْكُفّٰارِ

(۲)

.

و خاطب نبيه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-بقوله:

وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ

(۳)

و الشده و الغلظه من آثار قوه الغضب،ففقد هذه القوه بالكليه أو ضعفها مذموم.و قد ظهر أن الغضب المعدود من الرذائل هو حد الإفراط الذى يخرجه عن مقتضى العقل و الدين،و حد التفريط و إن كان رذيله إلا أنه ليس غضبا،بل هو ضد له معدود من الجبن،و حد الاعتدال فضيله و ضد له و معدود من الشجاعه،فانحصر الغضب بالأول.

ثم الناس كما هم مختلفون فى أصل قوه الغضب،كذلك مختلفون فى حدوثه و زواله سرعه و بطأ،فيكونان فى بعضهم سريعين،و فى بعضهم بطيئين و فى بعضهم يكون أحدهما سريعا و الآخر بطيئا،و فى بعضهم يكون كلاهما

۱- ۱) هذه الكلمه منسوبه للشافعى-على ما فى إحياء العلوم:ج ۳ ص ۱۴۵ و ۱۵۶-

۲- ۲) الفتح،الآيه:۲۹.

۳- ۳) التوبه،الآيه:۷۳.

أو أحدهما متوسطا بين السرعه و البطء.و ما كان من ذلك بإشاره العقل فهو ممدوح معدود من أوصاف الشجاعه،و غير مذموم محسوب من آثار الغضب أو الجبن.

فصل (الغضب)

(الغضب)من المهلكات العظيمه،و ربما أدى إلى الشقاوه الأبديه، من القتل و القطع،و لذا قيل:(إنه جنون دفعى).

قال أمير المؤمنين(ع):

«الحده ضرب من الجنون،لأن صاحبها يندم،فإن لم يندم فجنونه مستحكم» و ربما أدى إلى اختناق الحراره،و يورث الموت فجأه.و قال بعض الحكماء:

«السفينه التى وقعت فى اللجج الغامره،و اضطربت بالرياح العاصفه و غشيتها الأمواج الهائله أرجى إلى الخلاص من الغضبان الملتهب».و قد ورد به الذم الشديده فى الأخبار،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»،

و قال الباقر(ع)، إن هذا الغضب جمره من الشيطان توقد فى قلب ابن آدم،و إن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه و انتفخت أوداجه و دخل الشيطان فيه،فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض،فإن رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك».

و قال الصادق (ع):«و كان أبى(ع)يقول: أى شىء أشد من الغضب؟إن الرجل يغضب فيقتل النفس التى حرم الله،و يقذف المحصنه»

و قال(ع) (۱): «إن الرجل ليغضب فما يرضى أبدا حتى يدخل النار».

و قال الصادق(ع):

ص :۳۲۴

۱- ۱) أى:الباقر-عليه السلام و قد روى هذه الأخبار المذكوره هنا الكافى فى باب الغضب،فروى هذا الخبر عنه-عليه السلام-لا عن الصادق-عليه السلام.

«الغضب مفتاح كل شر».

و قال(ع): «الغضب ممحقه لقلب الحكيم».

و قال(ع): من لم يملك غضبه لم يملك عقله».

ثم مما يلزم الغضب من الآثار المهلكه الذميمه،و الأغراض المضره القبيحه:انطلاق اللسان بالشتم و السب،و إظهار السوء و الشماته بالمساءه و إفشاء الأسرار و هتك الأستار و السخريه و الاستهزاء،و غير ذلك من قبيح الكلام الذى يستحيى منه العقلاء،و توثب الأعضاء بالضرب و الجرح و التمزيق و القتل و تألم القلب بالحقد و الحسد و العداوه و البغض و مما تلزمه الندامه بعد زواله، و عداوه الأصدقاء،و استهزاء الأراذل،و شماته الأعداء،و تغير المزاج، و تألم الروح و سقم البدن،و مكافاه العاجل و عقوبه الآجل.

و العجب ممن توهم أن شده الغضب من فرط الرجوليه،مع أن ما يصدر عن الغضبان من الحركات القبيحه إنما هو أفعال الصبيان و المجانين دون الرجال و العاقلين،كيف و قد تصدر عنه الحركات غير المنتظمه،من الشتم و السب بالنسبه إلى الشمس،و القمر،و السحاب،و المطر،و الريح،و الشجر، و الحيوانات و الجمادات،و ربما يضرب القصعه على الأرض،و يكسر المائده، و يخاطب البهيمه و الجماد كما يخاطب العقلاء،و إذا عجز عن التشفى،ربما مزق ثوبه،و لطم وجهه،و قد يعدو عدو المدهوش المتحير،و ربما اعتراه مثل الغشيه،أو سقط على الأرض لا يطيق النهوض و العدو.و كيف يكون مثل هذه الأفعال القبيحه من فرط الرجوليه

و قد قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «الشجاع من يملك نفسه عند غضبه».

ص :۳۲۵

فصل (إمكان إزاله الغضب و طرق علاجه)

قد اختلف علماء الأخلاق فى إمكان إزاله الغضب بالكليه و عدمه، فقيل:قمع أصل الغضب من القلب غير ممكن،لأنه مقتضى الطبع،إنما الممكن كسر سورته و تضعيفه،حتى لا يشتد هيجانه،و أنت خبير بأن الغضب الذى يلزم إزالته هو الغضب المذموم،إذ غيره مما يكون بإشاره العقل و الشرع ليس غضبا فيه كلامنا،بل هو من آثار الشجاعه،و الاتصاف به من اللوازم،و إن أطلق عليه اسم الغضب أحيانا حقيقه أو مجازا،

كما روى عن أمير المؤمنين (ع)أنه قال: «كان النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لا يغضب للدنيا،و إذا أغضبه الحق لم يصرفه أحد،و لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له». و لا ريب أن الغضب الذى يحصل لرسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لم يكن غضبا مذموما،بل كان غضبا ممدوحا يقتضيه منصب النبوه،و توجيه الشجاعه النبويه.ثم الغضب المذموم ممكن الزوال،و لو لا إمكانه لزوم وجوده للأنبياء و الأوصياء،و لا ريب فى بطلانه.

ثم علاجه يتوقف على أمور،

و ربما حصل ببعضها:

(الأول)إزاله أسبابه المهيجه له،

إذ علاج كل عله بحسم مادتها، و هى:العجب،و الفخر،و الكبر،و الغدر،و اللجاج،و المراء،و المزاح، و الاستهزاء،و التعيير،و المخاصمه،و شده الحرص على فضول الجاه و الأموال الفانيه،و هى بأجمعها أخلاق رديه مهلكه،و لا خلاص من الغضب مع بقائها،فلا بد من إزالتها حتى تسهل إزالته.

(الثانى)أن يتذكر قبح الغضب و سوء عاقبته،

و ما ورد فى الشريعه

من الذم عليه،كما تقدم.

(الثالث)أن يتذكر ما ورد من المدح و الثواب على دفع الغضب فى موارده،

و يتأمل فيما ورد من فوائد عدم الغضب،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من كف غضبه عن الناس كف اللّه تبارك و تعالى عنه عذاب يوم القيامه».

و قول الباقر(ع): «مكتوب فى التوراه:فيما ناجى اللّه به موسى:أمسك غضبك عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبى».

و قول الصادق(ع): «أوحى اللّه تعالى إلى بعض أنبيائه:يا بن آدم!اذكرنى فى غضبك أذكرك فى غضبى،و لا أمحقك فيمن أمحق،و إذا ظلمت بمظلمه فارض بانتصارى لك،فإن انتصارى لك خير من انتصارك لنفسك».

و قوله(ع):

«سمعت أبى يقول: أتى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-رجل بدوى:

فقال:إنى أسكن الباديه،فعلمنى جوامع الكلم.فقال:آمرك ألا تغضب.

فأعاد الأعرابى عليه المسأله ثلاث مرات،حتى رجع الرجل إلى نفسه، فقال:لا أسألك عن شيء بعد هذا،ما أمرنى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-إلا بالخير».

و قوله(ع): «إن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- أتاه رجل،فقال:يا رسول اللّه!علمنى عظه أتعظ بها،فقال له:انطلق و لا تغضب،ثم عاد عليه،فقال له:انطلق و لا تغضب...ثلاث مرات»

و قوله (ع): «من كف غضبه ستر اللّه عورته»... إلى غير ذلك من الأخبار.

(الرابع)ان يتذكر فوائد ضد الغصب،أعنى الحلم و كظم الغيظ،

و ما ورد من المدح عليهما فى الأخبار-كما يأتى-و يواظب على مباشرته و لو بالتكلف،فيتحلم و إن كان فى الباطن غضبانا،و إذا فعل ذلك مده صار عاده مألوفه هنيئه على النفس،فتنقطع عنها أصول الغضب.

(الخامس)

أن يقدم الفكر و الرويه على كل فعل أو قول يصدر عنه،

و يحافظ نفسه من صدور غضب عنه.

(السادس)أن يحترز عن مصاحبه أرباب الغضب،

و الذين يتبجحون بتشفى الغيظ و طاعه الغضب،و يسمون ذلك شجاعه و رجوليه،فيقولون:

نحن لا نصبر على كذا و كذا،و لا نحتمل من أحد أمرا.و يختار مجالسه أهل الحلم،و الكاظمين الغيظ،و العافين عن الناس.

(السابع)أن يعلم أن ما يقع إنما هو بقضاء اللّه و قدره،

و أن الأشياء كلها مسخره فى قبضه قدرته،و أن كل ما فى الوجود من اللّه،و أن الأمر كله للّه،و أن اللّه لا يقدر له ما فيه الخيره،و ربما كان صلاحه فى جوعه،أو مرضه،أو فقره،أو جرحه أو قتله،أو غير ذلك.فإذا علم بذلك غلب عليه التوحيد،و لا يغضب على أحد،و لا يغتاظ عما يرد عليه،إذ يرى-حينئذ- أن كل شىء فى قبضه قدرته أسير،كالقلم فى يد الكاتب.فكما أن من وقع عليه ملك بضرب عنقه لا يغضب على القلم،فكذلك من عرف اللّه و علم أن هذا النظام الجملى صادر منه على وفق الحكمه و المصلحه،و لو تغيرت ذره منه عما هى عليه خرجت عن الأصلحيه،لا يغضب على أحد،إلا أن غلبه التوحيد على هذا الوجه كالكبريت الأحمر و توفيق الوصول إليه من اللّه الأكبر.و لو حصل لبعض المتجردين عن جلباب البدن يكون كالبرق الخاطف،و يرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا،و لو تصور دوام ذلك لأحد لتصور لفرق الأنبياء،مع أن التفاتهم فى الجمله إلى الوسائط مما لا يمكن إنكاره.

(الثامن)أن يتذكر أن الغضب مرض قلب و نقصان عقل،

صادر عن ضعف النفس و نقصانها،لا عن شجاعتها و قوتها،و لذا يكون المجنون أسرع غضبا من العاقل،و المريض أسرع غضبا من الصحيح.و الشيخ الهرم أسرع

غضبا من الشاب،و المرأه أسرع غضبا من الرجل،و صاحب الأخلاق السيئه و الرذائل القبيحه أسرع غضبا من صاحب الفضائل.فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمه،و البخيل يغاظ لبخله إذا فقد الحبه،حتى يغضب لقد أدنى شيء على أعزه أهله و ولده.و النفس القويه المتصفه بالفضيله أجل شأنا من أن تتغير و تضطرب لمثل هذه الأمور،بل هى كالطود الشاهق و لا تحركه العواصف،

و لذا قال سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ليس الشديد بالصرعه،إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب». و إن شككت فى ذلك فافتح عينيك و انظر إلى طبقات الناس الموجودين،ثم ارجع إلى كتب السير و التواريخ،و استمع إلى حكايات الماضين،حتى تعلم:أن الحلم و العفو و كظم الغيظ شيمه الأنبياء و الحكماء و أكابر الملوك و العقلاء،و الغضب خصله الجهله و الأغبياء.

(التاسع)أن يتذكر أن قدره اللّه عليه أقوى و أشد من قدرته

على هذا الضعيف الذى يغضب عليه،و هو أضعف فى جنب قوته القاهره بمراتب غير متناهيه من هذا الضعيف فى جنب قوته،فليحذر،و لم يأمن إذا أمضى غضبه عليه أن يمضى اللّه عليه غضبه فى الدنيا و الآخره،

و قد روى: «أنه ما كان فى بنى إسرائيل ملك إلا و معه حكيم،إذا غضب أعطاه صحيفه فيها:(ارحم المساكين،و اخش الموت،و اذكر الآخره)،فكان يقرأها حتى يسكن غضبه»

و فى بعض الكتب الإلهيه: «يا ابن آدم!اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب،فلا امحقك فيمن أمحق» (۱).

ص: ۳۲۹

---

۱ – ۱) روى الكافى فى باب الغضب نفس هذا الحديث عن الصادق-عليه السلام-بهذه العباره:«أن فى التوراه مكتوبا:يا بن آدم:اذكرنى حين تغضب أذكرك عند غضبى،فلا امحقك فيمن أمحق...»و قد تقدم مثله ص ۲۹۱.

(العاشر)

أن يتذكر أن من يمضى عليه غضبه ربما قوى و تشمر لمقابلته و جرد عليه لسانه بإظهار معائبه و الشماته بمصائبه،و يؤذيه فى نفسه و أهله و ماله و عرضه.

(الحادى عشر)أن يتفكر فى السبب الذى يدعوه إلى الغيظ و الغضب

فإن كان خوف الذله و المهانه و الاتصاف بالعجز و صغر النفس عند الناس، فليتنبه أن الحلم و كظم الغيظ و دفع الغضب عن النفس ليست ذله و مهانه، و لم يصدر من ضعف النفس و صغرها،بل هو من آثار قوه النفس و شجاعتها و أضدادها تصدر من نقصان النفس و خورها.فدفع الغضب عن نفسه لا يخرجه من كبر النفس فى الواقع،و لو فرض خروجه به منه فى أعين جهله الناس فلا يبالى بذلك،و يتذكر أن الاتصاف بالذله و الصغر عند بعض أراذل البشر أولى من خزى يوم المحشر و الافتضاح عند اللّه الملك الأكبر، و إن كان السبب خوف أن يفوت منه شىء مما يحبه،فليعلم أن ما يحبه و يغضب لفقده إما ضرورى لكل أحد،كالقوت و المسكن و اللباس و صحه البدن، و هو الذى أشار إليه سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم

-بقوله: «من أصبح آمنا فى سربه،معافى فى بدنه،و له قوت يومه،فكأنما خيرت له الدنيا بحذافيرها» .أو غير ضرورى لأحد،كالجاه و المنصب و فضول الأموال.

او ضرورى لبعض الناس دون بعض،كالكتاب للعالم،و أدوات الصناعات لأربابها.و لا ريب أن كل ما ليس من هذه الأقسام ضروريا فلا يليق أن يكون محبوبا عند أهل البصيره و ذوى المروات،إذ ما لا يحتاج إليه الإنسان فى العاجل لا بد له من تركه فى الآجل،فما بال العاقل أن يحبه و يغضب لفقده و إذا علم ذلك لم يغضب على فقد هذا القسم البته.و أما ما هو ضرورى للكل أو البعض،و إن كان الغضب و الحزن من فقده مقتضى الطبع لشده الاحتياج

إلیه،إلا أن العاقل إذا تأمل یجد أن ما فقد عنه من الأشیاء الضروریه إن أمکن رده و الوصول إلیه یمکن ذلک بدون الغیظ و الغضب أیضا،و إن لم یمکن لم یمکن معهما أیضا.و علی أی حال بعد التأمل یعلم أن الغضب لا ثمره له سوی تألم العاجل و عقوبه الآجل،و حینئذ لا یغضب،و إن غضب یدفعه عن نفسه بسهوله.

(الثانی عشر)أن یعلم أن اللّه یحب منه ألا یغضب،

و الحبیب یختار البته ما یحب محبوبه،فإن کان محبا للّه فلیطفئ شده حبه له غضبه.

(الثالث عشر)أن یتفکر فی قبح صورته و حرکاته عند غضبه،

بأن یتذکر صوره غیره و حرکاته عند الغضب.

تتمیم

اعلم أن بعض المعالجات المذکوره یقتضی قطع أسباب الغضب و حسم مواده،حتی لا یهیج و لا یصدر،و بعضها یکسر سورته أو یدفعه إذا صدر و هاج.و من علاجه عند الهیجان الاستعاذه من الشیطان،و الجلوس إن کان قائما،و الاضطجاع إن کان جالسا،و الوضوء أو الغسل بالماء البارد،و إن کان غضبه علی ذی رحم فلیدن منه و لیمسه،فإن الرحم إذا مست سکنت، کما ورد فی الأخبار (1).

وصل (فضیله الحلم و کظم الغیظ)

قد عرفت أن الحلم هو طمأنینه النفس،بحیث لا یحرکها الغضب بسهوله و لا یزعجه المکروه بسرعه،فهو الضد الحقیقی للغضب،لأنه المانع من حدوثه

1- 1) روی ذلک فی الکافی فی باب الغضب عن الباقر-علیه السلام-.

و بعد هیجانه لما کان کظم الغیظ مما یضعفه و یدفعه،فمن هذه الحیثیه یکون کظم الغیظ أیضا ضدا له.فنحن نشیر إلی فضیله الحلم و شرافته،ثم إلی فوائد کظم الغیظ و منافعه،لیجتهد طالب إزاله الغضب فی الاتصاف بالأول فلا یحدث فیه أصلا،و بالثانی،فیدفعه عند هیجانه.فنقول:

أما(الحلم)

فهو أشرف الکمالات النفسانیه بعد العلم،بل لا ینفع العلم بدونه أصلا،و لذا کلما یمدح العلم أو یسأل عنه یقارن به،

قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «اللهم أغننی بالعلم و زینی بالحلم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «خمس من سنن المرسلین.و عد منها الحلم.

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ابتغوا الرفعه عند اللّه».قالوا:و ما هی یا رسول اللّه!؟قال:«تصل من قطعک،و تعطی من حرمک،و تحلم عمن جهل علیک».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم: «إن الرجل المسلم لیدرک بالحلم درجه الصائم القائم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن اللّه یحب الحی الحلیم،و یبغض الفاحش البذی».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ثلاث من لم تکن فیه واحده منهن فلا تعتدوا بشیء من عمله:

تقوی تحجزه عن معاصی اللّه،و حلم یکف به السفیه،و خلق یعیش به فی الناس».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إذا جمع الخلائق یوم القیامه نادی مناد:أین أهل الفضل؟فیقوم ناس-و هم یسیر-فینطلقون سراعا إلی الجنه،فتتلقاهم الملائکه فیقولون:إنا نراکم سراعا إلی الجنه؟فیقولون نحن أهل الفضل.فیقولون:ما کان فضلکم؟فیقولون:کنا إذا ظلمنا صبرنا و إذا أسیء إلینا عفونا،و إذا جهل علینا حلمنا.فقال لهم:ادخلوا الجنه فنعم أجر العاملین».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ما أعز اللّه بجهل قط، و لا أذل بحلم قط».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «لیس الخیر أن یکثر مالک

و ولدک،و لکن الخیر أن یکثر علمک و یعظم حلمک».

و قال علی بن الحسین -علیهما السلام-: «إنه لیعجبنی الرجل أن یدرکه حلمه عند غضبه»

و قال الصادق-علیه السلام-: «کفی بالحلم ناصرا».

و قال علیه السلام: «و إذا لم تکن حلیما فتحلم».

و قال علیه السلام: «إذا وقع بین رجلین منازعه نزل ملکان،فیقولان للسفیه منهما:قلت و قلت و أنت أهل لما قلت،و ستجزی بما قلت،و یقولان للحلیم منهما:صبرت و حلمت سیغفر لک إن أتممت ذلک.

قال علیه السلام:فان رد الحلیم علیه ارتفع الملکان».

و بعث علیه السلام غلاما له فی حاجه فأبطأ،فخرج علی أثره فوجده نائما،فجلس عند رأسه یروحه حتی انتبه،فقال له:«یا فلان!و اللّه ما ذلک لک!تنام اللیل و النهار لک اللیل و لنا منک النهار».

و قال الرضا-علیه السلام-: «لا یکون الرجل عابدا حتی یکون حلیما».

و اما(کظم الغیظ)

-فهو و إن لم یبلغ مرتبه الحلم فضیله و شرافه،لأنه التحلم:أی تکلف الحلم،إلا أنه إذا واظب علیه حتی صار معتادا تحدث بعد ذلک صفه الحلم الطبیعی،بحیث لا یهیج الغیظ حتی یحتاج إلی کظمه،

و لذا قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إنما العلم بالتعلم و الحلم بالتحلم» فمن لم یکن حلیما بالطبع لا بد له من السعی فی کظم الغیظ عند هیجانه،حتی تحصل له صفه الحلم.و قد مدح اللّه سبحانه کاظمی الغیظ فی محکم کتابه، و تواترت الأخبار علی شرافته و عظم أجره،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من کظم غیظا و لو شاء أن یمضیه أمضاه،ملأ اللّه قلبه یوم القیامه رضا»

(۱)

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ما جرع عبد جرعه أعظم أجرا من جرعه غیظ کظمها ابتغاء وجه اللّه تعالی»:

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن لجهنم بابا لا یدخله إلا من شفی غیظه بمعصیه اللّه تعالی».

١- ١) روى الحديث الكافى فى باب كظم الغيظ عن أبى عبد اللّه-عليه السلام-

و قـال-صـلی اللّه علیه و آله و سـلم-: «من کظم غیظـا و هو یقـدر علی أن ینفـذه دعاه اللّه یوم القیامه علی رءوس الخلائق،حتی یخیر من أی الحور شاء» (۱)

و قال-صـلی اللّه علیه و آله و سـلم-: «من أحب السبیل (۲)إلی اللّه تعالی جرعتان:جرعه غیظ یردها بحلم.و جرعه مصیبه یردها بصبر».

و قال سید الساجدین علیه السلام: «و ما تجرعت جرعه أحب إلی من جرعه غیظ لا أکافی بها صاحبها».

و قال الباقر-علیه السلام-: «من کظم غیظا و هو یقدر علی إمضائه،حشا اللّه تعالی قلبه أمنا و إیمانا یوم القیامه».

و قال-علیه السـلام- لبعض ولده (۳): «یـا بنی!مـا من شـیء أقر لعین أبیک من جرعه غیظ عاقبتها صبر و ما یسرنی أن لی بـذل نفسی حمر النعم».

و قال الصادق-علیه السلام- «نعم الجرعه الغیظ لمن صبر علیها.فإن عظیم الأجر البلاء.و ما أحب اللّه قوما إلا ابتلاهم».

و قال-علیه السلام-: «ما من عبد کظم غیظا إلا زاده اللّه -عز و جل-عزا فی الدنیا و الآخره.و قد قال اللّه-عز و جل-:

وَ الْکاظِمِینَ الْغَیْظَ وَ الْعافِینَ عَنِ النّاسِ وَ اللّهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ

(۴)

۱- ۱) صـححنا هذا الحدیث علی ما فی البحار(الجزء الثانی من المجلد ۱۵- فی باب الحلم)رواه عن جامع الأخبار للشیخ الجلیل الحسن بن فضل الطبرسی و فیه اختلاف کثیر عما فی نسخ جامع السعادات.

۲- ۲) کذا وجدنا الحدیث فی البحار و الکافی و نسخ جامع السعادات.و الظاهر أن الأصح(السبل).

۳- ۳) فی الکـافی فی بـاب کظم الغیـظ روی هـذا الحـدیث هکـذا:«عن أبی جعفر -علیه السـلام-قـال:قال لی أبی:یا بنی!ما من شیء...»إلی آخر الحدیث فالقائل هو سید الساجدین لا الباقر-علیهما السلام-.

۴- ۴) آل عمران.الآیه:۱۳۴

و أثابه اللّه مكان غيظه ذلک».

و قال أبو الحسن الأول-علیه السلام-:

«اصبر علی أعداء النعم،فإنک لن تکافی من عصی اللّه فیک بأفضل من أن تطیع اللّه فیه».

و منها:

الانتقام

بمثل ما فعل به،أو بالأزید منه-و إن کان محرما ممنوعا من الشریعه- و هو من نتائج الغضب،إذ کل انتقام لیس جائزا،فلا یجوز مقابله الغیبه بالغیبه،و الفحش بالفحش،و البهتان بالبهتان،و السعایه إلی الظلمه بمثلها.

و هکذا فی سائر المحرمات.

قال سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«إن امرؤ عیرک بما فیک فلا تعیره بما فیه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «المستبان شیطانان یتهاتران».

و قد ورد. أن رجلا شتم أبا بکر بحضره النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-و هو ساکت،فلما ابتدأ لینتصر منه،قام رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-و قال مخاطبا له:«إن الملک کان یجیب عنک،فلما تکلمت ذهب الملک و جاء الشیطان،فلم أکن لأجلس فی مجلس فیه الشیطان».

فکل فعل أو قول یصدر من شخص بالنسبه إلی غیره ظلما،إن کان له فی الشرع قصاص و غرامه،فیجب ألا یتعدی عنه،و إن کان العفو عن الجائر أیضا أفضل و أولی و أقرب إلی الورع و التقوی،و إن لم یرد له بخصوصه من الشرع حکومه معینه،وجب أن یقتصر فی الانتقام و ما یحصل به التشفی علی ما لیس فیه حرمه و لا کذب،مثل أن یقابل الفحش و الذم و غیرهما من الأذایا التی لم یقدر لها فی الشرع حکومه معینه،بقوله:یا قلیل الحیاء و یا سیء الخلق!و یا صفیق الوجه!...و أمثال ذلک،إذا کان متصفا بها و مثل

قوله:جزاك اللّه و انتقم منك!و من أنت؟و هل أنت إلا من بنى فلان؟ و مثل قوله:يا جاهل!و يا أحمق!.و هذا ليس فيه كذب مطلقا،إذ ما من أحد إلا و فيه جهل و حمق،(أما الأول)فظاهر،(و أما الثانى)فلما ورد من أن الناس كلهم حمقى فى ذات اللّه.

و الدليل على جواز هذا القدر من الانتقام،

قول النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم- «المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يتعدى المظلوم» (۱).

و قول الكاظم عليه السلام فى رجلين يتسابان:«البادئ منهما أظلم،و وزره و وزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم» (۲). و هما يدلان على جواز الانتصار لغير البادئ من دون وزر ما لم يتعد،و معلوم أن المراد بالسب فيهما أمثال الكلمات المذكوره دون الفحش و الكلمات الكاذبه،و لا ريب فى أن الاقتصار على مجرد ما وردت به الرخصه بعد الشروع فى الجواب مشكل،و لعل السكوت عن أصل الجواب و حواله الانتقام إلى رب الأرباب أيسر و أفضل.ما لم يؤد إلى فتور الحميه و الغيره،إذ أكثر الناس لا يقدر على ضبط نفسه عند فور الغضب.لاختلاف حالهم فى حدوث الغضب و زواله.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى،منهم بطىء الغضب سريع الفىء.و منهم سريع الغضب سريع الفىء فتلك بتلك.و منهم سريع الغضب بطىء الفىء،و منهم بطىء الغضب بطىء الفىء.ألا و إن خيرهم البطىء الغضب السريع الفىء،و شرهم السريع الغضب البطىء الفىء»

و قد ورد فى خبر آخر: «إن المؤمن سريع الغضب سريع الرضا،فهذه بتلك»

۱- ۱) صححنا الحديث على ما فى إحياء العلوم(ج ۳ ص ۱۰۶)و على نسختنا الخطيه و فى المطبوعه:«حتى يعتذر إلى المظلوم».

۲- ۲) صححنا الحديث على ما فى أصول الكافى فى باب السفه و فى نسختنا الخطيه و المطبوعه:«ما لم يعتذر إلى المظلوم».

ثم طریق العلاج فی ترک الانتقام:أن یتنبه علی سوء عاقبته فی العاجل و الآجل،و یتذکر فوائد ترکه،و یعلم أن الحواله إلی المنتقم الحقیقی أحسن و أولی،و أن انتقامه أشد و أقوی،ثم یتأمل فی فوائد العفو و فضیلته، کما یأتی،

وصل (العفو)

ضد الانتقام(العفو)،و هو إسقاط ما یستحقه من قصاص أو غرامه، ففرقه عن الحلم و کظم الغیظ ظاهر،و الآیات و الأخبار فی مدحه و حسنه أکثر من أن تحصی،قال اللّه تعالی سبحانه:

خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ

(۱)

و قال:

وَ لْیَعْفُوا وَ لْیَصْفَحُوا

(۲)

.و قال: وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْویٰ (۳)

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ثلاث و الذی نفسی بیده إن کنت حالفا لحلفت علیهن:ما نقصت صدقه من مال فتصدقوا، و لا عفا رجل من مظلمه یبتغی بها وجه اللّه إلا زاده اللّه بها عزا یوم القیامه، و لا فتح رجل علی نفسه باب مسأله إلا فتح اللّه علیه باب فقر».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «العفو لا یزید العبد إلا عزا،فاعفوا یعزکم اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-لعقبه:«أ لا أخبرک بأفضل أخلاق أهل

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۹۹.

۲- ۲) النور،الآیه:۲۲.

۳- ۳) البقره،الآیه:۲۳۷.

الدنيا و الآخره:تصل من قطعک و تعطی من حرمک.و تعفو عمن ظلمک» (1)

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «قال موسی،یا رب!أی عبادک أعز علیک؟قال:الذی إذا قدر عفی».

و قال سید الساجدین(ع) «إذا کان یوم القیامه،جمع اللّه الأولین و الآخرین فی صعید واحد،ثم ینادی مناد،أین أهل الفضل؟قال:فیقوم عنق من الناس،فتلقاهم الملائکه،فیقولون:و ما فضلکم؟فیقولون،کنا نصل من قطعنا،و نعطی من حرمنا،و نعفو عمن ظلمنا،قال:فیقال لهم:صدقتم،ادخلوا الجنه».

و قال الباقر(ع): «الندامه علی العفو أفضل و أیسر من الندامه علی العقوبه».

و قال الصادق(ع):

«ثلاث من مکارم الدنیا و الآخره:تعفو عمن ظلمک...إلی آخر الحدیث.

و قال أبو الحسن(ع) «ما التقت فئتان قط إلا نصر أعظمهما عفوا». و کفی للعفو فضلا و شرافه أنه من أجمل الصفات الإلهیه،و قد یمدح اللّه تعالی به فی مقام الخضوع و التذلل،

قال سید الساجدین(ع):

أنت الذی سمیت نفسک بالعفو،فاعف عنی»

.

و قال(ع)، «أنت الذی عفوه أعلی من عقابه».

و منها:

العنف

و هو الغلظه و الفظاظه فی الأقوال أو الحرکات أیضا،و هو من نتائج الغضب،و ضده(الرفق)،أی اللین فیهما،و هو من نتائج الحلم.و لا ریب فی أن الغلظه فی القول و الفعل ینفر الطباع و یؤدی إلی اختلال أمر المعاش و المعاد،و لذلک نهی اللّه-سبحانه-نبیه عنه فی مقام الإرشاد،و قال:

١- ١) فی أصول الکافی فی باب العفو:«أ لا أدلکم علی خیر أخلاق الدنیا و الآخره تصل من قطعک...»إلی آخر الحدیث.

وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

(۱)

.

و روی عن سلمان:«أنه قال: إذا أراد اللّه تعالی هلاک عبد نزع منه الحیاء،فإذا نزع منه الحیاء،لم یلقه إلا خائنا مخوفا،و إذا کان خائنا مخوفا نزعت منه الأمانه،فإذا نزعت منه الأمانه لم یلقه إلا فظا غلیظا،فإذا کان فظا غلیظا نزعت منه ربقه الإیمان،فإذا نزعت منه ربقه الإیمان لم یلقه إلا شیطان ملعونا».

و یظهر من هذا الکلام أن من کان من أهل الغلظه و الفظاظه فهو الشیطان حقیقه،فیجب علی کل عاقل أن یجتنب عن ذلک کل الاجتناب،و یقدم التروی علی کل ما یصدر عنه من القول و الفعل،لیحافظ نفسه عن التعنف و الغلظه فیه،و یتذکر ما ورد فی فضیله الرفق،و یرتکبه فی حرکاته،و لو بالتکلف،إلی أن یصیر ملکه،و تزول عن نفسه آثار العنف بالکلیه.

وصل (فضیله الرفق)

الأخبار فی فضیله الرفق و فوائده أکثر من أن تحصی،و نحن نشیر إلی شطر منها هنا،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لو کان الرفق خلقا یری،ما کان فیما خلق اللّه شیء أحسن منه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-، «إن الرفق لم یوضع علی شیء إلا زانه،و لا ینزع من شیء إلا شانه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-، «لکل شیء قفل،و قفل الإیمان الرفق».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن اللّه رفیق یحب

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۵۹.

الرفیق،و یعطی علی الرفق ما لا یعطی علی العنف» (۱).

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-، «ما اصطحب اثنان إلا کان أعظمهما أجرا و أحبهما إلی اللّه تعالی،أرفقهما بصاحبه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-، «الرفق یمن، و الخرق شؤم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من کان رفیقا فی أمره نال ما یریده من الناس».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إذا أحب اللّه أهل بیت أدخل علیهم الرفق».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-، «من أعطی حظه من الرفق أعطی حظه من خیر الدنیا و الآخره،و من حرم حظه من الرفق حرم حظه من الدنیا و الآخره».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إذا أحب اللّه عبدا أعطاه الرفق،و من یحرم الرفق یحرم الخیر کله».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «أ تدرون من یحرم علی النار کل هین لین سهل قریب».

و قال الکاظم(ع): «الرفق نصف العیش».

و قال(ع) لمن جری بینه و بین رجل من القوم کلام:«إرفق بهم،فإن کفر أحدکم فی غضبه،و لا خیر فیمن کان کفره فی غضبه».

ثم التجربه شاهده بأن إمضاء الأمور و إنجاح المقاصد موقوف علی الرفق و اللین مع الخلائق،فکل ملک کان رفیقا بجنده و رعیته انتظم أمره و دام ملکه،و إن کان فظا غلیظا اختل أمره و انفض الناس من حوله،و زال ملکه و سلطانه فی أسرع زمان.و قس علیه غیره من طبقات الناس من العلماء و الأمراء و غیرهما،من ذوی المناصب الجلیله،و أرباب المعامله و المکاسبه، و أصحاب الصنایع و الحرف.

ص: ۳۴۰

۱- ۱) روی هذان الحدیثان فی أصول الکافی،فی باب الرفق،عن أبی جعفر الباقر-علیهما السلام-.

تكمله (المداراه)

(المداراه):قريب من الرفق معنى،لأنها ملائمه الناس،و حسن صحبتهم،و احتمال أذاهم،و ربما فرق بينهما باعتبار تحمل الأذى فى المداراه دون الرفق،و قد ورد فى مدحها و فوائدها الدنيويه و الأخرويه أخبار كثيره

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «المداراه نصف الإيمان» ،

و قوله -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ثلاث من لم يكن فيه لم يتم عمله:ورع يحجزه عن معاصى اللّه،و خلق يدارى به الناس،و حلم يرد به جهل الجاهل،

و قوله -صلى اللّه عليه و آله و سلم-، «أمرنى ربى بمداراه الناس كما أمرنى بأداء الفرائض».

و قول الباقر(ع): «فى التوراه مكتوب:فيما ناجى اللّه عز و جل-به موسى بن عمران(ع):يا موسى!اكتم مكتوم سرى فى سريرتك و أظهر فى علانيتك المداراه عنى لعدوى و عدوك من خلقى...إلى آخر الحديث» (۱).

و قول الصادق(ع): «جاء جبرئيل إلى النبى(ص)فقال:

يا محمد!ربك يقرئك السلام،و يقول:دار خلقى».

و قوله(ع): «إن قوما من الناس قلت مداراتهم للناس فنفوا (۲)من قريش،و أيم اللّه ما كان

---

۱ - ۱) و تمام الحديث فى أصول الكافى فى باب المداراه:«و لا تستسب لى عندهم بإظهار مكتوم سرى،فتشرك عدوى و عدوك فى سبى».قال فى الوافى،«و لا تستسب لى:أى لا تطلب سبى،فان من لم يفهم السر يسب من تكلم به،فتشرك:أى تكون شريكا له،لانك أنت الباعث له عليه.

۲ - ۲) هكذا فى النسخه المطبوعه.و فى بعض نسخ الكافى المصححه«فانفوا»، و فى بعضها«فالقوا».قال فى الوافى،«فانفوا»،كأنه صيغه مجهول من الأنفه بمعنى الاستنكاف،إذا لم يأت الإنفاء بمعنى النفى.و فى بعض النسخ،فألقوا من الإلقاء،و لعله الأصح».

بإحسابهم بأس،و إن قوما من غير قريش حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع... ثم قال:من كف يده عن الناس،فإنما يكف عنهم يدا واحده و يكفون عنه أيدى كثيره».

و منها:

سوء الخلق بالمعنى الأخص

و هو التضجر،و انقباض الوجه،و سوء الكلام،و أمثال ذلك.و هو أيضا من نتائج الغضب،كما أن ضده-أعنى(حسن الخلق بالمعنى الأخص) و هو أن تلين جناحك،و تطيب كلامك،و تلقى أخاك ببشر حسن-من نتائج الحلم،و أكثر ما يطلق سوء الخلق و حسنه فى الأخبار يراد به هذا المعنى و لا ريب فى أن سوء الخلق مما يبعد صاحبه عن الخالق و الخلق،و التجربه شاهده بأن الطباع متنفره عن كل سيء الخلق،و يكون دائما أضحوكه للناس و لا ينفك لحظه عن الحزن و الألم،

و لذا قال الصادق(ع): «من ساء خلقه عذب نفسه»، و قد يعتريه لأجله الضرر العظيم.هذا كله مع سوء عاقبته فى الآخره و أدائه إلى العذاب الأبدى،و لذا ورد به الذم الشديد من الشريعه

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لما خلق اللّه الإيمان قال:

اللهم قونى،فقواه بحسن الخلق و السخاء.و لما خلق اللّه الكفر قال:اللهم قونى،فقواه بالبخل و سوء الخلق».

و روى أنه قيل له-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:«إن فلانه تصوم النهار و تقوم الليل و هى سيئه الخلق تؤذى جيرانها بلسانها.قال:لا خير فيها!هى من أهل النار».

و عنه-صلى اللّه

علیه و آله و سلم- «سوء الخلق یفسد العمل کما یفسد الخل العسل (۱).

و عنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن العبد لیبلغ من سوء خلقه أسفل درک جهنم».

و عنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «أبی اللّه لصاحب الخلق السیء بالتوبه،قیل فکیف ذاک یا رسول اللّه!؟قال:«لأنه إذا تاب من ذنب وقع فی ذنب أعظم منه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «سوء الخلق ذنب لا یغفر».

و قال الإمام جعفر بن محمد-علیهما السلام-: «إذا خلق اللّه العبد فی أصل الخلق کافرا لم یمت حتی یحبب اللّه إلیه الشر،فیقرب منه.فابتلاه بالکبر و الجبروت،فقسی قلبه،و ساء خلقه،و غلظ وجهه، و ظهر فحشه،و قل حیاؤه،و کشف اللّه تعالی ستره،و رکب المحارم و لم ینزع عنها،ثم رکب معاصی اللّه،و أبغض طاعته،و وثب علی الناس لا یشبع من الخصومات،فاسألوا اللّه العافیه و اطلبوها منه». و قال بعض الأکابر:«لئن یصحبنی فاجر حسن الخلق أحب إلی من أن یصحبنی عابد سیء الخلق».

و طرق العلاج فی إزالته:أن یتذکر أولا أنه یفسد آخرته و دنیاه، و یجعله ممقوتا عند الخالق و الخلق،فیعد نفسه لإزالته،ثم یقدم التروی و التفکر عند کل حرکه و تکلم،فیحفظ نفسه عنده-و لو بالتحمل و التکلف- من صدور سوء الخلق،و یتذکر ما ورد فی مدح حسن الخلق الذی هو ضده -کما یأتی-و یواظب حتی تزول علی التدریج آثاره بالکلیه.

وصل (طرق اکتساب حسن الخلق)

قد عرفت أن ضد هذه الرذیله(حسن الخلق بالمعنی الأخص)،فمن

۱- ۱) روی هذا الحدیث أصول الکافی فی باب سوء الخلق عن الصادق-علیه السلام-و لکن جاء فیه«لیفسد العمل»بدل«یفسد العمل».

معالجاتها أن يواظب عليه حتى ترتفع آثارها بالكليه.و أقوى البواعث على اكتسابه و المواظبه عليه أن يتذكر ما يدل على شرافته و مدحه عقلا و نقلا:

أما حكم العقل على مدحه فظاهر لا يحتاج إلى بيان،و أما النقل فالأخبار التى وردت به أكثر من أن تحصى،و نحن نورد شطرا منها تذكره لمن أراد أن يتذكر،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما يوضع فى ميزان امرئ يوم القيامه أفضل من حسن الخلق»

و قال: «يا بنى عبد المطلب!إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم.فالقوهم بطلاقه الوجه،و حسن البشر».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه استخلص هذا الدين لنفسه،و لا يصلح لدينكم إلا السخاء و حسن الخلق،ألا فزينوا دينكم بهما».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «حسن الخلق خلق اللّه الأعظم».

و قيل له-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:أى المؤمنين أفضلهم إيمانا؟قال:«أحسنهم خلقا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «إن أحبكم إلى و أقربكم منى مجلسا يوم القيامه أحسنكم خلقا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ثلاث من لم يكن فيه واحده منهن فلا يعتد بشىء من عمله:تقوى تحجزه عن محارم اللّه و حلم يكف به السيئه،و خلق يعيش به فى الناس».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن الخلق الحسن يميت الخطيئه،كما تميت الشمس الجليد (۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخره و أشرف المنازل،و إنه يضعف العباده».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لأم حبيبه: «إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا و الآخره

---

۱ - ۱) روى هذا الحديث فى الكافى فى باب حسن الخلق عن أبى عبد اللّه الصادق-عليه السلام،و فى نهايه ابن الأثير:فى الحديث:حسن الخلق يذيب الخطيئه كما تذيب الشمس الجليد»،و يذيب بمعنى يميت.

و قال لها-بعد ما سألته إن المرأه يكون لها زوجان فی الدنيا فتموت و يموتان و يدخلان الجنه لا يهما هی؟-:«إنها لأحسنهما خلقا».

و قال صلی اللّه عليه و آله و سلم-: «إن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجه الصائم القائم» (۱).

و قال-صلی اللّه عليه و آله و سلم-: «أكثر ما يلج به أمتی الجنه تقوی اللّه و حسن الخلق».

و قال-صلی اللّه عليه و آله و سلم-: «أفضلكم أحسنكم أخلاقا،الموطئون أكنافا (۲)الذين يألفون و يؤلفون».

و قال أمير المؤمنين (ع): «المؤمن مألوف،و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف». و لا ريب فی أن سیء الخلق تتنفر عنه الطباع،فلا يكون مألوفا.

و قال الإمام أبو جعفر الباقر-عليهما السلام-: «إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»،

و قال (ع): «أتی رجل رسول اللّه،فقال:يا رسول اللّه!أوصنی فكان فيما أوصاه أن قال:(الق أخاك بوجه منبسط)»

و قال الصادق(ع): «ما يقدم المؤمن علی اللّه-عز و جل-بعمل بعد الفرائض أحب إلی اللّه تعالی من أن يسع الناس بخلقه»

و قال(ع): «البر و حسن الخلق يعمران الديار و يزيدان فی الأعمار».

و قال(ع): «إن اللّه تبارك و تعالی ليعطی العبد من الثواب علی حسن الخلق كما يعطی المجاهد فی سبيل اللّه يغدو عليه و يروح».

و قال(ع):

«ثلاث من أتی اللّه بواحده منهن أوجب اللّه له الجنه:الإنفاق من إقتار، و البشر لجميع العالم،و الإنصاف من نفسه».

و قال(ع): «صنايع المعروف و حسن البشر يكسبان المحبه و يدخلان الجنه،و البخل و عبوس الوجه يبعدان من اللّه و يدخلان النار».

۱- ۱) هذا الحديث مروی فی الكافی فی باب حسن الخلق عن أبی عبد اللّه-عليه السلام-

۲- ۲) قال المبرد فی الكامل ص ۳:«قوله-صلی اللّه عليه و آله و سلم-:الموطؤن أكنافا،مثل،و حقيقته:أن التوطئه هی التذليل و التمهيد...فأراد القائل بقوله:موطأ الأكناف،أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذی و لا ناب به موضعه

و من تأمل فی هذه الأخبار،و رجع إلی الوجدان و التجربه،و تذکر أحوال الموصوفین بسوء الخلق و حسنه،یجد أن کل سیء الخلق بعید من اللّه و من رحمته،و الناس یبغضونه و یشمئزون منه،و لذا یحرم من برهم و صلتهم و کل حسن الخلق محبوب عند اللّه و عند الناس،فلا یزال محلا لرحمه اللّه و فیوضاته،و مرجعا للمؤمنین بإیصال نفعه و خیره إلیهم،و إنجاح مقاصده و مطالبه منهم،و لذلک لم یبعث اللّه سبحانه نبیا إلا و أتم فیه هذه الفضیله، بل هی أفضل صفات المرسلین و أشرف أعمال الصدیقین،و لذا قال اللّه تعالی لحبیبه مثنیا علیه و مظهرا نعمته لدیه.

وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ

(۱)

و لعظم شرافته بلغ رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فیه ما بلغ من غایته،و تمکن علی ذروته و نهایته،

حتی ورد: بینا رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-ذات یوم جالس فی المساجد،اذ جاءت جاریه لبعض الأنصار و هو قائم (۲)فأخذت بطرف ثوبه،فقام لها النبی(ص)فلم تقل شیئا و لم یقل لها النبی(ص)شیئا،حتی فعلت ذلک ثلاث مرات،فقام لها النبی(ص)فی الرابعه،و هی خلفه،فأخذت هدبه من ثوبه ثم رجعت.فقال لها الناس:

فعل اللّه بک و فعل! (۳)حبست رسول اللّه ثلاث مرات لا تقولین له شیئا و لا هو یقول لک شیئا!ما کانت حاجتک إلیه؟قالت:إن لنا مریضا فأرسلنی

۱- ۱) القلم،الآیه:۴.

۲- ۲) قال فی البحار-ج ۱۵ فی باب حسن الخلق ص ۲۰۷-:«حال عن بعض الأنصار»أی ان القائم هذا البعض صاحب الجاریه لا النبی-صلی اللّه علیه و آله

۳- ۳) قال فی البحار-فی الموضع المتقدم-:«کنایه عن کثره الدعاء علیها بإیذائها النبی-صلی اللّه علیه و آله-و هذا شائع فی عرف العرب و العجم».

أهلی لآخذ هدبه من ثوبه یستشفی (۱)بها.فلما أردت أخذها رآنی فقام، استحییت أن آخذها و هو یرانی،و أکره أن استأمره فی أخذها،فأخذتها» (۲).

و منها:

الحقد

و قد عرفت أنه إضمار العداوه فی القلب،و هو من ثمره الغضب،لأن الغضب إذا لزم کظمه لعجز عن التشفی فی الحال،رجع إلی الباطن و احتقن فیه فصار حقدا،و هو من المهلکات العظیمه.

و قد قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «المؤمن لیس بحقود». و الغالب أن الحقد یلزمه من الآفات:

الحسد،و الهجره،و الانقطاع عن المحقود،و إیذاؤه بالضرب،و التکلم فیه بما لا یحل:من الکذب،و الغیبه،و البهتان،و إفشاء السر،و هتک الستر، و إظهار العیوب،و الشماته بما یصیبه من البلاء و السرور به،و الانبساط بظهور عثراته و هفواته،و المحاکاه عنه بالاستهزاء و السخریه،و الإعراض عنه استصغارا له،و منع حقوقه من دین أو رد مظلمه أو صله رحم.و کل ذلک حرام یؤدی إلی فساد الدین و الدنیا.و أضعف مراتبه أن یحترز عن الآفات المذکوره،و لا یرتکب لأجله ما یعصی اللّه به،و لکن یستثقله بالباطن،و لا ینتهی قلبه عن بغضه.

۱- ۱) قال فی البحار-فی الموضع المذکور ص ۲۰۸-:«فی بعض النسخ- بل أکثرها-:لیستشفی».
۲- ۲) صححنا الحدیث علی أصول الکافی فی باب حسن الخلق،و فی نسخ جامع السعادات اختلاف کثیر عما أثبتناه،و قد جاء فی أصول الکافی فی صدر الحدیث:«قال أبو عبد اللّه-علیه السلام- یا بحر حسن الخلق یسر...ثم قال:أ لا أخبرک بحدیث ما هو فی یدی أحد من أهل المدینه؟قلت بلی!قال:بینا رسول اللّه...إلی آخر الحدیث».

و هو أيضـا من الأـمراض المؤلمه للنفس،المانعه لها عن القرب إلى اللّه و الوصول إلى الملأ الأعلى.و يمنع صاحبه عما ينبغى أن يصـدر عنه بالنسـبه إلى أهـل الإيمـان:من الهشاشه و الرفق و التواضع و القيام بحوائجهم و المجالسه معهم و الرغبه إلى إعانتهم و مواساتهم...و غير ذلك.و هذا كله مما ينقص درجته فى الدين،و يحول بينه و بين مرافقه المقربين.

و لما كانت حقيقته عباره عن العداوه الباطنه،فجميع الأخبار الوارده فى ذم المعاداه تدل على ذمه،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«ما كان جبرئيل يأتينى إلا قال:يا محمد!اتق شحناء الرجال و عداوتهم».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما عهد إلى جبرئيل قط فى شىء ما عهد إلى فى معاداه الرجال».

و قول الصادق(ع): «من زرع العداوه حصد ما بذر»... و قس عليها غيرها.

و طريـق العلاـج فى إزالته:أن يتـذكر أن هـذه العـداوه البـاطنه تؤلمه فى العاجـل،إذ الحقود المسـكين لاـ يخلو عن التـألم و الهم لحظه،و يعذبه فى الآجل و مع ذلك لا يضـر المحقود أصـلا،و العاقل لا يدوم على حاله تكون مضـره لنفسه و نافعه لعدوه.و بعد هذا التذكر،فليجتهد فى أن يعامله معامله أحبائه:

مـن مصـاحبته بالانبسـاط و الرفـق،و القيـام بحـوائجه،و غير ذلـك،بـل يخصـه بزيـاده الـبر و الإحسـان،مجاهـده للنفس و إرغـاما للشـيطان،و لاـ يزال يكرر ذلـك حتى ترتفع عن نفسه آثـاره هـذه الرذيله بـالكليه.ثم لما كان الحقـد عباره عن العـداوه الباطنه،و حقيقتها اضـمار الشـر و كراهه الخير لمن يعاديه،فضـده (النصـيحه)التى هى قصـد الخير و كراهه الشـر،لا المحبه-كما يتراءى فى بادى الرأى-إذ هى ضـد الكراهه دون العداوه-كما يأتى فى محله-فمن معالجات الحقد أن يتذكر فوائد النصـيحه و مدحها-كما يأتى-ليعين على إزالته.

ص :۳۴۸

و منها:

العداوه الظاهره

و هی من لوازم الحقد،لأنه إذا قوی قوه لا یقدر معها علی المجامله أظهر العداوه بالمکاشفه.و الأخبار الوارده فی ذمها کثیره،و قد تقدم بعضها.و علاجها کما تقدم فی الحقد،و ضدها النصیحه الظاهره،أعنی فعلیه الخیر و الصلاح لا مجرد قصدهما،فلیکلف نفسه علیها،حتی تصیر ملکه له و یزیل ضدها.

و منها:

الضرب و الفحش و اللعن و الطعن

و هذه ناشئه غالبا عن العداوه و الحقد،و ربما صدرت من مجرد الغضب و سوء الخلق،و ربما صدر الفحش من الاعتیاد الحاصل من مخالطه الفساق، و ربما کان الباعث فی بعض أفرادها حب المال و فقده المعدود من رذائل قوه الشهوه،إلا أن الفاعل المباشره لهذه الأمور هی القوه الغضبیه،أو النفس لهیجان قوه الغضب.و إن کان الهیجان حاصلا بوساطه فعل قوه الشهوه.و علی أی تقدیر یکون من رذائل القوه الغضبیه علی قاعدتنا،و لذا أدرجناها تحتها فقط.

ثم لا ریب فی کون هذه الأمور مذمومه محرمه فی الشریعه،موجبه لحبط الأعمال و خسران المال.و جمیع ما یدل علی ذم الإیذاء و الإضرار یدل علی ذمها،لکونها بعض أفرادهما.و العقل و الشرع متطابقان علی شده قبح کل واحد منها بخصوصه و إیجابه للهلاک:

أما(الضرب)

-فلأنه لا ريب فى أن ضرب مسلم بلا داع شرعى مما يقبحه كل عاقل،و يذمه جميع طوائف العالم،حتى نفاه الأديان،و الأخبار الوارده فى ذمه كثيره،و فى عده

منها: «إن من ضرب رجلا سوطا لضربه اللّه سوطا من النار».

و أما(الفحش و السب و بذاءه اللسان)

-فلا ريب فى كونه صادرا عن خباثه النفس.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ليس المؤمن بالطعان و لا اللعان،و لا الفاحش و لا البذى».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إياكم و الفحش،فإن اللّه لا يحب الفحش و التفحش».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «الجنه حرام على كل فاحش أن يدخلها».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن الفحش و التفحش ليسا من الإسلام فى شيء-

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «البذاء و البيان شعبتان من شعب النفاق»

و روى: أن المراد بالبيان:كشف ما لا يجوز كشفه.

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أربعه يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى»...وعد منهم:رجلا يسيل فوه قيحا،و هو من كان فى الدنيا فاحشا.

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوه منهم» (۱).

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه حرم الجنه على كل فحاش بذى قليل الحياء لا يبالى ما قال و لا ما قيل له،فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغيه (۲)أو شرك شيطان».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا رأيتم الرجل لا يبالى ما قال و لا ما قيل فيه فإنه-لغيه أو شرك شيطان».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه ليبغض الفاحش البذى و السائل الملحف».

و قال

۱- ۱) و فی بعض نسخ الکافی فی باب السباب،(بینهم)بدل(منهم).

۲- ۲) قال فی القاموس فی ماده(غوی):«ولد غیه-و یکسر-أی زنیه- فیکون معنی(لغیه)أی(لزنیه).

-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن من شرار عباد اللّه من تكره مجالسته لفحشه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «سباب المؤمن فسوق،و قتاله كفر،و أكل لحمه معصيه،و حرمه ماله كحرمه دمه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «سباب المؤمن كالمشرف على الهلكه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «شر الناس عند اللّه تعالى يوم القيامه الذين يكرمون اتقاء شرهم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «المتسابان شيطانان متعاديان و متهاتران».

و قال الصادق(ع): «من علامات شرك الشيطان الذى لا يشك فيه أن يكون فحاشا لا يبالى ما (۱)قال و لا ما (۲)قيل فيه».

و قال(ع):

«البذاء من الجفاء،و الجفاء فى النار».

و قال(ع): «من خاف الناس لسانه فهو فى النار»،

و قال: «إن أبغض خلق اللّه تعالى عبد اتقى الناس لسانه».

و عن الكاظم(ع) فى رجلين يتسابان:«فقال:البادى منهما أظلم،و وزره و وزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم» (۳).

(تنبيه)اعلم أن حقيقه الفحش هو التعبير عن الأمور المستقبحه بالعباره الصريحه.و يجرى أكثر ذلك فى ألفاظ الوقاع و آلاته و ما يتعلق بهما فإن لأهل الفساد عبارات صريحه فاحشه يستعملونها فيه،و أهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها،بل يكنون عنها و يعبرون عنها بالرموز.قال بعض الصحابه:«إن اللّه حى كريم يعف و يكنى،كنى باللمس عن الجماع».

فالمس،و اللمس،و الدخول،و الصحبه،كنايات عن الوقاع،و ليست بفاحشه و عنه عبارات فاحشه يستقبح ذكرها.و ليس هذا يختص بالوقاع،بل

۱- ۱) و فى بعض نسخ الكافى فى باب البذاء(بما)فى الموضعين.

۲- ۲) و فى بعض نسخ الكافى فى باب البذاء(بما)فى الموضعين.

۳- ۳) قد مضى فى الصفحه(۳۰۰)تصحيح الحديث على ما فى أصول الكافى فى باب السفه.فصححناه هنا أيضا.

الکنایه بقضاء الحاجه عن التبول و التغوط أولی من لفظه التغوط و الخراء و غیرهما،و کذا التعبیر عن المرأه،فهذا أیضا مما یخفی و یستحیی منه،فلا ینبغی أن تذکر ألفاظه الصریحه باللسان،بل یکنی عنها،فلا یقال:قالت زوجک أو امرأتک،بل یقال:قیل فی الحجره،أو قیل من وراء الستر، و قالت أم الأولاد،و أمثال ذلک،و کذلک من به عیوب یستحی منها،فلا ینبغی أن یعبر عنها بصریح لفظها،کالبرص،و القرح،و البطن،و أمثال ذلک بل یکنی عنها بعبارات غیر صریحه،مثل العارض الذی عرض و ما یجری مجراه،إذ التصریح بجمیع ذلک داخل فی الفحش.

ثم ألفاظ الفحش لا ریب-حینئذ-فی کونها محظوره بأسرها مذمومه،و إن کان بعضها أفحش من بعض،فیکون أثمه أشد،سواء استعمل فی الشتم و الإیذاء أو لا یستعمل فیه،بل فی المزاح و الهزل و غیرهما.و حینئذ لما کانت هذه العبارات متفاوته فی الفحش بعضها أفحش من بعض،و ربما اختلف بعاده البلاد،فیکون بعضها مکروها و بعضها محظورا،فإن من قال لغیره مزاحا أو اعتیادا حاصلا من مخالطه الفساق:(فرج امرأتک ضیق أم لا؟)لا ریب فی کونه فحشا محرما مذموما،مع أنه لم یستعمل فی الشتم.

و بالجمله:أوائل هذه العبارات مکروهه و أواخرها محظوره،و بینهما درجات تتردد بین الکراهه و الحرمه.

و أما(اللعن)

-فلا ریب فی کونه مذموما،لأنه عباره عن الطرد و الإبعاد من اللّه تعالی،و هذا غیر جائز إلا علی من اتصف بصفه تبعده بنص الشریعه.و قد ورد علیه الذم الشدید فی الأخبار،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «المؤمن لیس بلعان».

و عن الباقر(ع)قال: «خطب رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-الناس،فقال:أ لا أخبرکم بشرارکم؟قالوا

بلی یا رسول اللّه!قال:الذی یمنع رفده،و یضرب عبده،و یتردد وحده.

فظنوا أن اللّه لم یخلق خلقا هو شر من ذلک،ثم قال:أ لا أخبرکم بمن هو شر من ذلک؟قالوا:بلی یا رسول اللّه!قال.المفتحش اللعان الذی إذا ذکر عنده المؤمنون لعنهم،و إذا ذکروه لعنوه».

و قال الباقر علیه السلام:

«إن اللعنه إذا خرجت من فم صاحبها ترددت بینهما فإن وجدت مساغا و إلا رجعت إلی صاحبها».

ثم لما کان اللعن هو الحکم بالبعد أو طلب الإبعاد من اللّه.(و الأول) غیب لا یطلع علیه إلا اللّه.(و الثانی)لا یجوز إلا علی من اتصف بصفه تبعده منه،فینبغی ألا یلعن أحدا إلا من جوز صاحب الشرع لعنه، و المجوز من الشرع إنما هو اللعن علی الکافرین و الظالمین و الفاسقین،کما ورد فی القران و لا ریب فی جواز ذلک بالوصف الأعم.کقولک:لعنه اللّه علی الیهود و النصاری.

و الحق جواز اللعن علی شخص معین علم اتصافه بصفه الکفر أو الظلم أو الفسق.(و ما قیل)من عدم جواز ذلک إلا علی من یثبت لعنه من الشرع کفرعون و أبی جهل.لأن کل شخص معین کان علی إحدی الصفات الثلاثه ربما رجع عنها،فیموت مسلما أو تائبا،فیکون مقربا عند اللّه لا مبعدا عنه (کلام ینبغی)أن یطوی و لا یروی،إذا المستفاد من کلام اللّه تعالی و کلام رسوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-و کلام أئمتنا الراشدین:جواز نسبته إلی الشخص المعین،بل المستفاد منها أن اللعن علی بعض أهل الجحود و العناد من أحب العبادات و أقرب القربات،قال اللّه سبحانه:

أُولٰئِکَ عَلَیْهِمْ لَعْنَهُ اللّٰهِ وَ الْمَلاٰئِکَهِ وَ النّٰاسِ

أَجْمَعِينَ

(۱)

.و قال: أُولئِکَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ (۲).

و قال النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لعن اللّه الکاذب و لو کان مازحا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم فی جواب أبی سفیان حین هجاء بألف بیت.«اللهم إنی لا أحسن الشعر و لا ینبغی لی،اللهم العنه بکل حرف ألف لعنه» .و قد لعن أمیر المؤمنین علیه السلام جماعه.

و روی أنه کان یقنت فی الصلاه المفروضه بلعن معاویه و عمرو بن العاص و أبی موسی الأشعری و أبی أعور الأسلمی،مع أنه أحلم الناس و أشدهم صفحا عمن یسوء به، فلو لا أنه کان یری لعنهم من الطاعات لما یتخیر محله فی الصلوات المفروضات.

و روی الشیخ الطوسی: «أن الصادق علیه السلام کان ینصرف من الصلاه بلعن أربعه رجال». و من نظر إلی ما وقع للحسن علیه السلام مع معاویه و أصحابه و کیف لعنهم،و تتبع ما ورد من الأئمه فی الکافی و غیره من کتب الأخبار و الأدعیه فی لعنهم من یستحق اللعن من رؤساء الضلال و التصریح بأسمائهم یعلم أن ذلک من شعائر الدین،بحیث لا یعتریه شک و مریه.

و ما ورد من قوله-علیه السلام- «لا تکونوا لعانین» .و مثله.نهی عن اللعن علی غیر المستحقین،

و ما روی: أن أمیر المؤمنین-علیه السلام-نهی عن لعن أهل الشام، فإن صح،فلعله کان یرجو إسلامهم و رجوعهم إلیه،کما هو شأن الرئیس المشفق علی الرعیه.

و بالجمله:اللعن علی رؤساء الظلم و الضلال و المجاهرین بالکفر و الفسق جائز،بل مستحب،و علی غیرهم من المسلمین غیر جائز،إلا أن یتیقن

۱- ۱) البقره،الآیه:۱۶۱.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۵۹

باتصافه بإحدى الصفات الموجبه له.و ينبغى ألا يحكم باتصافه بشىء منها بمجرد الظن و التخمين،إذ لا يجوز أن يرم مسلم بكفر و فسق من غير تحقيق،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا يرم رجل رجلا بالكفر فلا يرميه بالفسق إلا ارتد عليه إن لم يكن كذلك».

ثم اللعن على الأموات أشد وزرا و أعظم إثما،

لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا تسبوا الأموات،فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا». و لا ينبغى أن يلعن الجماد و الحيوان أيضا.

لما روى: «أنه ما لعن أحد الأرض إلا قالت:

اللعن على أعصانا للّه»،

و ما روى: «أن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم أنكر على أمراه لعنت ناقه،و على رجل لعن بعيرا». ثم الدعاء على المسلم بالشر قريب من اللعن عليه،فلا ينبغى ارتكابه و لو على الظالم،إلا إذا اضطر إليه لشره و إضراره،

و قد ورد أن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضيله يوم القيامه.

و قال على بن الحسين-عليهما السلام- «إن الملائكه إذا سمعوا المؤمن يذكر أخاه بالسوء و يدعو عليه قالوا:بئس الأخ أنت لأخيك!كف أيها المستر على ذنوبه و عورته،و أربع على نفسك، و أحمد اللّه الذى ستر عليك! (1)ثم ضد ذلك-أعنى الدعاء للأخ المسلم بما يحب لنفسه-من أحب الطاعات و أقرب القربات،و فوائده أكثر من أن تحصى،بل عند التحقيق دعاؤك له دعاء لنفسك،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا دعا الرجل لأخيه فى ظهر الغيب قال الملك:و لك مثل ذلك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يستجاب للرجل فى أخيه ما لا يستجاب له فى نفسه».

و قال على بن الحسين-عليهما السلام-: «إن الملائكه إذا

1- 1) هذه الروايه من تتمه الروايه الآتيه عن على بن الحسين عليهما السلام

سمعوا المؤمن يـدعو لأـخيه المؤمن بظهر الغيب أو يـذكره بخير،قالوا:نعم الأخ أنت لأخيك!تـدعو له بالخير و هو غائب عنك،و تـذكره بالخير.قـد أعطـاك اللّه-عز و جـل-مثلى مـا سألت له،و أثنى عليك مثلى ما أثنيت عليه، و لك الفضل عليه». و مثله ورد عن الباقر-عليه السـلام-أيضا.و الأخبار فى فضيله الدعاء للإخوان أكثر من أن تحصى،و أى كرامه أعظم لك من أن تصل منك إلى المؤمن و هو تحت إطبـاق الثرى هـدايا الاسـتغفار و الأـدعيه، و هـل تـدرى كيف تسـر روحه منـك بهـذا العمـل؟فـإن أهله يقسمون ميراثه و يتنعمون بما خلف،و أنت متفرد بحزنك تدعو له فى ظلمه الليل،

و قد قال رسول اللّه-صـلى اللّه عليه و آله و سـلم-: «مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء،ينتظر دعوه من ولد أو والد أو أخ أو قريـب،» و أنـه ليـدخل على قبـور الأـموات مـن دعـاء الأحيـاء مـن الأـنوار مثـل الجبـال،و هـو للأـموات بمنزلـه الهـدايا للأحيـاء،فيـدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منـديل من نور،فيقول:هـذه هـديه لك من عنـد أخيك،فلان،من عند قريبك فلان فيفرح كما يفرح الحى بالهديه (۱).

و أما(الطعن)

-فهو أيضا من ذمائم الأفعال،و يورث الضرر فى الدنيا و العذاب فى الأخرى.

قال الباقر-عليه السلام-: «إياكم و الطعن على المؤمنين».

و قال-عليه السلام-: «ما من إنسان يطعن فى عين مؤمن إلا مات شر ميته،و كان قمنا ألا يرجع إلى خير».

و اعلم أن هذه الأمور-أعنى الفحش و اللعن و الطعن و أمثالها مما يأتى

۱- ۱) هذا الكلام من بعد الحديث الذى وضـعناه بين قوسين رواه فى إحياء العلوم-ج ۲ ص ۱۶۴-عن بعض السلف،و بمضمونه أحاديث مرويه عن آل البيت(ع).روى منها فى الوسائل فى أبواب الاحتضار من كتاب الطهاره (باب اسـتحباب الصلاه عن الميت و الصوم و الحج).

فی موضعه:من الغیبه.و الکذب،و البهتان،و الاستهزاء،و المزاح، و الخوض فی الباطل،و التکلم بالفضول و ما لا یعنی:من آفات اللسان،و یأتی أن لجمیع آفات اللسان ضدا عاما هو الصمت،و یأتی بیان فضیلته و کثره فوائده.و یأتی أیضا ما یدل بعمومه علی ذم جمیع آفات اللسان-أعنی ما ورد فی ذم اللسان،و کون شره أعظم من شر سائر الأعضاء-فإنه بعمومه یدل علی ذم هذه الأمور.

و منها-أی و من رذائل القوه الغضبیه-:

العجب

و هو استعظام نفسه لأجل ما یری لها من صفه کمال،سواء کانت له تلک الصفه فی الواقع أم لا.و سواء کانت صفه کمال فی نفس الأمر أم لا، و قیل:«هو إعظام النعمه و الرکون إلیها مع نسیان إضافتها إلی المنعم»و هو قریب مما ذکر،و لا یعتبر فی مفهومه رؤیه نفسه فوق الغیر فی هذا الکمال و هذه النعمه،و بذلک یمتاز عن الکبر،إذ الکبر هو أن یری لنفسه مزیّه علی غیره فی صفه کمال،و بعباره أخری هو الاسترواح و الرکون إلی رؤیه النفس فوق المتکبر علیه،فالکبر یستدعی متکبرا علیه و متکبرا به.

و العجب لا یستدعی غیر المعجب،بل لو لم یخلق الإنسان إلا وحده تصور أن یکون معجبا،و لا یتصور أن یکون متکبرا،إلا أن یکون مع غیره و هو یری نفسه فوق ذلک الغیر فی صفه الکمال و لا یکفی أن یستعظم نفسه لیکون متکبرا،فإنه قد یستعظم نفسه،و لکن یری فی غیره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا یتکبر علیه،فهو معجب و لیس متکبرا و لا یکفی أن یستحقر غیره،فإنه مع ذلک لو رأی نفسه أحقر أو رأی غیره مثل

نفسه لم یکن متکبرا،بل المتکبر هو أن یری لنفسه مرتبه و لغیره مرتبه، ثم یری مرتبه نفسه فوق مرتبه غیره.

و الحاصل:أن العجب مجرد إعظام النفس لأجل کمال أو نعمه،و إعظام نفس الکمال و النعمه مع الرکون و نسیان إضافتهما إلی اللّه.فإن لم یکن معه رکون و کان خائفا علی زوال النعمه مشفقا علی تکدرها أو سلبها بالمره،أو کان فرحا بها من حیث أنها من الله من دون إضافتها إلی نفسه لم یکن معجبا، فالمعجب ألا یکون خائفا علیها،بل یکون فرحا بها مطمئنا إلیها،فیکون فرحه بها من حیث إنها صفه کمال منسوبه إلیه،لا من حیث إنها عطیه منسوبه إلی اللّه تعالی.و مهما غلب علی قلبه أنها نعمه من اللّه مهما شاء سلبها زال العجب.

ثم لو انضاف إلی العجب-أی غلب علی نفس المعجب-أن له عند اللّه حقا،و أنه منه بمکان،و استبعد أن یجری علیه مکروه،و کان متوقعا منه کرامه لعمله،سمی ذلک(إدلالا)بالعمل،فکأنه یری لنفسه علی اللّه داله فهو وراء العجب و فوقه إذ کل مدل معجب،و رب معجب لا یکون مدلا، إذ العجب مجرد الاستعظام و نسیان الإضافه إلی اللّه من دون توقع جزاء علی عمله،و الإدلال یعتبر فیه توقع الجزاء بعمله،إذ المدل یتوقع إجابه دعوته و یستنکر ردها بباطنه و یتعجب منه،فالإدلال عجب مع شیء زائد.

و علی هذا،فمن أعطی غیره شیئا،فإن استعظمه و من علیه کان معجبا، و إن استخدمه مع ذلک أو اقترح علیه الاقتراحات و استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه کان مدلا علیه و کما أن العجب قد یکون مما یراه صفه کمال و لیس کذلک العجب بالعمل قد یکون بعمل هو مخطئ فیه و یراه حسنا،کما قال سبحانه:

أَ فَمَنْ زُیِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً

(۱)

ص: ۳۵۸

۱- ۱) الفاطر،الآیه:۸.

و قال أبو الحسن-عليهما السلام-: «العجب درجات:و منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا،فيعجبه و يحسب أنه يحسن صنعا.و منها أن يؤمن العبد بربه،فيمن على اللّه-عز و جل-و للّه عليه فيه المن».

فصل (ذم العجب)

العجب من المهلكات العظيمه و أرذل الملكات الذميمه،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ثلاث مهلكات:شح مطاع،و هوى متبع، و إعجاب المرء بنفسه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا رأيت شحا مطاعا،و هوى متبعا،و إعجاب كل ذى رأى برأيه،فعليك نفسك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك،العجب العجب».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «بينما موسى(ع)جالس (1)،إذ أقبل عليه إبليس و عليه برنس ذو ألوان، فلما دنى منه خلع البرنس،و قام إلى موسى(ع)فسلم عليه،فقال له موسى:

من أنت؟فقال:أنا إبليس،قال أنت:فلا قرب اللّه دارك،قال:إنى إنما جئت لأسلم عليك لمكانك من اللّه،فقال له موسى(ع):فما هذا البرنس قال:به اختطف قلوب بنى آدم،فقال موسى:فأخبرنى بالذنب الذى إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه،قال:إذا أعجبته نفسه و استكثر عمله و صغر فى عينه ذنبه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «قال اللّه-عز و جل- يا داود!بشر المذنبين و أنذر الصديقين،قال:كيف أبشر المذنبين و أنذر الصديقين؟قال:بشر المذنبين أنى أقبل التوبه و أعفو عن الذنب،و أنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم،فإنه ليس عبدا نصبه للحساب إلا هلك».

١- ١) و فى بعض نسخ الكافى فى باب العجب هكذا:(جالسا)-بالنصب-

و قال الباقر(ع): «دخل رجلان المسجد،أحدهما عابد و الآخر فاسق، فخرجا من المسجد و الفاسق صديق و العابد فاسق،و ذلک أنه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها،فتكون فكرته فى ذلک،و تكون فكره الفاسق فى الندم على فسقه،و يستغفر اللّٰه مما صنع من الذنوب».

و قال الصادق(ع) «إن اللّٰه علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب،و لو لا ذلک ما ابتلى مؤمنا بذنب أبدا».

و قال(ع): «من دخله العجب هلک».

و قال(ع): «إن الرجل ليذنب فيندم عليه،و يعمل العمل فيسره ذلک،فيتراخى عن حاله تلک،فلأن يكون على حاله تلک خير له مما دخل فيه».

و قال(ع): «أتى عالم عابدا فقال له:كيف صلاتک؟فقال:مثلى يسأل عن صلاته و أنا أعبد اللّٰه منذ كذا و كذا،قال:فكيف بكاؤک؟قال:أبكى حتى تجرى دموعى، فقال له العالم:فإن ضحكک و أنت خائف أفضل من بكائک و أنت مدل،إن المدل لا يصعد من عمله شىء».

و قال(ع): «العجب ممن يعجب بعمله و هو لا يدرى بما يختم له،فمن أعجب بنفسه و فعله،فقد ضل عن نهج الرشاد و ادعى ما ليس له،و المدعى من غير حق كاذب و إن أخفى دعواه و طال دهره.و إن أول ما يفعل بالمعجب نزع ما أعجب به ليعلم أنه عاجز حقير،و يشهد على نفسه ليكون الحجه عليه أوكد،كما فعل بإبليس.و العجب نبات حبها الكفر،و أرضها النفاق و ماؤها البغى،و أغصانها الجهل،و ورقها الضلاله،و ثمرها اللعنه و الخلود فى النار،فمن اختار العجب فقد بذر الكفر و زرع النفاق،و لا بد أن يثمر» (۱)

و قيل له(ع):الرجل يعمل العمل و هو خائف مشفق،ثم يعمل شيئا من البر

۱- ۱) صححنا هذه الروايه على ما فى البحار-الجزء الثالث من المجلد الخامس عشر فى باب العجب-و قد نقلها عن مصباح الشريعه،و فيه اختلاف عن نسخ جامع السعادات.

فیدخله شبه العجب به،فقال:«هو فی حاله الأولی و هو خائف أحسن حالا منه فی حال عجبه».

و قال(ع): «إن عیسی بن مریم-علیهما السلام-کان من شرائعه السیح فی البلاد،فخرج فی بعض سیحه و معه رجل من أصحابه قصیر، و کان کثیر اللزوم لعیسی،فلما انتهی عیسی إلی البحر قال: بسم اللّه ،بصحه یقین منه،فمشی علی ظهر الماء.فقال الرجل القصیر حین نظر إلی عیسی جازه بسم اللّه ،بصحه یقین منه،فمشی علی الماء،و لحق بعیسی-صلی اللّه علیه-، فدخله العجب بنفسه،فقال:هذا عیسی روح اللّه یمشی علی الماء و أنا أمشی علی الماء،فما فضله علی؟!قال:فرمس فی الماء،فاستغاث بعیسی(ع)،فتناوله من الماء فأخرجه،ثم قال له:ما قلت یا قصیر؟!قال قلت:هذا روح اللّه یمشی علی الماء و أنا أمشی،فدخلنی من ذلک عجب،فقال له عیسی:لقد وضعت نفسک فی غیر الموضع الذی وضعک اللّه،فمقتک اللّه علی ما قلت،فتب إلی اللّه-عز و جل- مما قلت،قال:فتاب الرجل،و عاد إلی مرتبته التی وضعه اللّه فیها» (۱).

فصل (آفات العجب)

العجب آفاته کثیره:(منها)الکبر لأنه أحد أسبابه-کما یأتی- (و منها)أنه یدعو إلی نسیان الذنوب و إهمالها،فلا یتذکر شیئا منها،و إن تذکر بعضا منها یستصغرها و لا یستعظمها،فلا یجتهد فی تدارکها و تلافیها، بل یظن أنها تغفر له.و أما العبادات،فیستعظمها و یتبجح بها و یمن علی اللّه بفعلها،و ینسی نعمه اللّه علیه بالتوفیق و التمکین منها،و إذا أعجب بها عمی عن آفاتها.و من لم یتفقد آفات الأعمال ضل سعیه،إذ الأعمال الظاهره إذا

۱- ۱) صححنا أکثر هذه الأحادیث علی الکافی فی باب العجب و الحسد.

لم تكن خالصه نقيه عن الشوائب قلما تنفع،و إنما يتفقد الخائف المشفق دون المعجب،لأنه يغتر بنفسه و برأيه و يأمن مكر اللّه و عذابه،و يظن أنه عند اللّه بمكان،و أن له عند اللّه حقا بأعماله التى هى من عطاياه تعالى و نعمه، و ربما يخرجه العجب إلى تزكيه نفسه و الثناء عليها.و إن أعجب برأيه و عقله و علمه منعه ذلك من السؤال و الاستفاده و الاستشاره،فيستبد بنفسه و رأيه و يستنكف عن سؤال الأعلم،و ربما يعجب بالرأى الخطأ الذى خطر له، فيفرح بكونه من خواطره و لا يعتنى بخواطر غيره،فيصر عليه،و لا يسمع نصح ناصح و لا وعظ واعظ،بل ينظر إلى غيره بعين الاستحقار و الاستجهال،فإن كان رأيه الفاسد متعلقا بأمر دنيوى أضره و فضحه،و إن كان متعلقا بأمر دينى-(لا)سيما فى أصول العقائد-أضله و أهلكه.و لو اتهم نفسه و لم يثق برأيه،و استعان بعلماء الدين و سؤال أهل البصيره،لكان خيرا له و أحسن،و موصلا له إلى الحق المتيقن.و من آفاته أنه يفتر فى الجد و السعى،لظنه أنه قد استغنى و فاز بما ينجيه،و هو الهلاك الصريح الذى لا شبهه فيه.

فصل (علاج العجب إجمالا و تفصيلا)

اعلم أن للعجب علاجين:إجماليا و تفصيليا (١)

أما العلاج الإجمالى

-فهو أن يعرف ربه،و أنه لا تليق العظمه و العزه إلا به،و أن يعرف نفسه حق المعرفه،ليعلم أنه بذاته أذل من كل ذليل و أقل من كل قليل،و لا تليق به إلا الذله و المهانه و المسكنه،فما له و العجب

١- ١) و فى النسخ،(اجمالى و تفصيلى).

و استعظام نفسه،فإنه لا ريب فى كونه ممكنا،و كل ممكن فى ذاته صرف العدم و محض اللاشىء،كما ثبت فى الحكمه المتعاليه،و وجوده و تحققه و كماله و آثاره جميعا من الواجب الحق،فالعظمه و الكبرياء إنما تليق بمفيض وجوده و كمالاته،لا لذاته التى هى صرف العدم و محض الليس،فإن شاء أن يستعظم شيئا و يفتخر به فليستعظم ربه و به افتخر،و يستحقر نفسه غايه الاستحقار و حتى يراها صرف العدم و محض اللاشىء.و هذا المعنى يشترك فيه كل ممكن كائنا من كان.

و أما المهانه و الذله التى تخص هذا المعجب و بنى نوعه،فكون أوله نطفه قذره و آخره جيفه عفنه،و كونه ما بين ذلك حمال نجاسات منتنه،و قد مرّ على ممر البول ثلاث مرات.و تكفيه آيه واحده من كتاب اللّه تعالى لو كان له بصيره،و هى قوله:

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ.

مِنْ نُطْفَهٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ. ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ

(١)

.

فقد أشارت الآيه إلى أنه كان أولا فى كتم العدم غير المتناهى،ثم خلقه من أقذر الأشياء الذى هو نطفه مهينه،ثم أماته و جعله جيفه منتنه خبيثه.

و أى شىء أخس و أرذل ممن بدايته محض العدم،و خلقته من أنتن الأشياء و أقذرها،و نهايته الفناء و صيرورته جيفه خبيثه.و هو ما بين المبدإ و المنتهى عاجز ذليل،لم يفوض إليه أمره،و لم يقدر على شىء لنفسه و لا لغيره،إذ سلطت عليه الأمراض الهائله،و الأسقام العظيمه،و الآفات

١- ١) عبس الآيه:١٧-٢٢.

المختلفه،و الطبائع المتضاده،من المره و الدم و الريح و البلغم،فيهدم بعض أجزائه بعضا،شاء أم أبى،رضى أم سخط،فيجوع كرها،و يعطش كرها، و يمرض كرها،و يموت كرها،لا يملك لنفسه نفعا و ضرا و لا خيرا و شرا.

يريد أن يعلم الشيء فيجهله،و يريد أن يذكر الشيء فينساه،و يريد أن ينسى الشيء فلا ينساه،و يريد أن ينصرف قلبه إلى ما يهمه فيجول فى أوديه الوساوس و الأفكار بالاضطرار.فلا يملك قلبه قلبه،و لا نفسه نفسه.

يشتهى الشيء و فيه هلاكه و يكره الشيء و فيه حياته،يستلذ ما يهلكه و يرديه و يستبشع ما ينفعه و ينجيه،و لا يأمن فى لحظه من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه و بصره و علمه و قدرته،و تفلج أعضاؤه،و يختلس عقله،و تختطف روحه، و يسلب جميع ما يهواه فى دنياه،و هو مضطر ذليل،أن ترك فنى،و أن خلى ما بقى،عبد مملوك،لا يقدر على شيء من نفسه و لا من غيره،فأى شيء أذل منه لو عرف نفسه؟و أنى يليق العجب به لو لا جهله؟.و هذا وسط أحواله.

و أما آخره،فهو الموت-كما عرفت-فيصير جيفه منتنه قذره،ثم تضمحل صورته،و تبلى أعضاؤه،و تنخر عظامه،و تتفتت أجزاؤه،فيصير رميما رفاتا،ثم يصير روثا فى أجواف الديدان،يهرب منه الحيوان، و يستقذره كل إنسان،و أحسن أحواله أن يعود إلى ما كان،فيصير ترابا تعمل منه الكيزان،و يعمر منه البنيان،فما أحسنه لو ترك ترابا،بل يحيى بعد طول البلى ليقاسى شدائد البلا،فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقه،و يساق إلى عرصات القيامه،فيرى سماء مشققه،و أرضا مبدله، و جبالا مسيره،و نجوما منكدره،و شمسا منكسفه،و جحيما مسعره،و جنه مزينه،و موازين منصوبه،و صحائف منشوره،فإذا هو فى معرض المؤاخذه و الحساب و عليه ملائكه غلاظ شداد،فيعطى كتابه إما بيمينه أو شماله،

فیری فیه جمیع أعماله و أفعاله،من قلیل و کثیر و نقیر و قطمیر.فإن غلبت سیئاته علی حسناته و کان مستحقا للعذاب و النار،تمنی أن یکون کلبا أو خنزیرا لصیر مع البهائم ترابا و لا یلقی عقابا و لا عذابا. و لا ریب فی أن الکلب و الخنزیر أحسن و أطیب ممن عصی ربه القهار و یعذب فی النار،إذ أولهما و آخرهما التراب،و هو بمعزل عن العقارب و العذاب،و الکلب و الخنزیر لا یهرب منهما الخلق،و لو رأی أهل الدنیا من یعذب فی النار لصعقوا من وحشه خلقته و قبح صورته.و لو وجدوا ریحه لماتوا من نتنه،و لو وقعت قطره من شرابه الذی یسقاه فی بحار الدنیا صارت أنتن من الجیفه المنتنه.

فما لمن هذه حاله و العجب و استعظام نفسه!و ما أغفله من التدبر فی أحوال یومه و أمسه!و لو لم یدرکه العذاب و لم یؤمر به إلی النار فإنما ذلک للعفو،لأنه ما من عبد إلا و قد أذنب ذنبا،و کل من أذنب ذنبا استحق عقوبه،فلو لم یعاقب فإنما ذلک للعفو.و لا ریب فی أن العفو لیس یقینا،بل هو مشکوک فیه،فمن استحق عقوبه و لا یدری أ یعفی عنها أم لا،یجب أن یکون أبدا محزونا خائفا ذلیلا،فکیف یستعظم نفسه و یلحقه العجب، أ لا تری أن من جنی علی بعض الملوک بما استحق به ألف سوط مثلا،فأخذ و حبس فی السجن.و هو منتظر أن یخرج إلی العرض و تقام علیه العقوبه علی ملإ من الخلق،و لیس یدری أ یعفی عنه أم لا،کیف یکون ذله فی السجن؟ أ فتری أنه مع هذه الحاله یکون معجبا بنفسه؟!و لا أظنک أن تظن ذلک.

فما من عبد مذنب،و لو أذنب ذنبا واحدا،إلا و قد استحق عقوبه من اللّه، و الدنیا سجنه،و لا یدری کیف یکون أمره،فیکفیه ذلک خوفا و مهانه و ذله.فلا یجوز له أن یعجب و یستعظم نفسه.

هذا هو العلاج الإجمالی للعجب.

ص :۳۶۵

و أما التفصیلی

-فهو أن یقطع أسبابه-أعنی ما به العجب-و هی العلم، و المعرفه،و العباده،و الطاعه،و غیر ذلک من الکمالات النفسیه،کالورع، و الشجاعه،و السخاوه،و النسب،و الحسب،و الجمال،و المال،و القوه، و البطش،و الجاه،و الاقتدار،و کثره الأعوان و الأنصار،و الکیاسه، و التفطن لدقائق الأمور،و الرأی الخطإ.

أما(العجب بالعلم):

فعلاجه أن یعلم أن العالم الحقیقی هو الذی یعرف نفسه و خطر الخاتمه،و أن من تلیق به العظمه و العزه و الکبریاء هو اللّه سبحانه،و ما عداه هالک الهویه و الذات فاقد الکمال و الصفات.و هذا العلم یزید الخوف و الذله و المهانه و المسکنه،و الاعتراف بالقصور و التقصیر فی أداء حقوق اللّه،و الشکر بإزاء نعمه،و لذا قیل:«من ازداد علما ازداد وجعا».

فالعلم الذی لا یوجب ذلک و یورث العجب،إما لیس علما حقیقیا،بل هو من العلوم الدنیویه التی ینبغی أن تسمی صناعات لا علوما،إذ صاحبه خاض فیه و هو خبیث النفس ردی الأخلاق لم یهذب نفسه أولا و لم یزکها بالمجاهدات و لم یرضها فی عباده ربه،فیبقی خبیث الجوهر،فإذا خاض فی العلم و إن کان علما حقیقیا صادف من قلبه منزلا خبیثا،فلم یطب ثمره و لم یظهر فی الخبر اثره،فإن العلم مثله مثل الغیث ینزل من السماء عذبا صافیا،فإذا شربته الأشجار و النباتات ازداد المر مراره و الحلو حلاوه،کذلک العلم إذا صادف القلوب ازداد القلب المظلم الخبیث ظلمه و خباثه.و الطیب الصافی طیبا و صفاء و إذا علم ذلک،یعرف أنه لا ینبغی العجب بالعلم،و یجب أیضا أن یعلم أنه إذا أعجب بنفسه صار ممقوتا عند اللّه مبغوضا لدیه،لما تقدم من الأخبار و قد أحب اللّه منه الذله و الحقاره عند نفسه.

و قال بواسطه سفرائه: «إن لک عندی قدرا ما لم تر لنفسک قدرا،فإن رأیت لنفسک قدرا فلا قدر لک

عندى» (۱).

و قال: «صغروا أنفسكم ليعظم عندى محلكم». فلا بد أن يكلف نفسه ما يحب مولاه،و أن يعلم أن حجه اللّه على أهل العلم أوكد،و أنه يتحمل من الجاهل ما لا يتحمل عشره من العالم،لأن العالم إذا زل زل بزلته كثير من الناس،و لأن من عصى اللّه عن علم و معرفه كانت جنايته أفحش إذا لم يقض حق نعمه اللّه عليه فى العلم،و لذلك

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«يؤتى بالعالم يوم القيامه فيلقى فى النار،فتندلق أقتابه،فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى،فيطيف به أهل النار،فيقولون:ما لك؟فيقول:كنت آمر بالخير و لا آتيه و أنهى عن الشر و آتيه». و قد مثل اللّه تعالى علماء(اليهود) بالحمار (۲)،و بلعلم بن باعوراء بالكلب (۳)،لعدم عملهم بما علموه.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم،يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا و من أعلم منا»ثم التفت إلى أصحابه فقال:«أولئك منكم أيها الأمه،أولئك هم وقود النار».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه و إن أشد أهل النار ندامه و حسره رجل دعا عبدا إلى اللّه فاستجاب له و قبل منه،فأطاع اللّه فأدخله اللّه الجنه،و أدخل الداعى النار بتركه علمه و اتباعه الهوى و طول الأمل»

و قال روح اللّه(ع): «ويل لعلماء السوء (۴)كيف

۱- ۱) هذا كلام بنصه مذكور فى إحياء العلوم-ج ۳ ص ۳۱۲-و يظهر منه أنه من كلامه هو أو مقتبس من مضامين الأخبار،لا أنه نص حديث،و كذا ما بعده و هو قوله:«صغروا...».

۲- ۲) إشاره إلى قوله تعالى-فى سوره الجمعه الآيه ۵-: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرٰاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهٰا كَمَثَلِ الْحِمٰارِ يَحْمِلُ أَسْفٰاراً» .

۳- ۳) إشاره إلى قوله تعالى-فى سوره الأعراف الآيه ۱۷۶-: «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ» .

۴- ۴) فى النسخ المصححه للكافى-باب لزوم الحجه على العالم-هكذا:«للعلماء السوء بتعريف العلماء-و نحن رجحنا نسخه جامع السعادات المطبوعه فأثبتناه بلا تعريف قال صاحب مجمع البحرين-ماده(سوء)-:«تقول هذا رجل سوء بالإضافه ثم تدخل عليه الألف و اللام،فتقول هذا رجل السوء.و لا يقال الرجل السوء.كذا قاله الجوهرى».

تتلظى عليهم النار».

و قال الصادق(ع): يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد».

و لا ريب فى أن كل عالم يأمر الناس بالتواضع و ذل النفس و انكسارها، و ينهاهم عن العجب و الكبر،و هو معجب متكبر،يكون من علماء السوء، و ممن لم يعمل بعلمه،فيكون داخلا تحت هذه الأخبار.و أى عالم يتصور فى أمثال هذه الأزمنه أن يجزم بأنه عمل بجميع ما علم و أمر به،و لم يضع شيئا من أوامر ربه من الجنايات الظاهره و الذنوب الباطنه،كالرياء و الحسد و العجب و النفاق و غير ذلك؟و كيف يمكنه القطع بأنه امتثل ما أمر به من التكاليف العامه و الخاصه به؟فخطره أعظم من خطر غيره،كيف

و قد روى:

«أن حذيفه صلى بقوم،فلما سلم قال:لتلتمس إماما غيرى أو لتصلن وحدانا،فإنى رأيت فى نفسى أنه ليس فى القوم أفضل منى». فإذا كان مثله لا يسلم،فكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الأمه،فما أعز على بسيط الأرض فى هذه الأعصار علماء الآخره الذين أقبلوا على شأنهم،و استوحشوا من أوثق إخوانهم،و شغلهم عظيم الأمر عن الالتفات إلى الدنيا و زهرتها، و أزعجهم خوف الرحمن عن مضاجعهم فى حنادس الليالى و ظلمتها،و لا يشتهون من نعيم الدنيا حارا و لا باردا،و صارت همومهم هما واحدا،هيهات!فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم،فهم أرباب الإقبال و أصحاب الدول،و قد انقرضوا فى القرون الأول،بل يعز أن يوجد فى زماننا هذا عالم لا تكون له استطاله و خيلاء،و لم يكن متكبرا على الفقراء،و متواضعا للأغنياء.فينبغى لكل

عالم أن يتفكر فی أحواله و أعماله و ما أريد منه،و فی عظم خطره حتی تنكسر نفسه،و يظهر خوفه و حزنه و يبطل كبره و عجبه.

و أما(العجب بالعباده و الطاعه):

فعلاجه أن يعلم أن الغرض من العباده هو إظهار الذل و الانكسار،و صيرورتهما ملكه للنفس ليحصل له معنی العبوديه و حقيقتها،فالعجب لمنافاته الغرض المقصود منها يبطلها،و بعد بطلانها فلا معنی للعجب بها و أيضا آفات العباده الموجبه لحبطها كثيره، و كذلك شرائطها و آدابها التی لا يصح بدونها كثيره،فيمكن أن تدخلها بعض الآفات،أو تفقد عنها بعض الشرائط و الآداب،فلا تكون مقبوله عند اللّه، و مع إمكان ردها و عدم قبولها كيف يعجب العاقل بها؟و من يمكنه القطع بسلامه طاعاته و عباداته عن جميع الآفات؟و من قطع بذلك فهو فی غايه الجهل بحقائق الأمور.علی أن فائده العباده إنما هو إذا كان عند اللّه سعيدا،و من جوز أن يكون عند اللّه شقيا،و قد سبق القضاء الآلهی بشقوته،فأی نفع يتصور لعبادته حتی يعجب بها؟و لا ريب فی أنه لا يخلو عبد عن هذا التجويز،فما لأحد إلی العجب و التكبر فی حال من الأحوال سبيل.

و أما(العجب بالورع،و التقوی،و الصبر،و الشكر،و السخاوه، و الشجاعه،و غيرها من الفضائل النفسيه):

فعلاجه أن يعلم أن هذه الفضائل إنما تكون نافعه و منجيه إذا لم يدخلها العجب،و إذا دخلها العجب أبطلها و أفسدها، فما للعاقل أن يرتكب رذيله تضيع ما له من الفضائل،و أنی له لا يظهر الذله و التواضع فی نفسه حتی يزيد فضيله علی فضائلها،و يختم لأجلها الجميع بالخير، و تصير عاقبته محموده،و تكون مساعيه مقبوله مشكوره. و ينبغی أن يعلم أن كل واحد من الفضائل التی يثبتها لنفسه موجوده مع الزياده فی كثير من بنی نوعه،و إذا علم اشتراك الناس معه فی هذه الفضيله زال إعجابه بها. و قد نقل أن

واحدا من مشاهير الشجعان إذا قابل خصمه اصفر لونه و ارتعدت فرائصه و اضطرب قلبه،فقيل له،ما هذه الحاله و أنت أشجع الناس و أقواهم؟فقال إنى لم أمتحن خصمى،فلعله أشجع منى.و أيضا النصر و الغلبه و حسن العاقبه مع الذله و المسكنه،لا مع الإعجاب بالقوه و الشجاعه،فإن اللّه عند المنكسره قلوبهم.

و من المعالجات النافعه للعجب بكل واحد من الصفات الكماليه:أن يقابل سببه بضده،إذ علاج كل عله بمقابله سببها بضده،و لما كانت عله العجب هو الجهل المحض،فعلاجه المعرفه المضاده له،فنقول:

الكمال الذى به يعجب إما أن يكون يعجب به من حيث إنه فيه و هو محله و مجراه،أو من حيث إنه نشأ منه و حصل بسببه و قوته و قدرته،فإن كان(الأول)،فهو محض الجهل،لأن المحل مسخر،و إنما يجرى ما يجرى فيه و عليه من جهه غيره،و لا مدخل له فى الإيجاد و التحصيل،فكيف يعجب بما ليس له.و إن كان(الثانى)،فينبغى أن يتأمل فى قدرته و إرادته و أعضائه،و سائر الأسباب التى بها يتم كماله و عمله،أنها من أين كانت له:فإن كان علم أن جميع ذلك نعمه من اللّه إليه من غير حق سبق له،فينبغى أن يكون إعجابه بجود اللّه تعالى و كرمه و فضله،إذ أفاض عليه ما لا يستحقه،و آثره به على غيره من غير سابقه و وسيله،فإن ظن أنه تعالى وفقه لهذا العمل لاتصافه ببعض الصفات الباطنه المحموده،كحبه له تعالى أو مثله،فيقال له الحب و العمل كلاهما نعمتان من عنده،ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك،إذ لا وسيله لك و لا علاقه،فليكن الإعجاب بجوده،إذ أنعم بوجودك و بوجود صفاتك و أعمالك و أسباب أعمالك.

فإذا لا معنى لعجب العالم بعلمه،و عجب العابد بعبادته،و عجب الشجاع

بشجاعته،و عجب الجميل بجماله،و عجب الغنی بماله،لأن کل ذلک من فضل اللّه،و إنما هو محل لفیضان فضل اللّه و جوده.و المحل أیضا من فضله و جوده، فإنه هو الذی خلقک،و خلق أعضاءک،و خلق فیها القوه و القدره و الصحه، و خلق لک العقل و العلم و الإراده،و لو أردت أن تنفی شیئا من ذلک لم تقدر علیه.ثم خلق الحرکات فی أعضائک مستبدا باختراعها من غیر مشارکه لک معه فی الاختراع،إلا أنه خلقها علی ترتیب،فلم یخلق الحرکه ما لم یخلق فی العضو قوه و فی القلب إراده،و لم یخلق العلم ما لم یخلق القلب الذی هو محله، فتدریجه فی الخلق شیئا بعد شیء هو الذی خیل إلیک أنک مستقل بإیجاد عملک،و قد غلطت،فإن تحریک البواعث،و صرف العوائق،و تهیئه الأسباب کلها من اللّه،لیس شیء منها إلیک.

و من العجائب أن تعجب بنفسک،و لا تعجب بمن إلیه الأمر کله، و لا تعجب بجوده و کرمه،و فضله فی إیثاره إیاک علی الفساق من عباده، إذ مکنهم من أسباب الشهوات و اللذات،و زواها عنک،و صرف عنهم بواعث الخیر و هیاها لک،حتی یتیسر لک الخیر من غیر وسیله سابقه منک.

روی: «أن أیوب(ع)قال:(إلهی إنک ابتلیتنی بهذا البلاء،و ما ورد علی أمر إلا آثرت هواک علی هوای).فنودی من غمامه بعشره آلاف صوت:یا أیوب!أنی لک ذلک؟قال:فأخذ رمادا فوضعه علی رأسه،و قال منک یا رب!فرجع عن نسیانه،و أضاف ذلک إلی اللّه تعالی،و لذلک قال اللّه تعالی:

وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ مٰا زَکیٰ مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً

(۱)

.

۱- ۱) النور،الآیه:۲۱.

و قال النبي-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما منكم من أحد ينجيه عمله»،قالوا:و لا أنت يا رسول اللّه!قال:«و لا أنا إلا أن يتغمدنى اللّه برحمته».

(فإن قيل):ما ذكرت من استناد الصفات و الأفعال و محلها جميعا إلى اللّه تعالى،يؤدى إلى الجبر و نفى التكليف،و بطلان الثواب و العقاب،(قلنا):

هذا فرع باب مسأله يتعلق بعلم آخر،و لا يليق بيانها هنا (۱).و نحن لم نسلب القدره و الاختيار عن العبد بالكليه فى متعلق التكليف-أعنى أفعاله العرضيه- بل نفينا استقلاله فيها.نعم،فى غيرها من المحال و الأسباب و الصفات اللازمه،و التوفيق،و تحريك البواعث،و صرف الموانع،لا قدره له فيها أصلا،و لا يلزم منه فساد.

و أما(العجب بالحسب و النسب):فعلاجه يتم بمعرفه أمور:

الأول-أن يعلم أن التعزز بكمال الغير غايه السفاهه و الجهل،

فإنه لو كان خسيسا فى صفات ذاته،فمن أين يجبر خسته كمال غيره،و لو كان أباه أوجده،بل لو كان الذى يعجب به بالانتساب حيا لكان له أن يقول:

الفضل لى لا لك و أنت دوده خلقت من فضلتى،أ فترى أن الدوده التى خلقت من فضله الإنسان أشرف من الدوده التى خلقت من فضله حمار؟!هيهات! فإنهما متساويان فى الخسه،ان الشرف للإنسان لا للدوده،

و لذا قال أمير المؤمنين(ع):

أنا ابن نفسى و كنيتى أدبى

من عجم كنت أو من العرب

إن الفتى من يقول ها أنا ذا

ليس الفتى من يقول كان أبى

و قيل:

۱- ۱) تقدم ذكر هذا الأمر ص ۱۴۱.

لئن فخرت بآباء ذوی شرف

لقد صدقت و لکن بئس ما ولدوا

و قد روی: «أن أبا ذر قال بحضره النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم- لرجل:(یا ابن السوداء!)،فقال النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

(یا أبا ذر!طف الصاع طف الصاع،لیس لابن البیضاء علی ابن السوداء فضل).

فاضطجع أبو ذر و قال لرجل:قم فطأ علی خدی».

و روی: «أن بلالا لما أذن یوم الفتح علی الکعبه،قال جماعه:هذا العبد الأسود یؤذن!فنزل قوله تعالی:

یا أَیُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی وَ جَعَلْناکُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاکُمْ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن اللّه قد أذهب عنکم عیبه الجاهلیه-أی کبرها-کلکم بنو آدم و آدم من تراب». و نقل:

أن واحدا من رؤساء الیونان افتخر علی غلام،فقال له:إن کان منشأ افتخارک آبائک فالتفوق لهم لا لک،و إن کان لباسک فالشرافه له دونک، و إن کان مرکوب فالفضیله له لا لک.فلیس لک شیء یصلح للعجب و المفاخره

و لذا قال متمم مکارم الأخلاق-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا تأتونی بأنسابکم و ائتونی بأعمالکم».

الثانی-أن یعرف نسبه الحقیقی،

فإن أباه القریب نطفه قذره، و جده البعید تراب ذلیل.و قد عرفه اللّه نسبه فقال:

وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِینٍ. ثُمَّ جَعَلَ

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۳

نَسْلَهُ مِنْ سُلاٰلَةٍ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ

(۱)

.

و الأصل الذی یوطأ بالأقدام أو تغسل منه الأجسام أی رفعه یکون لفرعه!

الثالث

-أن یعلم أن من یعجب بهم بالانتساب من أسلافه،إن کانوا من أهل الدیانه و الخصال المرضیه و الشرافه الحقیقیه،فظاهر أنه ما کان من أخلاقهم العجب،بل الذله و الإزراء علی النفس و مذمتها و استعظام الخلق،فإن اقتدی بهم فی أخلاقهم فلا یلیق به العجب و التعزز،و إلا کان طاعنا فی نسبه بلسان حاله.و إن لم یکونوا من أهل الدیانه الواقعیه و الشرافه العلمیه و العملیه بل کان لهم مجرد شوکه ظاهریه،کالسلاطین الظلمه و أعوانهم،فأف لمن یفتخر بهم و یعجب بنفسه لأجلهم!إذ الانتساب إلی الکلاب و الخنازیر أحسن من الانتساب إلیهم،کیف و أنهم ممقوتون عند اللّه معذبون فی النار، بحیث لو نظر إلی صورهم فی النار و ما لحقهم فیها من النتن و القذاره،لاستنکف منهم و تبرأ من الانتساب إلیهم،

و لذلک قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«لیدعن قوم الفخر بآبائهم و قد صاروا فحما فی جهنم،أو لیکونن أهون علی اللّه من الجعلان التی تدوف بآنافهم القذر»

و روی، أنه افتخر رجلان عند موسی(ع)،فقال أحدهما:أنا فلان بن فلان،حتی عد تسعه،فأوحی اللّه تعالی إلی موسی:«قل للذی افتخر،بل التسعه من أهل النار و أنت عاشرهم!».

و أما(العجب بالجمال):

فعلاجه أن یعلم أنه فی معرض الزوال بالعلل و الآلام و الأمراض و الأسقام،و أی عاقل یعجب بشیء تزیله حمی یوم أو قرحه أو جدری!

۱- ۱) السجده،الآیه ۷-۸.

بر مال و جمال خویشتن غرّه مشو

کآن را بشبی برند و این را به تبی (۱)

و لو لم یرتفع بها،فهل یشک عاقل بزواله بذهاب الشباب و مجیء الشیب و بالموت الذی لا بد أن تذوقه کل نفس؟فانظر إلی الوجوه الجمیله و الأبدان الناعمه،کیف تمزقت فی التراب و انتنت فی القبور،بحیث استقذرتها الطباع علی أنه لو نظر العقلاء فی باطنه عند اتصافه بغایه جماله،لرأی من الفضائح ما یکدر علیه العجب و التعزز به،فإنه وکلت إلیه (۲)الأقذار فی جمیع أجزائه:(البصاق)فی فمه،(و المخاط)فی أنفه،(و الوسخ)فی أذنه،(و النتن)تحت إبطه،(و الصدید)تحت بشرته،(و الفضلات)فی معدته،(و الرجیع)فی أمعائه،(و الدیدان)فی أحشائه،(و البول)فی مثانته،(و الصفراء)فی مرارته،یتردد إلی الخلاء کل یوم مرتین،و یغسل الغائط کل یوم بیده مرتین،یخرج من باطنه ما لو رآه بعینه لاستقذره فضلا أن یمسه أو یشمه.و فی أول أمره خلق من الأقذار الشنیعه الصور،من النطفه و دم الحیض،و خرج من مجاری الأقذار،أعنی الصلب و الذکر و الرحم و الفرج.و لو ترک نفسه فی حیاته یوما لم یتعهده بالغسل و التنظیف، لثارت منه الأنتان و الأقذار،و صار أقذر و أنتن من الدواب المهمله.هذا أوله و وسطه،و سیموت فیصیر جیفه أقذر من سائر الأقذار.فما للعاقل أن یعجب و یتعزز بهیئه حاصله لبدن هذه حقیقته.

و أما(العجب بالمال):

فهو عجب بأمر خارج عن ذات الإنسان،فهو أقبح أنواع العجب.و علاجه أن یتفکر فی آفات المال،و کونه فی معرض

۱- ۱) معنی البیت:(لا تغتر بمالک و جمالک،فإن ذاک یذهب بلیله و هذا بحمی واحده).

۲- ۲) و فی النسخ:«و کل به»،و رجحنا ما أثبتناه.

الفناء و الزوال،من الغضب و النهب و الحرق و الغرق،و غير ذلك من الآفات السماويه و الأرضيه،و يتذكر أن فى اليهود و الهند و من يزيد عليه فى المال.

و أفّ لشرف يسبقه اليهود و الهند!و أف لشرف يأخذه السارق فى لحظه فيعود صاحبه ذليلا مفلسا!!و يتذكر ما ورد فى ذم المال و حقاره الأغنياء، و فى فضيله الفقر و شرافه الفقراء،و سبقهم إلى الجنه فى القيامه،و ما ورد فى عقوبه المعجب بالمال بخصوصه، كقوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «بينما رجل يتبختر فى حله له قد أعجبته نفسه،إذ أمر اللّه الأرض فأخذته،فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامه» (۱)،أشار به إلى عقوبه إعجابه بماله و نفسه و كيف يتصور المؤمن العاقل أن يعجب بالمال و يفرح به،مع كثره حقوقه و عظم غوائله،و إيجابه المؤاخذه و طول المحاسبه فى القيامه،و العقوبه و النكال إن كان حراما،و انحطاط المرتبه و الدرجه إن كان حلالا،بل ينبغى له ألا يخلو ساعه عن الخوف من تقصيره،فى القيام بحقوقه،و أخذه من حله، و وضعه فى حقه.

و أما(العجب بالقوه و شده البطش):

فعلاجه أن يتذكر ما سلط عليه من العلل و الأمراض،و أن حمى يوم تضعف قوته و يتحلل منها ما لا ينجبر فى مده،و أنه لو وجع عرق واحد من بدنه صار أعجز من كل عاجز و أذل من كل ذليل،و أنه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه.و أن بقه لو دخلت فى أنفه أو نمله دخلت فى أذنه لقتلته،و أن شوكه لو دخلت فى رجله لأعجزته.ثم أقوى إنسان لا يكون أقوى من حمار أو جمل أو فيل أو بقر، و أى عجب و افتخار فى صفه يسبقه البهائم فيها،هذا مع أن الغالب أن من يعجب بقوته يسلبها اللّه تعالى عنه بأدنى آفه يسلطها عليه.

۱- ۱) هذا الحديث صححناه على ما فى إحياء العلوم-۳:۳۲۲-.

و أما(العجب بالجاه،و المنصب،و ولايه السلاطين،و كثره الأتباع و الأنصار:

من الأولاد و الأقارب و القبائل و العشائر و الخدم و الغلمان):

فعلاجه أن يعلم أن كل ذلك فى معرض الانقطاع،و عن قريب يقع بينه و بينها المفارقه إما بفنائه و موته أو بفنائها و هلاكها،بل العاقل يجدها كسراب بقيعه،و إنما هى خيالات تظن شيئا و ليست بشىء،و ستفترق عنه إذا مات و دفن فى قبره ذليلا مهينا وحده،لا يرافقه أهل و أولاد و لا أعوان و أتباع، فيسلمونه إلى البلاء و إلى العقارب و الحيات و الديدان،و لا يغنون عنه شيئا، و هو فى أحوج أوقاته إليهم،و كيف يعجب العاقل بمن يفارقه فى أشد أحواله! على أنهم فى الدنيا يتبعونه ما دام يحصل منه ما يشتهونه من البذل و الإعطاء فلا بد له من إيقاع نفسه فى المهالك و تعرضه لسخط اللّه و عقوبته،لتحصيل الأموال من الوجوه المحرمه و صرفها إليهم،ليستمروا على متابعته و إعانته، و لو نقص شىء مما يتمنونه تعرضوا لمقته و عداوته،فضلا عن بقائهم على حمايته و إطاعته.ثم المعجب بتمكين السلطان و ولايته بناء أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر،إذ لو تغير عليه كان أذل الخلق.

و أما(العجب بالعقل و الكياسه و التفطن لدقائق الأمور):

فعلاجه أن يعلم أن ذلك يزول عنه بأدنى مرض يصيب دماغه،و ربما زال عقله دفعه.

مع أنه إن كان فى الواقع فطنا كيسا فى الأمور يلزم عليه أن يشكر اللّه تعالى على ذلك،و يستصغر (۱)عقله و فطانته،ليبقى اللّه تعالى عليه تلك النعمه و لا يسلبها عنه لأجل عجبه.

و أما(العجب بالرأى الخطإ الذى يزين له بجهله):

فهو أقبح أنواع العجب،إذ جميع أهل البدع و الضلال و الفرق الذين اختاروا مذاهب باطله

۱- ۱) فى النسخ:«يستغفر»،:فرجحنا ما أثبتناه.

و آراء فاسده إنما أصروا عليها لعجبهم بها،و لذا يفتخرون بمذاهبهم على غيرهم،و بذلك هلكت الأمم إذا افترقت فرقا،و كل معجب برأيه،و:

كُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

(۱)

.

فكل من استحسن ما يسوقه إليه الهوى و الشبهه-مع ظن كونه حقا- يكون له هذا العجب،

و قد أخبر رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمه». و علاجه أشد من علاج غيره،لأن صاحب الرأى الخطأ جاهل بخطإه،و لو عرفه لتركه.و لا يعالج الداء الذى لا يعرف إذ العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله و يزيله عنه إذا لم يكن معجبا برأيه و جهله،و إذا كان معجبا به يتهمه و لا يصغى إليه حتى يعالجه،فقد سلطت عليه بليه تهلكه و هو يظن أنها نعمه.و كيف يطلب الهرب مما يعتقد أنه سبب سعادته!و إنما علاجه فى الجمله أن يكون متهما لرأيه لا يغتر به،إلا أن يشهد له قاطع عقلى أو نقلى لا يعتريه ريب و شبهه.

و معرفه أدله الشرع و العقل و شروطها و مكان الغلط فيها موقوفه على عقل ثابت،و قريحه تامه مستقيمه،مع جد و تشمير فى الطلب،و ممارسه الكتاب و السنه،و مجالسه أهل العلم و مدارسه العلوم طول العمر،و مع ذلك لا يؤمن عليه الغلط.فالصواب للكل-إلا من أيده اللّه بقوه قدسيه يتمكن بها من الخوض فى غمرات العلوم-ألا يخوض فى المذاهب الباطله و لا يصغى إليها،و يتبع أهل الوحى فيما جاءوا به من عند اللّه فى الأصول و الفروع.

۱- ۱) المؤمنون،الآيه:۵۳.

وصل (انکسار النفس)

ضد العجب انکسار النفس و استحقارها و کونها فی نظره ذلیله مهینه.

و کما أن العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار استصغار الغیر معه،فکذا ضده مجرد استحقار النفس من دون اشتراط إعظام الغیر معه،إذ الأول مع اعتبار الثانی تکبر،و الثالث مع اشتراط الرابع تواضع،و هما ضدان.

ثم لا ریب فی فوائد انکسار النفس و استصغارها،و کل من بلغ مرتبه عظیمه فإنما بلغ بهذه الصفه،لأن اللّه تعالی عند المنکسره قلوبهم،

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ما من أحد إلا و معه ملکان و علیه حکمه (۱)یمسکانها،فإن هو رفع نفسه جبذاها (۲)ثم قالا:اللهم ضعه،و إن وضع نفسه قالا:اللهم ارفعه» (۳).

و روی: «أنه أوحی اللّه تعالی إلی موسی(ع):أن یا موسی!أ تدری لم اصطفیتک بکلامی دون خلقی؟قال:یا رب!و لم ذلک؟فأوحی اللّه تبارک و تعالی إلیه:أنی قلبت عبادی ظهرا لبطن،فلم أجد فیهم أحدا أذل نفسا لی منک،یا موسی!إنک إذا صلیت وضعت خدک علی التراب».

و روی: «أنه لما أوحی اللّه تعالی إلی الجبال.أنی واضع سفینه نوح عندی علی جبل منکن،فتطاولت و شمخت، و تواضع الجودی،و هو جبل عندکم،فضربت السفینه بجؤجؤها الجبل، فقال نوح عند ذلک:(یا ماری اتقن)و هو بالسریانیه:رب أصلح» (۴)

۱- ۱) الحکمه بالتحریک:ما أحاط بحنکی الفرس من لجامه.

۲- ۲) بمعنی جذباها.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی ما فی احیاء العلوم-ج ۲ ص ۳۲۹-.

۴- ۴) هذا الحدیث و ما قبله رواهما الکافی فی باب التواضع.فصححناهما علیه

و منها:

الکبر

و قد عرفت:أنه الرکون إلی رؤیه النفس فوق الغیر،و بعباره أوضح:

هو عزه و تعظیم یوجب رؤیه النفس فوق الغیر و اعتقاد المزیه و الرجحان علیه،فهو یستدعی متکبرا علیه.و به ینفصل عن العجب،إذ العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار رؤیتها فوق الغیر،فالعجب سبب الکبر و الکبر من نتائجه.

ثم الکبر-أی العزه الموجبه لرؤیه النفس فوق الغیر-هو خلق الباطن یقتضی أعمالا فی الظاهر هی ثمراته،و تسمی تلک الأعمال الظاهره الصادره منه تکبرا،و لذا من تعزز و رأی نفسه باطنا فوق الغیر،من دون صدور فعل علی جوارحه،یقال له(کبر)،و إذا ظهرت الأعمال یقال له(تکبر) و هذه الأعمال الظاهره التی هی ثمرات خلق الکبر أفعال و أقوال توجب تحقیر الغیر و الإزراء به،کالترفع عن مؤاکلته و مجالسته،و الاستنکاف عن مرافقته و مصاحبته،و إبعاده عن نفسه،و إبائه عن الجلوس بجنبه،و انتظاره أن یسلم علیه،و توقعه أن یقوم ماثلا بین یدیه،و الاستنکاف من قبول وعظه،و تعنیفه فی إرشاده و نصحه،و تقدمه علیه فی المحافل و الطرقات، و عدم الالتفات إلیه فی المحاورات،و توقع التقدیم علیه فی کل ما یدل علی التعظیم عرفا. و بالجمله،الأعمال الصادره عن الکبر کثیره،و لا حاجه إلی إحصائها،لکونها مشهوره معروفه،و من جملتها الاختیال فی المشی و جر الثیاب،إذ فاعلهما یری نفسه فوق الأکثر و یقصد بهما استحقارهم،فهما یقتضیان متکبرا علیه،فیکونان من أنواع التکبر،و ما ورد فی ذمهما یدل

أیضا علی ذمه،کما یأتی.و هـذه الأفعال المعبر عنها بالتکبر قـد تصدر عن الحقد أو الحسد أو الریاء،و إن لم تکن فی النفس عزه و تعظم.

فصل (ذم الکبر)

الکبر آفه عظیمه و غـائلته هـائله،و به هلک خواص الأنام فضـلا عن غیرهم من العوام،و هو الحجاب الأعظم للوصول إلی أخلاق المؤمنین،إذ فیه عز یمنع عن التواضع،و کظم الغیـظ،و قبول النصـح،و الـدوام علی الصـدق،و ترک الغضب و الحقـد و الحسـد و الغیبه و الإزراء بالناس،و غیر ذلک.فما من خلق مذموم إلا و صاحب الکبر مضـطر إلیه،لیحفظ به عزه، و ما من خلق محمود إلا و هو عاجز عنه.خوفا من فوات عزه.و لذا ورد فی ذمه ما ورد من الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

کَذٰلِکَ یَطْبَعُ اللّهُ عَلیٰ کُلِّ قَلْبِ مُتَکَبِّرٍ جَبّٰارٍ

(۱)

.

و قال: سَأَصْرِفُ عَنْ آیٰاتِیَ الَّذِینَ یَتَکَبَّرُونَ (۲).و قال:

وَ الْمَلاٰئِکَهُ بٰاسِطُوا أَیْدِیهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَکُمُ ...إلی قوله: وَ کُنْتُمْ عَنْ آیٰاتِهِ تَسْتَکْبِرُونَ (۳).و قال: اُدْخُلُوا أَبْوٰابَ جَهَنَّمَ خٰالِدِینَ فِیهٰا فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ (۴).

و قال: فَالَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ قُلُوبُهُمْ مُنْکِرَهٌ وَ هُمْ

۱- ۱) غافر،الآیه:۳۵.

۲- ۳) الأنعام،الآیه ۹۳.

۳- ۲) الأعراف،الآیه:۱۴۶.

۴- ۴) الزمر،الآیه:۷۲.

مُسْتَكْبِرُونَ

(۱)

.و قال: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ (۲).و قال: إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاّ كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِيهِ (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا یدخل الجنه من کان فی قلبه مثقال حبه من خردل من کبر» (۴)،

و قال: «من تعظم فی نفسه و اختال فی مشیته،لقی اللّه و هو علیه غضبان».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا ینظر اللّه إلی رجل یجز إزاره بطرا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «قال اللّه.الکبریاء ردائی و العظمه إزاری،فمن نازعنی فی واحد منهما ألقیته فی جهنم» .

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا یزال الرجل یذهب بنفسه حتی یکتب فی الجبارین،فیصیبه ما أصابهم من العذاب».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «یخرج من النار عنق له أذنان تسمعان و عینان تبصران و لسان ینطق،یقول وکلت بثلاثه،بکل جبار عنید، و بکل من دعا مع اللّه إلها آخر،و بالمصورین».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا یدخل الجنه جبار،و لا بخیل،و لا سیء الملکه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: ثلاثه لا یکلمهم اللّه و لا ینظر إلیهم یوم القیامه، و لا یزکیهم و لهم عذاب ألیم:شیخ زان،و ملک جبار،و مقل مختال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «بئس العبد عبد تجبر و اعتدی و نسی

۱- ۱) النحل،الآیه:۲۳.

۲- ۲) غافر،الآیه: ۶۰.

۳- ۳) غافر،الآیه:۵۶.

۴- ۴) روی الحدیث فی الکافی عن أحد الصادقین-علیهما السلام-فی باب الکبر،و جاء فیه هکذا:«الکبر»بتعریف کبر..

الجبار الأعلی،بئس العبد عبد تبختر و اختال و نسی الکبیر المتعال،و بئس العبد عبد غفل و سها و نسی المقابر و البلی،بئس العبد عبد عتا و بغی و نسی المبدأ و المنتهی».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «أ لا أخبرکم بأهل النار:کل عتل جواظ جعظری متکبر» (۱).

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن أبغضکم إلینا و أبعدکم منا فی الآخره الثرثارون المتشدقون المتفیهقون»: أی المتکبرون.

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «یحشر المتکبرون یوم القیامه فی مثل صور الذر،تطأهم الناس ذرا فی مثل صور الرجال،یعلوهم کل شیء من الصغار،ثم یساقون إلی سجن فی جهنم یقال له (بولس)،تعلوهم نار شر أنیار (۲)،یسقون من طینه الخبال و عصاره أهل النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: یحشر الجبارون و المتکبرون یوم القیامه فی صور الذر تطأهم الناس لهوانهم علی اللّه تعالی»،

و قال «ان فی جهنم وادیا یقال له(هبهب)،حق علی اللّه أن یسکنه کل جبار»،

و قال:

«إن فی النار قصرا یجعل فیه المتکبرون و یطبق علیهم»،

و قال: «إذا مشت أمتی المطیطاء و خدمتهم(فارس)و(الروم)سلط اللّه بعضهم علی بعض»، و المطیطاء:مشیه فیها اختیال.

و قال عیسی بن مریم: «کما أن الزرع ینبت فی السهل و لا ینبت علی الصفاء،کذلک الحکمه تعمر فی قلب المتواضع و لا تعمر فی قلب المتکبر،أ لا ترون أنه من یتشمخ برأسه إلی السقف شجه، و من یطأطئ أظله و أکنه».

و لما حضرت نوحا الوفاه،دعا ابنیه فقال:

۱- ۱) صححنا الحدیث علی کنز العمال-ج ۲ ص ۱۰۷-.و الجواظ:المتکبر الجافی،و الجعظری:الفظ الغلیظ.

۲- ۲) کذا فی النسخ.و فی نسخه احیاء العلوم-ج ۲ ص ۲۹۰-:(نار الأنیار)،و لم نعثر علی جمع نار علی أنیار،و إنما من جمله جموعها(نیار).

«إنی آمرکما باثنتین و أنهاکما عن اثنتین:أنهاکما عن الشرک و الکبر و آمرکما بلا إله إلا اللّه و سبحان اللّه و بحمده».

و قال سلیمان بن داود یوما للطیر و الجن و الإنس و البهائم:«اخرجوا،فخرجوا فی مائتی ألف من الإنس و مائتی ألف من الجن،فرفع حتی سمع زجل الملائکه بالتسبیح فی السماوات، ثم خفض حتی مست أقدامه البحر،فسمع صوتا یقول:لو کان فی قلب صاحبکم مثقال ذره من کبر لخسفت به أبعد مما رفعته.

و قال الباقر(ع): «الکبر رداء اللّه،و المتکبر ینازع اللّه رداءه»،

و قال: «العز رداء اللّه و الکبر إزاره،فمن تناول شیئا منه أکبه اللّه فی جهنم

و قال الصادق(ع): «إن فی جهنم لوادیا للمتکبرین یقال له(سقر)شکی إلی اللّه شده حره و سأله أن یأذن له أن یتنفس،فتنفس فاحرق جهنم».

و قال (ع): «إن المتکبرین یجعلون فی صور الذر،یتوطأهم الناس حتی یفرغ اللّه من الحساب».

و قال(ع): ما من رجل تکبر أو تجبر إلا لذله وجدها فی نفسه،

و قال(ع): «إن فی السماء ملائکه موکلین بالعباد،فمن تواضع رفعاه،و من تکبر وضعاه».

و قال(ع): «الجبار الملعون من غمض الناس و جهل الحق»،قال الراوی،أما الحق فلا أجهله،و الغمض لا أدری ما هو قال:«من حقر الناس و تجبر علیهم فذلک الجبار».

و قال(ع): «ما من عبد إلا و فی رأسه حکمه و ملک یمسکها،فإذا تکبر قال له:اتضع وضعک اللّه،فلا یزال أعظم الناس فی نفسه و أصغر الناس فی أعین الناس،و إذا تواضع رفعها اللّه-عز و جل-ثم قال له:انتعش نعشک اللّه،فلا یزال أصغر الناس فی نفسه و أرفع الناس فی أعین الناس».

فصل (التكبر على اللّه و على الناس)

التكبر قد يكون على اللّه،كما كان لنمرود و فرعون،و سببه الطغيان و محض الجهل،و هو أفحش أنواع الكبر،إذ هو أعظم أفراد الكفر،و لذا تكررت فى ذمه الآيات،كقوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دٰاخِرِينَ

(۱)

.و قوله: وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً (۲).و قوله:تعالى:: ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا (۳)و قوله: فَالَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (۴).

و قد يكون على الرسل من حيث تعزز النفس و ترفعها عن انقيادهم، كما كان لمن يقول:

أَ هٰؤُلاٰءِ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنٰا

(۵)

.و لمن يقول:

أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنٰا

(۶)

. إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ بَشَرٌ

۱- ۱) غافر،الآيه:۶۰.

۲- ۴) النحل،الآيه:۲۳.

۳- ۲) النساء،الآيه:۱۷۲.

۴- ۵) الانعام،الآيه:۵۳.

۵- ۳) مريم،الآيه:۶۹.

۶- ۶) المؤمنون،الآيه:۴۷.

مِثْلُنا

(۱)

. وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ (۲).و لمن قال: لَوْ لاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَهُ أَوْ نَرىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً (۳).

و هذا فى الشناعه قريب من التكبر على اللّه،و إن كان دونه.

و قد يكون على العباد بأن يستعظم نفسه و يستصغرهم،و هذا و إن كان دون الأولين،إلا أنه من المهلكات العظيمه،من حيث إنه يؤدى إلى مخالفه اللّه سبحانه،إذ صاحبه إذا سمع من عبد استنكف من قبوله و اشمأز بجحده، و من حيث إن العز و العظمه و العلى لا يليق إلا بالعلى الأعلى،فمهما تكبر العبد نازع اللّه فى صفه من صفاته،

و لذا قال اللّه سبحانه: «العظمه إزارى و الكبرياء ردائى،فمن نازعنى فيهما تصمته».

فصل (درجات الكبر)

للكبر درجات ثلاث:

(الأولى)أن يكون مستقرا فى قلبه،يرى نفسه خيرا من غيره، و يظهره فى أفعاله:بالرفع فى المجالس،و التقدم على الأقران،و أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم،و يعبس وجهه،و يقطب جبينه.و فى أقواله:

۱- ۱) إبراهيم،الآيه ۱۰.

۲- ۲) المؤمنون،الآيه:۳۴.

۳- ۳) الفرقان،الآيه:۲۱.

بإظهار الإنكار على من يقصر فيما يتوقعه،من التعظيم،و إبداء الدعوى، و المفاخره و المباهاه،و تزكيه النفس،و التشمير لغلبه الغير فى العلم و العمل، و هذه الدرجه أقبح الدرجات و أشدها،إذ صاحبها قد رسخت فى قلبه شجره الكبر و ارتفعت أغصانها و فروعها،بحيث أحاطت على جميع جوارحه.

(الثانيه)كالأولى،إلا فى إظهاره على اللسان،

و هى دون الأولى، لكونها أقل أغصانا منها.

(الثالثه)ان يكون مستقرا فى قلبه

بحيث رأى نفسه خيرا من غيره، إلا أنه يجتهد فى التواضع،و يفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه.و هذا و إن رسخت فى قلبه شجره الكبر،إلا أنه قطع أغصانها بالكليه،فإن كان مع ذلك منكرا على نفسه فيما رسخ فيها،و مغضبا عليها و متشمرا لإزالتها إلا أنه لم يقدر على دفعه بسرعه و سهوله،و تميل النفس إلى ما تشتهيه فى بعض الأحيان بدون اختيار،و لكنه كان فى مقام المجاهده،فلعله لم يكن عليه كثير إثم،و مثله يوفقه اللّه للوصول إلى ما يطلبه بمقتضى وعده.

فصل (علاج الكبر علما و عملا)

الكبر كالعجب فى كيفيه العلاج إجمالا و تفصيلا،إذ الكبر لما تظمن معنى العجب-أى استعظام النفس-و كان العجب منشأ له،فما ذكر لعلاج مطلق العجب هو العلاج لمطلق الكبر أيضا.و لكن ما به الكبر-أعنى بواعثه-هى بواعث العجب بعينها،فما ذكر لعلاج العجب بالواعث المذكوره مشترك بينهما.

و من المعالجات المختصه بالكبر:أن يتذكر ما ورد فى ذمه من الآيات

و الأخبار المذكوره و غيرها،و يتأمل فيما ورد فى مدح ضده-أعنى التواضع كما يأتى.و لكون الكبر مشتملا على شىء زائد على العجب هو رؤيه النفس فوق الغير،فينبغى أن يعلم أن الحكم بخيريه نفسه من الغير غايه الجهل و السفاهه،فلعل فى الغير من خفايا الأخلاق الكريمه ما ينجيه،و فيه من الملكات الذميمه ما يهلكه و يرديه.و كيف يجترئ صاحب البصيره أن يرجح نفسه على الغير،مع إبهام الخاتمه و خفاء الأخلاق الباطنه و اشتراك الكل فى الانتساب إلى اللّه تعالى،و فى صدورها و ترشحها منه و معلوليتها و لازميتها له،فالواقف بخطر الخاتمه و إناطه النجاه و الهلاك بالواطن لا يرى لنفسه مزيه على غيره،و العارف بكون كل فرد من أفراد الموجودات أثرا من آثار ذاته و لمعه من لمعات أنوار صفاته،بل رشحه من رشحات فضله و جوده و قطره من قطرات تيار فيض وجوده،لا ينظر إلى أحد بنظر السوء و العداوه،بل يشاهد الكل بعين الخيريه و المحبه.

اشكال و حل

(فإن قيل):كيف يحسن أن يتواضع العالم الورع للجاهل الفاسق و يراه خيرا من نفسه،مع ظهور جهله و فسقه،و قطعه باتصاف نفسه بالعلم و الورع و خلوه عنهما؟و كيف يجوز له أن يحب فاسقا أو كافرا أو مبتدعا و يتواضع له و لا يعاديه،مع أنه مبغوض عند اللّه،فيكون مأمورا ببغضه، و الجمع بين الحب و التواضع و بين البغض جمع بين النقيضين؟ (أجبنا)عن(الأول)بأن حقيقه التواضع ألا يرى النفس لذاتها مزيه واقعيه و خيريه حقيقيه على الغير،لا ألا يرى مزيه لذاتها عليه فى الصفات الظاهره التى يجزم باتصاف نفسه بها و عدم اتصافه بها،كالعلم و العباده و السخاوه و العداله و الاجتناب عن الأموال المحرمه و غير ذلك،إذ العالم ببعض

العلوم لا ـ يمكنه أن يـدفع عن نفسه القطع بكونه عالمـا بها و كون فلان العامى غير عالم بها.لكن المزيه الواقعيه و الخيريه النفس الآـمريه إنمـا هو بـالتقرب إلى اللّه و الوصول إلى السـعاده الـدائميه،و لا شك فى أن ذلك لا يحصل بمجرد تعلم بعض العلوم و المواظبه على بعض العبادات أو غير ذلك من الصـفات المحموده،بل المناط فيه حسن الخاتمه،و هو أمر مبهم،إذ العواقب مطويه عن العبـاد،فيمكن أن يسـلم الكافر و يختم له بالإيمان و يضل هـذا العالم الورع و يختم له بالكفر،فعلى كل عبـد إن رأى من هو شرا منه ظاهرا أن يقول:

لعـل هـذا ينجو و أهلـك أنا،فلا يراه شـرا من نفسه فى الواقع خائفا من العاقبه و يقول:لعل بر هـذا باطن،بأن يكون فيه خلق كريم بينـه و بيـن اللّـه فيرحمـه اللّـه و يتـوب عليـه و يختـم لـه بـأحسن الأعمـال،و برّى ظـاهر لا ـ آمـن أن تـدخله الآفـات فتحبطـه. و بـالجمله:ملاـحظه الخـاتمه و السـابقه و العلم بـأن الكمال فى القرب من اللّه و سـعاده الآخره دون ما يظهر فى الـدنيا من الأعمال الظاهره- يوجب نفى الكبر و التواضع لكل أحد.

و عن(الثانى)أن الحب ينبغى أن يكون لأجل النسـبه الشـريفه المـذكوره و التواضع لأجل ملاحظه الخاتمه،و بغضه و غضـبه عليه لأجـل مـا ظهر منه من الكفر و الفسوق.و أى منافـاه بين الغضب للّه فى صـدور معصـيه من عبـد،و بين عـدم الكـبر و الإذلاـل؟إذ الغضب إنما هو لله لا لنفسك،إذ أمرك بأن تغضب عنـد مشاهـده المنكر،و التواضع و عدم الكبر إنما هو بالنظر إلى نفسك،بأ لا ترى نفسـك ناجيـا و صاحبـك هالكـا فى حـال غضـبك عليه لأـمر اللّه،بـل يكون خوفـك على نفسـك مما علم اللّه من خفايا ذنوبـك أكثر من خوفـك عليه مع الجهل بالخاتمه،فليس من ضـروره الغضب و البغض للّه أن تتكبر على المغضوب عليه،و ترى قدرك فوق قدره.

و مثال ذلک.أن یکون لملک غلام و ولـد،و قـد وکل الملک الغلام علی ولده بأن یراقبه و یضـربه مهما ساء أدبه،و یغضب علیه إذا اشـتغل بمـا لاـ یلیق به،فـإن کان الغلام مطیعا محبا لمولاه یغضب علیه إذا ساء أدبه امتثالا لأمر مولاه،و مع ذلک یحبه لانتسابه إلی مولاه بالولاده،و لا یتکبر علیه و یتواضع له،و یری قدره عند مولاه فوق قدر نفسه،لأن الولد أعز لا محاله من الغلام.

تذنیب (العلاج العملی للکبر)

مـا ذکرنـاه لعلاـج الکبر إنمـا هو العلاـج العلمی،و أمـا(العلاـج العملی) فهو أن یتواضع بالفعـل للّه و لسـائر الخلق،و یواظب علی أخلاق المتواضـعین، و یکلف نفسه علی ذلک إلی أن تقطع عن قلبه شـجره الکبر بأصولها و فروعها، و یصـیر التواضع ملکه له.و للقطع الکلی و حصول ملکه التواضع امتحانـات یعرفـان بهـا،فلاـ بـد أن یمتحن نفسه بهـا حتی یطمئن بـأنه متواضع،إذ النفس قد تضمر التواضع و تدعی البراءه من الکبر،فإذا وقعت الواقعه عادت إلی طبعها و نسیت وعدها:

(الأول)ان یناظر مع أقرانه فی بعض المسائل،

فإذا ظهر شـیء من الحق علی لسانهم،فإن اعترف به مع السـرور و الاهتزاز و الشـکر لهم لتنبیههم إیاه علی ما غفل عنه فهو علامه التواضع،و إن ثقل علیه القبول و الاعتراف و لم یسـر بظهور الحق علی لسانه فهو دلیل بقاء الکبر بعد.فلیعالجه من حیث العلم بأن یتـذکر سوء عـاقبته و خسه نفسه و خباثتهـا،من حیث إن قبول الحق یثقـل علیهـا،و من حیث العلم بـأن یکلف نفسه علی مـا یثقل علیهـا من الاـعتراف بـالحق و إطلاق اللسان بالثناء و الشـکر،و الإقرار علی نفسه بالعجز و القصور، و یقول:ما أحسن فطانتک!لقد أرشدتنی إلی الحق،فجزاک اللّه خیرا،فإذا

واظب على ذلک مراتب متواليه،صار ذلک له طبعا،و سقط ثقل الحق عن قلبه و طاب له قبوله،و إن لم يثقل عليه فى الخلوه و ثقل عليه فى الملإ،فليس فيه كبر،بل فيه رياء،فليعالج بما يأتى فى معالجه الرياء.

(الثانى)ان يقدم الأقران و الأمثال على نفسه فى المحافل،

و يمشى خلفهم فى الطرق،فإن لم يثقل ذلک عليه فهو متواضع،و إلا فمتكبر، فليقدمهم بالتكلف،و يجلس تحتهم،و يظهر السرور و الارتياح بذلک،حتى يسقط عنه ثقله.

قال أبو عبد اللّه الصادق(ع): «إن من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه».

و قال(ع): «من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس،و أن تسلم على من تلقى،و أن تترک المراء و إن كنت محقا،و لا تحب أن تحمد على التقوى». و من المتكبرين من إذا لم يجد مكانا فى الصدر يجلس فى صف النعال،أو يجعل بينه و بين الأقران بعض الأراذل و لا يجلس تحتهم و غرضهم من ذلک استحقار الأقران أو إيهام أن تركهم للصدر إنما هو بالتفضل،فهو أشد أنواع التكبر.

(الثالث)أن يجيب دعوه الفقير،

و يمر إلى السوق فى حاجه الرفقاء و الأقارب،و يحمل حاجتهم و حاجه نفسه منه إلى البيت،فإن لم يثقل عليه ذلک فى الخلوه و الملأ فليس فيه كبر و رياء،و إن ثقل عليه فيهما ففيه كبر و رياء،و إن ثقل عليه عند مشاهده الناس دون الخلوه ففيه رياء دون الكبر.

قال أمير المؤمنين(ع): «لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شىء إلى عياله».

و روى: «أنه اشترى لحما بدرهم فحمله فى ملحفته،فقال له بعضهم احمل عنک يا أمير المؤمنين؟فقال:لا!أبو العيال أحق أن يحمل».

و روى:

«أن الصادق(ع):نظر إلى رجل من أهل المدينه قد اشترى لعياله شيئا و هو يحمله.فلما رآه الرجل استحيى منه،فقال له أبو عبد اللّه(ع):اشتريته

لعيالك و حملته إليهم،أما و اللّه لو لا أهل المدينه لأحببت أن اشترى لعيالى الشىء ثم أحمله إليهم».

(الرابع)ان يلبس ثيابا بذله،

فإن لم يثقل عليه ذلك أصلا فليس فيه كبر و رياء،و إلا كان متكبرا أو مرائيا،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من اعتقل البعير و لبس الصوف فقد برىء من الكبر».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إنما أنا عبد آكل فى الأرض،و ألبس الصوف،و أعقل البعير،و ألعق أصابعى،و أجيب دعوه المملوك،فمن رغب عن سنتى فليس منى» و قيل لسلمان:لم لا تلبس ثوبا جديدا؟فقال:

«إنما أنا عبد،فإذا اعتقت يوما لبست جديدا»:أشار به إلى العتق فى الآخره.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم -البذاذه-أى الدون من اللباس-من الإيمان».

و عوتب أمير المؤمنين-عليه السلام-فى إزار مرقوع،فقال:«يقتدى به المؤمن و تخشع له القلوب».

(الخامس)أن يأكل مع خدامه و غلمانه،

فإن لم يثقل عليه فهو متواضع و إلا فمتكبر.

و روى رجل من أهل بلخ،قال: كنت مع الرضا(ع)فى سفره إلى خراسان،فدعا يوما بمائده،فجمع عليها مواليه من السودان و غيرهم،فقلت:جعلت فداك!لو عزلت لهؤلاء مائده،فقال(ع):إن الرب تعالى واحد،و الدين واحد،و الأم واحده،و الأب واحد،و الجزاء بالأعمال».

و الامتحانات لبقاء الكبر ليست منحصره بما ذكر،بل هى كثيره:

كأن يحب قيام الناس له أو بين يديه،

قال أمير المؤمنين(ع): «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد و بين يديه قوم قيام».

و قال بعض الصحابه: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول اللّه.

و كانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك».

و أن يحب أن يمشى خلفه غيره،

و قد روى «أنه لا يزال العبد يزداد من اللّه بعد ما مشى خلفه». و كان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم- فى بعض الأوقات يمشى مع بعض الأصحاب،فيأمرهم بالتقدم و يمشى فى غمارهم.

و ألا يزور غيره،و إن كان فى زيارته فائده دينيه.و أن يستنكف من مجالسه الفقراء و المعلولين و المرضى.

روى أنه دخل على رسول اللّه رجل و عليه جدرى قد تقشر،و عنده ناس من أصحابه يأكلون،فما جلس عند أحد إلا قام من جنبه.فأجلسه النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-إلى جنبه.

و كان -صلى اللّه عليه و آله و سلم-فى نفر من أصحابه يأكلون فى بيته،إذ دخل عليهم رجل به زمانه تنكره الناس لأجلها فأجلسه رسول اللّه على فخذه و قال له:«اطعم»،و كأن رجلا من قريش اشمأز منه و تكره،فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانه مثلها.

و مر سيد الساجدين-عليه السلام- على المجذومين (1)و هو راكب حماره،و هم يتغدون،فدعوه إلى الغداء، فقال:«أما إنى لو لا أنى صائم لفعلت»،فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع،و أمر أن يتنوقوا فيه،ثم دعاهم،فتغدوا عنده و تغدى معهم...

و قس على هذه غيرها من الامتحانات.

و لقد كانت سيره رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-جامعه لجميع ما يمتحن به التواضع،بريئه عن جميع ما يصدر من الكبر من الأفعال و الحركات،فينبغى لكل مؤمن أن يقتدى به.

و قد روى أبو سعيد الخدرى:

«أنه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-كان يعلف الناضح،و يعقل البعير،و يقم

ص: ۳۹۳

۱- ۱) و فى بعض نسخ الكافى المصححه فى باب التواضع هكذا:(المجذمين).

البیت،و یحلب الشاه،و یخصف النعل،و یرقع الثوب،و یأکل مع خادمه، و یطحن عنه إذا أعیی،و یشری الشیء من السوق،و لا یمنعه الحیاء أن یعلقه بیده أو یجمله فی طرف ثوبه و ینقلب إلی أهله.یصافح الغنی و الفقیر و الصغیر و الکبیر،و یسلم مبتدئا علی کل من استقبله من صغیر أو کبیر أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاه،لیست له حله لمدخله و لا حله لمخرجه،لا یستحیی من أن یجیب إذا دعی،و إن کان أشعث أغبر،و لا یحقر ما دعی إلیه و إن لم یجد إلا حشف الرّقل (۱)،لا یدفع غداء لعشاء و لا عشاء لغداء.

هین المؤنه،لین الخلق،کریم الطبیعه،جمیل المعاشره،طلق الوجه،بساما من غیر ضحک محزونا من غیر عبوس،شدیدا فی غیر عنف.و متواضعا فی غیر مذله،جوادا من غیر سرف،رحیما لکل ذی قربی،قریبا من کل ذمی و مسلم،رقیق القلب،دائم الإطراق،لم یبسم قط من شبع،و لا یمد یده إلی طمع». هذا

و قال أبو الحسن-علیهما السلام-: «التواضع:أن تعطی الناس ما تحب أن تعطاه».

و سئل عن حد التواضع الذی إذا فعله العبد کان متواضعا،فقال:«التواضع درجات:منها أن یعرف المرء قدر نفسه،فینزلها منزلتها بقلب سلیم لا یحب أن یأتی إلی أحد إلا مثل ما یؤتی إلیه،إن رأی سیئه درأها بالحسنه،کاظم الغیظ عاف عن الناس،و اللّه یحب المحسنین».

وصل (التواضع و مدحه)

قد أشیر إلی أن ضد الکبر(التواضع)،و هو انکسار للنفس یمنعها من أن یری لذاتها مزیه علی الغیر،و تلزمه أفعال و أقوال موجبه لاستعظام

۱- ۱) فی إحیاء العلوم-ج ۳ ص ۳۰۶-هکذا:(الدقل)،و کل من النسختین یصح به المعنی.

الغير و إكرامه،و المواظبه عليها أقوى معالجه لإزاله الكبر.و لا بد من الإشاره إلى الأخبار الوارده فى مدح التواضع و فوائده،تحريكا للطالبين إلى السعى فى تحصيله الموجب لإزاله ضده،و هذه الأخبار كثيره خارجه عن حد الإحصاء،فنكتفى بإيراد بعض منها:

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «ما تواضع أحد للّه إلا رفعه اللّه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «طوبى لمن تواضع فى غير مسكنه،و أنفق مالا جمعه من غير معصيه،و رحم أهل الذله و المسكنه، و خالط أهل الفقه و الحكمه».

و روى: «أن اللّه سبحانه أوحى إلى موسى:

إنما أقبل صلاه من تواضع لعظمتى و لم يتعاظم على خلقى و ألزم قلبه خوفى و قطع نهاره بذكرى و كف نفسه عن الشهوات من أجلى».

و قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله و سلم-لأصحابه: «ما لى لا أرى عليكم حلاوه العباده! قالوا:و ما حلاوه العباده؟قال:التواضع».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«إذا تواضع العبد رفعه اللّه إلى السماء السابعه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا هدى اللّه عبدا الإسلام و حسن صورته و جعله فى موضع غير شائن له و رزقه مع ذلك تواضعا،فذلك من صفوه اللّه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «أربع لا يعطيهن اللّه إلا من يحبه:الصمت و هو أول العباده،و التوكل على اللّه،و التواضع،و الزهد فى الدنيا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ليعجبنى أن يحمل الرجل الشىء فى يده يكون مهنه لأهله يدفع به الكبر عن نفسه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من تواضع للّه رفعه اللّه،و من تكبر خفضه اللّه،و من اقتصد فى معيشه رزقه اللّه،و من بذر حرمه اللّه،و من أكثر ذكر الموت أحبه اللّه،و من أكثر ذكر اللّه أظله اللّه فى جنته».

و روى: «أنه أتى رسول اللّه-صلى اللّه عليه

و آله و سلم-ملک،فقال:إن اللّه تعالی یخیرک أن تکون عبدا رسولا متواضعا أو ملکا رسولا.فنظر إلی جبرئیل(ع)و أومی بیده أن تواضع،فقال:

عبدا متواضعا رسولا،فقال الرسول-یعنی الملک-:مع أنه لا ینقصک مما عند ربک شیئا».

و قال عیسی بن مریم(ع): «طوبی للمتواضعین فی الدنیا! هم أصحاب المنابر یوم القیامه،طوبی للمصلحین بین الناس فی الدنیا!هم الذین یرثون الفردوس یوم القیامه:طوبی للمطهره قلوبهم فی الدنیا هم الذین ینظرون إلی اللّه تعالی یوم القیامه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم- «إن التواضع لا یزید العبد إلا رفعه،فتواضعوا برحمکم اللّه».

و أوحی اللّه تعالی إلی داود (ع):«یا داود!کما أن أقرب الناس إلی اللّه المتواضعین کذلک أبعد الناس من اللّه المتکبرون».

و روی: «أن سلیمان بن داود إذا أصبح تصفح وجوه الأغنیاء و الأشراف حتی یجیء إلی المساکین فیقعد معهم،و یقول مسکین مع مساکین».

و روی: «أنه ورد علی أمیر المؤمنین(ع)أخوان له مؤمنان،أب و ابن،فقام إلیهما و أکرمهما و أجلسهما فی صدر مجلسه و جلس بین أیدیهما، ثم أمر بطعام فأحضر فأکلا منه،ثم جاء قنبر بطست و إبریق خشب و مندیل، و جاء لیصب علی ید الرجل،فوثب أمیر المؤمنین و أخذ الإبریق لیصب علی ید الرجل،فتمرغ الرجل فی التراب،و قال یا أمیر المؤمنین!اللّه یرانی و أنت تصب علی یدی!قال:اقعد و اغسل،فإن اللّه-عز و جل-یراک و أخوک الذی لا یتمیز منک و لا ینفصل عنک یخدمک،یرید بذلک فی خدمته فی الجنه مثل عشره أضعاف عدد أهل الدنیا.فقعد الرجل.و قال له علی(ع):

أقسمت علیک بعظیم حقی الذی عرفته لما غسلت مطمئنا کما کنت تغسل لو کان الصاب علیک قنبر،ففعل الرجل ذلک،فلما فرغ ناول الإبریق محمد بن الحنفیه،و قال:یا بنی!لو کان هذا الابن حضرنی دون أبیه لصببت علی یده، و لکن اللّه-عز و جل-یأبی أن یسوی بین ابن و أبیه إذا جمعهما مکان،

لكن قد صب الأب على الأب فليصب الابن على الابن،فصب محمد بن الحنفيه على الابن» (۱).

و قال الصادق(ع): «التواضع أصل كل شرف نفيس و مرتبه رفيعه، و لو كان للتواضع لغه يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما فی مخفیات العواقب.

و التواضع ما يكون للّه و فی اللّه،و ما سواه فكبر.و من تواضع للّه شرفه اللّه على كثير من عباده.و لأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكه و أهل الأرض من العارفين.قال اللّه عز و جل.

وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ

(۲)

.

و أصل التواضع من إجلال اللّه و هيبته و عظمته.و ليس للّه عز و جل عباده يقبلها و يرضاها إلا و بابها التواضع.و لا يعرف ما فی معنى حقيقه التواضع إلا المقربون من عباده المستقلين بوحدانيته،قال اللّه عز و جل:

وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً

(۳)

.

و قد أمر اللّه-عز و جل-أعز خلقه و سيد بريته محمدا-صلى اللّه عليه و آله-بالتواضع،فقال عز و جل:

وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(۴)

۱- ۱) روى هذا الحديث فی البحار-فی الجزء الرابع من المجلد الخامس عشر ص ۱۴۹ باب التواضع-عن الاحتجاج و التفسير المنسوب إلى الإمام العسكری(ع).

۲- ۲) الأعراف،الآيه:۴۶.

۳- ۳) الفرقان،الآيه ۶۳.

۴- ۴) الشعراء الآيه:۲۱۵.

و التواضع مزرعه الخضوع و الخشوع و الخشيه و الحياء،و إنهن لا يأتين إلا منها و فيها،و لا يسلم الشرف التام الحقيقى إلا للمتواضع فى ذات اللّه تعالى (۱).

و قال الإمام أبو محمد الحسن بن على العسكرى عليهم السلام:

«أعرف الناس بحقوق أخوانهم و أشدهم قضاء لهم أعظمهم عند اللّه شأنا، و من تواضع فى الدنيا لإخوانه فهو عند اللّه من الصديقين و من شيعه على بن أبى طالب-عليه السلام-حقا» (۲).

تتميم (الذله)

لما عرفت أن كل فضيله وسط له طرفان مذمومان،فأحد طرفى التواضع (الكبر)-كما عرفت-و هو من طرف الإفراط،و آخرهما(الذله)و التخاسس و هو من طرف التفريط.فكما أن الكبر مذموم،فكذلك المذله و التخاسس أيضا مذموم،إذ كلا طرفى الأمور ذميم،و المحمود:هو التواضع من دون الخروج إلى شيء من الطرفين،إذ أحب الأمور إلى اللّه أوسطها،و هو أن يعطى كل ذى حق حقه،و هو العدل،فلو وقع فى طرف النقصان فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن يذل نفسه،فالعالم إذا دخل عليه إسكاف فخلى له مجلسه و اجلسه فيه،و ترك تعليمه و إفادته،و إذا قام عدا إلى الباب خلفه،فقد تخاسس و تذلل،و هو غير محمود،بل هو رذيله فى طرف التفريط.فاللازم إذا وقع فيه أن يرفع نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذى هو الصراط المستقيم فإن العدل أن يتواضع بمثل ما ذكر لأمثاله و لمن يقرب درجته.فأما تواضعه للسوقى،فبالبشر فى الكلام،و الرفق فى السؤال،و إجابه دعوته،و السعى

۱- ۱) روى هذا الحديث فى البحار أيضا فى الموضع المتقدم عن مصباح الشريعه.

۲- ۲) هذا الحديث من نفس الحديث المتقدم عن الاحتجاج و التفسير المنسوب إلى الإمام

فی حاجته،و أمثال ذلک،و ألا یری نفسه خیرا منه،نظرا إلی خطر الخاتمه.

ثم ینبغی ألاـ یتواضع للمتکبرین،إذ الانکسار و التذلل لمن یتکبر و یتعزز مع کونه من التخاسس و المذله المذمومه یوجب إضلال هذا المتکبر، و تقریره علی تکبره،و إذا لم یتواضع له الناس و تکبروا علیه ربما تنبه و ترک التکبر،إذ المتکبر لا یرضی بتحمل المذله و الإهانه من الناس،

و لذا قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «إذا رأیتم المتواضعین من أمتی فتواضعوا لهم،و إذا رأیتم المتکبرین فتکبروا علیهم،فإن ذلک لهم مذله و صغار».

و منها:

الافتخار

أی المباهاه باللسان بما توهمه کمالا،و الغالب کون المباهاه بالأمور الخارجه عن ذاته،و هو بعض أصناف التکبر-کما أشیر إلیه- فکل ما ورد فی ذمه یدل علی ذمه،و الأسباب الباعثه علیه هی أسباب التکبر.و قد تقدم أن شیئا منها لا یصلح لأن یکون منشأ للافتخار،فهو ناش من محض الجهل و السفاهه.

قال سید الساجدین(ع): «عجبا للمتکبر الفخور الذی کان بالأمس نطفه ثم(هو) (۱)غدا جیفه».

و قال الباقر(ع): «عجبا للمختال الفخور،و إنما خلق من نطفه ثم یعود جیفه،و هو فیما بین ذلک لا یدری ما یصنع به».

و قال(ع): «صعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم- المنبر یوم فتح مکه،فقال:أیها الناس!إن اللّه قد أذهب عنکم نخوه الجاهلیه و تفاخرها بآبائها،ألا إنکم من آدم و آدم من طین،ألا إن خیر عباد اللّه عبد اتقاه».

و قال له(ع)عقبه بن بشیر الأسدی:أنا فی الحسب الضخم عزیز

۱- ۱) فی بعض نسخ الکافی فی باب الفخر و الکبر زیاده کلمه(هو).

فی قومی،فقال له:«تمن علینا بحسبک!إن اللّٰه تعالی رفع بالإیمان من کان الناس یسمونه وضیعا إذا کان مؤمنا،و وضع بالکفر من کان الناس یسمونه شریفا إذا کان کافرا.فلیس لأحد فضل علی أحد إلا بتقوی اللّٰه».

و قال الصادق (ع):«قال رسول اللّٰه-صلی اللّٰه علیه و آله و سلم-: آفه الحسب الافتخار و العجب».

و قال(ع)، «أتی رسول اللّٰه-صلی اللّٰه علیه و آله-رجل،فقال:

یا رسول اللّٰه!أنا فلان بن فلان...حتی عد تسعه،فقال رسول اللّٰه:أما إنک عاشرهم فی النار!».

و نقل: أن قریشا تفاخروا عند سلمان،فقال:«لکنی خلقت من نطفه قذره ثم أعود جیفه منتنه ثم إلی المیزان،فإن ثقل فأنا کریم و إن خف فأنا لئیم». ثم ضده استحقاره نفسه و ترجیح غیره علیها بالقول.

و منها:

البغی

و یسمی البذخ أیضا،و هو صعوبه الانقیاد و التابعیه لمن یجب أن ینقاد(له)،و قد فسر بمطلق العلو و الاستطاله،سواء تحقق فی ضمن عدم الانقیاد لمن یجب أن ینقاد(له)،أو فی ضمن أحد أفعال الکبر،أو فی ضمن الظلم و التعدی علی الغیر.و علی أی تقدیر هو أفحش أنواع الکبر إذ عدم الانقیاد لمن یجب أن ینقاد(له)-کالأنبیاء و أوصیائهم-یؤدی إلی الکفر الموجب للهلاک الأبدی.و لقد هلک بذلک أکثر طوائف الکفار،کالیهود و النصاری و کفار قریش و غیرهم.و کذا الظلم و التعدی علی المسلم و إذ لا له بالمقهوریه و المغلوبیه من المهلکات العظیمه،و لذا ورد فی ذمه ما ورد،

قال رسول اللّٰه-صلی اللّٰه علیه و آله-: «إن أعجل الشر عقوبه البغی».

و قال -صلی اللّٰه علیه و آله و سلم-: «حق علی اللّٰه عز و جل ألا یبغی شیء علی شیء

إلا أذله اللّه،و لو أن جبلا بغى على جبل لهد اللّه الباغى منهما».

و قال أمير المؤمنين(ع): «أيها الناس!إن البغى يقود أصحابه إلى النار.و إن اول من بغى على اللّه عناق بنت آدم،و أول قتيل قتله اللّه عناق،و كان مجلسها جريبا فى جريب،و كان لها عشرون إصبعا فى كل إصبع ظفران مثل المنجلين، فسلط اللّه عليها أسدا كالفيل،و ذئبا كالبعير،و نسرا كالبغل،فقتلنها.و قد قتل اللّه تعالى الجبابره على أفضل أحوالهم و آمن ما كانوا».

و قال الصادق(ع):

«يقول إبليس لجنوده:ألقوا بينهم الحسد و البغى فإنهما يعدلان عند اللّه الشرك».

و كتب(ع)إلى بعض أصحابه: «انظر ألا تكلمن بكلمه بغى أبدا، و إن أعجبتك نفسك و عشيرتك».

و علاجه:أن يتذكر-أولا-هذه الأخبار الوارده فى ذمه،و-ثانيا- ما ورد فى مدح ضده-أعنى التسليم و الانقياد لمن يلزم إطاعته و تابعيته-

كقولهم-عليهم السلام- :«شيعتنا المسلمون». و الآيات و الاخبار الوارده فى وجوب إطاعه اللّه و إطاعه النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و أولى الأمر، و غيرهم من العلماء و الفقهاء الذين هم نواب الأئمه فى زمن الغيبه.و بعد ذلك يكلف نفسه التابعيه و الإطاعه لمن يجب أن يطاع،و يتخضع له قولا و فعلا،حتى يصير ذلك له ملكه.

و منها:

تزكيه النفس

أى نفى النقائص عنها،و إثبات الكمالات لها.و هو من نتائج العجب.

و قبحه أظهر من أن يخفى.إذ من عرف حقيقه الإمكان،ثم اطلع على خلق الإنسان،يعلم أنه عين القصور و النقصان،فلا يطلق بمدح نفسه اللسان.

على أنه يتضمن بخصوصه قبحا يشهد به الذوق و الوجدان،و لذا

قال أمير المؤمنين(ع): «تزكيه المرء لنفسه قبيحه» .و قد تقدم ما يكفيك لمعرفه حقاره الإنسان و خساسته.

ثم ضد التزكيه عدم تبرئه نفسه من العيوب و الإقرار بها و إثبات النقائص لها،فإذا كلف نفسه عليه و فعل ذلك مرات متواليه،يصير معتادا له،و يزول عنه ما اعتاده من مدح نفسه.

و منها:

العصبيه

و هي السعي في حمايه نفسه أو ماله إليه نسبه:من الدين،و الأقارب، و العشائر،و أهل البلد،قولا أو فعلا:فإن كان ما يحميه و يدفع عنه السوء مما يلزم حفظه و حمايته،و كانت حمايته بالحق من دون خروج من الإنصاف و الوقوع في ما لا يجوز شرعا،فهو الغيره الممدوحه التي هي من فضائل قوه الغضب-كما مر-.و إن كان مما يلزم حمايته،أو كانت حمايته بالباطل،بأن يخرج عن الإنصاف و ارتكب ما يحرم شرعا،فهو التعصب المذموم،و هو من رداءه قوه الغضب.

و إلى ذلك يشير كلام سيد الساجدين(ع) حيث سئل عن العصبيه،فقال:«العصبيه التي يأثم عليها صاحبها:أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين،و ليس من العصبيه أن يحب الرجل قومه،و لكن من العصبيه أن يعين قومه على الظلم».

و الغالب إطلاق العصبيه في الأخبار على التعصب المذموم،و لذا ورد بها الذم،

كقول النبي-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربق الإيمان من عنقه».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«من كان فی قلبه حبه من خردل من عصبیه بعثه اللّه یوم القیامه مع أعراب الجاهلیه».

و قال السجاد(ع): «لم یدخل الجنه حمیه غیر حمیه حمزه بن عبد المطلب،و ذلک حین أسلم عصبا للنبی-صلی اللّه علیه و آله- فی حدیث السلی الذی ألقی علی النبی-صلی اللّه علیه و آله-».

و قال الصادق(ع): «إن الملائکه کانوا یحسبون أن إبلیس منهم،و کان فی علمه أنه لیس منهم، فاستخرج ما فی نفسه بالحمیه و العصب،فقال:

خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ

(۱)

.

و منها:

کتمان الحق

و الانحراف عنه.و باعثه إما العصبیه أو الجبن،فهو من نتائج واحده منهما،فعلی(الأول)یکون من رذائل قوه الغضب من جانب الإفراط، و علی(الثانی)یکون من رذائلها من جانب التفریط،و ربما کان الباعث فی بعض أفراده الطمع المالی،إلا أن الظاهر کون الفاعل المباشر النفس مع رداءه قوه الغضب،کما فی نفس الغضب و غیره،إذ ما لم یحصل فی النفس ضعف و فی القوه الغضبیه خمود لم یتحقق کتمان الحق.و یندرج تحته المیل فی الحکم،و کتمان الشهاده،و شهاده الزور،و تصدیق المبطل،و تکذیب المحق،و غیر ذلک.

و الظواهر الداله علی ذمه مطلقا،و علی کل واحد من الأصناف المندرجه تحته کثیره،و لا حاجه إلی ذکرها لاشتهارها.و علاج العصبیه و کتمان الحق:أن یتذکر-أولا-إیجابهما لسخط اللّه و مقته،و ربما تأدیا

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۲.ص،الآیه:۷۶.

إلی الکفر،و-ثانیا-فوائد ضدهما،أعنی الإنصاف و الاستقامه علی الحق.

و بعد ذلک یکلف نفسه علی إظهار ما هو الحق و العمل به،و لو بالمشقه الشدیده،إلی أن یصیر ذلک عاده له،فیزول عن نفسه ما صار لها ملکه من التعصب و کتمان الحق.

وصل (الإنصاف و الاستقامه علی الحق)

لما کان ضدهما الإنصاف و الاستقامه علی الحق،فلنشر إلی بعض ما ورد فی مدحهما تحریکا للطالبین إلی الأخذ بهما،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا یستکمل العبد الإیمان حتی یکون فیه ثلاث خصال:

الإنفاق من الاقتار،و الإنصاف من نفسه،و بذل السلام».

و کان-صلی اللّه علیه و آله-یقول فی آخر خطبته: «طوبی لمن طاب خلقه،و طهرت سجیته،و صلحت سریرته،و حسنت علانیته،و أنفق الفضل من ماله، و أمسک الفضل من قوله،و أنصف الناس من نفسه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «سید الأعمال إنصاف الناس من نفسک...»إلی آخره.

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من واسی الفقیر من ماله و أنصف الناس من نفسه،فذلک المؤمن حقا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«ثلاث خصال من کن فیه أو واحده منهن کان فی ظل عرش اللّه یوم لا ظل إلا ظله:رجل أعطی الناس عن نفسه ما هو سائلهم...»الحدیث.

و قال أمیر المؤمنین(ع)فی کلام له: «ألا إنه من ینصف من نفسه لم یزده اللّه إلا عزا».

و قال الصادق(ع): «من یضمن لی أربعه بأربعه أبیات فی الجنه:أنفق و لا تخف فقرا،و أفش السلام فی العالم،و اترک المراء و إن

كنت محقا،و أنصف الناس من نفسك».

و قال(ع): «ألا أخبركم بأشد ما فرض اللّه على خلقه؟»،فذكر ثلاثه أشياء أولها:(إنصاف الناس من نفسك).

و قال(ع): «من أنصف الناس من نفسه رضى به حكما لغيره».

و قال(ع): «ما تدارى اثنان فى أمر قط فأعطى أحد النصف صاحبه فلم يقبل منه إلا أديل منه».

و قال(ع): «ثلاثه هم أقرب الخلق إلى اللّه تعالى يوم القيامه حتى يفرغ من الحساب:رجل لم تدعه قدره فى حال غضبه على أن يحيف على من تحت يده،و رجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بعشيره،و رجل قال بالحق فيما له و عليه».

و قال-عليه السلام-:

«إن للّه جنه لا يدخلها إلا ثلاثه،أحدهم من حكم فى نفسه بالحق» (۱).

و منها:

القساوه

و هى ملكه عدم التأثر عن ألم أبناء النوع.و لا ريب فى كونه ناشئا من غلبه السبعيه،و أكثر ذمائم الصفات:من الظلم و الإيذاء،و عدم إغاثه المظلومين،و عدم مواساه الفقراء و المحتاجين و غير ذلك يترتب عليه.و ضده الرحمه و الرقه،و هو التأثر عن مشاهده تألم أبناء نوعه،و يترتب عليه من الصفات المرضيه أضداد ما ذكر.و قد ورد به المدح و الترغيب فى الأخبار الكثيره،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يقول اللّه تعالى:

اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم،فإنى جعلت فيهم رحمتى.و لا تطلبوه من القاسيه قلوبهم،فإنى جعلت فيهم سخطى».

و كقول الصادق(ع): «اتقوا اللّه و كونوا إخوه برره متحابين فى اللّه متواصلين

۱- ۱) هذا الحديث رواه فى الكافى فى باب الإنصاف و العدل عن الباقر عليه السلام

متراحمين...إلخ» .

و قوله(ع): «تواصلوا و تباروا و تراحموا و كونوا إخوه برره كما أمركم اللّه» .

و قوله(ع): «يحق على المسلمين الاجتهاد فى التواصل و التعاون على التعاطف و المواساه لأهل الحاجه و تعاطف بعضهم على بعض،حتى تكونوا كما أمركم اللّه عز و جل:رحماء بينهم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-».

و قد ورد: أن من ترحم على العباد يرحمه اللّه. و الأخبار الوارده فى فضيله مطلق الرحمه،و فى فضيله خصوص كل واحد واحد فيما يندرج تحته:من إعانه المحتاج،و إغاثه المظلوم، و مواساه الفقير،و الاغتمام بمصائب المؤمنين،و أمثال ذلك،أكثر من أن تحصى.

ثم إن إزاله القساوه و اكتساب الرحمه فى غايه الإشكال،إذ القساوه صفه راسخه فى القلب لا يقدر على تركها بسهوله،فطريق العلاج أن يترك لوازمها و آثارها من الأفعال الظاهره،و يواظب على ما يترتب على الرحمه من الصفات الاختياريه،و يكلف نفسه على ذلك حتى يرتفع على التدريج مبدأ الأولى و يحصل مبدأ الثانيه.

(انتهى الجزء الأول)

ص :۴۰۶

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتناب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولیهٔ العمل.

نشاطات المؤسسهٔ:

طبع الکتب والملزمات والدوريات

إقامهٔ المسابقات فی مطالعهٔ الکتب

إقامهٔ المعارض الالکترونيهٔ: المعارض الثلاثيهٔ الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنهٔ الدينيهٔ والسياحيهٔ

إنتاج الأفلام الکرتونيهٔ والألعاب الکمبيوتريهٔ

افتتاح موقع القائميهٔ الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافيهٔ وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلهٔ والاستفسارات الدينيهٔ والأخلاقيهٔ والاعتقاديهٔ والردّ عليها

تصميم الأجهزهٔ الخاصهٔ بالمحاسبهٔ، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب کيوسک kiosk، الرسالهٔ القصيرهٔ ((sms

إقامهٔ الدورات التعليميهٔ الالکترونيهٔ لعموم الناس

إقامهٔ الدورات الالکترونيهٔ لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسهٔ وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمکن تحميلها علی ۸ أنظمهٔ؛

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونيهٔ للکتاب علی موقع القائميهٔ ويمکن تحميلها علی الأنظمهٔ التاليهٔ

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربيهٔ والانجليزيهٔ والفارسيهٔ

الکلمهٔ الأخيرهٔ

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فى طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.